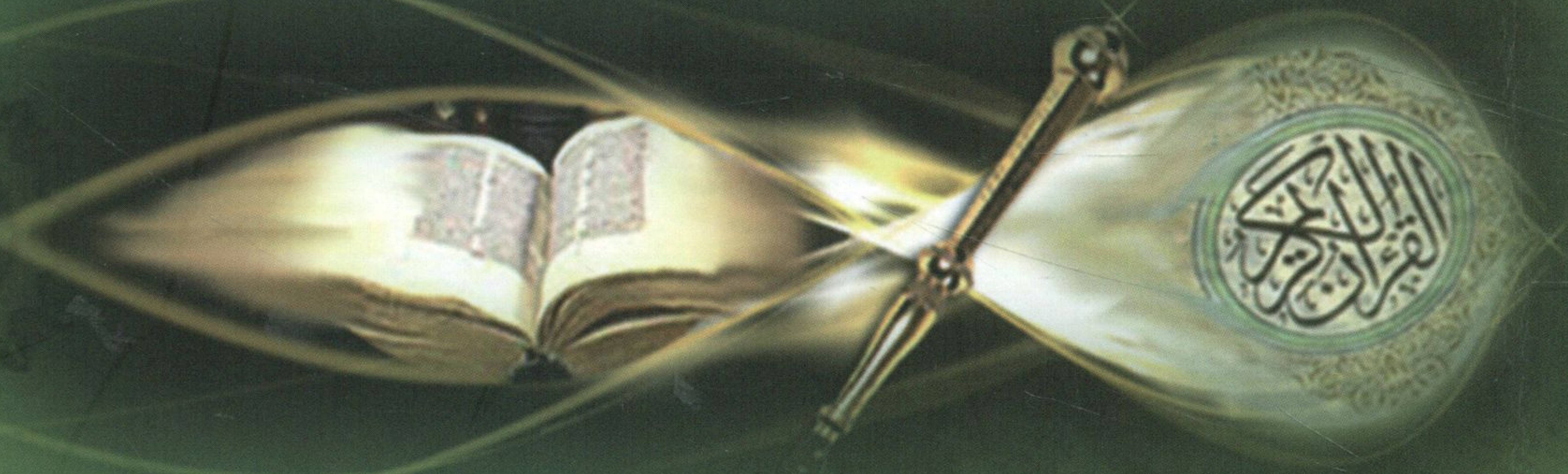
استراتيجية التواصل في البلاغ القرآني



الدكتورة
ليلى جودي

استراتيجية التواصل

في

البلاغ القرآني

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية (2012/1/299)

225.2

جودي، ليلي

استراتيجية التواصل في البلاغ القرآني/ ليلي محمد جودي

: عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع، 2011

( ) ص

ر.إ: (2012/1/299).

الواصفات:/ الاعجاز البلاغي// القران الكريم// قواعد اللغة

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ISBN 978-9957-555-41-2



دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
مجمع العساف التجاري - الطابق الأول

تلفاكس: 5353402 6 962-
خلوي: 95667143 7 962-

ص.ب: 520946 عمان 11152 الأردن
E-mail daghidaa@gmail.com

استراتيجية التواصل

في

البلاغ القرآني

د. ليلى جودي

الطبعة الاولى
2012

الإهداء

إلى من أعلى الله شأنه في الأولين والآخرين

فقال له وعنه: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝ ﴾

وزكّى عظيم أخلاقه في البلاغ المبين

فقال له وعنه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾

وفتح له فتحا مبينا وشرّفه بأن جعله خاتم الأنبياء والمرسلين

وكان الله عزّ وجلّ مؤيّده وكافيه فقال:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

﴿ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾

ليلى جودي

الفهرس

المقدمة

إنّ مقاربة إشكالية التواصل، والبحث عن استراتيجيتها في فضاء متميز كالقرآن الكريم مسألة أثارت انتباهي، واستأثرت باهتمامي، واستقطبت قواي الفكرية، والإدراكية، والشعورية منذ قراءتي بعض أحاديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدا لي أنّها تندرج في الحقل التواصلي، منها ما رواه أنس ابن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنّ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «إذا أحبّ أحدكم أن يحدّث ربّه فليقرأ القرآن»، وعنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنّه قال: «ما تكلّم العباد بكلام أحبّ إلى الله من كلامه، وما تقرّب إليه المتقربون بأحبّ إليه من كلامه».

لقد صار الهاجس رغبة وإرادة تلّحان على مقاربة النص القرآني، ومحاولة استقراء بنياته وخصائصه في ضوء ما يبدو صالحا لذلك من مناهج مستحدثة لتحليل النصوص. دون التعرض لقدسية البلاغ الإلهي. إنّ طبيعة هذا البلاغ، بنية ومحتوى، ومصدره، ومقاصده، وطبيعة المخاطَبين به تجعل استكناه أسراره، وخصائصه القولية ينأى أن يحيط به منهج محدد، أو يختزل في دراسة واحدة، فضلا عن أنّه يصعب حاليا إيجاد منهجية واحدة صلبة الأصول والأسس، واضحة المفاهيم ومكتملة الآليات والإجراءات يمكن أن تفي بالمطلوب، وتناسب الموضوع، بالنظر إلى طبيعته وزئبقية المفاهيم، حيث إنّ كثيرا من مفاهيم تحليل الخطاب ومقاربة الكلام يبدو غير واضح الملامح، كلما ظننا أننا أمسكنا بمفهوم بدت فيه جوانب ملتبسة، ولذا نرى ضبط المفاهيم وتدقيقها، وتحديد أبعادها وامتداداتها ضرورة علمية، وشريطة منهجية. أيضا فإنّ محاولتنا هذه تقوم على قناعتنا بأنّنا ما نزال بحاجة ماسة إلى دراسات في اللغة والكلام مكثفة جادة متجددة بمناهج دقيقة. وهذا ما نصبو إلى الإسهام فيه بهذا العمل.

إنّ ما يميز البلاغ القرآني عن غيره من الخطابات البشرية ماثل في كيفية التواصل وطرقه وفي تنويع تبليغ مقاصد البلاغ التي هي أساس الرسالة المحمدية إلى المبلَّغ. وهذا التنويع إنّما جاء بقصد التحدي وتقريب الموضوع وتقوية أثره في نفس المبلَّغ وتغيير أفكاره وسلوكه أو تهذيبهما، دون أن يلمس فيه تفاوتا جودة ورداءة أو قوة وفتورا في الآن معا، ودون أن يصعب عليه ـ بقدر علمه ووعيه وإدراكه ـ استيعاب معاني القرآن. ومن ثمة تواصله معها والعمل بها، أي الاستجابة لما ورد في البلاغ، ودون أن يشعر بالرتابة والملل مثلما هو الحال في الخطابات البشرية على تنوعها.

إنّ القراءة المتكررة لآيات الذكر الحكيم، والإنصات الدائم لها، تستحثنا على محاولة الخوض في إشكالية التواصل في بلاغ إلهي، اعتمد في تواصله مع البشر على لغة بشرية تعدّت حدود أمة بعينها، ومن ثمّة استكناه بعض أسراره واكتشاف جديده المتجدد. وهذا التنويع ما جاء من أجلّ ما ذكرنا فحسب، بل لأسباب أخرى سنذكرها في مقامها من البحث بالدراسة والتحليل.

يمثل هذا البحث رؤية متواضعة لكيفية توصيل البلاغ القرآني وكيفية تلقيه، فهو يقتضي تحري المنهاج البين الذي استعمل للإبلاغ، والتواصل، فالاستجابة على تباين ردود أفعال المبلَّغين؛ ذلك أنّ هذا البلاغ التواصلي ينبني على مجموعة من الخصائص النوعية تتعدى حدود التبليغ لتصل إلى تفعيل المبلَّغ والارتقاء به من التلقي إلى الوعي العقلي والتفاعل الوجداني، والعمل الناتج عن الترهيب والترغيب إلى الامتلاء الروحي، والعمل الذي يسمو بالنفس البشرية ويزكيها، فتفقه ما جاء في القرآن الكريم بالقلب والعقل والروح والجوارح في آن معا؛ بناء على الهندسة المتميزة للبلاغ القرآني في إحداث التواصل الجيد والفاعل. لكن ما هي طبيعة العلاقة بين كل من مصطلح 'تواصل' و'اتصال' و'إيصال'؟ وما هي الأدوات التي أسهمت، ولا تزال كذلك في تبليغ هذا البلاغ؟ ثم ما موقع استراتيجية التبليغ من استراتيجية الإنتاج والتلقي؟ وما موقع استراتيجية التواصل من كل هذا؟ وهل يعد المبلَّغ مشاركا في إنتاج بلاغ القرآن ـ علما أنّ إشراكه قد يعني انتهاكا لقدسية البلاغ ـ؟ وهذا ما يحيلنا إلى سؤال آخر هو: متى تبدأ علاقة المبلَّغ بالقرآن؟ وما هو دوره؟ وما هي حدوده؟ خاصة أنّ القراءة، وحصيلة القراءة تتنوعان تبعا لخصوصيات القراء الذين يتعاقبون عليه؛ وهذا أيضا ما يدفعنا إلى طرح أسئلة أخرى هي: ما هي مرتكزات التواصل وآلياته؟ وما هي المادة التي يبلغها؟ ومن هو المبلِّغ؟ وهل كل مبلِّغ هو متلق في الوقت نفسه؟ وهل كل متلق هو مبلِّغ؟ بمعنى هل البلاغ القرآني يحوي أكثر من مبلِّغ؟ وما هي ضوابطه، وخصوصياته؟ وكيف ينبغي أن يكون المبلِّغ؟ وما هو حال كل من المبلِّغ و للمبلَّغ قبل التبليغ، و اثناءه، وبعده؟...

هي أسئلة يثيرها البلاغ القرآني تبدو لا نهائية، ورئيسة لبيان حقيقة التواصل. والإجابة عنها قد تظهر أنّ الوصول إلى نتائج دقيقة ونهائية ليس هينا. وهذه الأسئلة تعكس انشغالنا باستراتيجية التواصل في البلاغ القرآني، على أنّ الإجابة المباشرة عنها لا تعنينا، بقدر ما تعنينا ممارسة قراءة واعية ـ من خلالها ـ لمكونات البلاغ القرآني بمفاهيم، ورؤى قد تسهم بشكل كبير في تغطية الحقل التحليلي للتواصل بكل أبعاده على اتساعه، ومن خلال هذه الأسئلة الشائكة ابتدأت معاينتي الفاحصة لهذه القضية، تدفعها الرغبة في الوصول إلى مفهوم دقيق 'للتواصل' عبر زاويتين اثنتين: زاوية لغوية تواصلية، وزاوية فنية جمالية. ولأنّ الموضوع يمثل بالنسبة إليّ حياة، وجزاء؛ فقد آثرت معاينة مدونة ضخمة ندية هي القرآن الكريم؛ بوصفه خطاب 'تبليغ' و'تواصل'، أي هو ـ في تصوري ـ النموذج الأمثل الذي يرسم معالم التواصل، وحدوده، ويعبّر عنه. ولكنّها ـ أي المعالم ـ ستظل فضفاضة مترامية الأطراف، وإذا كان الأمر كذلك صار بوسعنا أن نتناول الموضوع بأكثر من تصور، ومنهج يخدمان البحث، ويساعدان في تحليل النص القرآني.

فكل حرف مدعاة للتدبر، والدراسة، والفهم، والأمر موكل في أوله وآخره إلى أولي العلم، وأهل الذكر، ومن أوتي الحكمة وفصل الخطاب. امّا عن العينة ومجال البحث، فإننا سنركز على الآيات والمقاطع

التي تبدو فيها ملامح "التواصل" جليّة لما لمسنا فيها في أثناء قراءاتنا الأولية من أبعاد قد تبرز مفهوم التواصل، وتحدد الأدوات التي يستعملها المبلّغ بالاعتماد على أفكار بعض المفسرين، وآرائهم، وبعض دراسات أصحاب التخصص الذين توصلوا إلى تصورات، وأفكار تكشف أهم طرق التواصل وآلياته على تنوعها، كما تكشف ما وراء التواصل بكل خصوصياته.

كما سنحاول تصنيف بعض آيات القرآن الكريم بإيجاد لائحة تضع كل فعل تواصلي في حقله المناسب؛ نريد من خلاله تبيين التواصل المثالي في البلاغ القرآني، ومعاييره التي تحقق نموذجيته، وتفرّده المطلق. ومن ثمّة، فإنّ اختيارنا عددا معينا من الآيات نماذج للمعالجة والتحليل لم يكن جزافا، أو بقصد الإقحام، والإكثار الزخمي، والعرض التراكمي، وإنّما لأنّا رأيناها أكثر إيضاحا، واستيعابا لمدلول كلّ لفظ، أو مفهوم ومصطلح.

لم تظفر "الوظيفة التواصلية" بموقعها من البحث اللغوي إلا عندما فرّق "فردينان دوسوسور" Ferdinand DE SAUSSURE بين اللغة والكلام، وميّز كلا منهما بخصائصه، وحدد علاقة كل منهما بالآخر اعتمادا واستقلالا. لقد كانت العناية بعملية التواصل في بدايتها قد تركزت على الاتصالات البرقية التي أولاها عالم الاتّصالات الأمريكي كلود شانون Claude SHANNON عناية خاصة من أجلّ تحسين مردوديّتها وضمان نجاعتها من دون تشويش، ثم ما فتئت أن تطورت على يد اللغوي رومان ياكبسون Roman JAKOBSON في بداية الستينيات من القرن الماضي، إذ حدد جوهر التواصل اللّساني، وجعل له نظرية قائمة بذاتها هي نظرية الاتصال بعناصرها الستة: (المرسل) و(الرسالة) و(المرسل إليه) و(السياق) و(قناة الاتصال) و(السنن). وقد حاول بعض الدارسين تطويرها، أو تعديلها.

ومنه فالانطلاقة الحقيقية للدراسة ستبدأ مما أورده ياكبسون، حيث أكّد ضرورة اعتبار هذه العناصر أساسا ركينا في مقاربة مسألة "التواصل الجمالي" من الجانب البنوي، ورأى أنّ الرسالة تشكّل قولا لغويا يتجه من المرسل إلى المتلقي، ويهدف إلى نقل الفكرة، فإذا ما فهم المتلقي ذلك انتهى دور المقولة عندئذ. وفي حال القول الأدبي تنحرف الرسالة من خطها المستقيم المباشر وتعكس توجه حركتها، إليها هي نفسها وتثنيها إليها، أي إلى داخلها، حيث لا يبقى المرسل باثا، ولا المرسل إليه متلقيا، إنّما يتحول الاثنان معا إلى فارسين متنافسين في مضمار واحد يضمهما ويحتويهما، وهو: "القول" أي "النص" ويتحول القول اللغوي من رسالة إلى نص، ولا يصبح هدفها نقل الأفكار، أو المعاني بين طرفي الرسالة، ولكنها تصير هي ذاتها غاية، هدفها هو غرس وجودها الذاتي في عالمها الخاص بها، وهو جنسها الأدبي الذي يحتويها... لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما موقع نظرية ياكبسون من البلاغ القرآني؟ خاصة إذا علمنا أنّ الفعل التواصلي لكل الخطابات ينبني على الوظائف اللغوية الست، ويستدعيها. فهل فعلا ينتهي دور المقولة بمجرد أن يتلقاها

المتلقي، ويفهمها؟ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإنّ هذا البحث لا يكتفي بنظرية ياكبسون بل يستفيد من التداولية في دراسته للتواصل، قدر الحاجة الموضوعية، والضرورة المنهجية، لكونها تعتبر اللغة نشاطا تواصليا أساسا، ومدخلا مفتاحيا لأية معرفة ممكنة، وتهدف إلى دراسة الشروط القبلية للتواصلية.

ويرى أصحابها أن اللغة لا يمكن أن تنعزل عن استخدامها، وتنحصر في علمي النحو والمعاني، بل إنّ الاتصال في التداولية يلعب دورا فاعلا إذا أردنا أن نفهم حقيقة اللغة في الدراسة اللسانية، ولأن التداولية في الدراسة الأدبية ركّزت على سمة الأدب الاتصالية، انطلاقا من أنّ الاتصال عموما لا يكتمل دون اعتبار توظيف الأدب مصادر الاتصال المختلفة، فإنّ دراستنا تسعى إلى استنطاق أهم الخصائص النوعية التي اعتمدها التداوليون في التأسيس للجانب الاتصالي في دراساتهم.

وقد حرصنا على الاطلاع على ما توافر من بعض الدراسات العربية والغربية، بما تطرحه من آراء نقدية، وفكرية لإضاءة قضايا العمل، والاسترشاد بها، واعتبارها مفاتيح لولوج قضية التواصل في البلاغ القرآني، واستقرائها.

إننا ندرك أن الطريق إلى استجلاء أهم ضوابط التواصل الفاعل، بغية تحديد مفهوم له في بلاغ مقدس، وعر، ومحفوف بالمزالق، والأخطار التي يجب أن يحسب لها ألف حساب، خصوصا إذا تعلق الأمر باستثمار النظريات، والمناهج الغربية التي وإن راجت وبلغت شأوا بعيدا من الإحكام، فإنها لم تخل من ثغرات، وأخطاء. والخطر كل الخطر أن يوضع البلاغ القرآني تحت طائلة مناهج مازالت خاضعة للتصحيح، والتعديل والتجريب والمراجعة وربما العدول عنها تماما، مناهج لم تعتبر فيها اللغة العربية، بل خصائصها، فضلا عن القرآن وخصوصياته، فتمحو أهدافه، وأدواره، وتعاليمه ليصبح بدوره مثل الخطابات البشرية. ومع هذا وذاك لا نرى حرجا في التعامل مع هذه الجهود الغربية إلى جانب الجهود العربية بناء على أن قضية التواصل - في نظرنا - ستنحو منحى إيجابيا، وستأخذ أكثر من بعد قد يسهم في تحديد مفهوم للتواصل، فيعبر عنه تعبيرا دقيقا عساه أن يميط اللثام عن حقيقته، إذا ما كان المنطلق واضحا أصيلا مبنيا على أساس متين. ومن ثمة لا يمكن إغفال جهود كثير من الدارسين الغربيين، وإسهاماتهم المهمة والفاعلة في الحقل التداولي، والتي كانت نقطة تحول في تنويع الدراسات المتعلقة بمسألة التواصل وتوسيعها مثل نظرية التواصل اللساني عند فرديناند دوسوسور Ferdinand DE SAUSSURE ، ورومان ياكبسون Roman JAKOBSON ، ونظرية نموذج المرسل - المتلقي لدى كلود شانون ووارين ويفر Claude SHANNON et Waren Weaver، ونظرية النموذج التفاعلي والنظامي لجورج هنري ميد George Henri MEAD، ونظرية النموذج الخطي للإعلام لهارولد لازويل Harold LASWELL، ونظرية الاتصال الجماهيري ذات النظام الاجتماعي لجون ريلي وماتيلدا ريلي ، ونظرية بناء المعاني الاتصالية لملفين دوفلور وروي باركو Melvin DEFLEUR &

Roy BERKO، ودراسات غرايس GRICE، وسيرل SEARLE، وأوستين AUSTIN، وبرييتو PRIETO، ومانقونو MAINGUENEAU... وغيرهم من الدارسين الذين بحثوا في المسألة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. ولذلك تطلبت محاولة ضبط مفهوم التواصل منظومة فكرية، ولغوية متنوعة المصادر والمراجع، على اعتبار أن التواصل يكشف عن تنوع معرفي يحافظ على حركيته، وسيرورته. ولذلك نطمح إلى أن تكون دراستنا ملتقى وجسرا يحقق التواصل بين ما اغترفناه من تراثنا الأصيل، وما قرأناه في النقد الحديث.

ولأنّ كل عمل لا يخلو من ثغرات ونقائص، فإن هذا العمل جاء مكملا وموضحا ـ وعسى أن يكون كذلك ـ لجملة من المفاهيم التي وقفت حجر عثرة أمام كثير من الباحثين، لاسيما المختصون منهم في الدراسات القرآنية. وأبرز هذه المفاهيم التواصل الذي يشكل أس القرآن. ولنتبين ذلك بدقة، ونستخرج هذا المعلم الكامن في البلاغ القرآني بين المعالم الكثيرة التي جعلته مفارقا لكل الخطابات البشرية، ومعجزا، بنينا العمل على خمسة فصول ومقدمة وخاتمة؛ حاولنا فيها دراسة مباحثها دراسة استقرائية وصفية تحليلية، وظفنا فيها أدوات ومفاهيم كشفية تحليلية توظيفا مطواعا، حيث يجيز لنا أن نوائم بينه وبين مختلف المناهج، والمعارف التي تنتظم داخل بلاغ متفرّد تشكل وفق قواعد وأسرار أتاحت توصيله في تناسق لغوي، ومعرفي في منتهى الإحكام، والتناسق، والانسجام. فجاء ضمن بناء قائم بذاته. ولا يتم هذا إلا بالإبقاء على بعض الضوابط، والمبادئ التي يقوم عليها كثير من المناهج، وتتقدمها التداولية لكونها الاستراتيجية الأنجع والأنسب لتحليل الخطاب بما تتيحه من أدوات وإجراءات فاعلة، لأن أي عملية تواصلية لا تكاد تتم في غياب الشروط التداولية، كما حاولنا ـ أيضا ـ من خلال هذه الفصول ضبط عناصر موضوعنا، وحصرها في نقاط معينة هي:

1. التواصل المفهوم والاصطلاح
2. معجم ألفاظ التواصل
3. مرتكزات التواصل
4. آليات التوصل ومراتبه
5. مقاصد التواصل وجمالياته

وقد وسمنا العمل بـ «استراتيجية التواصل في البلاغ القرآني» بعد تردد في استعمال مصطلح استراتيجية أو منهج، من منطلق أن الاستراتيجية هي مجرد رؤية من إنجاز البشر تستند إلى جملة من الأسس، والأبعاد وفق تصور ودراسة يتسمان بالنقص ويستهدفان الكمال، ولكنهما يفضيان إلى نتيجة، وبتعبير أكثر دقة هي علم الخطط الحربية، وخاصة المؤدية إلى نصر نهائي على العدو، أو على الأقل تجنب هزيمة ممكنة. ثم صارت تتداول كثيرا بمعنى التخطيط البارع طويل المدى المفضي إلى تحقيق الأهداف الكبرى ـ كما هو

مفهومها في الأصل الأجنبي ـ كما حملت معنى مجموع الإجراءات التي يمكن معها اختيار البدائل في مراحل العمل المختلفة. أما المنهج فهو الطريق الذي لا يكون إلا واضحا وتاما وكاملا ومستمرا، وقد ورد في القرآن بهذا اللفظ والمعنى، قال تعالى: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) سورة المائدة ـ الآية 48 والمنهاج والنهج والمنهج بمعنى واحد لذلك آثرنا استعمال كلمة استراتيجية.

افتتحنا العمل بفصل وسمناه بالتواصل المفهوم والاصطلاح، تناولنا فيه طبيعة التواصل في البلاغ القرآني، فعرضنا مهمة الإنسان في الأرض بصفة عامة بحكم طبيعته الاستخلافية، وحاجته للتواصل، وتوقفنا قليلا عند مسألة التحدي التي أفضت إلى الحديث عن قدسية التواصل، وهي قدسية لمسناها في البلاغ القرآني كما في مالك البلاغ القدوس ـ جلّ جلاله ـ كما في مبلغ البلاغ؛ روح القدس جبريل ـ عليه السلام ـ من حيث إنه ينزل بالقدس من الله، أي بما يطهر به نفوس العباد من الذنوب، والمفاسد بالقرآن، والحكمة، والفيض الإلهي. وقد شملت هذه القدسية التي تعني الطهارة، والتنزه سيد الثقلين، وحقته.

وكان الهدف من طرحنا لمسألة التواصل المفهوم والاصطلاح تحديد الإطار الذي تتمحور حوله إشكالية البحث؛ لأنه يمثل المنهجية الناجعة التي قد تمكّننا من بلوغ المرام، وبالتالي كان من الطبيعي أن نجعل لهذا الفصل مفهوما للتواصل وإشكاليته من الناحيتين اللغوية والمعرفية؛ ذلك أنّ محاولة تحديد المفاهيم والمصطلحات تعدّ المدخل الرئيس لأي حقل معرفي، لضبطها بشكل انفرادي أو داخل إطار نظري، لذلك أخذنا على عاتقنا رصد المفاهيم والمصطلحات التي تدور في فلك التواصل، وتحليلها قياسا إلى استعمالاتها الحية، وليس بناء على التعريفات، والمواضعات الاصطناعية المجردة، فمصطلح البديع مثلا كان في الفكر البلاغي عنوانا للبيان والبديع والمعاني، إلا أنّ هذه التسمية كشفت عن عدم تناسبها، حيث تبيّن أنّها محدودة ومكوناتها غير منسجمة؛ لأنها تقتصر على مبحث واحد من مباحث علوم البلاغة؛ وهو علم البديع.

وسنقتصر في هذا الفصل على بعض المفاهيم الدالة على التواصل بحكم كثرتها أولا، ولأنها تستأثر باهتمامنا في هذه النقطة، وتؤدي الدور بامتياز نيابة عن الألفاظ الأخرى ثانيا، والمهم أن يكون توظيفنا لها ما هو إلا إضاءة نستعين بها لدراسة مسألة التواصل بما لا يتعارض من حيث الطرح مع دلالاتها القدسية؛ فمفردات مثل: رسالة، وبلاغ، ونبأ، وبيان، وقول، وكلام، وخطاب، ورسول، ونبي، وغيرها... تبقى مع ما تحمله من دلالات ألفاظا شرعية، مع العلم أنّ جديد كثير من الدراسات الحديثة ما هو إلا اختزال لجملة من المفاهيم القديمة كالملكة اللغوية مقابل الأداء، والجودة والقصور مقابل الكفاءة، والتعبير عن المعاني المقصودة مقابل القصد، ومراعاة التأليف مقابل التركيب... ومن بين هذه الألفاظ التي رصدناها ورأيناها أدعى للنظر والدراسة:

- التواصل

- الإلقاء والتلقي
- التنزيل
- البيان
- القراءة والتلاوة والترتيل
- الدعوة والتبليغ
- الصدع

وقد حللنا هذه الألفاظ بوصفها أدوات للتواصل، تحليلا متأنيا مقرونا بالتأصيل لمعانيها القديمة والحديثة في إطار سياقها الذي وردت فيه.

وحاولنا قبل هذا التأصيل اللغوي أن نشير إلى نشأة بعض نظريات الاتصال بشكل موجز لنبرز إسهامات أصحابها في هذا المجال ودورهم في تطوير المفاهيم وضبطها.

وبالنظر إلى أنّ التواصل يتحدّد مفهومه أساسا من خلال هذه الألفاظ التي رصدناها وغيرها، وهي كثيرة جدا، قمنا في الفصل الثاني، الذي وسمناه بمعجم ألفاظ التواصل، بوضع معجم للألفاظ التي ظهرت بشدة في أثناء التداول اللغوي للبلاغ القرآني، وقد جاء المعجم على شكل جدول مطول بالنظر إلى حجم المدونة، حاولنا فيه رصد كلّ كلمة دالة على التواصل في القرآن الكريم، سواء أكانت اسما أم فعلا أم حرفا، وهذا انطلاقا من سياقاتها في الآيات التي وردت فيها، إما بشكل مباشر أو غير مباشر، وأردفناه بدراسة موجزة استدعاها ولكنها صميمة فيه، وهذا الإيجاز فرضته طبيعة الكلمات التي كانت واردة في إطار تعالق بديع، ودالة بما يكفي من جهة، ثم لتجنب الاجترار من جهة أخرى؛ فما يقال عن هذا اللفظ يقال عن ذاك من حيث خصوصياته. من أجلّ هذا اكتفينا بتحليل بعض النماذج، وحرصنا على تفكيك مدلول بعض الألفاظ الدالة على التواصل.. فضلا عن أنّ الجدول لا تمثله هذه الدراسة فحسب وإنّما تتآزر كلّ الفصول لتدلّ على أنّها جزء لا يتجزأ منه، ولتقول إنّ الجدول هو منطلقها في المقاربة والمعالجة، بل يعد هو نفسه دراسة قائمة بحد ذاتها.

وأقمنا الفصل الثالث الموسوم بـ"مرتكزات التواصل" على جملة من المعايير باعتبارها ركنا مكينا فيه مشروطا بجملة من الثوابت، وهي البلاغ بوجوهه، وأساليبه، وتميزه، والمبلِّغ بوظائفه، وخصوصياته، والمبلَّغ بجنسه، ووضعه، وأحواله، وكذا خصوصياته، وضوابطه.

ثم إنّه حينما بدأنا مقاربة مباحث هذا الفصل كان من الصعب أن نفصل بين مرتكز وآخر، لارتباط بعضها ببعض. وبذلك لم يكن الفصل سوى فصل منهجيّ:

أما مادة التواصل فهي تعنى بمضمون البلاغ؛ ماذا يبلغ؟ كيف يبلغ؟ ولماذا يبلغ؟ فاقتضى الأمر الحديث عن جملة من المطالب التي تراوحت بين طبيعة اللغة، وحسن العرض، وبين صحة المعنى، وأريحية الأثر. كما تراوحت بين نمطي التواصل الشفوي والكتابي مما جعل حديثنا عن البلاغ يكتسي بالغ الأهمية بوصفه الركيزة الأساس التي تربط بين قطبي عملية التواصل المبلِّغ، والمبلَّغ.

ويأتي الحديث عن المبلِّغ في القرآن لمعرفة الاستراتيجيات التي وظفها لتشكيل بلاغ تواصلي تجاوز به حدود الإبداع البشري، حيث عملنا على محاولة إيجاد تفسير لها، وتبيّنا أنّ المبلِّغ لم ينحصر في الله جلّ جلاله، وإنما في جبريل ـ عليه السلام ـ من غير جنس البشر، وفي كل جنس البشر يتقدمهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو مبلغ عن مبلغ، وكل هؤلاء تحكمهم قيم وخصوصيات تخص كل واحد منهم على حدة؛ لأنّ التبليغ مسألة متواصلة تسمح لكل من وصله البلاغ، وفهمه، وعمل به أن يبلغه، وبهذا يكون قد مارس التواصل مع أطراف أخرى ضمن حدود رسمها له البلاغ.

واهتمامنا بالمبلَّغ إنّما هو نتاج السياقات التداولية التي جاء بها البلاغ من حيث منهاجه الذي ينبغي أن يراعى فيه أحوال المبلَّغين بوصفهم محور العمل التواصلي القائم على أساس التلقي بمختلف عناصره التواصلية، حيث تبينا أصناف المبلَّغين، ومدى قدرتهم على التلقي فالاستجابة بالنسبة إلى من صدق، وآمن أو التحدي والعجز بالنسبة إلى من كذب، وكفر لوجود بعض العوائق ـ مما كسبت أيديهم من الغفلة والإعراض والجحود؛ لأنهم ولدوا على الفطرة ـ حالت دون ذلك.

وحاولنا جهدنا في الفصل الرابع الموسوم بـ آليات التواصل ومراتبه تتبع مجموع وسائل البلاغ القرآني التقنية، وما فيها من خصوصيات، حيث حاولنا الوقوف أولا على أهم الآليات التي هي بمنزلة مفاتيح مكونة للبلاغ القرآني، خاصة أن التواصل فيه مسألة فعل مؤسس على أسرار كثيرة حيكت بطريقة متفردة لخلق جو من التواصل الفاعل لإدراك حقيقة البلاغ القرآني وجمالياته في وجود نص ذي خصوصيات اتصالية. وهذا لا يتأتى إلا بحضور حاستي السمع والبصر، وتفعيل دورهما لترتقيا إلى ما هو أعمق منهما فتنفذا إلى البصيرة؛ أي إلى العقل والقلب فيحركان النفس، ويدعوانها إلى العمل ضمن زمن ومكان معينين باستخدام الوسائل البلاغية والبديعية، وهذا يعني أنّ البلاغ القرآني توسل لتحقيق العملية التواصلية بجملة من الآليات المتنوعة التي لا يمكن حصرها في عدد معين، لذلك اكتفينا بعرض بعضها بعد أن قمنا بمحاولة ضبطها في مجالات مخصوصة؛ فجاءت الآلية الإخبارية بما فيها من قصص، وأمثال، وحوار، وحجاج، تتقدمها الآلية الاتصالية بما تحوي من ممارسات تدور في نطاق التلقي، والتلاوة، والترتيل، والقول، والتفكر، والتدبر، والذكر، والإنباء، والإخبار، والتفسير، والتأويل... وتتلوها الآلية التخاطبية التي يكون كمالها بإقامة الحجة الواضحة، وتمامها بالإقناع، وتتبع هذه الآليات الآلية الحسية والإنجازية والمقامية، وكانت

كلها آليات فنية مستخدمة استخداما تعبيريا مفارقا عبر تمازج، وتداخل تركيبي متميز يوحي بدلالات كثيرة، وقد جاءت كلها مجتمعة متشابكة ذات مستوى واحد، وكونت مزيجا معقدا أريجيا، وعليه فإن فصلنا بين آلية واخرى لم يكن إلا منهجيا اقتضته طبيعة الدراسة.

أما ما يخص المراتب فقد تجلّت في أربعة أطراف من المتواصلين، وكانت المرتبة الأولى لله ـ عزّ وجلّ ـ وكيف خاطب الملائكة والثقلين يتقدمهم جبريل ـ عليه السلام ـ من غير جنس البشر والرسول محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ من جنس البشر، ثم بعض الرسل الذين سبقوه في الرسالة، ثم خلقه كافة من الإنس، والجن، مؤمنين، وكافرين، ومنافقين.

وتأتي المرتبة الثانية للأنبياء، والرسل، وكيف تواصلوا مع ربهم ثم مع أهليهم وأقوامهم، وخصصنا المرتبة الثالثة للناس كافة، وكيف تواصلوا مع الرسل والرسالات وكيف تواصلوا بعضهم مع بعض مؤمنين، وكافرين، ومنافقين، والمرتبة الرابعة خصصناها لكل شيء خلقه الله ـ تبارك وتعالى ـ سواء تعلق الأمر بالسموات والأرض، أم بالجنة والنار، أم بالجلّود، أم الجن غيرها... وكل هذا من خلال ما جاء في البلاغ القرآني من آيات وسور دالة على ذلك.

وفي الطرح الأخير الذي احتواه الفصل الخامس عرضنا لأهم مقاصد التواصل وجمالياته، للتدليل على ان القرآن بلاغ تواصلي جمالي متكامل، وفيه تمت مقاربة بعض وجوه مقاصد القرآن للوصول إلى بعض حقائق التواصل، وتأكيدها. كما تمّت دراسة مفهوم كل من التمام والكمال والجمال، بوصفها مفاهيم جوهرية تؤكد حقيقة البلاغ، وتجلّي موضوعاته الحسية، والمعنوية، والروحانية، والفنية التي تنبع من مقاصد الشريعة الإسلامية السمحة.

وخلصنا في نهاية عملنا إلى خاتمة ضمناها أبرز النتائج المتوصل إليها.

ولئن كنا قد حاولنا معالجة كل قضية على حدة ووضعها في فصل قائم بذاته، فإن جلّ الفصول شهدت تشابكا تعذر علينا فكه، ولا شك أن هذا كان نتيجة لتفرد القرآن وإعجازه، ثم لذلك التقاطع الكبير بين المناهج والمفاهيم، والموضوعات التي اشتغل فيها الدارسون العرب القدامى، وما قدمه الدارسون الغربيون في هذا المجال من تقعيد وإجراء، وهي محاولات لعبت دورا في نواحي تحليل الخطاب بكل أطره المنهجية في الاستدلال والبرهان، إذ جعلت منه حقلا معرفيا متكاملا.

وينبغي أن نقول ـ هنا ـ إننا لا ندعي الوقوف على كل قضايا التواصل وجوانبه وعناصره ـ وإن كان هذا غايتنا ـ فقد يكون هناك ما لم نوفق إلى الوصول إليه، وتبيان مزيته، ودوره لسبب ما، نرجو أن يتاح لنا أو لغيرنا ما ييسر كشف ما يساعد على تحديد أدق، وأشمل لمفهوم التواصل، ومسائله.

وبعد: فإن وجدت أيها القارئ الكريم ما توسمت واستشرفت فبفضل من الله ونعمته، وإن وجدت غير ذلك فحسبي أنني أخلصت واجتهدت، وما قصرت. وحسبي عزا وفخرا أن شرفت بقراءة القرآن، وتدبره، ومحاولة كشف شيء من خصوصياته، وملامحه والحمد لله الذي اختص نفسه بالكمال، وهو من وراء القصد.

الفصل الأول
التواصل المفهوم والاصطلاح

1. البلاغ القرآني وطبيعة التواصل
   أ- مهمة الإنسان في الأرض
   - تكليف العباد
   - وظيفة الرسل

   ب- القرآن بلاغ تحد
   - البيان العربي
   - إعجاز القرآن

   ج- قدسية التواصل
   - الوحي ومقامات التواصل
   - الرسل المنشأ والأخلاق
2. التواصل المفهوم والاصطلاح
   أ- التأصيل التاريخي
   - نماذج من بعض نظريات الاتصال
     - نموذج شانون وويفر
     - نموذج هارولد لازويل
     - نموذج ج ريلي وم ريلي
     - نموذج دوفلور وباركو
     - نموذج دوسوسور
     - نموذج ياكبسون
   - وظائف اللغة
     - الوظيفة التعبيرية
     - الوظيفة الإفهامية
     - الوظيفة المرجعية

- الوظيفة الميتالغوية
- الوظيفة اللغوية
- الوظيفة الشعرية

ب- التأصيل اللغوي

- مفهوم التواصل من المنظور الغربي والعربي
- أدوات التواصل في القرآن حقيقتها وأسرارها
  - الإلقاء والتلقي
  - التنزيل
  - البيان
  - القراءة
  - التلاوة
  - الترتيل
  - الدعوة
  - التبليغ
  - الصدع

الفصل الأول
التواصل المفهوم والاصطلاح

1. البلاغ القرآني وطبيعة التواصل

أ- مهمة الإنسان في الأرض:

- تكليف العباد:

إنّ من يقرأ القرآن الكريم ويتدبّر آياته، يرى بوضوح أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ما خلق الإنسان وكرّمه وأحياه بالرسالة الأمانة إلا بوصفه نقطة البدء والمنتهى، في كل آية من آيات محكم تنزيله؛ إذ فيه خطاب للإنسان، وعن الإنسان. إن هذه الرسالة تبدأ مع آدم ـ عليه السلام ـ الذي قبل عن رضا، حمل تكاليفها الشرعية، من التزام الطاعات وترك المعاصي؛ لأن العرض كان تخييرا لا إلزاما،[1] في الوقت الذي أبت فيه السموات والأرض والجبال حملها، خشية ومخافة، لا مخالفة، وأشفقن منها، تعظيما لشأنها، يقول الله ـ عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (الأحزاب الآية 72)، وتتواصل، أي الرسالة، مع أنبياء الله ورسله، وتنتهي بمعجزة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفيس القرآن؛ الذي يحمل الحقيقة الجلّيلة الثابتة، قانون التوحيد، الذي ينبغي الانطلاق معه إلى جملة من الحقائق الموجودة فيه، منها الخلافة والعبادة والأمانة وعمارة الأرض... وبذلك «تتجاوز المد الحضاري الإنساني، لتبقى على الدوام قائدا، ومرشدا موجها للمسيرة الإنسانية المتطورة».[2]

ومن بديع صنعه وجلّيل حكمته، أنه ما خلق الإنسان وتركه يتخبط خبط عشواء، يعيش الجهل والضلالة، وما ترك فطرته السليمة عرضة للتراجع والانتكاس وهو القادر الرحيم. وقد ارتسم بديع صنعه في أن خلقه في أحسن تقويم؛ فمنّ عليه بنعمة السمع والبصر والفؤاد، حتى يمكّنه من أن يكون عبدا مسؤولا، يستخلفه في أرضه؛ يسمع كلام الله، ويرى آياته، فتقع في قلبه، وتستهوي روحه، وتحرك عقله، وتأخذ بلبه حتى يؤمن بها إيمانا، ويقينا بحكم طبعه الذي يحتاج «إلى الإيمان مهما كان نوعه».[3] كما تجلّت رحمته

---

(1) ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي بن محمد): زاد المسير في علم التفسير، تحق / محمد السيد الجليند، المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ 1404 ط 3 ج 6 ص 428.

(2) عيسى بن سديرة: الخصائص التركيبية والأسلوبية في المكي والمدني من القرآن الكريم ـ دكتوراه دولة ـ جامعة الجزائر، 2003 ص 25.

(3) ميجان الرويلي ـ سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي ـ إضاءة لأكثر من خمسين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا ـ المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب / بيروت لبنان ط 2 ـ 2000 ص 32

وحكمته، بدءا بأبي البشرية آدم ـ عليه السلام ـ في منحه الصفة الإنسانية الكبرى [البيان] مصداقا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ﴾ (الرحمن ـ الآيتان 3 ـ 4)؛ إذ علّمه ووجّهه الوجهة الصائبة، «وما الأسماء التي علّمه الله إياها إلا الأداة التي هتك بها حجاب الصمت، واستقر معها وجوده في الكون»،[1] ومن ثمة، فهو لا يحسن الحديث عن موجودات الكون ومواده إلا من خلال اللغة، بكلماتها التي زوده الله بها، والتي تتجاوز بنيتها الشكلية كألفاظ أو رموز اصطلاحية؛ بمعنى أنها تكشف عن الوجود، بل هي مأواه،[2] وإن كنا «لا ندري أي لغة هي التي وقف آدم ـ عليه السلام ـ عليها أولا، إلا أننا نقطع على أنها، أتمّ اللغات كلّها، وأبينها عبارة، وأقلّها إشكالا، وأشدّها اختصارا، وأكثرها وقوع أسماء مختلفة على المسميات كلّها المختلفة من كلّ ما في العالم من جوهر أو عرض.. وقد يمكن أن يكون الله تعالى وقف آدم ـ صلى الله عليه وسلم ـ على جميع اللغات التي تنطق بها الناس كلهم الآن، ولعلها كانت حينئذ لغة واحدة، مترادفة الأسماء على المسميات، ثم صارت لغات كثيرة».[3]

ولئن كانت الأسماء الطريقَ إلى علمه ومعرفته، بناء على قوله جلّ جلاله: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ۝٣٣ ﴾ (البقرة ـ الآيات 31 ـ 32 ـ 33)، فإنها كانت السبيلَ ـ أيضا ـ إلى إعلان الإنابة والتوبة ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (البقرة ـ الآية 37)، بل كان محور البلاغ إحداث تواصل تمّ بطريقة نجهلها، ولكن نؤمن بوقوعه ولا ريب.

إذا هي كلمات كان أسها مجرد أسماء / ألفاظ بل ربما لفظ... تجلّى في حقيقته في افعل و/ أو لا تفعل، فجر من ورائه العبارة، والموضوع، والفكرة، والمشاعر السابقة واللاحقة.[4] وعلى اعتبار أن الإنسان قبل حمل الأمانة، فإنه بالضرورة مطالب بالخضوع لشرعه، وأحكامه قولا وعملا؛ «إذ لا تكليف إلا بفعل، سواء أكان الفعل فعل إتيان أو فعل كف أو تخيير؛ لأن الأحكام الشرعية لا تحكم على المكلفين، بل على

(1) لطفي عبد البديع: فلسفة المجاز بين البلاغة العربية والفكر الحديث ـ الشركة المصرية العالمية للنشر ـ لونجمان ـ مصر ـ ط 1 ـ 1997 ص 72.

(2) حسن مصدق: النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ـ المغرب، بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى 2005 ص 86.

(3) ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام ـ مطبعة الإمام (د. ت) ج 1 ص ص 30 ـ 31 .

(4) ينظر سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق ـ القاهرة ـ بيروت - طبعة جديدة مشروعة (السادسة والعشرون) 1997 م 4 ج 6 ص 3447.

أفعالهم التي تعطي للإنسان بعده الوجودي الإنساني، إذ هي كسبه ومقدوره الذي يبلور به شريعة الله في الأرض».[1]

كما كان من عظيم نعمه عليه، أن جعله يعي الجمال، ويتذوقه بكل أبعاده. ويدرك وقعه على نفسه، منذ أن سواه، وفي تسويته جمال، ونفخ فيه من روحه، وفي هذا أروع جمال، وخلقه في الجنة، وأسكنه فيها، حيث لا يجوع فيها، ولا يعرى، ولا يشقى. وبالجملة أوجده على نسق متميز، حمله على أن يكون آية من آياته، فجعله بحق «فرادة جمالية في الوحدة الجمالية الكلية التي أبدعها الخالق الأعظم».[2] وبهذا يتصل إحساس الإنسان بالجمال، بدرجة انسجامه مع كم هائل من الثنائيات المتضادة، التي يكمِّلُ بعضها بعضا، وتؤكّد نقصه وحاجته مرة أخرى إلى الله، الذي اختص بالكمال. لقد ألف الجميل ولذته، والحياة وسكونها، والرّاحة والأمان، ليجد القبيح وفجاجته، والجوع والعري، والشقاء والعداوة... «لذلك بعدما هبط الإنسان إلى الأرض، ظل متعلقا بالعالم العلوي، حنينا لما شاهده هناك، من كمال وروعة، وبخاصة بعد الإحساس بتناقضات في العالم السفلي».[3] وبعد هذا كله، ظل الإنسان فقيرا إلى الله، بحاجة إلى أن يسأل ويتساءل، ما هي الغاية التي من أجلها خلق؟ إنه السؤال الذي أسفرت عنه تساؤلات عديدة، أسلمته إلى أن يفكر تفكيرا عقلانيا، يبعث فيه الأمان والاطمئنان، لقد جعل من نفسه قضية قائمة، لابد له من أن يتفكر فيها، ويتأملها، لينتقل إلى «الوجود من حوله، إلى السموات والأرض وما بينهما من دلائل وبراهين، تؤكد أنّ كل شيء في هذا الكون يوحي بقدرة الخالق المبدع؛ لأنه وجد بإرادته».[4] وكل هذا نستشفه من توقيع رباني قرآني بديع، ورد في أكثر من مفهوم، مثل يسألون ويتساءلون ويتفكرون ويتدبرون... في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ (المائدة ـ الآية 4) وقوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء ـ الآية 1) وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ (آل عمران ـ 191). ..

- وظيفة الرسل:

---

(1) إدريس حمادي: الخطاب الشرعي وطرق استثماره ـ المركز الثقافي العربي ـ بيروت ـ الدار البيضاء، ط1، 1994 ص 64.

(2) منير الحافظ: المعيار الجمالي في فن اللامعقول ـ دراسة ـ دار الفرقد، دمشق ط 1 ـ 2003 ص 170.

(3) عبد الرحيم محمد الهبيل: فلسفة الجمال في البلاغة العربية ـ الدار العربية للنشر والتوزيع ـ مدينة نصر ـ مصر، ط 1 ـ 2004، ص 25.

(4) محمد علي الجوزو: مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ط 1، 1980 ص 110.

جاء التدعيم الرباني مساعدا للإنسان، فأهدى إليه نعمة إرسال الرسل، إذ «بدون الرسالة السماوية سيبقى البشر مختلفين تائهين، لا يتفقون على سبيل».[1] هكذا جاءت الرسالات في جميع الأعصار، لتقويم حياة الناس كافة، وتحويلهم عن عبادة العباد، إلى عبادة رب العباد، على اعتبار أن النص هو الوسيط الذي نفهم عبره أنفسنا،[2] أما الرسل ـ عليهم السلام ـ فقد أرسلت لإبلاغ الناس تعاليم الله، ومنهجه، وشريعته في الأرض. وكان نداؤهم في كل مرة، عبادة الله الواحد الأحد.

وقد ذكر القرآن الكريم في مواطن مختلفة ومتعددة مهمة الرسل جميعا، ودعوتهم أقوامهم إلى عبادة الله، ومعرفته مع إقامة الحجة والعمل بما جاء في شريعته، دون إجبارهم فقال: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (النحل ـ الآية 36).

ويعد التكليف بالتبليغ أهم مسؤولية أنيطت بالرسل ـ عليهم السلام ـ ولأنهم أهل للعمل الموكل إليهم، فقد قاموا بمحاولات متكررة لترسيخ شريعة الله في قلب كل إنسان قبل عقله، إذ ليست مهمة الرسل هي مهمة الناس العاديين، الذين يسعون للتفوق على غيرهم، كأنهم خصم لابد لهم من القضاء عليهم بفكرهم مهما كان، لإشباع غريزة العظمة في ذاتهم، بل هي مهمة أناس متخصصين، يمارسون أدوارهم من دون أن يتجردوا من إنسانيتهم، وذلك بإعانة الأطراف التي يتوجهون إليها، حتى يأخذوا بأيديهم نحو هذا السبيل، ليصبحوا عاملا مساعدا في رحلة الدعوة إلى الله، ويعلموا ويعلّموا غيرهم، أن الله ما خلق السموات والأرض، وما خلقهم عبثا، يقول تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾ (الدخان ـ الآية 38).

من أجلّ هذا اقتضت رحمة الله إرسال رسل منه إلى خلقه ليعرفوهم بربهم، ويرشدوهم إلى ما فيه كمالهم الإنساني وسعادتهم في الدارين الدنيا والآخرة، ويعلموهم الطرق الصحيحة لعبادته، ويدلوهم على التواصل السليم لطاعته، ويحكمون بين الناس بما أراهم الله، فأرسل الله ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء ـ الآية 165).

لكن ماذا لو كان المرسَل المبلِّغ المبلَّغ من غير جنس البشر؟ لكانوا سألوا الله رسولا من البشر، كي يتمكنوا من التواصل معه، والفقه عنه، والفهم منه. مع أن الملأ الذين كفروا، جحدوا واستغربوا أن يكون الرسول بشرا يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، وتمنوا أن يكون الرسول من الملائكة ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان ـ الآية 7)،

---

(1) عمر سليمان الأشقر: الرسل والرسالات ـ قصر الكتاب ـ البليدة ـ الجزائر 1989 ص 72.

(2) Paul Ricœur : Du texte à l'action – Essais d'herméneutique – Edition du seuil 1986 p 129

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ (الفرقان _ الآية 21).

ومن رحمته _ عزّ وجلّ _ أنّه يرسل إلى كل صنف من الخلائق رسلا منهم؛ لأنّ كل جنس يأنس بجنسه، وينفر من غير جنسه، حتى ينتفع بعضهم ببعض في المخاطبة. ولو بعث الله رسله من الملائكة، مثلما اقترح الكافرون، ورأوهم عينا، لوجدوا سبيلا إلى اللبس، وقالوا هذا سحر، يقول تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ (الأنعام _ الآية 9). ولما آمنوا ولما اهتدوا، يقول تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ (الأنعام _ الآية 111). ولما أمهلهم الملائكة، ولقضي أمر الله بالعذاب يقول تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ الأنعام _ الآية 8.

لقد عهد الله _ إذن _ إلى رسله الذين اصطفاهم من الناس إبلاغ وحيه، فأرسلهم بالرسالات البينات، وأيدهم بالمعجزات الواضحة، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ (النساء _ الآيتان 163 _ 164) ، كما أجرى عليهم كثيرا من الأعراض التي تجري على الناس، لأنهم منهم؛ فهم يأكلون ويشربون، ويمرضون ويصحون، ويموتون ويحيون، ويتحركون ويسعون، ويفرحون ويحزنون، وينسون ويذكرون، إلا فيما يتعلق بتبليغ الرسالات فإنهم معصمون عن الخطأ والنسيان، وبهذا يفارقون الناس، ويتمايزون عنهم بكمالهم المطلق وأفضليتهم عليهم كافة، و ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ (الحج _ 75).

وعليه، فقد فرض الله محبتهم وأوجب طاعتهم، وألزم متابعتهم، وحرّم المفاضلة بينهم، امتثالا لأمره تعـــالى: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة _ الآية 136) ، وقد أحوج الله الخلائق كلهم إليهم في الدنيا لتبيّن الطريق المستقيم، وفي الآخرة ليستشفعوا بهم إلى الله، وهنا تظهر منزلة الشفيع عند المشفع، فيتأخر الأنبياء والرسل جميعهم، إلا الرسول الأكرم محمد _ صلى الله عليه وسلم _ فيشفع هو لهم، وقد خصّ بخصائص لم تكن لأحد سواه منها: الوسيلة والشفاعة، والكوثر والحوض، والمقام المحمود[1].

---

(1) للاستزادة ينظر أبوبكر الجزائري: منهاج المسلم، دارالكتب السلفية _ القاهرة _ 1406هـ ص 36 وما بعدها.

ب- القرآن بلاغ تحد:

- البيان العربي:

اللسان العربي عالم قائم، وتاريخ حافل، تمخّض عنه فحول كثر، ومصاقع لسن، جعلوا من فن القول مفخرة العرب كلّهم، ومنتهى التباهي لديهم؛ إذ جرت العادة عند القبائل العربية جميعها، أن تحتفل بميلاد شاعر ينبغ، بوصفه لسان حالها في جلّ المواطن والمواقف، خاصة الصعبة منها، لما له من كبير أثر في النفوس، وحسبه أنه كان يعلي من شأن قومه ويرهب عدوهم ويقيّد عليهم مآثرهم ، كما حفل بذكر أنسابهم وأيامهم وأخبارهم...

ولئن كان فن القول نتاجا فكريا، وصناعة جمال بالألفاظ والمعاني، فإن هذه البضاعة كانت تعرض في أشهر الأسواق، والمحافل، وأكبرها، مثلما كانت تعرض البضائع التي كانت تستجلب من كثير من الأقطار، وقد كانت تحظى بأكبر قدر من الاهتمام والرعاية، من قبل جهابذة النقد، ممن كانوا من أهل الصنعة الذين أحاطوا بمذاهب العرب في الكلام، فكان لهم وزنهم في مجال الإبداع المطرب، والبيان المفطور في طبائع العرب، إذ الصحيح أن العرب هم أرباب الفصاحة والبيان، يتلاعبون بالحروف والكلمات كما يروق لهم، فيرسمون بهما لوحة الحضور والوجود، كما كانوا مغرمين بجمال لسانهم، الذي شكلوا منه ركائز الثقافة الحية لديهم، كالقصيد العجيب، والرجز الفاخر، والخطب الطوال البليغة، والقصار الموجزة، ولهم الأسجاع والمزدوج، واللفظ المنثور...، إذ تأتيهم الأفكار طائعة منقادة وتراود خيالهم أروع الصور الفنية وأبهى الأساليب، فتنصاع لهم فنون القول ذليلة ـ كما بدا لهم ـ ولما كان الأمر كذلك، كان لابد أن يُتحدّوا بكلام نسيج وحده، روعة، وبيانا، وفصاحة، وبلاغة، وصدقا، وعلو منزلة، وسمو قدر... كلام تستيئس كل النفوس من مجرد التفكير في اقتفاء أثره، أو الإتيان بآية من آياته المحكمة المفصلة، يقول الجاحظ: «وكذلك دهر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أغلب الأمور عليهم وأحسنها عندهم وأجلّها في صدورهم حسنُ البيان ونظم ضروب الكلام، مع علمهم له، وانفرادهم به، فحين استحكمت لفهمهم، وشاعت البلاغة فيهم، وكثر شعراؤهم وفاق الناس خطباؤهم، بعثه الله عز وجلّ، فتحداهم بما كانوا لا يشكون أنهم يقدرون على أكثر منه»[1].

والحق أن الأمر هنا كان أكبر من التحدي، وإعلان تفوق نص على آخر، إذ لا مجال للموازنة بين شيئين متناقضين، بين الحياة السرمدية التي تجلّت بقوة في القرآن الكريم ونصوص فيها كثير من المعايب، التي طفت على سطح الإبداع، خاصة بعد نزول القرآن الكريم؛ وقد تجلّت بدورها في «كثير من اللفظ المستكره،

(1) الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحق / عبد السلام هارون، دار الجيل ـ بيروت ـ (د. ت) ج 1 ص 279.

والمعنى المستغلق والسياق المضطرب، والأسلوب المتهافت والعبارات المبتذلة».[1] ونحن هنا لا نستهين بقدر المبدع، ولا نهون من قيمة إبداعه الأصيل، الذي يقوم الألسنة، ويثقفها، ويقف حكما لا يُرَدُّ، للحكم على صواب اللغة، والنحو، أو خطئهما. ولا ننزل بهما إلى مرتبة الإسفاف، إذ من غير المعقول أن نتصور العرب سذجا فكريا، فهذا أمر مناقض لما وصل إليه العرب، وما خلفوه من آثار أدبية قيمة. كما يناقض أن القرآن جاء متحديا لفكرهم، وأسلوبهم، وألسنتهم، وفصاحتهم، فلقد ظل كلاهما ـ أي المبدع وإبداعه ـ يحظيان بمرتبة الشرف، ردحا من الزمن طويلا، إلى أن اعتلى القرآن الكريم، بمجرد نزوله، الذروة العليا، دون أن يبذل جهدا أو ينتظر حولا، كي يكسب شرعية وجوده، وينال رضا الجميع، لما له من سطوة على القلوب والعقول في آن معا، بشهادة ألد أعداء الإسلام، الوليد بن المغيرة، الذي كان أعلم بالشعر، ورجزه، وقصيده في قومه. كما كان مقتدرا، وبليغا، ومتذوقا، فقال منبهرا، بأنه ما عهد سماع مثله، مقرّا بأنه ـ حقا ـ وحي من السماء، ولو أنكر ـ بعد ذلك ـ هذا الأمر جحودا ونكرانا: «والله لقد سمعت من محمد، آنفا، كلاما ما هو من كلام الإنس، ولا هو من كلام الجن. والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إنّ لقوله الذي يقول حلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنّه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنّه ليحطم ما تحته».[2]

لقد عفت روحانية القرآن على إلهامهم، ومحا سحر بيانه شاعريتهم، ودرس عجيب نظمه مقدرتهم البلاغية، فخرت فنون القول من علوها الأشم صعقة، وغدا فصحاؤها وبلغاؤها صاغرين أمام جلّال أجلّ، وصار سفيههم يخبط خبط عشواء بترهات وخزعبلات، عساه يفلح في محاربته كلام الله، ولكن هيهات هيهات، لقد بدت كلماته مجرد سخافات، ما ارتضاها الكافرون المتعنتون، فما بالنا بالمؤمنين العقلاء، لقد نظروا في القرآن وتدبروا آياته فـ «أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها... وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها، أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحرى أو أخلق، بل وجدوا اتساقا بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاما والتئاما، وإتقانا وإحكاما، لم يدع في نفس بليغ منهم، ولو حك بيافوخه السماء، موضع طمع».[3]

---

(1) صلاح الدين عبد التواب: الصورة الأدبية في القرآن الكريم ـ الشركة المصرية العالمية للنشر ـ لونجمان ـ ط 1 1995 ص 220.

(2) ينظر السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر): الإتقان في علوم القرآن، ضبط وتصحيح وتخريج الآيات، محمد سالم هاشم ـ دار الكتب العلمية ـ طبعة جديدة كاملة بيروت ط 1، 2004 ص 484.

(3) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر ـ دار المدني ـ جدة، مطبعة المدني القاهرة ط 3، 1992 ص 39.

حقا لقد تحول فن القول؛ هذا الصنم الناطق، الذي ربما كان يعبد أكثر مما كانت تعبد أوثانهم ـ اللات والعُزّى ومناة ـ إلى صنم أخرس، شل الألسنة وبهر العقول، بل لقد أفل شأنهم، وصار أروع ما أنتجوه سخفا، أمام قرآن شامخ عظيم، يتمثل بنفسه عاليا. ويكفينا أن نطرح السؤال التالي: هل سبق أن صادفنا في القرآن كله ـ وهو يحوي مئة وأربع عشرة سورة (114)، وستًا وثلاثين ومائتين وستة آلاف آية (6236) ـ سورةً تفتتح أو تختتم بالاعتذار عن التقصير أو الزلل أو العيب أو الفتور؟ ولكن كثيرا ما وقفنا على نصوص بعينها، يعترف أصحابها بقصورهم، ويلقون على إبداعاتهم جملة من التهم، التي تؤكد أنّ زعمهم باطل، وأن قصورهم وارد، ويرمون أنفسهم بالوهن، وأنّ ما جاؤوا به قديم مستهلك، ويعلنون موت قريحتهم ولو لحين. وإن كان من غير المنصف أن نوازن بين الثرى والثريا، بين إبداع قاصر وقرآن عجب، بين كلام بشري، كان في مراحله الأولى النموذج الفني الأعلى، الذي له جماله المكتمل، وله قيمته المطلقة الثابتة، فكان المقياس والقاعدة، وأصوله نهائية وراسخة، لا يجوز الانحراف عنها، أو العبث بها، أو تخطيها.[1] ولكن لم ترسخ جذوره، ولم يكتسب حق وجوده، ولم يحظ بالقبول إلا بعد أن امتص كل قطرة من نبع مبدعه، وخيلته، واستغرق كل وقته، واستنفد كل جهده، ولعل ما يؤيّد هذا ما قاله امرؤ القيس:[2]

عُوجَا على الطَّلَلِ المُحيلِ لأنّنا ... نَبْكِي الدِّيار كَمَا بكى ابنُ حُذَام

وقول كعب بن زهير:[3]

ما أرانا نَقُولُ إلا رَجيعًا ... ومعادًا من قَولنا مَكْرورا

وهذا أبو العتاهية يعتذر عن تقصيره مع عدد من الشعراء الفحول على سبيل المثال لا الحصر قائلا:[4]

عَجِبْتُ حتى غَمَّنِي السكوتُ ... صِرْتُ كأنّي حائرٌ مَبْهوتُ

كذا قَضَى الله فكيف أصنَعُ ... والصَمْتُ إن ضاق الكلامُ أوسَعُ

---

(1) ينظر أدونيس: زمن الشعر ـ دار العودة ـ بيروت ط 1 1972 ص 33.

(2) ديوان امرئ القيس، تحق، محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف ـ مصر ـ ط 4، ص 114.

(3) ديوان كعب بن زهير، شرح وتقديم محمد يوسف نجم، دار صادر ـ بيروت ـ ط 2 ـ 2002 ص 31.

(4) ديوان أبي العتاهية، قدم له وضبطه وشرحه، صلاح الدين الهواري، دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ـ ط 1، 2004 ص 420.

وقول حسان بن ثابت:[1]

تذكَّـــرُ آلاء الرَّســـــول ومَـــا أرَى | لهـــا مُحْـــصِيًا نفْـــسي فنفْـــسي تَبَـــلَّدُ
ومـــا بَلَغَـــتْ مِـــن كُـــلِّ أمْـــرٍ عَـــشِيرَةً | ولكِـــنَّ نفْـــسي بعـــضَ مـــا فيـــه تُـــحْمَدُ

وقول أبي نواس:[2]

وإنِّـــي جديـــرٌ إذْ بلغْـــتُكَ بالْمُـــنى | وأنـــتَ بـــما أمَّـــلْتُ منـــكَ جديـــرُ
فـــإنْ تُـــولني منـــك الجمـــيلَ فأهْـــلُهُ | وإلاَّ فـــــإنِّي عـــــاذرٌ وشَكُـــــورُ

وقول شاعر الحماسة أبي تمام:[3]

فَـــإنْ يَـــكُ جُـــرْمٌ عَـــنَّ أو تَـــكُ هَفْـــوةٌ | علـــى خَطَـــأٍ مِنِّـــي فَعُـــذْرِي علـــى عَمْـــدِ

وقول آخر:[4]

رَهَنْـــتُ يَـــدَيَّ بالعَـــجْزِ عَـــنْ شُـــكْرِ بِـــرِّهُ | ومَـــا فَـــوقَ شُكْـــرِي لِلـــشَّكُورِ مَزِيـــدُ
ولَـــو كَـــانَ مِمَّـــا يُـــسْتَطَاعُ اسْـــتَطَعْتُهُ | ولكِـــنَّ مَـــا لاَ يُـــسْتَطَاعُ شَـــدِيـــدُ

وقال الآخر (العميان):[5]

ولكِـــنْ وإنْ طَـــالَ مَـــدْحِي لا أفِـــي أبَـــدًا | فَاجْعَـــلِ العُـــذْرَ والإقْـــرَارَ مُخْتَتَمِـــي

---

(1) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تصحيح وشرح، محمد عزت نصر الله، منشورات دار إحياء التراث العربي - بيروت - (د.ت) ص 59.

(2) ديوان أبي نواس، دار صادر - بيروت - ط 1 - 2001 ص 205 .

(3) ديوان أبي تمام، تحق - محمد عبده عزام، دار المعارف - مصر - ط 5 المجلد 2 ص 117.

(4) أبو تمام (حبيب بن أوس الطائي) : ديوان الحماسة، تحق/ عبد المنعم أحمد صالح - منشورات وزارة الثقافة والإعلام - العراق 1980 ص ص 520 - 521 .

(5) ابن حجة الحموي (تقي الدين أبوبكر علي): خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال - بيروت ط 1، 1987 ص 504.

وهاهو فحل مضر في زمانه ـ الفرزدق ـ يقول: «تمُرُّ عَلَيَّ ساعةٌ وقلعُ ضِرس من أضراسي أهون عليَّ من عمل بيتٍ من الشعر»،[1] وليس ابن المقفع ببعيد عن الفرزدق، مع بلاغة قلمه ولسانه، يقول مقرا معترفا: «الذي أرضاه لا يجيئني والذي يجيئني لا أرضاه».[2] وكذلك نجد من الشعراء من يقدر على غرض دون آخر، «فإنا قد علمنا من عادات الناس وطبائعهم أنّ الواحد منهم تواتيه العبارة، ويطيعه اللفظ في صنف من المعاني، ويمتنع عليه مثل تلك العبارة وذاك اللفظ في صنف آخر».[3]

ولئن كان المتكلم المبلّغ البشر يعاني توترا رهيبا بين مقصده وانتقائه الكلمات التي تؤدي ذلك القصد، فإنّ التوتر شمل بذلك اللفظ ككلمة رائقة ومناسبة لهذا القصد أو ذاك؛ فيأتي تعبيره على خلاف مراده. إذاً لم يتوقف الأمر في الكلام البشري عند التذبذب والخطأ فحسب، بل تجاوز ذلك إلى القصور والاجترار، ووضع المخيلة ضمن إطار مغلق، لا يخرج عن النزعة المادية الحسية التي احتواها الوسط البيئي، كما لا يخرج عن القوالب الجاهزة التي لا يحق لأي مبدع أن يحيد عنها، فكل شيء عنده مرسوم سلفا وفق قوانين ثابتة لا مناص له منها، لقد صار أمامها مكبلا واهنا، وجاء القرآن ليهزه ويغمسه في أفق أرحب، عساه يغيّر نظرته لهذه الصناعة، ولكنّه ظل عاجزا عن كتابة كلام يضاهي كلام الله لكونه «أوجد اللغة مفردات فانية، وأوجدها القرآن تراكيب خالدة».[4] وحسبنا هنا أن نشير إلى جملة من المساوئ التي وجدها المبدعون في كلامهم، حينما كانوا في كل واد يهيمون، فذكروها إنصافا للسان العربي منها: العيّ، والبكيء، والحَصِر، والمُفْحَم، والخَطِل، والمُسْهَب، والمتشدّق، والمتفيهق، والمِهمار، والثرثار، والمكثار، والهمّار، وذكروا الهُجْر، والهَذَر، والهَذَيان، والتّخليط*... فشتان بين هذا الخطاب البشري، وبين كلام إلهي ذي مناح فنية، وجمالية، وحقائق مطلقة سلكها في الإيصال والتواصل، فامتلك بها روح المتلقي وقلبه وعقله وكل جوارحه، مع أنّ القرآن الكريم جاء بلسان عربي مثل لسانهم ـ أي لسان العرب ـ الذي يتلفظون به ويعبرون عن حاجاتهم. وكان منطلقه في ذلك أن استعمل ذات المعطيات المعروفة المتداولة من حروف وألفاظ ومعان واستعارات...

---

(1) ابن رشيق (أبوعلي الحسن). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان ط 5 ـ 1981 ـ ج 1 ص 204.

(2) الجاحظ (أبوعثمان عمروبن بحر): البيان والتبيين، تحق عبد السلام هارون، دار الجيل ـ بيروت ـ 1948 ج1، ص 208.

(3) عبد القاهر الجرجاني: الرسالة الشافية ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبدالقاهر الجرجاني، حققها وعلق عليها / محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ـ دار المعارف ـ مصر ـ ط2، 1968 ص 138.

(4) الرافعي مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان 1974 ج 2 ص 195.

(*) العي: ضد البيان، البكيء: الذي لم يصب حاجته، الحصر: ضيق الصدر عن النطق، الخطل: الكلام الفاسد الكثير الفاسد، المسهب والمهمار: كثير الكلام، الهذر: الإفراط في الكلام، المتشدق: الذي يتوسع في الكلام من غير احتياط واحتراز، الهجر: تكلم بالهذيان... ينظر الجاحظ: البيان والتبيين ج1، ص 144.

فمن أين له بهذا التأسيس الإعجازي المتفرد الذي لم يألفه العرب، وتخص بالذكر أئمة الفصاحة والبيان والبلاغة، وما سمعوه في آبائهم الأولين، ومن أين له بسرمدية الخلود؟ والإجابة عن سؤال كهذا نتبيّنها في مسألة إعجاز القرآن.

- إعجاز القرآن:

إنه يمكن القول، إنّ إعجاز القرآن لا يرتد إلى مستوياته اللفظية أو التركيبية أو الدلالية؛ أي إلى نظمه البديع، أو تأليفه العجيب، أو إلى أسلوبه الباهر، أو بيانه الناصع، أو إلى صحة معانيه، واستمرارها وموافقتها لطريقة العقل، أو توالي فصاحة ألفاظه، أو إلى ما فيه من الإخبار عن الغيوب وأمور المستقبل أو عن قصص الأولين، أو إلى جلّاله وبروزه بشكل خارج عن العادة، مغاير لكل الأجناس الأدبية المعهودة والمبتكرة الجديدة، أو إلى روحانيته التي لم تعرف في كلام العرب كلهم ـ فنيا كان أم عاديا ـ قط، وكذلك «من حيث صرفت هممهم عن المعارضة وإن كانوا قادرين متمكنين»،[1] وكذلك أنه جعل «متلوا لا يمل على طول التلاوة، ومسموعا لا تمجه الآذان، وغضا لا يخلق على كثرة الرد، وعجيبا لا تنقضي عجائبه ومفيدا لا تنقطع فوائده»،[2] أقول إنّ إعجاز القرآن لا يرتد إلى هذه الأسرار فحسب، وإن لم تبلغ الأسرار التي توصل إليها كل دارسي الإعجاز منذ نزول القرآن عشيره، وإنما يرتد أيضا إلى سحر التواصل الجميل الذي يتدفق على المبلَّغ ـ مهما كان نوعه ـ تباعا، كلما أراد أن يتواصل، أن يتحرر من الباطل، ويتخلص من المحرم ومن المحظور والمنكر، ليلتحم مع الحق، ويتمثل الحلال والمباح، ويأمر بالمعروف، مستمدا تشكيلة تواصله وتنوعها من أجواء متباينة وبيئات مختلفة.

والحق أن أجمل ما في التواصل، ذلك التعالق السامي بين طرفين متباينين تماما؛ بين إله قدير ليس كمثله شيء، وعبد ذليل، مما يؤكّد أن التواصل ليس جزءا من الإعجاز فقط، وإنما هو كذلك خصيصة نوعية متميزة لصيقة بالقرآن ماثلة فيه.

إنّ المتمعن في بعض أسرار القرآن الكريم، يجد أن هذه الخصيصة تجتمع في كل آية وسورة، لتخلق شبكة تواصلية من عناصر الكلام المتشاكلة المتواشجة، التي تمنح القرآن إعجازه.. ولقد «كان مع إعجازه ميسرا للذكر، حتى يسهل تبليغ الرسالة على النبوة الخاتمة والصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وعلى الدعاة على

---

(1) القاضي عبد الجبار (أبوالحسن الأسدآبادي): المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحق أمين الخولي ـ دار الكتب ـ الجمهورية العربية المتحدة ـ ط 1، 1960 ج 16 ص 318.

(2) ابن قتيبة (أبومحمد عبد الله بن مسلم): تأويل مشكل القرآن، تحق السيد أحمد صقر ـ دار إحياء الكتب العربية ـ ط 1، 1954 ص 3.

مر العصور، وحتى يسهل على الناس وعي الرسالة وفهمها وتدبرها على مر العصور كذلك»،[1] وهكذا فقد ظل القرآن قادرا على شد أواصر التواصل بقلوب خلق الله كافة، زمانا ومكانا، هذه القلوب التي بها يبصرون، ويعقلون، ويفقهون فيحيون.

بعث الله عزّ وجلّ نبيه المصطفى محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسولا هاديا، ومبشرا، ونذيرا، ومبلغا كل العرب والعجم، والإنس والجن، بلاغ ربه وما جاء فيه من أوامر ونواه، وفضّله على كلّ أنبيائه ورسله وسائر عباده برسالة أيّده بها، وجعلها آية أزلية محفوظة، مصداقا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر ـ الآية 9) ، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ (البروج ـ الآية 22)، لكون أنّ «أي عملية اتصالية قد يعتريها تشويش يبدل عناصرها ، ويغيّر محتواها، فإنّ الله عز وجلّ حفظ كتابه من التغيير والتبديل»،[2] كما شرّف الله رسوله الكريم بضم اسمه إلى اسم رسوله، ليجلّه تحقيقا لتمام الإيمان الحق وكماله.

ومما لا مشاحة فيه أنّ القرآن الكريم بلاغ الله الأزلي، الذي أعجز الناس كافة عن محاكاته، وتحدى كل العرب، وهم أفصح الأمم وأقدرهم على البيان، عن الإتيان «بمثل الحروف التي في القرآن، منظومة كنظمها، متتابعة كتتابعها، مطردة كاطرادها، ولم يتحدهم إلى أن يأتوا بمثل القرآن القديم الذي لا مثيل له، وإن كان كذلك، فالتحدي واقع إلى أن يأتوا بالحروف المنظومة، التي هي عبارة عن كلام الله تعالى في نظمها وتأليفها، وهي حكاية لكلامه، ودلالات عليه، وأمارات له، على أن يكونوا مستأنفين لذلك لا حاكين، بما يأتي به النبي».[3]

كما جعل أمر التحدي مفتوحا، لا تحده ضوابط بعينها زمانا ومكانا، وأمهلهم العمر كلّه، مقابل الإتيان بمقدار يسير من الآيات من عندهم، تبلغ نظم آيات القرآن في الشرف أو تقرب منه، فقال عز وجلّ: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ (الطور ـ الآية 34) ، وقال تبارك وتعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (هود ـ الآية 13) ، وقال عز وجلّ: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ البقرة ـ الآية 23. إنّ المتأمل في هذه الآيات، يرى أنّ صور التحدي كانت متنوعة، بين تحد بالقرآن كلّه، وبين تحد بعشر سور، وبين تحد بسورة واحدة منه؛ ففي كل مرة كان الله ـ عزّ وجلّ ـ ينقص

---

(1) عدنان علي رضا النحوي: الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام ـ دار النحوي ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية ط 1، 1999 ص 278.

(2) إحسان عسكر: وظائف التبليغ القرآني ـ دار الاتحاد العربي ـ مصر ـ ط 1، 1992 ص 32 .

(3) الباقلاني (أبوبكر محمد بن الطيب): إعجاز القرآن، تحق، السيد أحمد صقر ، دار المعارف ـ القاهرة ـ ط5، 1977 ص 394 .

المقدار، ويخفف من عبء التحدي، ولكنهم ظلوا حيارى نحوه، عاجزين عن معارضته بل ما تجرؤوا، وهم فرسان الكلام، على اقتحام حصنه المنيع؛ لأنهم يدركون، مع تعنتهم وعنادهم، أنهم لو قالوا: إن القرآن هو كلام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا كلام الله عز وجلّ، للزمهم ذلك الإقرار بثبوت المعجزة وقيام الحجة على صحة النبوة، فإن أقروا بأن القرآن، هذا النظم العجيب، هو كذلك، وقد عجزوا مع فصاحتهم وتضافرهم عن الإتيان بمقدار ثلاث آيات منه في المدة المتطاولة، مع تكرار التوبيخ وترداد التقريع، وهم من أوتوا قدرة على الكلام، فقد اعترفوا بعجزهم عما تحداهم به رجلٌ منهم لغته لغتهم، ونسبه نسبهم، وبلده بلدهم، وأقروا بأن فصاحته قد خرقت العادة المعروفة عندهم، وبذلك يكون هذا أشد عليهم، وأنكى لقلوبهم، وأبكى لعيونهم، إذ أتى مخلوق مثلهم، بنوع من الفصاحة لا يقدرون على الإتيان بالقليل منه؛ فإنه لا عجب من عجز المخلوق عما يأتي به الخالق، إنما العجب من عجز المخلوق عمّا يأتي به مخلوق مثله،[1] وإذا كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو الذي يحتل مكانة عالية لدى كل الناس، وكان أفصح العرب قاطبة وأبلغهم وألسنهم، لم يتقوله، ولا يقدر على هذا الكلام، فكيف لبشر عاديين، لن يرقوا إلى مرتبته فصاحة وبيانا وأخلاقا ومكانة، أن يقولوا مثل كلام الله، الذي سدّ لهم منافذ القول، بثبوته على وتيرة واحدة، وسيره على نهج واحد، ما زاغ عنه أبدا، دلالة، وتشريعا، وبلاغة، وفنا؟ مما يعني أنه نتاج لذات متحدثة وحيدة لا كفؤ لها، إنها الذات العظمى، التي «لا تضعف حتى في المواطن التي تعبر فيها عن الرحمة، وإنّ قوتها واحدة في جميع سوره وآياته؛ فهي دائما ربانية، قوية، جبارة، منتقمة، عادلة، حكيمة، آخذة بزمامي الترغيب والترهيب، ذات سلطان مطلق، وتتسم من وراء ذلك كله بطاقات روحانية هائلة، تؤثر في الكلمات تأثير الروح في الأجساد،»[2] إنها ذات الله العليم القدير ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (النساء ـ الآية 82).

نعم.. إنه بلاغ الله الذي نزّله على عبده، بعد أن أحكم آياته، وفصلها بلسان عربي مبين، ولم يجعل لها عوجا، لينذر به وليجعله ذكرى للمؤمنين، إنه كتاب حق وصدق ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (النساء ـ الآية 87)، الذي أقسم في أكثر من موطن في محكم تنزيله، تأكيدا أنّه من عنده، وبرهانا قاطعا أنّه كلام رباني نازل من عليائه، فقال جلّ جلّاله: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الشعراء ـ الآية 192).

---

(1) ينظر ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن ـ تحق حفني محمد شرف ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر ط2، 1972 ص ص 128 ـ 129.

(2) صلاح الدين عبد التواب: الصورة الأدبية في القرآن الكريم ص 230.

ج- قدسية* التواصل:

- الوحي ومقامات التواصل:

إنه لابد لنا من الاعتراف بأنّ القرآن هو أسمى كلام إبداعي حي، من حيث جلّ مستوياته الصوتية، واللفظية، والتركيبية، والدلالية، وأيضا من حيث تخطيه لكل النصوص البشرية، على كثرتها وتنوعها واختلافها، زمانا ومكانا، وهو لم يتبوأ هذه المنزلة إلا بوصفه بلاغ الله المقدس. كذلك لابد لنا من الإقرار بأن مسألة التواصل تقتضي حضور عدة عناصر، لعل من أهمها المبلِّغ (الله)، والمبلَّغ المبلِّغ (الوحي والرسول ـ عليهما السلام ـ) والبلاغ (القرآن الكريم) وكل هذه أطراف فاعلة في عملية التواصل، لها قداستها وقدسيتها، وغياب أحدها ينفي بالضرورة سير العملية، بحكم أهمية المسألة وخطرها. ولقد ذكر الله هذا في توصيف رباني دقيق فقال: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (الأنعام ـ الآية 124)، وقال عز من قائل: ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٧٥﴾ ﴾ الحج ـ الآيتان 74 ـ 75.

وقد نكتفي بهذه القداسة لنحدد معالم الوظيفة الجمالية في التواصل الرباني المقدس، المؤسس على ركائز متينة، لا عوج فيها ولا أمت؛ ذلك أنّ الوقوف على بلاغ الله المقدس يفرض علينا أن نؤمن بقدسيته، التي تفرض علينا ـ هي أيضا ـ أن نتعامل معه بحذر كبير جدا.

إنّ البحث عن قدسية بلاغ الله هو بحث عن روحانيته الربانية، المستوحاة من جماليته النوعية، المخبأة في كتابه المكنون، وما يحويه من قول ثقيل في الميزان أشفقت منه السموات والأرض، وأبين أن يحملنه. قول فيه من التشريعات الربانية، عقيدة، وأدبا، وأخلاقا، ومعاملات ما يخرج الناس من الظلمات إلى النور، هو الصراط المستقيم الذي ضمن الله سلامته من التحريف والتصحيف، ومن التغيير والتبديل، كذلك «هو بحث عن روحه [الله] المتوارية قيما جمالية سامية، وأنّ كل لحظة جمالية هي لحظة لقاء مع الروح».[1]

ولمّا كان أمر التواصل المباشر مع الله في تجلّيه لرسله مستحيلا، لما لله من هيبة وجلال، فإنه؛ أي التواصل، ارتبط به ـ في بعده الجمالي ـ ملمح الوحي. والوحي هنا جبريل ـ عليه السلام ـ الذي أعطي

(*) التقديس: التطهير الإلهي المذكور في قوله: (ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) الأحزاب(33)، دون التطهير الذي هوإزالة النجاسة المحسوسة، وقوله: (ونَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ونُقَدِّسُ لَكَ) البقرة(30)، أي نطهر الأشياء ارتساما لك. وقيل: نقدسك، أي؛ نصفك بالتقديس. وقوله: (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِنْ رَبِّكَ) النحل(102)، يعني به جبريل من حيث إنه يترل بالقدس من الله، أي؛ بما يطهر به نفوسنا من القرآن والحكمة والفيض الإلهي، والبيت المقدس هوالمطهر من النجاسة، أي؛ الشرك وكذلك الأرض المقدسة. قال تعالى: (يَاقَومِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) المائدة(21)، وحظيرة القدس. قيل: الجنة. وقيل: الشريعة. وكلاهما صحيح، فالشريعة حظيرة منها يستفاد القدس، أي:الطهارة ينظر الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، مادة قدس.

(1) منير الحافظ: المعيار الجمالي في فن اللامعقول ـ دراسة ـ ص 175.

القوة، والطاعة، والقدرة الفائقة على الحفظ والاستيعاب والنقل، والمنطق الحسن، والخلقة الحسنة يقول تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ (٢٠) مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ (٢١)﴾ (التكوير ـ الآيات 19 ـ 20 ـ 21) ، يتمتع بقدرات وملكات بقدر حجم المهمة المقدسة التي أوكلت إليه، والتي تليق بعظم البلاغ.

لقد كرّم الله جبريل ـ عليه السلام ـ وجعله صاحب المهمة الصعبة، والأمر البالغ التعقيد، فكان طرفا بعيدا عن الإنسانية بوصفه ملكا، قريبا منها بوصفه خيط الوصل بين الخالق والمخلوق، فجبريل ـ عليه السلام ـ إذا هو أمين الوحي الذي أرسل إلى جميع الرسل، وهو أحد رؤساء الملائكة المقربين لله عز وجلّ، وأعظمهم قدرا، مقامه معلوم في السموات، لا يتجاوزه ولا يتعداه، شأنه شأن كل الملائكة الذين لا يعصون لله أمرا يقول تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾ (الصافات ـ الآية 164).

ولم ير الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ جبريل ـ عليه السلام ـ في صورته الحقيقة إلا مرتين؛ فأما الأولى، فكانت في الأرض، في الأفق الأعلى، في بداية الدعوة، وهو في غار حراء يتعبد، حيث كان جبريل ـ عليه السلام ـ يتمثل له، إذا نزل بالوحي، في صورة رجلّ، فأحب الرسول أن يراه على صورته الحقيقية، فطلع له جبريل من المشرق، فسد الأرض إلى المغرب، فخر الرسول مغشيا عليه، فنزل إليه جبريل في صورة الآدميين، وضمه إلى صدره، وجعل يمسح الغبار عن وجهه، فلما أفاق الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: يا جبريل ما ظننت أنّ الله خلق أحدا على مثل هذه الصورة. فقال: يا محمد إنما نشرت جناحين من أجنحتي، وإن لي ستمائة جناح، سعة كل جناح مما بين المشرق والمغرب، وأما الثانية فكانت في السماء، عند سدرة المنتهى، ليلة الإسراء والمعراج، ولأنّ جبريل من الملأ الأعلى فهو فوق إدراك البشر، وتتلخص مهمته ـ عليه السلام ـ في حمل الكلمة الإلهية أو الأمر الإلهي (كن)، الذي تجلّى أكثر ما تجلّى يوم خلق آدم، وحين خلق المسيح عيسى ابن مريم، وحين كان ينزل بالوحي على الأنبياء، وقد نزل بالرسالة الخاتمة في ليلة القدر.

إذاً فجبريل ـ عليه السلام ـ هو المبلِّغ المبلَّغ، الملَك الأوفى، والنموذج الأمثل وفي هذا «مراعاة حال [المتلقي الأول] من حيث صعوبة عملية الاتصال بالوحي عليه، على الأقل في بدايتها... ومن حيث أن الثقافة، ثقافة شفاهية، يستحيل استيعاب نص على هذا النحومن الطول»،[1] وبالتالي كان من الضروري وجود شفرة خاصة مشتركة، تكون وسيطا تربط بين طرفي عملية التواصل، صعودا ونزولا، ومرد هذا كلّه عظم شأن البلاغ وطابعه القدسي، والوحي بالنسبة إلى النبي هو «استغراق في لقاء الملك الروحاني، بإدراك مناسب خارج عن مدارك البشرية بالكلية، ثم تنزل إلى المدارك البشرية بسماع دوي من الكلام، فيتفهمه، أو يتمثل له في صورة شخص يخاطبه بما جاء من عند الله، ثم تنجلّي عنه تلك الحال. وقد وعى ما ألقي إليه

(1) نصر حامد أبوزيد: مفهوم النص ـ دراسة في علوم القرآن ـ المركز الثقافي العربي ـ بيروت ـ الدار البيضاء ط2، 1994 ص 98 .

والأولى ـ حالة الدوي ـ هي رتبة الأنبياء غير المرسلين، والثانية ـ يعني المخاطبة ـ حالة الأنبياء المرسلين، ولذلك كانت أكمل من الأولى»،[1] ومن ثمة كان التواصل بين الله ورسله من البشر في مقامات ثلاث:

المقام الأول: ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ (الشورى ـ الآية 51)؛ أي عن طريق الوحي، وهو الإلهام والقذف في القلب أو المنام، فيلقي في روع رسوله الذي اصطفاه وعباده الصالحين ما لا يترك مجالا للشك في أنه من عند الله، كما هو الشأن فيما يتعلق بالوحي إلى إبراهيم ونوح ومريم ـ عليهم السلام ـ وأم موسى والملائكة... مثل قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (الصافات ـ الآيات 102 إلى 105).

أما المقام الثاني: فيتجلى في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾ (الشورى ـ الآية 51)، وقد كلّم الله تعالى آدم وموسى، وكلّم الرسول محمدا عندما عرج به إلى السماء، من وراء حجاب؛ لأنهم لا يطيقون تجلّي الله، يقول الله جلّ جلاله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف ـ الآية 143).

وتجدر الإشارة إلى أن سياقات الآيات التي ورد فيها الفعل [أوحى أو يوحي] دالا على الاتصال غير اللغوي، يؤكّد أنّ مضمون الوحي لم يكن يتضمن موقفا اتصاليا تبادليا بين المرسل والمستقبل، كما هو الأمر في حالة الكلام من وراء الحجاب مع موسى، بل كان المضمون يتضمن مجرد الأمر بالفعل[أوحينا] في قوله عز وجل: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (القصص ـ الآية 7)، والفعل [أوحى] في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ (النحل ـ الآية 68)، وتكون استجابة المستقبل للوحي مجرد تنفيذ الأمر وتحقيق الفعل، وهذا فارق أساسي بين موقف الاتصال غير القولي وموقف الاتصال القولي في الوحي.[2]

وأما المقام الثالث: فيتضح في قوله تبارك وتعالى: ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ (الشورى ـ الآية 51)؛ إذ لمّا كان أمر التلقي عظيما، وأمر البلاغ أعظم، وحتى يخفف الله من وطأة التواصل/ الاتصال على رسوله رحمة به، فقد اقتضى عدله، ورحمته، وحكمته الإلهية أن تشمل رسله،

---

(1) ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ الطبعة الثانية 1979 ص 160 وما بعدها.

(2) ينظر نصر حامد أبوزيد: مفهوم النص ـ دراسة في علوم القرآن ـ ص 41.

كما شملت كل خلقه، فجيء برسول ملك لكونه وسيطا يحقق للمتلقي اتساقا مع طبيعة البلاغ وفحواه، إنه جبريل ـ عليه السلام ـ.

إنّ صورة الوحي هذه تكشف عن طبيعة الاتصال بين الله القادر على التواصل مع رسله وعباده، مشاكلا بين الوحي وبلاغه ومبلغه، في لحمة جمالية لا مقطوعة ولا ممنوعة، وألفة ما خطرت على قلب بشر، تتدفق على كل طرف لذة خالصة سائغة، إنها جمالية مرفوعة منضودة، وممدودة دانية تمس شغاف القلوب، وإنّه تواصل غير مجذوذ، إذا ما التقيا ـ أي التواصل والجمالية ـ شكلا تواصلا جماليا مقدسا.

- الرسل المنشأ والأخلاق:

إنّ مفهوم الوحي متضمن في مفهوم الرؤية أيضا ، إذ لما كان أمر رؤية الله يتجاوز قدرة الثقلين قوة وطاقة، بل ينوء بالجبال الشامخات التي أرساها، وبالأرض القرار التي دحاها، وبالسموات المرفوعة التي سواها، وبالبحار اللجية التي مدها، وبالأنهار العظيمة التي أجراها... وكلها تخر صعقة وتأتي طائعة، أقول لما كان أمر رؤية الله محالا، كان لابد من اصطفاء رسل من نوع خاص، اختصوا بقداسة منقطعة النظير، هم «أولوا العزم من الرسل، إنهم خيار ولد آدم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وتقديم نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع أنه آخرهم بعثة للإيذان بمزيد خطره الجلّيل أو لتقدمه في الخلق».[1] هكذا فقد استدعى بلاغ الله المقدس رسلا عظاما، يختلفون عن باقي البشر في نواح كثيرة، ويجتمعون معهم في نواح أكثر، فهم يتمتعون بخصائص مميزة جدا لا ترقى إلى مرتبة الألوهية، ولا تنزل إلى مستوى البشر إلا فيما يتعلق بالأكل والشرب والمرض والموت والتعامل مع أقوامهم ومخالطتهم... أمّا عدا ذلك «فهم كلهم فصحاء اللسان، لا يفوت سامعهم شيء من كلامهم، ولا ينفر عن سماعه وإن تفاوتوا في مراتب تلك الفصاحة»،[2] وهم كلّهم معصومون في التبليغ، لا ينسون ولا ينقصون، ولا يغيّرون ولا يبدّلون شيئا مما أمرهم به ربهم ـ عزّ وجلّ ـ في بلاغه، وجميعهم من أزهد خلق الله في الدنيا كلّها، وما فيها من متاع؛ لا يرجون من الناس أجرا، وقد مدّهم الله من قدسيته بكثير من الخصائص الجلّيلة الثابتة، التي تصور قداسة في منتهى الجمال والكمال، كاللين والرفق، والرحمة والتسامح، والموعظة والجدل الحسنين، والصدق والسلم، والعدل والخير والتقوى... إيذانا بشرف منزلتهم. كما أنّه لو تتبعنا سيرتهم العطرة، عبر القصص القرآني، للمسنا أخلاقا فاضلة ونفوسا معطاءة، وعبادا لله مخبتين، ولرأينا رسالات الله تمشي على الأرض؛ في جوارحهم كنه الدين الواحد، والهدف الواحد، والله الواحد حيثما انتقلوا.

---

(1) الألوسي (محمد أبوالفضل): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحق، محمد ديب البغا، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ 1404 ط 3، ج 21 ص 154.

(2) المصدر نفسه ج 16 ص 184 .

لقد استوهبوا مرسلهم (الله ـ جلّ جلاله ـ) ـ بأدب ـ أن يمنّ عليهم بعقول راجحة، وأقدام ثابتة، وصبر واصطبار، وهذا دأب كل الرسل، وتمنوا على ربّهم أن ييسر أمرهم، ويحلّ عقدة لسانهم، ويشدّ أزرهم؛ كما جاء على لسان صاحب التوراة، موسى ـ عليه السلام ـ كليم الله وصفيّه ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) ﴾ (طه ـ الآيات من 25 إلى 32) ، كما رَجَوا أن يمنحوا الحكمة وفصل الخطاب؛ كما هو الحال مع صاحب الزبور، داود ـ عليه السلام ـ ذي الأيدي الأواب يقول تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾ (ص ـ الآية 20) ، أو يمنحوا رعاية ربانية خاصة، ولسانا صادقا، وخلقا عظيما، وذكرا مرفوعا؛ كما هو شأن الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ صاحب أعظم آية إعجاز، يقول الله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (٥٠) ﴾ (مريم ـ الآية 50) ، ويقول سبحانه: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) ﴾ (الشرح ـ الآيات من 1 إلى 4) ، ويقول عزّ من قائل: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ (الحجر ـ الآية) 95... وغيرها كثير من الآيات الدالة.

ومن هنا كانت بصيرتهم أكبر، وكان علمهم أرسخ، ويقينهم أثبت، وكانت قناعتهم أشدّ، وسريرتهم أنقى، وكان عملهم أرفع، وقولهم أعلى، وكانت طباعهم أرق، وكان صبرهم أجمل، وعزيمتهم أقوى، وكان تصورهم أجود، وفهمهم أصوب، لمعرفة الحقيقة والاعتراف بها، ليقفوا على نفائس بلاغاتهم ودقائقها، وبها مباشرة إلى العبادة الحقّة على أتمّ وجه؛ ولذلك جعل الله ـ عزّ وجلّ ـ «حُكم الأنبياء ـ عليهم السلام ـ في تكليفاتهم أشدّ، وليس حكمهم كحكم سائر الناس الذين يتجاوز عنهم، إذا خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا». (1)

لقد جسد رسل الله الكمال الإنساني المطلق، في شقيه المادي والمعنوي، بامتلاكهم هذه الخصائص النوعية واتصافهم بها، على أساس أنّ الإنسان الكامل «هو من احتاز على أجناس الكمالات الإنسانية من حسية ومعنوية، فضلا على الكمال الروحاني، وهو الاتصال والاتحاد بالعقل الفعّال»، (2) ومن ثمة فليس غريبا أن يكون هؤلاء الرسل حملة أمانة ومبلغيها، حيث سلّم الله ـ عزّ وجلّ ـ بمشيئته وعلمه، بلاغه الكامل الوافي إلى مبلغ أكمل وأوفى، يتمثل البلاغ، وإن لم يكن إلا ناقلا له، يتّبع ما يوحى إليه منه، وعليه يتمثل هذا النوع من المبلِّغين فن التواصل الجيد قولا وعملا، لإقامة حجة الله، حتى يصير في التبليغ عنه بالمنزلة التي

---

(1) الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله): البرهان في علوم القرآن، تحق محمد أبوالفضل إبراهيم ـ دار إحياء الكتب العربية ـ 1957 ط 1، ج 2 ص 224.

(2) سعد الدين الكليب: البنية الجمالية في الفكر العربي الإسلامي، منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ـ 1997 ص 286.

يكون ـ جلّ جلّاله ـ بها لوخاطب سائر خلقه.[1] لهذا اتّصف الرسـل جميعهم بالحكماء والعلماء، فكانت «الحكمة فضيلة القوة العقلية، وكمالها بالعلم، ويندرج تحتها حسن التدبير، وثقافة الرأي، وصواب الظن. ثم الشجاعة فضيلة القوة العقلية، وكمالها الورع، ويندرج تحتها الوقْيُ،* والحياء، والخجلّ، والسماحة، والصبر، والسخاء، والانبساط، والقناعة. ثم العدالة عبارة عن وقوع هـذه القـوى علـى الترتيـب الواجـب، وكمالها بالإنصاف، ويندرج تحتها جميع الفضائل التي يتقام بها وجود العالم كله، وحاصل هذه الكمالات كلها يرجع إلى كمال العلم والقدرة، أعني العلم بفضل هذه الأخلاق، والقدرة على استعمالها، فالكامل إذاً هـو الـذي يحيط علماً بهذه الأخلاق ويستعملها».[2]

ومن الثابت إذا أنّ القداسة مخصوصة بالله القدوس، وبرسله الذين تلقوا كتابه المقدس عن طريق روح القدس، ثم إن جعل قداسة الرسل على هذا النحومن العلووالسمو، وعلى هـذا النحو ـ أيضا ـ من التعدي والامتداد، من الله إلى الرسالة إلى جبريل إلى الرسـل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وكلّهم يحملون سمات القداسة، هو في حقيقته إقرار بإمكانية تدرج الإنسان في امتلاك مثل هذه المقومات،ومن ثمة، فهي ليست وقفا عليهم ـ فحسب ـ وما يؤكد هذا ما جاء في إعلان رباني صريح لـن ينمحي أثره؛ إذ قال رب العزة: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ (الأنعام ـ الآية 90).

إنّ الكمال صفة جامعة؛ لأنّ الإنسان الكامل ما هو إلا صورة تجمع صفات الكمال من حيث القول والفعل، وهذه الصورة أكثر ما تظهر في شخص الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكلّ الرسل والأنبياء، غير انّ محاولة الوصول إلى مقامهم، وبلوغ عليائهم، شيء محال لا يمكن أن يُنال؛ لأنّ القداسة طالت ثلة من البشر المصطفين الأخيار، التي حبسها الله لدى آخر رسالة ملقاة على آخر رسول مبعوث؛ إنّه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي ارتقى من مرتبة الكمال، التي فيها تمتع بملكات روحية وعقلية، أهلته لأن يحظى بشرف تبليغه وأدائه حق أداء، بما ألبسه من شعار النبوة،[3] إلى درجة التكميل، حيث تصدى لإرشاد الخلق إلى طريق الحق، كما ارتقى من مرتبة التكميل إلى درجة التمام؛ «لأنّ الله تمّم الدين بنبيّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يحوجه بعد البيان الوارد بالوحي إلى بيان موضوع بالرأي».[4]

---

(1) للاستزادة ينظر الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج 16 ص 193.

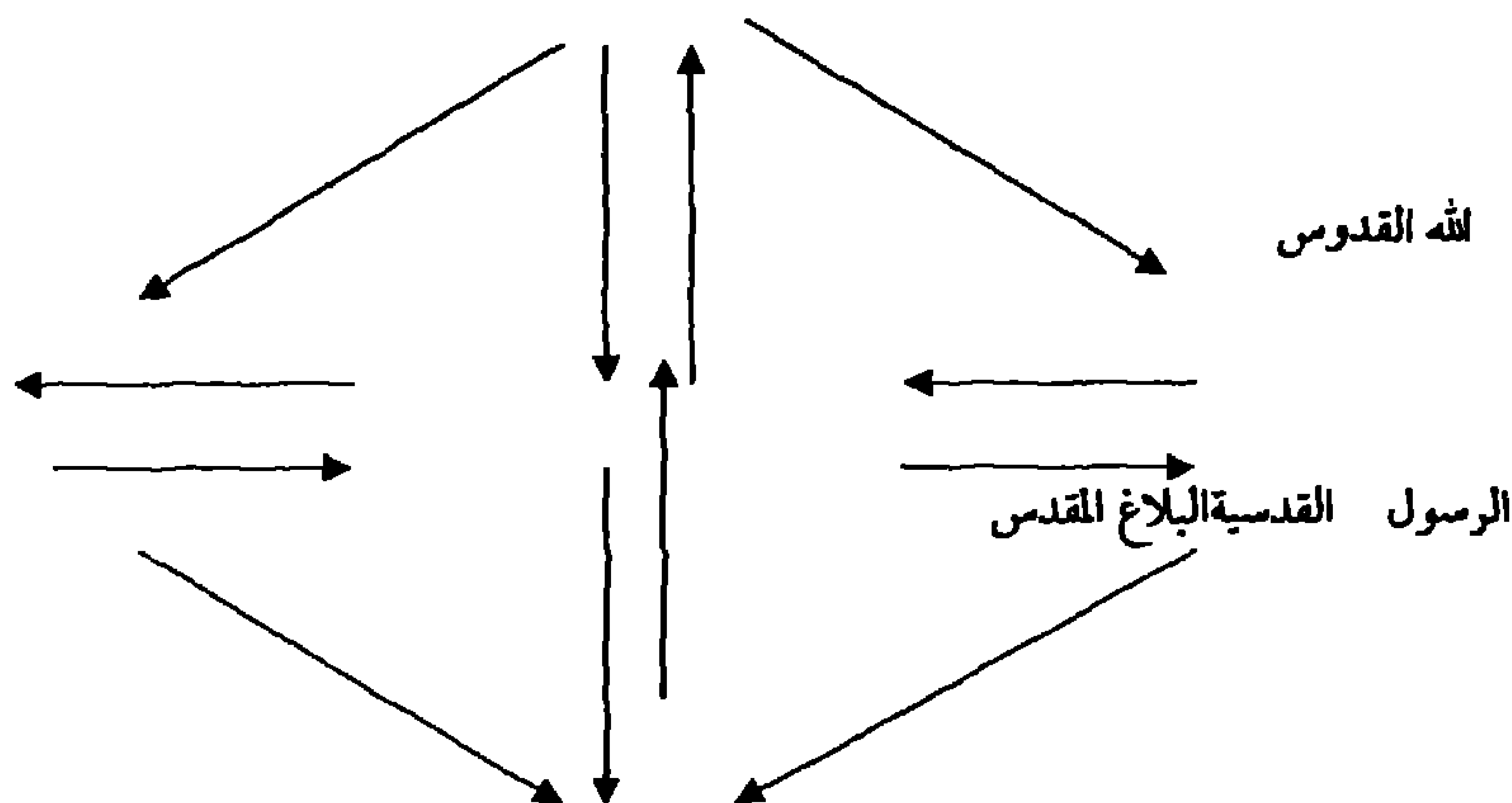
(*) الإصلاح والستر عن الأذى.

(2) ابن الدباغ (أبوزيد عبد الرحمن بن محمد): مشارق أنوار القلوب ومفتاح أسرار الغيوب، دار صادر بيروت 1959، ص 46.

(3) ينظر أبوحيان التوحيدي: كتاب الإمتاع والمؤانسة، صححه وشرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزين ، المكتبة العصرية ـ بيروت ـ 1953 ج 2 ص 10.

(4) المصدر نفسه ج 2 ص 9 .

وفي الأخير، نخلص إلى أنّ القداسة ملمح جمالي، وظاهرة متأصلة، تشكل تواشجا عجيبا بين أطراف عملية التواصل؛ إذ تمثل نقطة تقاطع بينها جميعا، تنبع من كلّ طرف ثم ترتد إلى غيره من الأطراف، لتعود فتتمركز فيها. ولعل ما يوضح هذا هذه الخطاطة:



جبريل روح القدس

إن هذه الخطاطة تشير إلى أنّ أطراف التواصل يتمتعون بقدسية منقطعة النظير وهي متأصلة فيهم جميعا على النحو التالي:

1. الله القدوس ← بلاغ مقدس ← وحي (روح القدس) ← رسول
2. بلاغ مقدس ← الله القدوس ← رسول ← وحي (روح القدس)
3. رسول ← الله القدوس ← بلاغ مقدس ← وحي (روح القدس)
4. وحي (روح القدس) ← الله القدوس ← بلاغ مقدس ← رسول

إن كل هذه الأطراف متجذرة في عملية التواصل، وغياب أحدها قد يؤدي إلى انسداد العملية انسدادا كليا، فلا نستطيع الاستغناء عنها، وكلها ـ سواء أ قدمت أم أخرت حسب أهميتها ومكانتها ـ ليست بمنأى عن المظهر القدسي الذي يجمعها.

2. التواصل المفهوم والاصطلاح:

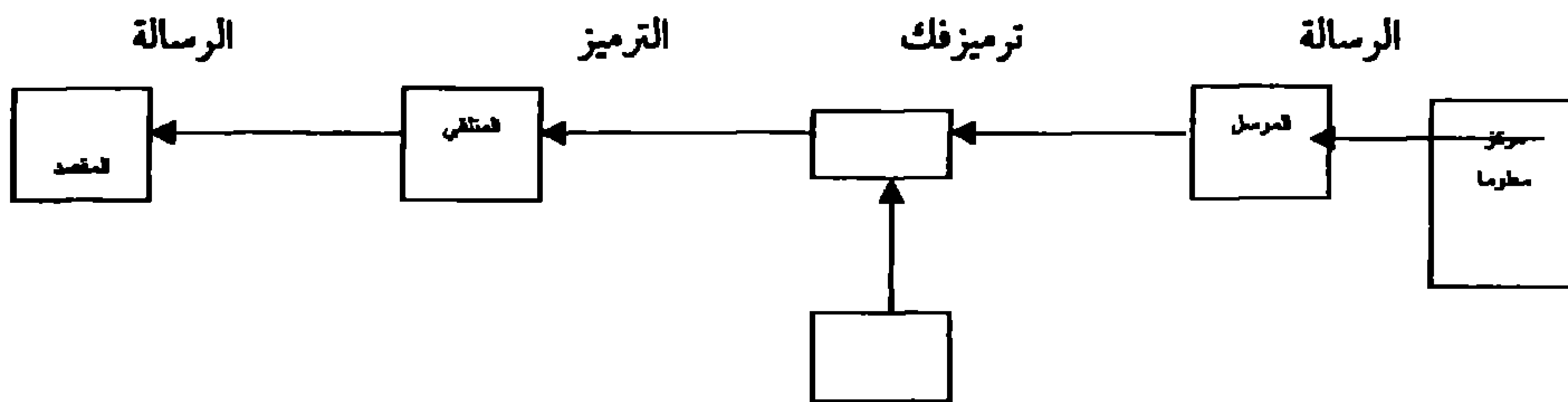
د- التأصيل التاريخي:

- نماذج من بعض نظريات التواصل

حري بنا قبل أن نعرض بعض التعريفات التي وصلتنا عن مصطلح التواصل، في الفكرين الغربي والعربي، أن نشير إلى بعض نظريات التواصل ونبسط مفاهيمها بإيجاز. فقد سعت أغلب نظريات التواصل إلى مقاربة نظام التواصل بغية فهمه وضبطه؛ لكن ما فتئت أن تلحقها تطورات تنوعت، وكثرت، وتراوحت بين نموذج خطي يهتم بالبحث في خصائص المضمون، وفي مدى فعالية عملية الاتصال، والتأثير على الأراء. وآخر وظيفي يعنى بالبناء العاطفي، وعلاقات الإلفة، ونظام التبادل، والخلافات، وكذا تفاعل العمليات الفردية، والدوافع العميقة للاتصال والفوائد الناتجة عنه. وبين نموذج بنائي يركز على معنى النقاش، وعلى عمليات بناء الحواس، الأمر الذي جعلنا ننتقي بعضها فقط؛ كتلك النظرية التي جاء بها كل من كلود شانون Claude SHANNON ووارين ويفر Waren WEAVER، وهارولد لازويل Harold LASSWELL، وملفين دوفلور Melvin DEFLEUR وروي باركو Roy BERKO ، وفردينان دوسوسور Ferdinand DE SAUSSURE ، ورومان ياكبسون Roman JAKOBSON...

- نموذج شانون وويفر:

يعرف بنموذج المرسل ـ المتلقي الذي ظهر سنة 1949، وهو عبارة عن نظرية ذات نموذج رياضي، يهدف إلى فهم الإرسال التلغرافي بوضوح دقيق، دون وقوع أي انقطاع، أو حدوث أي خلل في الإرسال الذي يسببه التشويش، وركزا فيها على المكونات التي وضعاها في المخطط التالي:



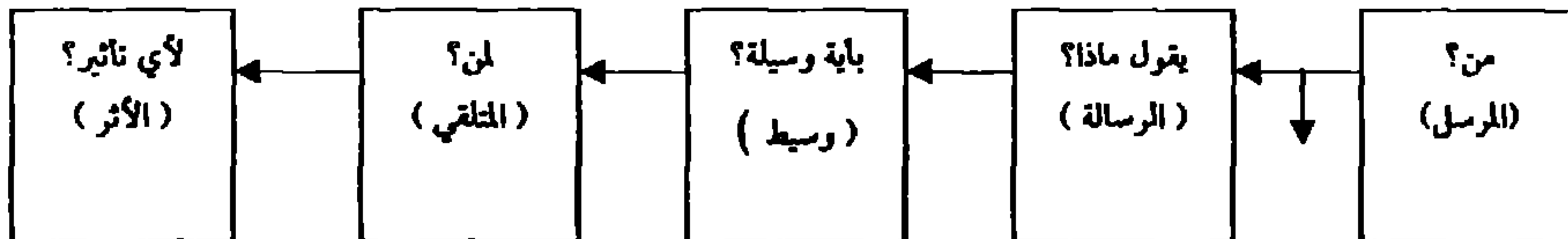
قناة لغوية

أو غير أو شبه لغوية

يعتمد هذا النظام التواصلي على عملية الترميز، وفيها يرسل المرسل رسالة مستنة، بلغة وقواعد ذات معايير قياسية أو سماعية، يتفق عليها المرسل والمرسل إليه عبر قناة لغوية أو شبه لغوية أو غير لغوية، فيقوم المرسل إليه بفك شفرتها، ليفهم رموزها عن طريق تأويلها واستظهار قواعدها. إذا فهذا النظام يقوم على إرسال المرسل شفرته المستنة إلى متلق يفك تلك الشفرة، ولكنه في ذات الوقت يظل غير كاف؛ لأنه لا يطبّق في كل وضعيات التواصل، خاصة حين يزداد عدد المتلقين الذين يظلون سلبيين في أثناء تلقيهم للرسائل المشفرة. ومن هذا المنطلق فقد حددنا التواصل على أنه كل نسق يستند إلى فكر معين ليؤثر في غيره.[1]

- نموذج هارولد لازويل:

وإذا ما ألقينا نظرة على نموذج هارولد لازويل الذي لقي نجاحا باهرا عند كثير من الباحثين، واستحسانا منقطع النظير سنة 1949، وجدنا نظريته التي سماها "النموذج الخطي للإعلام"، تقوم على مقولته الشهيرة، ذات المنظور السلوكي: "من؟ يقول ماذا؟ بأية واسطة؟ لمن ؟ ولأي تأثير؟"، والتي تتضمن خمس عناصر وهي: المرسل والرسالة والوسيط والمتلقي والأثر، وقد ربط كل سؤال بتحليل خاص، مثلما يبرزه المخطط التالي.



دراسة الباث تحليل المحتوى تحليل الوسيلةتحليل المستمعين تحليل الأثر

إنّ هذا النموذج قائم على عنصري الإثارة والاستجابة، أي التأثير في المرسل إليه، من أجل تغيير سلوكه إيجابا وسلبا، إلا أنّ هذا النظام لا يخلومن سلبيات تنعكس على المرسل إليه من ناحية استهلاكه، ويكون سلطويا في استعمال وسائل التأثير الإشهاري، لجذب المرسل إليه والتأثير فيه لصالح المرسل.[2]

(1) Judith Lazar: La sience de la communication « que sais-je? » Edition Dahleb 2e édition corrigée 1993 p 103 – 105

نقلا عن claude Shanon et Waren Weaver: Théorie mathématique de la communication, C.E.P.L, 1976, P 31

إدريس بلمليح: المختارات الشعرية وأجهزة تلقيها عند العرب، مطبعة النجاح الجديدة، ط 1/ 1995 ص 19.

(2) Judith Lazar : La science de la communication « que sais-je? » p 105 – 106

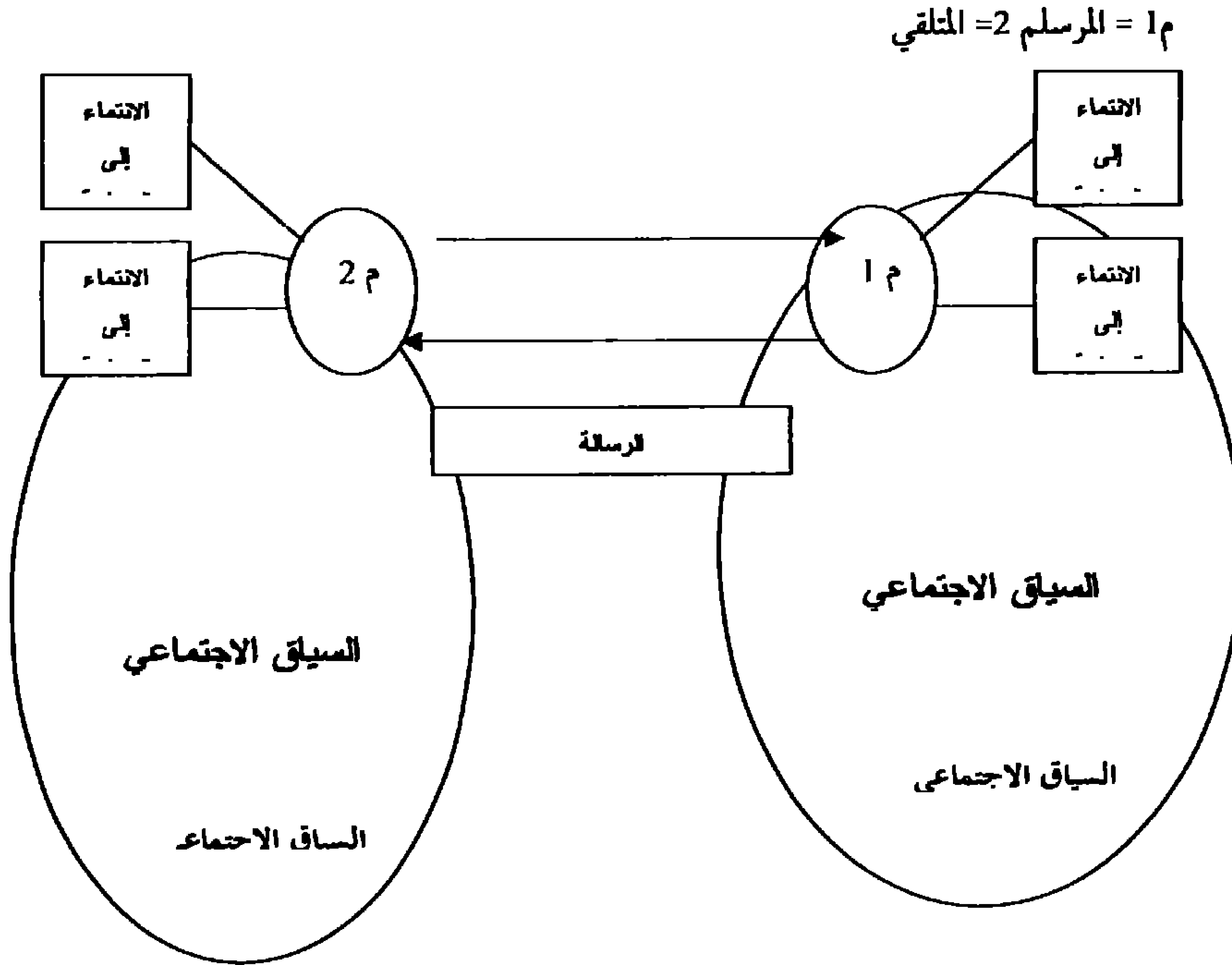
وينظر أيضا Sfez : La communication .«Que sais-je? ».PUF, 1991, 5e éd. Corrigée.p 42

- نموذج جون ريلي وماتيلدا ريلي:

أما نموذج ج. ريلي وم. ريلي الاجتماعي الذي ظهر سنة 1959، فيرى فيه أصحابه أنّ المرسل هو المعتمد، والمرسل إليهم هم الذين يودَعون في جماعات أولية اجتماعية مثل العائلات والتجمعات والجماعات الصغيرة...

وهؤلاء الأفراد يتأثرون، ويفكرون، ويحكمون، ويرون الأشياء بمنظار الجماعات التي ينتمون إليها، والتي بدورها تتطور داخل السياق الاجتماعي الذي أفرزها، ولأنّ هذا النظام يركز على فهم طريقة انتماء الأفراد إلى الجماعات، فإنه ينتمي إلى علم الاجتماع. وبصورة أكثر دقة إلى علم النفس الاجتماعي، حيث يرصد مختلف العلاقات النفسية والاجتماعية بين المتواصلين، داخل السياق الاجتماعي. وهذا ما يجعل هذا النظام يسهم في تأسيس علم تواصل الجماعة، وهو ما يوضحه المخطط التالي:[1]

م1 = المرسلم 2= المتلقي



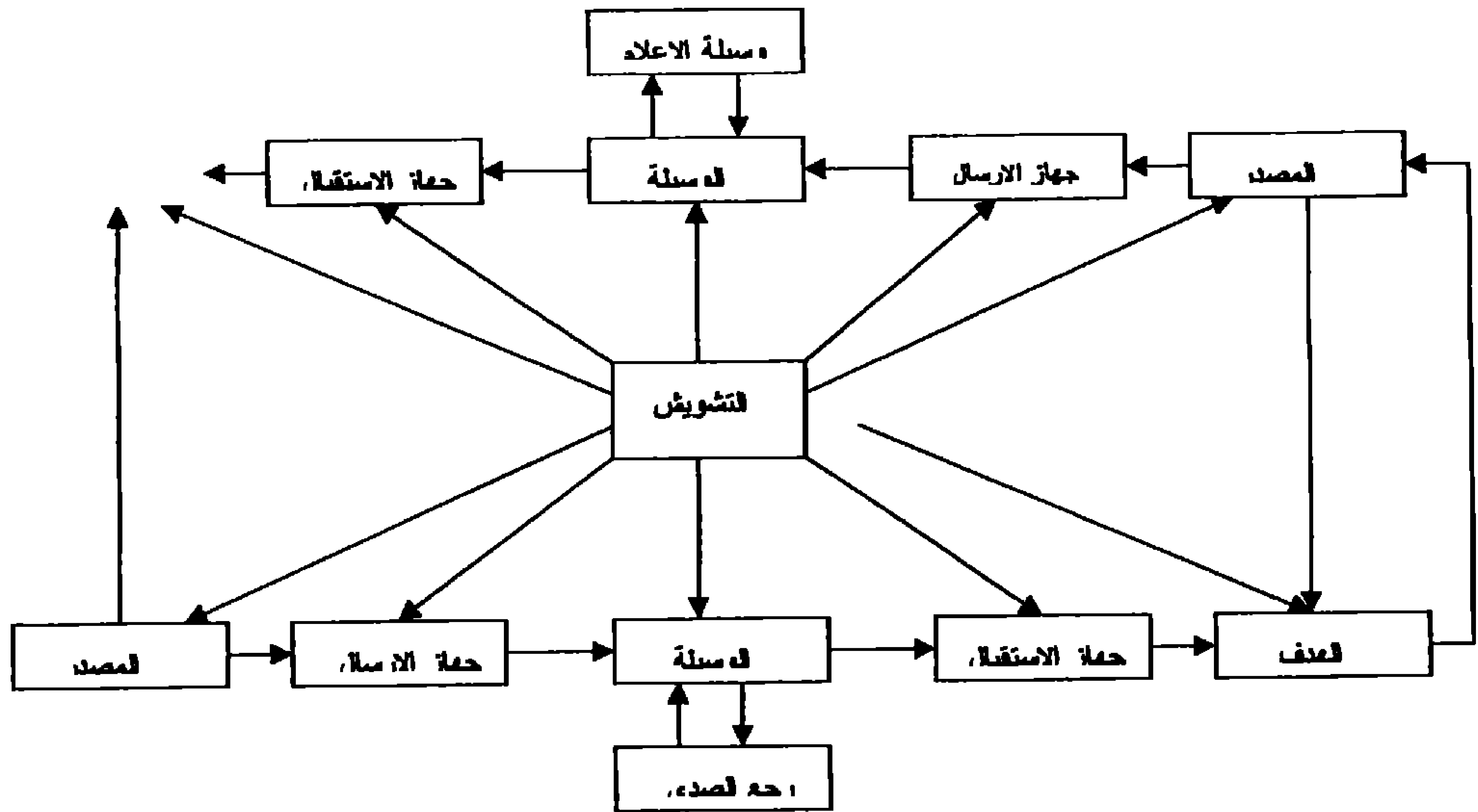
(1) Judith Lazar : La science de la communication « que sais-je? » p 114 - 115

وللاستزادة ينظر حمداوي (جميل) : مفهوم التواصل ـ النماذج والمنظورات ـ ديوان العرب العدد 31 ديسمبر 2006 http://www.diwanalarab.com/

- نموذج دوفلور وباركو:

يفيد هذا النموذج الذي ظهر سنة 1966 باسم "نظرية بناء المعاني الاتصالية" تجنب أكبر قدر من مصادر التشويش الاتصالي، التي تؤدي إلى عدم وضوح المعنى، أو عدم إمكانية إدراكه بالصورة التي يستهدفها المرسل، لذلك قام أصحابها بالبحث عن الأسباب التي تؤدي إلى عدم الاتفاق في المعنى، بين الرسالة المرسلة والرسالة المستقبلة، وكذلك الرسالة المعبرة عن رجع الصدى بتأثير كل العناصر أو بعضها، حتى تتماثل المعاني التي يدركها كل من المرسل والمستقبل، ومن ثمة تنبني العلاقة بينهما، ومن بين هذه الأسباب نذكر: تأثير بعض العوامل البيئية، والإعاقة الحسية، وبعض مشكلات الدلالة، وبعض مشكلات الإعراب، وبعض المشكلات النفسية، وبعض الإرباك في تنظيم الأفكار وعرض المعلومات... وانطلاقا من هذه الأسباب دعا روي باركو Roy BERKO إلى ضرورة التكيّف مع التشويش، بالبحث عن بدائل تسهم في تحقيق أهداف عملية الاتصال وإنجاحها، مثل إعطاء فرصة لرجع الصدى للتأكد من وصول الرسالة وإدراكها، أو تحديد المصطلحات التي قد يساء فهمها، أو تغيير الكلمات...

وبالجملة يمكن تلخيص هذه النظرية في المخطط الآتي[1]



(1) ينظر مي العبدالله: نظريات الاتصال، دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ط 1، 2006 ص 96 ـ 97 ـ 98

- نموذج فردينان دوسوسور:

يقوم هذا النموذج على التمييز بين اللغة، التي هي مخزون جماعي مشترك يتداول بين أفراد الجماعة اللسانية، والكلام الذي هو إنجاز فعلي وتحقيق لهذا المخزون في مقامات كلامية تحكمها شروط خاصة، الأمر الذي يسمح بالتفريق بين ما هو اجتماعي وما هو فردي، وما هو جوهري إضافي، أو على الأقل خاضع للصدفة.

ولأنّ اللغة هي التي تمنح الكلام وحدته، فإن البحث في مجموع الكلام عن المجال الذي يناسب اللغة يقتضي مراقبة عملية الاتصال اللغوية على المستوى الفردي، هذه العملية التي تستلزم وجود شخصين على الأقل، من أجلّ تبادل الرسائل اللفظية. لنفرض جدلا ـ كما يقول دوسوسو- أن شخصين يتخاطبان، ولنرمز للأول بالشخص آ والثاني بالشخص 'ب'، فإنه عبر عمليتين اثنتين: عملية فيزيولوجية أولا ثم عملية فيزيائية ثانيا، حيث يأخذ الاتصال نقطة انطلاقه من دماغ الشخص آ الذي يبلغ أعضاء التصويت دفعة مناسبة للصورة السمعية، ثم تعمل الموجات الصوتية على نشر الكلام من فم الشخص آ إلى أذن الشخص 'ب'، وهو ما حمله إلى الاهتمام بالدال والمدلول.

والدال عنده هو الصورة السمعية التي تكونها الأصوات الملتقطة بواسطة الأذنين في دماغ المستمع خلال دورة الكلام، إنها حقيقة مادية ونفسية. أما المدلول فهو تلك الصورة الذهنية التي تشكلها الأصوات نفسها في ذهن المستمع، الشيء الذي يجعل المفهوم يدل على مجموع الصفات المشتركة بين أفراد الجنس الواحد.[1]

- نموذج رومان ياكبسون:

أما النموذج الرئيس بالنظر إلى موضوع البحث، فهو النموذج اللساني الذي جاء به رومان ياكبسون Roman Jacobson، إذ اعتبر أنّ اللغة وظيفتها الأساسية هي التواصل، الذي حدده بجملة من العوامل المكونة له في نظريته اللسانية، التي تتألف من ستة عناصر وهي المرسِل، والمرسَل إليه، والرسالة، والسياق، والسنن أو (الرموز)، وقناة الاتصال، وكل منها يؤدي وظيفة من وظائف الكلام، وهي ـ أيضا ـ ست وهي على التوالي: الوظيفة التعبيرية، والوظيفة الإفهامية، والوظيفة الشعرية، والوظيفة المرجعية، والوظيفة الميثالغوية، والوظيفة اللغوية؛ إذ في الوقت الذي يريد فيه المرسِل أن يتكلم، لابد أن يتوفر على مرسل إليه، يلقي إليه رسالته. ولكي تقوم الرسالة بعملها، وتؤدي دورها الإبلاغي، فإنها تشترط سياقا تحيل إليه، وسننا أو رموزا يضعها المرسل، ويفكّها المرسل إليه. على أن يشتركا في جزء منها أو فيها كلها. ولكي يتم للرسالة

(1) فردينان دوسوسور: دروس في الألسنية العامة، ص ص 31 ـ 32

أن تحقق وجودها، فإنها تتطلب قناة للاتصال، تعمل على ربط المرسل إليه بالمرسل، مما يسمح بإقامة التواصل واستمراره.[1] وما يوضحه هذه الخطاطة التي وضعها ياكبسون وتمثل عناصر عملية التّواصل:

سياق

(مرجعية) مرسل رسالة مرسل إليه (تعبيرية) (شعرية) (إفهامية)

اتصال ← ←

(انتباهية)

سنن

(ميتالغوية)

واجتماع هذه العناصر كلّها، وارتباطها بنسب متفاوتة، يولد الوظائف الست للغة.

- وظائف اللغة:

- الوظيفة التعبيرية:

تسمى أيضا بالانفعالية والعاطفية، التي تتولد عن المرسل، الذي تتخذه مرتكزا لها بشكل مباشر دون غيره من المرتكزات، وتعبر عنه؛ أي أنها تهدف إلى التعبير المباشر عن موقفه نحوما يتكلم عنه، كما تبدي عواطفه، وانفعالاته، وتعابيره الذاتية، وميولاته الشخصية والإيديولوجية، وهي أيضا قادرة على تحديد العلائق بين المرسل والرسالة، بالإضافة إلى أنها تتميز باستعمال ذاتي للخطاب؛ مثل إيرادها ضمير المتكلم ونون الجماعة... وهي تظهر حين تكون هناك علامة تدل على المرسل من خلال رسالته، وتقدم خبرا عنه، وتهتم بالصدق أو الكذب؛ فعندما يتحدّث شخص ما إلى شخص آخر عبر كلام أو ما شابه ذلك من أنماط الدلالة، فإنّه في الحقيقة يرسل أفكارا تكون نسبيّة، لطبيعة المرجع (وهي الوظيفة المرجعية)، إلا أنه بمقدور ذلك الشخص أن يعبر عن موقفه إزاء هذا الشخص، فيحسُّ به جيدا كان أم سيئا، جيلا كان أم بشعا، مرغوبا فيه كان أم غير مرغوب فيه، منحرفا أم مضحكا[2] صادقا أم كاذبا... ويتجلّى ذلك مثلا في طريقة النطق، وفي بعض الأدوات اللغوية التي تدل على ذلك كالاستفهام، أو التعجب، أو الانفعال، كقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (النساء ـ الآية 82) ، وقوله

---

(1) Roman . Jacobson : Essais de linguistique générale; Edition de MINUIT. Paris 1978 P 19 – 214

(2) Jean Dubois et Autres: Dictionnaire de linguistique; librairie LAROUSSE, Paris; 1973. pp 216 - 217

وينظر غيرو(بيار): السيمياء ، تر / أنطوان أبي زيد ، منشورات عويدات، بيروت ـ باريس، ط1 ـ 1984 ص 10

تعالى: ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ ﴾ (طـه ـ الآيـة 86) ، وقولـه: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ (يونس ـ الآية 15)

- الوظيفة الإفهامية:

تسمى أيضا بالمعرفية والإيعازية والحثية والتأثيرية والانطباعية، وهي التي يولدها المرسل إليه، وتسعى هذه الوظيفة إلى تحديد العلائق بين الرسالة والمرسل إليه، بغية الحصول على ردة فعل هذا المرسـل إليـه؛ لأنّ لكل اتصال هدفا وغاية وضِعَ من أجلها، ولكنها إن تغلّبت على بقية الوظائف في نص نقدي، أكسبته طابعـا جماليا خاصا به. ويهدف المرسل من ورائها إلى التأثير في مواقف المرسـل إليـه أو سـلوكاته وأفكـاره؛ لـذلك يسعى المرسل، متوسلا باللغة، إلى إثارة انتباهه أو الطّلب منه القيام بعمل مـا،[1] فيـستعمل المرسـل أسـلوب الترغيب والترهيب والإرشاد، من أجلّ تغيير أفكار المرسل إليه وسلوكاته، أو تقويمها. وبتعبير أكثر دقة، فإن هذه الوظيفة تمثلها الجملة الإنشائية والجملة الطلبية، أو مـا يعـرف بـصيغتي الـدعاء والأمـر علـى التـوالي، كالوجوب الوارد في قوله تعالى على سبيل المثال لا الحصر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (البقرة ـ الآية 21) ، أو الإرشاد والنـصيحة، أو النـدب والإباحـة كقولـه عـزّ وجلّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ (البقـرة ـ الآيـة 282) ، أو التهديد الذي جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ (هود ـ الآية 121) ، أو التعجيز في مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الرحمن ـ الآية 33) ، أو الحظر والمنع والكراهـة والتحـريم في قولـه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (النسـاء ـ الآية 29) ، أو الرجاء أو الدعاء أو الالتماس، وكلّها صيغ تميـزت

---

(1) ينظر القضماني رضوان: مدخل إلى اللسانيات، منشورات جامعة البعث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ حمص ـ سورية (د.ت) ص ص 45 – 46

باستعمال ضمائر المخاطب كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ (الحشر ـ الآية 10)، وقوله: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝٢٠١﴾ (البقرة ـ الآية 201)، أو على شكل أسئلة استنكارية كقوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ۝١٣٠﴾ (الأنعام ـ الآية 130)، أي لقد أتاكم، ومثلها قوله: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ (الأعراف ـ الآية 22)؛ أي لقد نهيتكما...

- الوظيفة المرجعية:

وتعرف ـ أيضا ـ بالمقامية، تركز على السياق؛ أي ظروف إنتاج الخطاب، وتؤدي إلى الإخبار حين ترمز اللغة، لتدل على الأشياء التي يراد تبليغها، وتتعلق بالسؤال: لماذا نتكلم ونتواصل؟ إذا تتوجّه هذه الوظيفة نحوالواقع أو المرجع المشترك بين طرفي التواصل الأساسيين؛ أي ما هو مشترك ومتّفق عليه من قبل المرسِل والمرسَل إليه، وهو المبرر لعملية التواصل؛ ذلك أنّنا نتكلم بهدف الإشارة إلى محتوى معيَّن نرغب في إيصاله إلى الآخرين، وتبادل الآراء معهم حوله، كقوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٤١ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ۝٤٢ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٤٣ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝٤٤﴾ (غافر ـ الآيات من 41 إلى 44). وتتميز هذه الوظيفة خاصة، بكثرة استعمالها لضمائر الغائب، مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ۝٩٨﴾ (الأنعام ـ الآية 98)، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٨٤﴾ (الزخرف ـ الآية 84)، وتتعدّد أنواع المرجعيّات حسب نوعية الخطاب الذي يحيل إليها، فقد تكون ذات مرجعيّات اجتماعية وفلسفية، أو تاريخية ودينية، أو ثقافية وطبيعية، أو ذات علاقات ذاتية وموضوعية، أو بنيات عميقة وسطحية.

ولأنها تعمل على الكشف عن العلاقات التي بين الرسالة والموضوع، الذي ترجع إليه، فقد جعلها بيار غيروقاعدة كلّ اتصال؛ ذلك أنّ المسألة الأساسية تكمن في صياغة موضوعية لمعلومات صحيحة عن المرجع، يمكن ملاحظتها والتدقيق في صحتها.[1]

- الوظيفة الميتالغوية:

---

(1) ينظر غيروبيار: السيمياء ص 10

وتعرف كذلك بما وراء اللغة وبتعدي اللغة، وبالمعجمية، وبالوصفية، وهي الوظيفة التي تسمح لطرفي الاتصال بالتأكد من استعمال الإشارات والنمط اللغوي، أو السنن والرموز ذاتها؛ أي وجود نظام يمثل في جوهره نسق القواعد المشترك بين المرسل والمرسل إليه، والذي من دونه لا يمكن أن تكون الرسالة مفهومة واضحة. وهذا يعني أنّ المرسل يركز، عبر هذه الوظيفة، على شرح المصطلحات والمفاهيم الصعبة والشفرة المستعملة، مثل تفسير اللغة باللغة، والجمل الاعتراضية. وغير بعيد عنها، تفسير القرآن بالقرآن، والإجابة عن التساؤلات، مثل قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٧٦)﴾ (النساء ـ الآية) 176، ومثل قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (١٧٦)﴾ (البقرة ـ الآية 176) ، وما يفسرها بتفصيل قوله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢١٣)﴾ (البقرة ـ الآية 213) ، ومثلها قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً (٥٢)﴾ (المدثر ـ الآية 52) ما يفسرها تفصيلا ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ (١٢٤)﴾ (الأنعام ـ الآية 124) ، ما يؤكد أن التواصل تام فعلا .

- الوظيفة اللغوية:

وتسمى كذلك الانتباهية والقولية والتواصلية والحفاظية، حيث إنها تحرص على إبقاء التواصل، وتمتينه بين طرفين فأكثر (المرسل والمرسل إليهم)، ثم التأكد من نجاحه. وفيها يتم التركيز على القناة، حيث يستعمل المرسل خطابا لغويا أو شبه لغوي أو حركيا؛ من أجلّ تمديد التواصل واستمراره بين الطرفين، وذلك باستعمال بعض المركبات التعبيرية التالية: (فواتح السور بالحروف) و/ أو (القسم) و/ أو (الاستفهام) كقوله تعالى: ﴿ن ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)﴾ (القلم ـ الآيات من 1 إلى 4) ، وقوله: ﴿الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (١) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ (٢)﴾ (يونس ـ الآيتان 1 ـ 2) ؛ مما يعني أنه يمكن ألا يكون للرسالة أي هدف، سوى هدف توظيف اللغة، لإقامة الاتصال والحفاظ عليه وتمديده، أو قطعه، كما هو الشأن بالنسبة إلى موسى ـ عليه السلام ـ عندما دخل في تواصل مع ربه، وعمل على إبقاء هذه العملية وتمتينها، ليكون مؤدبا مع ربه، ويحافظ على تواصله

معه، مثلما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ (طه - الآيات من 11 إلى 18) ، أو في تحاوره مع فرعون عندما سأله ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾ (طه - الآية 49) ، فردّ عليه موسى ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ (طه - الآية 50) ، ثم سأله فرعون مرة أخرى ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ ﴾ (طه - الآية 51) ، فأجابه موسى مبقيا على عملية التواصل، محافظا عليها، من أجلِ إنجاحها ﴿ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ ﴾ (طه - الآيات من 52 - 53) ، ليريه أنّه يقبل التواصل، فيدخل في علاقة كلامية مع غيره ومع نفسه، كما فعل إبراهيم - عليه السلام - يقول تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (الأنعام - الآيات من 75 - 79) ، وكذلك قول الله لعيسى - عليه السلام - يوم القيامة، توبيخا لقومه، وتقريعا على رؤوس الأشهاد، فيجيب عيسى منكرا أن يكون قد قال ذلك، ويقرّ بنزاهته وقدسيته. وفي هذا دلالة على رغبته عن قطع التواصل مع ربه، يقول تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ (المائدة - الآية 116) ، فهذه الأشكال من التواصل استعملت فيها بعض الصيغ، التي تسمح بإبقاء التواصل وتمديده، كاستعمال الله - عزّ وجلّ - صيغة النداء في "يَا مُوسَىٰ"، والأمر في "فَاسْتَمِعْ"، كما تمّ استخدام أسلوب الحوار التام، الذي، من خلاله، تأكّد المرسل من أنّ المرسل إليه ما يزال مصغيا، ومقبلا على التواصل. وبهذا كانت الوظيفة اللغوية مقننة في طقوس المجاملة،[1] والأدب، والاسترسال، والإيضاح، والتكرار...

- الوظيفة الشعرية:

---

(1) ينظر محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي: اللغة - سلسلة دفاتر فلسفية - رقم 5، دار توبقال للنشر - الدار البيضاء - ط 1 - 1994 ط 2 - 1998 ص 51 وما بعدها

وتعرف كذلك بالإنشائية والبلاغية والجمالية... وهي تخصّ الرسالة، من حيث هي تحقّقٌ مادي للتواصل، سواء أكان شفويا أم كتابيا. وهذه الرسالة تجعل اللغة تتمحور حول الرسالة ذاتها، وهي متعلقة بالسؤال جميل أم قبيح؟ إنها تبحث عما يجعل من رسالة لغوية عملا فنيا،[1] وذلك بالبحث عن الخصائص الجمالية في النص، ومكوناته الإنشائية والشكلانية؛ أي دراسة الخصيصات النوعية للموضوعات الأدبية، التي تميّزها عن كلّ مادة أخرى.[2] على أن لا تختزل في دراسة الشعر دون غيره من الأجناس الأدبية، وهي الفكرة التي نجدها عند كوهن Cohen عندما حصر الوظيفة التواصلية في الخطاب الشعري، وأكّد أنّه «لا يمكن الحديث عن الخطاب ما لم يكن هناك تواصل، ولكي يكون الشعر شعرا، ينبغي له أن يكون مفهوما من طرف ذلك الذي يوجّه إليه»؛[3] بل هي ـ أي الوظيفة الشعرية ـ حاضرة في جميعها، إذ «ليست الوظيفة الشعرية هي الوظيفة الوحيدة لفن اللغة، بل هي فقط وظيفته المهيمنة والمحدِّدة، مع أنها لا تلعب (كذا) في الأنشطة اللفظية الأخرى سوى دور تكميلي وعرضي».[4] ومع هذا فهي تشكل جزءا من الطريقة التي تعمل بها كل لغة، وليست مجرد ألاعيب لغوية يمارسها الشعراء، أو الوظيفة الوحيدة للأدب، وإنّما هي وظيفته المهيمنة والمحدِّدة. في حين أنها تبدو في الأجناس الأخرى عنصرا ثانويا كماليا، وبتطوير دلاليّة العلاقة، تعمّق هذه الوظيفةُ الثنائيةَ الأساسية للعلاقات والأشياء،[5] فهي «الوظيفة الجمالية بامتياز؛ إذ إنّ المرجع في الفنون، هو الرسالة التي تكفُّ عن أن تكون أداة الاتّصال لتصير هدفه».[6]

تقوم الوظيفة الشعرية خاصة على البيان، الذي يلعب دورا كبيرا في التأثير في المرسل إليه، واستمالة قلبه، وإقناعه بصحة البلاغ وصوابه، مما يفعّل عملية التجاوب التواصلي ويسرّعها. ولأنها تمثل العلاقة القائمة بين الرسالة وذاتها، فإنّها تمثّل عنصراً قائماً بذاته. فاستهداف الرسالة بوصفها رسالة، والتركيز عليها هو ما يطبع الوظيفة الشعرية للغة، إذ كانت القضية تمثل محاولة إثبات أنّ العامل المهيمن في اللغة الأدبية هو شكل الرسالة، حيث نحسُّ بالكلمة بصفتها كلمة، في الوقت الذي تفضّل فيه اللغة الشعرية الرسالة (الشكل)

(1) Roman Jakobson : Essais de linguistique générale, Edition (Points) 1963, p 210.

(2) ينظر تزفيتان تودوروف: نظرية المنهج الشكلي ـ نصوص الشكلانيين الروس، تر/ إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، المغرب ـ مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، ط 1 ـ 1982 ص 35 .

(3) ينظر جان كوهن: بنية اللغة الشعرية، تر/ محمد الولي ومحمد العمري، المعرفة الأدبية، دار توبقال للنشر ـ الدار البيضاء ـ المغرب ط 1، 1986 ص 173.

(4) ياكبسون رومان: قضايا الشعرية، تر/ محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر ـ الدار البيضاء ـ المغرب ـ ط 1، 1988 ص 33.

(5) ينظر هوكز ترنس: البنيوية وعلم الإشارة، تر / محمد الماشطة، دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ـ 1986 ص 75

(6) ينظر غيرويار: السيمياء ص 12.

على أيِّ عامل آخر. وتؤخذ الكلمة (الرسالة) في تلك اللغة على أنّها كلمة في شكلها نفسه، وفي وصفها الصوتي والنحوي والمعجمي، وهذا ما أراد ياكبسون أن يثبته عندما تحدَّث عن أن الوظيفة الشعرية هي التَّوجُّه نحو الرسالة بصفتها رسالة.(1)

وهذه الوظيفة تتحدَّد، حسب ياكبسون، بإسقاط مبدأ التماثل الخاص للمحور الجدولي الاستبدالي على المحور النظمي السياقين فالاختيار ناتج على أساس قاعدة من التماثل، والمشابهة، والمغايرة، والترادف، والطباق، في حين يعتمد التأليف وبناء المتوالية على المجاورة.(2)

وهذا ما يفضي بنا إلى القول: إن الخطاب الأدبي من منظور ياكبسون خطاب لغوي تواصلي، تهيمن فيه الوظيفة الشعرية ـ في حضور الوظيفة الإبلاغية الأساسية للغة ـ بحكم أنها «تمثّل صيغة لفظية مكتوبة، تشمل مضمونا دلاليا، يقوم المرسل إليه المتلقي بتأويله، بالاعتماد على فكّ شفراتها، والتركيز عليها بشكل أساسي، وجعلها على محور التحليل، منطلقا منها إلى مكونات نظرية الاتصال الأخرى، معطيا لإحداها أهمية على الأخرى، حسب الجنس الأدبي ذاته».(3)

عناصر التواصل	الوظيفة	القصد	المعيار
المرسل	تعبيرية	التجاوب	الصدق
المرسل إليه	إفهامية	الإفهام	الوضوح
الرسالة	إنشائية	الإمتاع	الجمال
السياق	مرجعية	الإخبار	الحقيقة
السنن	ميتالغوية	التفسير	الاتفاق
قناة الاتصال	لغوية	الاستمرار	اللغة

لكن هل هذه الوظائف كافية لمقاربة بلاغ كالقرآن الكريم؟ ثم ما محل الوظيفة الجمالية من كل هذه الوظائف في ذات البلاغ؟ مع الإشارة إلى أنّ إشكالية التواصل لم تتوقف عند اللسانيين فقط، وإنما امتدت

(1) ينظر إيفانكوس خوسيه ماريا بوتويلو: نظرية اللغة الأدبية، سلسلة الدراسات النقدية(2) تر/ حامد أبوأحمد، مكتبة غريب ـ الفجالة ط1، 1988 ص ص 50- 51 .

(2) ينظر ياكبسون رومان: قضايا الشعرية ص 33.

(3) يعقوب ناصر: اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية، ـ 1970 / 2000 ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2004 ص 48.

لتشمل كذلك السيميائيين الذين أولوا التواصل أهمية كبيرة، وجعلوه جزءا لا يتجزأ من أبحاثهم، فقد ركز كل من بريتوPrieto ومونان Mounin ومارتينيه Martinet... وغيرهم على الوظيفة التواصلية التي تختص بالرسالة اللسانية وغير اللسانية، على تنوعها واختلافها؛ أي كل ما أنتج من أجلّ التواصل كالرسم، والخرائط، والشعارات، واللافتات، والمجلّات، والصور... فكل هذه الأنماط وغيرها هي، من منظورهم، رسائل ذات مضامين.

أ- التأصيل اللغوي:

إنّ محاولة استخلاص مفهوم للتواصل يقتضي تحرّي جملة من المصطلحات التي تجري مجراه، أي قريبة منه معنى ومبنى، ومن ثمة ملامسة الإشكالية ضمن تصور لا ندّعي أنّه متكامل الأبعاد، وإنّما هو رؤية منسجمة بعض الشيء لنص مقدس له هيبته وقداسته اللتان نشفق منهما، وبوصفه الإطار الذي يحدد الاستراتيجية العامة له، وإن كنا نجزم بأنّ صعوبات جمة تقف دون الوصول إلى كلمة فصل في التحديد، نرجعها إلى الموقع المهم الذي يحظى به القرآن الكريم، والناتج عن الاستراتيجية المتكاملة للتواصل التي ولدت من رحم الإعجاز، ثم إلى أن التواصل مسألة شائكة معقدة وزئبقية لا يمكن الحسم فيها.

ولذا أخذنا على عاتقنا إحصاء أغلب الآيات التي وردت فيها لفظة تواصل، وما يتبعها من ألفاظ قريبة منها كالبلاغ والإخبار والإنباء... بكل مشتقاتها وصيغها حتى نعرب عن بعض دقائقها ونقف على خصائصها؛ كي نرى مدى قربها من المدلول الذي نبحث عنه ونستشف قيمتها حسب موقعها في البلاغ القرآني.

على أن الدراسة لم تكتف بالاستفادة من البحوث العربية فحسب ـ ونحسبها كافية لتحديد المفاهيم ـ وإنّما حاولنا سبر بعض المفاهيم من مراجع غربية قد تعطي رؤية منسجمة لتحقيق المفهوم في مستوى تعالقه مع عناصره أو مرتكزاته التي تجلّت في حضور المبلّغ المرسِل والمبلّغ المرسَل إليه، والبلاغ الرسالة خاصة.

أفصح القرآن الكريم عن نفسه، حينما أعلن أنّه كتاب تواصل وبلاغ، في توصيف رباني جميل فقال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (القصص ـ الآية 51) ، وقال عز من قائل: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (إبراهيم ـ الآية 52) ، بل إننا نجد حشدا من المصطلحات المتقاربة، بأسمائها وأفعالها ومشتقاتها، تجزم بأنّ القرآن بلاغ، يمارس وظائفه «من خلال عمليات إعلامية بحتة تشمل جميع صور الاتصال».[1]

(1) إحسان عسكر: وظائف التبليغ القرآني ص27.

ثم إنّ الذي يقف على البلاغ القرآني، ويستنبط هذه الألفاظ ويمعن فيها، يعرف حقيقتها ومفهومها ودلالتها وأسرارها وأهدافها. ويعرف أيضا الفروق الموجودة بينها، هذه الألفاظ التي تبدومترادفة، بالنسبة إلى الكثيرين، ومتأرجحة بين مفهوم فضفاض وآخر ضيق في الفكر الإنساني، هي في جوهرها تحمل خصوصياتها، إذا ما أدرجت في سياقات مختلفة.

فما هو مدلول التواصل والإيصال والاتصال والبلاغ والإنباء والإخبار والإعلام... وغيرها من الألفاظ التي تصبّ في الحقل ذاته؟

إنّ الإجابة عن سؤال كهذا قد تمّت في البلاغ القرآني، إما بصورة ضمنية أو صريحة، بل إنه ـ البلاغ القرآني ـ حدّدها بدقة متناهية.

احتل لفظ التواصل مكانه في البلاغ القرآني، بوصفه خطاب تواصل، لا يدرس ولا يبلى ولا يفقد روحه وجدته مع الوقت. إنه في حركية دائمة، يحيا بالتواصل، ويزداد جماله بممارسته. وقد استمد حضوره من استخدامه لائحة متتابعة من المفاهيم الدقيقة المشكّلة لأس إعجازه.

لذا كان من الضروري تعقّب ما ورد من تعاريف وآراء حوله، عساها تجلّوما نروم إثباته. محاولين استقصاء الآيات ـ التي وردت فيها هذه الألفاظ ـ كلّها. وإن كان النص المقدس أكبر من أن يحصى أو يوضع في إطار ضيّق لرحابته، وإنّما قصدنا من ذلك الوصول إلى أنّ كلّ لفظة في القرآن دالة، متفردة بخصوصيتها.

- مفهوم التواصل من المنظور الغربي والعربي:

يحدد شارل كولي Charles Cooley التواصل بأنه «الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية وتتطور. إنه يتضمن كلّ رموز الذهن مع وسائل تبليغها عبر المجال، وتعزيزها في الزمان. ويتضمن أيضا تعابير الوجه، وهيئات الجسم، والحركات، ونبرة الصوت، والكلمات، والكتابات، والمطبوعات، والقطارات، والتلغراف، والتلفون، وكل ما يشمله آخر ما تمّ في الاكتشافات في المكان والزمان».[1] ويعني التواصل وحدتي التواصل والتوصيل، أي إنشاء علاقة كلامية مع شخص ما أو شيء ما، ويشير إلى فعل التوصيل، كما أنه يعني التبليغ؛ أي توصيل شيء ما إلى شخص ما وإلى نتيجة ذلك الفعل، كما يدلّ على الشيء الذي يتمّ تبليغه، والوسائل التقنية التي يتمّ التواصل بفضلها.[2] والتواصل أيضا نقل معلومات من

---

(1) Cooley, Charle:Human Nature and the Social Order.New york 1969, in Mucchielli, R:Nouvelles méthodes d'étude des communications ,Armand colin, Paris (2) 1988 نقلا عن جيل حداري: مفهوم التواصل ـ النماذج والمنظورات ـ ديوان العرب العدد 31 ديسمبر 2006 http://www.diwanalarab.com/

(2) Paul Robert: Le petit Robert 1, Dictionnaire Alphabétique et analogique de la langue française – A. REY et Rey _ Debove, édition le robert Paris – France 1983 p 346

مرسل إلى متلق بواسطة قناة، بحيث يستلزم ذلك النقل، من جهة، وجود شفرة، ومن جهة ثانية، تحقيق عمليتين اثنتين: ترميز المعلومات (Encodage)، وفك الترميز (Décodage)، مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار طبيعة التفاعلات التي تحدث في أثناء عملية التواصل، وكذا أشكال الاستجابة للرسالة، والسياق الذي يحدث فيه التواصل.

ويعرّف بعض الدارسين المحدثين التواصل بشيء من التفصيل، على أنه تبادل كلامي بين متكلم يصنع قولا موجها نحومتكلم آخر وبين مخاطَب يلتمس السماع و/ أو جوابا صريحا أو ضمنيا وفقا لنمط القول، فالتواصل إذن يقوم بين طرفين.

والتواصل من منظور علم النفس اللغوي، هو إجراء يربط من خلاله المتكلم الدلالة بالأصوات، وهي الدلالة نفسها التي يربطها المستمع بهذه الأصوات.

إن المشاركين في التواصل (أو الأطراف الأساسية للتواصل) هم الأشخاص: الأنا، أو الذات المتكلمة المنتجة للملفوظ والمخاطَب أو المستمع، وأخيرا المتحدّث عنه، الكائنات أو موضوعات العالم. ويتحدد مقام التواصل من قبل:

1. المشاركين في التواصل المُتعيّن دوره من خلال الأنا؛ محور التلفظ.
2. الأبعاد الزمنية ـ المكانية للملفوظ أو للسياق المقامي: وهي علاقات زمنية بين لحظة التلفظ ولحظة الملفوظ (الجهة والزمن)، وعلاقات مكانية بين المتكلم وموضوعات الملفوظ الحاضرة أو الغائبة، القريبة أو البعيدة، وعلاقات اجتماعية بين المشاركين في التواصل، وبينهم وبين موضوع الملفوظ (أنماط الخطاب، والعوامل التاريخية والاجتماعية..إلخ). ويُرمزُ لمتحولات أو إشاريات التواصل هذه بصيغة: أنا، هنا، والآن.

ويتحدد وضع التواصل بالبُعد الاجتماعي، أو بطرفيْ التواصُل المُقام بين الأنا ومخاطبيه (وكذلك بالفرق بين أنتَ وأنتمْ التي تعبّر عن حميمية، أو عن علاقة اجتماعية مختلفة)، كما يتحدّد بالطريقة التي يُتصور بها الأنا الملفوظ وهكذا يُؤخذ الملفوظ المُنجز من قبل المتكلم، بعين الاعتبار بشكل أو بآخر. ويُعبّر عن ذلك بصيغ الفعل وجهاته، وبظروف من قبيل: من الممكن، من دون شك، أي بما يُطلق عليه المُوجِّهات.

2- والتواصل من منظور منظري الاتصالات واللسانيين، هو نقل إخبار من نقطة إلى أخرى (مكان أو شخص)، ويتمّ نقل هذا الإخبار عن طريق رسالة تأخذ صيغة مُسنَّنة.

والواقع أنّ الشرط الأول لإقامة التواصل هو تسنين الإخبار، بمعنى تحويل الرسالة المادية والمجردة إلى نسق من العلامات، أو إلى سنن خاصيته الأساسية أن يتمّ عبر تعاقد مسبق نسقي ومقولي.

وعندما يتمّ التواصل، فإنّنا نعتبر أنّ الأجزاء المكونة لـه تـشكّل نـسقا تواصـليا، وتفـترض خطاطـة التواصل نقل رسالة ما بين مرسل ومتلق يشتركان ـ جزئيا على الأقل ـ في امتلاك النسق الضروري لـصياغة الرسالة، ضمن نظام يتكون من العناصر التالية:

أ- السنن: الذي يتضمن علامات معيّنة، ومجموعة من قواعـد التأليفـات الخاصـة بهـذا النـسق العلامي في اللغات الطبيعية، ويتشكل السنن من الفونيمات، والمورفيمـات، وقواعـد تـأليف هاته العناصر فيما بينها (في تقابل مع الكلام المشكّل من الملفوظـات المُحققـة، أو الرسـائل)، وهو يؤمن وضوح الرسالة وتحقق الخبر.

ب- القناة: وهي المرتكـز الفيزيـائي لنقـل الرسـالة، والوسـيط الـذي يـتمّ عـبره نقـل الـسنن أو الإشارات، وهو الهواء في حال التواصل اللفظي، لكن يمكن للقناة أن تأخذ أشكالا متنوعـة: موجات ذبذبات الراديو، وأضواء، وأنساقا ميكانيكية أو إلكترونية مختلفة.. إلخ. وهي متنوعة تبعاً للوسائل المستعملة من قبل المرسِـل والمرسَـل إليـه، مـثلا: النـور يـشكّل قنـاة التواصـل البصري، أما الهـواء فيـشكل قنـاة للتّواصـل الـشفوي وجهـا لوجـه، في حـين أنّ الكهربـاء والكيمياء ـ أي المواد ذات الطبيعة الكيميائية ـ هما قنوات التواصل الآلي.

ج- الرسالة: وهي عبارة عن متتالية من العلاقات المنقولة بين المرسِل والمرسَـل إليـه، بواسـطة قنـاة تستخدم لنقل الرامزة؛ أي هي مجموعة من المعلومات المترسِّخة حـسب قواعـد وقـوانين متفـق عليها، تشكل بعدا ماديا محسوساً من الأفكار التي يرسلها المرسـل، وتحيـل علـى المرجـع العـام المشترك بين المرسِل والمرسَل إليه.

ويكمن الفرق بين رسالة وأخرى، في مدى إظهار قوة حضور كل وظيفة من الوظائف الـست، وحسب نية التواصل، وأهدافه، والظروف المحيطة في إنجاح عملية التواصل أو إفشالها.

د- المرسِل: الذي هو في الآن نفسه مُصدر الرسالة، فالمرسِـل ـ بتعـبير أدق ـ يمتلـك آليـات تـسنين الرسالة والجهاز المرسِل ذاته، ويُقال: إنّ المرسِل هو مكون السنن؛ بمعنى أنّه يختار داخل الـسنن عددا معينا من الإشارات، التي تسمح بنقل الرسالة. وهو الطرف الأول والأساسـي في عمليـة التواصل، والمسؤول عن إرسال الرسالة واختيار المرجع وقناة الاتصال والرامزة.

هـ- المتلقي ـ مفكـك الـسنن: وهـو في الآن نفـسه الجهـاز الـذي يتلقـى الرسـالة (أذن أو جهـاز استقبال) ومتلقي الرسالة (الدماغ الإنساني بالنسبة إلى اللغة المنطوقة، والمستمع بالنسبة إلى جهاز الاستقبال..إلخ).

وتتمّ عملية تفكيك السنن في مستوى المتلقي - المخاطَب عن طريق البحث في الذاكرة عن العناصر المنتقاة من قبل المرسِل، والتي تكون الرسالة. وهو الطَّرف الآخر في عملية التواصل، والمستقبِل لمضمون الرِّسالة، المسؤول عن عملية إنجاح التّواصل أو إفشاله. كما يمثّل البيئة التي يحيل إليها الخطاب؛ أي ما يتحدّث عنه طرفا التّواصل، والذي «ينشأ نتيجة تطبيق إجراءات تأسيس محدّدة وفق بروتوكول مقبول بالإجماع، ونتيجة وجود إمكان متاح لأيٍّ كان من أجل متابعة هذا التّطبيق متى عنّ له ذلك»[1]

و- إعادة تسنين الرسالة: وهي عملية تأخذ فيها الرسالة المشفرة والمفككة التشفير صيغة جديدة. فعلى سبيل المثال، نملي تلغرافا (صيغة صوتية)، دون على ورقة (صيغة خطية)، ثم نكتبه باعتماد المورس (صيغة ميكانيكية)، لينتقل في نهاية المطاف عن طريق ذبذبات كهربائية.[2]

وقد ورد لفظ "وصل" بصيغه سبع (07) مرات في البلاغ القرآني، وهو في كل مرة يشير إلى وجود علاقة تفاعلية تربط بين السماء والأرض، فقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ (القصص - الآية 51) تعني أنّ القرآن أتاهم متتابعا متواصلا، وعدا ووعيدا، وقصصا، وعبرا، ومواعظ، ونصائح... أو نُزل عليهم نزولا متصلا بعضه في أثر بعض،[3] بل إنّ الله أمر بالصلة في أكثر من آية، ولم يحددها في إطار بعينه، وإنّما جعلها جوهر العلاقة الإنسانية الكبرى؛ إذ «كل ما أمر الله به أن يوصل يصلونه، أي أنّها الطاعة الكاملة، الاستقامة الواصلة، والسير على السنة، ووفق الناموس بلا انحراف ولا التواء»،[4] إنّها الصِّلة المطلقة التي لا تنقطع. ويذهب بعض دارسي الإعجاز القرآني إلى أنّ مصطلح التّواصل مفهوم مكتنز بدلالات جمّة، ترجمتها السياقات المختلفة التي ورد فيها، فأبوعبيدة في مجازه يرى أنّه يعني التمام.[5]

---

(1) فرانك مانفرد: حدود التواصل - الإجماع والتنازع بين هابرماس وليوتار - تر / عز العرب لحكيم بناني، أفريقيا الشرق - المغرب - 2003، ص 38.

(2) Jean Dubois et Autres : Dictionnaire de linguistique p 96 - 99 نقلا عن ترجمة نص التواصل (communication) لـ جان ديبوا (J. Dubois) تر/ خالد اليعبودي - المغرب 15 كانون الثاني 2008 http://terminotic.maktoobblog.com/761039/

(3) ينظر الزمخشري (أبوالقاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - دار الفكر - بيروت - ج3، ص 184 .

(4) سيد قطب: في ظلال القرآن، م 4 ج 13 ص 2057 .

(5) ينظر أبوعبيدة (معمر بن المثنى التميمي): مجاز القرآن، عارضه بأصوله وعلّق عليه محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة - مصر - ط2، 1981 ج 2 ص 108 .

ويفسّره ابن كثير بالبيان والإخبار.[1] كما يعني من منظور الزمخشري الانتساب والانتماء والانتهاء والاتصال، إذ يقول في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ﴾ (النساء - الآية 90)، «فهو من الانتساب، وصلت إلى فلان واتصلت به، إذا انتميت إليه، ومعنى يصلون إلى قوم: ينتهون إليهم ويتصلون بهم».[2] وتوصّل إليه؛ أي تلطف في الوصول إليه. والتواصل ضد التصارم.[3] ويقال: وصل الشيء بالشيء إذا لأمه به، وربطه به، وجمعه عليه، فكأنك إذا أحسنت إلى امرئ ربطته بنفسك، وجمعته عليك. ووصل الشيء توصيلا: جعل أجزاءه متتابعة غير متقطعة.[4] والاتصال عبر المعنى يسمى تواصلا، ولوخلا التواصل من المعاني لانتفى القصد والهدف من اتصال الإنسان باللغة والكلام. ويشير التواصل إلى ما يفعله المتكلم بقوله، والغرض القصدي من ذلك هو التفاهم بين الذوات.[5]

ولقد تمثل طه عبد الرحمن التواصل بمفاهيمه وأسسه وآلياته، من خلال مكاشفة علمية دقيقة، أفضت إلى تحديده بطريقة تصاعدية، فالوصل عنده «يفيد معنى الجمع بين طرفين بواسطة أمر مخصوص، فالوصل لا يكون إلا بواصل، والوصل في هذه المرتبة هو الخبر، ثم يأتي الإيصال، وهو نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم، ثم الاتصال وهو نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم، واعتبار مقصده الذي هو المستمع».[6]

وإذا ما نظرنا إلى أغلب الألفاظ التي استعملت للدلالة على التواصل عند العرب والغرب وجدناها لا تخرج عن نطاق الإعلام، والإرسال، والإخبار، والتبادل، والإبلاغ، والاتصال، والاطلاع... وهذا يعني أنّ مفهوم التواصل من المنظور العربي قريب من المفهوم الغربي، إن لم يكن هو نفسه من حيث الدلالة.

ويمكن أن يستخلص التواصل من خلال مجموع الألفاظ التي تشكل صورا حسية بديعة، وتدخل في حيّزه؛ فالحبل، والنزول، والقطع، والاعتصام، والإتيان، والمجيء، والأخذ، والبعث، والجدل، والحمل، والذيوع، والتنازع، والكلام، والصراط المستقيم، والقول، والنبأ، وأحسن الحديث، والبيان، والذكر،...

---

(1) ينظر ابن كثير (إسماعيل بن عمر أبوالفداء الدمشقي): تفسير القرآن العظيم، دار الفكر - تحق أحمد يوسف الدقاق، - بيروت ط1، 1401 ج 5 ص 288 .

(2) الزمخشري: الكشاف ج1، ص 551 .

(3) ابن منظور (أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب، تحق عبد الرحمن محمد قاسم النجدي، دار صادر - بيروت - ط 1، 1955 - 1992 مادة وصل.

(4) مجمع اللغة العربية: معجم ألفاظ القرآن الكريم - الهيئة المصرية العامة للنشر والتأليف - الطبعة الثانية 1970 ص ص 853 - 854

(5) حسن مصدق: النظرية النقدية التواصلية ص ص 125 - 126 .

(6) طه عبد الرحمن: اللسان والميزان - أوالتكوثر العقلي - المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء - بيروت الطبعة الأولى 1998 ص 29

وغيرها كثير تؤكد وجود حدث التواصل، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ (آل عمران ـ الآية 103)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ (البقرة ـ الآية 27)، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ (الحجر ـ الآية 64)، وقوله عز من قائل: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (آل عمران ـ الآية 164)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (النور ـ الآية 54)... ونضيف إليها التحبيب والتزيين الذي ورد في قوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ (الحجرات ـ الآية 7)، والفرار إلى، والهجرة إلى، والامتلاك، التي هي أيضا من أساليب التواصل، وقد جاءت في قوله: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الذاريات ـ الآية 50) وقوله: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (سور العنكبوت ـ الآية 26).

هكذا يغدوالتواصل «جوهرة العلاقات الإنسانية، تضع المتلقي وسط المجال ليتفاعل مع الرسالة، ويشارك في صناعة القرار».[1] ولعلنا نعاود طرح السؤال مرة أخرى بطريقة مختلفة، هل البيان والبلاغ والإخبار والإنباء والقول... هي مجرد صفات للتواصل أم أنها لواحق له؟ بمعنى أنّها مراحل تفعّل التواصل تبدأ من الإلقاء وتنتهي عند العمل.

قبل الإجابة عن هذا السؤال، يجدر بنا التوقف قليلا عند مدلول بعض الألفاظ والمصطلحات التي قد تسهم بشكل مباشر أو غير مباشر في تحديد المفهوم، حتى نتبيّن حقيقتها وأسرارها في البلاغ القرآني.

- أدوات التواصل في القرآن حقيقتها وأسرارها:

ـ الإلقاء والتلقي:

الإلقاء معناه الإعطاء والإنزال بسرعة، ولطالما ارتبط في القرآن الكريم بالشيء الثابت والعظيم، كقوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ (لقمان ـ الآية 10)؛ لأنّ ثبات الأرض بسبب ثقلها، فكذلك ثبات القرآن الكريم بسبب عظمته وثقل حمله، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (المزمل ـ الآية 5). والتلقي معناه القبول والأخذ، وهو الاستقبال الذي يعني ما تترقّب وجوده بعد زمانك الذي أنت فيه.[2] وتلقي الكلمة استقبالها بالأخذ والقبول، والعمل بها حين العلم بها، كقوله عزّ وجلّ: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن

1) نور الدين الملاخ: "مفاهيم في التواصل" – تاريخ النشر 02 / 02 / 2005 http://www.aljamaa.com/ar/index.asp ص 3 .

(2) الجرجاني (أبوالحسن علي بن محمد بن علي): التعريفات، وضع حواشيه وفهارسه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ـ بيروت ط 2 ـ 2003 ص 21 .

رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ (البقرة ـ الآية 37) ؛ أي تعلّم، كأن الله أوحى إليه أن يستغفره، ويستقبله بكلام من عنده.(1) وقرئت الآية بنصب آدم ورفع الكلمات ُفتلقى آدمَ من ربِّه كلماتٌ على أنّها استقبلته بأن بلغته واتصلت به،(2) وكذا تلَقّونه في قوله جلّ جلّاله: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾ (النور ـ الآية 15) ؛ أي يأخذه بعضكم من بعض، يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه،(3) وأيضا قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ (النمل ـ الآية 6) ؛ أي لتؤتاه وتلقنه أو تتلقاه وتعطاه.(4) وإلقاء السمع الإصغاء، مصداقا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (ق ـ الآية 37). والعرب تقول ألقى فلان سمعه إذا استمع بأذنيه وهو شاهد بقلب غير غائب،(5) أما قول الكفار في سورة القمر: ﴿ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾ (القمر ـ الآية 25) بدلا من قولهم: أألقى اللهُ إشارة إلى أنّ الإلقاء من السماء غير ممكن، فضلا عن أن يكون من الله تعالى،(6) ولم يكن هذا الرّد إلا جحودا ونكرانا. والإلقاء إنزال بسرعة، مما يعني أنّه أقوى من الإنزال في إثبات وقعه على النفس، وهيمنته عليها، وأنّ ممارسته ستكون أشد؛ لأنه منوط بالتكليف السريع.

ولئن كان الإلقاء خاصا بالله ـ عز وجلّ ـ فإنّ التلقي خاص بالرسل أولا، ثم الناس جميعهم على اختلافهم، لذلك «انحصر التواصل اللساني في عملية التواصل، التي تجري بين البشر بوساطة الفعل الكلامي»،(7) وممّا يؤكّد هذا قوله عز وجل: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (الأعراف ـ الآية 144) ، وقال أيضا تبارك وتعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (إبراهيم ـ الآية 4) ، وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ (مريم ـ الآية 97) ، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ (الشورى ـ الآية 51) ، فالله يكلّم

---

(1) ينظر القيسي بن أبي طالب (أبومحمد مكي بن حموش): العمدة في غريب القرآن، تحق/ يوسف عبد الرحمن المرعشلي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت 1984 ص ص 73- 74.

(2) ينظر الزمخشري: الكشاف ج1 ص274.

(3) ينظر الزمخشري: الكشاف ج3 ص54.

(4) ينظر الزمخشري: الكشاف ج 3 ص 137 وينظر الصابوني (محمد علي): صفوة التفاسير، دار القلم العربي ـ حلب ـ دار النمير ـ دمشق ـ الطبعة الأولى 1994 ج 2 ص 402.

(5) ينظر الزمخشري: الكشاف ج4 ص11 وينظر الصابوني: صفوة التفاسير ج3 ص 247.

(6) الصابوني: صفوة التفاسير ج3 ص 287 .

(7) عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي: معرفة الآخر ـ مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة ـ المركز الثقافي العربي ـ بيروت ـ الدار البيضاء، ط 1 1990 ص 87.

الناس عن طريق الناس الذين اختارهم واصطفاهم، إنّهم الرسل والأنبياء، وعن طريق خطابه كذلك، ومن هنا دلّ الإلقاء والتلقي على أنّهما خيطان من شبكة التواصل أسهما في إحداث الاتصال بين السماء والأرض.

- التنزيل:

أما لفظة نزل فقد وردت في البلاغ القرآني مائتين وثلاثا وتسعين (293) مرة، إنّ هذا الكم الهائل من المرات التي ورد فيها هذا اللفظ لم يأت جزافا، وإنّما له دلالاته، لكون البلاغ القرآني خطابا للناس كافة، فكان لابد أن يصل إليهم بطريقة ما. لهذا اعتمد على أس من أسس إعجازه 'الإنزال'، والتي من أجلّها سمي بالتنزيل؛ لأنه ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (الواقعة ـ الآية 80) والحاقة ـ الآية 43 فـ ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان ـ الآية 1) ، ولأنّه لا يحقق غايته، ولا يصل إلى منتهاه إلا بإنزاله وإرساله.

ونزل نزولا من علو إلى أسفل. والإنزال هو تحريك الشيء من الأعلى إلى الأدنى؛ أي الأسفل دفعة. ونزّل أوحى به. ونزّل القرآن مفصلا وأنزل الكتب جملة. والمراد بالتنزيل المُنَزَّل.

ولقد حصر نصر حامد أبوزيد التنزيل في نطاق محدود، لا يخرج عن كونه «تنزيلا للناس عبر وسيطين: الأول الملك، والوسيط الثاني محمد البشر».[1] على أنّ المراد بالإنزال مجرد الإيصال،[2] أما «المعنى المجازي لإنزال القرآن فهو التبليغ والإعلام من جميع انطلاقاته؛ أي الإعلان عن الهداية، وإنزالها بما يستلزم من تعريف الناس بها، وإعلام من يطّلع عليها من الخلق بمحتواها، ويحوي لفظ الإنزال التنويه بشرف هذا الكتاب وعلو صاحبه».[3]

وتجدر الإشارة إلى أنّ الخطابي حينما عمد في بيان إعجاز القرآن إلى دراسة بعض أسراره، أعلن أنّ أقسام الكلام «مختلفة، ومراتبها في نسبة التبيان متفاوتة، ودرجاتها في البلاغة متباينة غير متساوية، فمنها البليغ الرصين الجزل، ومنها الفصيح القريب السهل، ومنها الجائز الطلق الرسل، وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود، دون النوع الهجين المذموم، الذي لا يوجد في القرآن شيء منه البتة، فالقسم الأول أعلى طبقات

---

(1) نصر حامد أبوزيد: مفهوم النص ـ دراسة في علوم القرآن ـ ص 56 .

(2) ينظر الزمخشري: الكشاف ج 3 ص 128 وينظر أبوالسعود محمد بن محمد العمادي: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ـ تفسير أبي السعود ـ تحق أحمد يوسف الدقاق، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط 2 1974 ج 6 ص 135 وينظر الجرجاني (أبوالحسن علي): التعريفات ص 41 .

(3) إحسان عسكر: وظائف التبليغ القرآني ص 27 .

الكلام وأرفعه، والقسم الثاني أوسطه وأقصده، والقسم الثالث أدناه وأقربه، فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة، وأخذت من كل نوع من أنواعها شعبة».[1]

إلا أنّ هناك من الدارسين من انتصب، وأقرّ بأنّ تصنيف الخطابي لأقسام الكلام غير دقيق وموهم، والصحيح أنّ الخطابي كان يهدف من وراء ذلك إلى تبيان مقدرة القرآن الكريم في الجمع بين جملة من الأقسام التي يراعى فيها المتلقي مهما كان نوعه، فهو ـ أي القرآن ـ لم يخاطب حالة نفسية واحدة، على تباين أمزجتها وميولها، ولم يخاطبها في زمن معين أو مكان معين، وإنّما خاطبها في كل الأزمنة والبقاع؛ لأنّه ببساطة قرآن نزّل للبشرية جمعاء.

فلا يختلف اثنان في أنّ القرآن حاز أعلى طبقات الكلام وأرفعه، أما الوسطية والقصد فإنهما يعنيان الاعتدال، فقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ (النحل ـ الآية 9)، يرمي إلى أنّ هداية الطريق الموصل إلى الحق واجبة عليه،[2] وأمّا الدنووالقرب ففيهما إشارة خفية تومئ إلى أنّ الله بعزته وقداسته يدنوويقترب من عباده، نزولا إليهم بقدر قربهم ودنوهم منه، ينزل من عليائه ليدنوويقترب من عباده حبا في التواصل معهم، ويتنزل إلى السماء الدنيا تنزلا يليق بجلاله وكماله، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «ينزل ربُنا تبارك وتعالى كلّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلثُ الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيبَ له، من يسألني فأعطيَه، من يستغفرني فأغفرَ له».[3]

فالدنو أو القرب أو النزول حالات لا تمس قداسة الله ـ عزّ وجلّ ـ ولا قدسية محكم تنزيله أو جبريل ـ عليه السلام ـ وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِي وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة ـ الآية 186)، وقال ـ كذلك ـ: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (هود ـ الآية 64)، وقال جلّ في عُلاهُ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ (ق ـ الآية 16)، وقال تَعَالَى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ (النجم ـ الآية 8).

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أنّ كلام الله منزّل، واختلفوا في معنى الإنزال، فمن قائل بأنّ الإنزال هو إظهار القراءة، ومن قائل بأنّ الله تبارك وتعالى ألهم كلامه جبريل وهو في السماء، وهو عال من المكان، وعلمه قراءته، ثم جبريل أدّاه في الأرض وهو يهبط في المكان، وفي التنزيل طريقان:

---

(1) الخطابي (أبوسليمان حمد بن محمد بن إبراهيم): بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ص 75.

(2) ينظر الزمخشري: الكشاف ج 2 ص 403 .

(3) مسلم (بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري): صحيح مسلم، دار السلام ـ الرياض ـ دار الفيحاء ـ دمشق ـ ط 2، 2000 ص 307.

أحدهما: أنّ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ انخلع من صورة البشرية إلى صورة المَلَكِيَّة، وأخذه من جبريل.

ثانيهما: أنّ المَلَك انخلع إلى البشرية، حتى يأخذه الرسول منه، والأول أصعب الحالين.

وقال الطِّيبي: لعل نزول القرآن على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يتلقفه المَلَك من الله تلقفا روحانيا، أو يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به إلى الرسول ويلقيه عليه.(1)

إنّ هذا التواصل، قربا كان أم دنوا أم قصدا، ما هو إلا طريقة من الطرق الكثيرة التي يشتمل عليها القرآن ـ كما سنوضح ذلك لاحقا ـ في خلقه تعالقا يشكل أس الاتصال الحميم لتحقيق هدف نبيل؛ تجلّى في التعريف بالحقيقة التي من أجلّها خلق الإنسان، وبذلك تتحقق «الرحلة إلى الله بغرض الاتصال بالحقيقة، حيث السفر إلى إرادة الحق والهيام به اشتياقا».(2) ويتضح هذا خاصة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى ـ الآيتان 51 ـ 52).

ـ البيان:

حبا الله الإنسان بالبيان حتى يقدر على تلقي هذا التنزيل، والبيان لفظ ورد تقريبا في كل سورة من سور القرآن أكثر من مرة، ليصل العدد الإجمالي له إلى مائتين وسبع وخمسين (257) مرة في القرآن الكريم كلّه ـ وكلّها كلمات دالة، استطاع من خلالها أن يعطي التواصل بعدا جديدا مكملا للأبعاد التي أعطتها الألفاظ التي تخدم في الحقل المعرفي نفسه.

و«ذكر الله تبارك وتعالى جميل بلائه في تعليم البيان، وعظيم نعمته في تقويم اللسان... ومدح القرآن بالبيان والإفصاح، وبحسن التفصيل والإيضاح، وبجودة الإفهام وحكمة الإبلاغ»،(3) وإذا كانت اللغة والكلام هما مكونا اللسان الذي يبين عن مكنونات النفس الإنسانية، فهذا يعني أنّهما يمتحان الإنسان قدرة «على التواصل عبر أداة هي اللغة Langue التي تصبح أداة للتواصل عندما تتحول إلى كلام Parole».(4)

---

(1) ينظر السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ص 69 .

(2) عبد القادر فيدوح: الجمالية في الفكر العربي ـ دراسة ـ منشورات اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ سوريا 1999 ص 76 .

(3) الجاحظ: البيان والتبيين ج 1 ص8.

(4) رضوان القضماني: مدخل إلى اللسانيات ص 41.

) والبيان في أبسط تعريفاته يعني النطق أو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير،[1] وهو ما يتبيّن به الشيء من الدلالة والفصاحة وغيرها، ومن هنا فقد تعود الإنسان على القيام بعملية معقدة جدا؛ إنّها النطق، فهو يتكلم ناطقا، ومطلقا لسانه وفكره ليتمكن من التواصل مع الآخرين، والتفاهم والتجاوب معهم؛ إذ «ليس الكلام عملية بسيطة، ناتجة عن أعضاء بيولوجية مهيأة لأداء هذه الوظيفة؛ إنّها شبكة معقدة جدا، وتغيّر هيأتها المتنوعة من الدماغ والجهاز العصبي وأعضاء السمع والنطق، وكل هذا ينزع إلى هدف وحيد مرغوب فيه تواصل الأفكار».[2] وهو ما فصّله سيد قطب حينما فسر الظاهرة فقال: «إنّ تكوين جهاز النطق وحده عجيبة لا ينقضي منها العجب.. اللسان والشفتان والفك والأسنان والحنجرة والقصبة الهوائية والشعب والرئتان.. إنّها كلّها تشترك في عملية التصويت الآلية، وهي حلقة في سلسلة البيان. وهي على ضخامتها لا تمثل إلا الجانب الميكانيكي الآلي في هذه العملية المعقدة، المتعلقة بعد ذلك بالسمع والمخ والأعصاب، ثم بالعقل الذي لا نعرف عنه إلا اسمه، ولا ندري شيئا عن ماهيته وحقيقته، بل لا نكاد ندري شيئا عن عمله وطريقته!

كيف ينطق الناطق باللفظ الواحد؟

إنّها عملية معقدة، كثيرة المراحل والخطوات والأجهزة، مجهولة في بعض المراحل، خافية حتى الآن، إنّها تبدأ شعورا بالحاجة إلى النطق بهذا اللفظ؛ لأداء غرض معين، هذا الشعور ينتقل، لا ندري كيف، من الإدراك أو العقل أو الروح إلى أداة العمل الحسية..المخ.. ويقال: إنّ المخ يصدر أمره عن طريق الأعصاب بالنطق بهذا اللفظ المطلوب، واللفظ ذاته مما علّمه الله للإنسان وعرّفه معناه، وهنا تطرد الرئة قدرا من الهواء المختزن فيها، ليمر من الشُعب إلى القصبة الهوائية إلى الحنجرة وحبالها الصوتية العجيبة، التي لا تقاس إليها أوتار أية آلة صوتية صنعها الإنسان، ولا جميع الآلات الصوتية المختلفة الأنغام، فيصوت الهواء في الحنجرة صوتا تشكله حسبما يريد العقل ...عاليا أو خافتا، سريعا أو بطيئا، خشنا أو ناعما. ضخما أو رفيعا... إلى آخر أشكال الصوت وصفاته ومع الحنجرة اللسان والشفتان والفك والأسنان، يمر بها الصوت فيتشكل بضغوط خاصة في مخارج الحروف المختلفة وفي اللسان خاصة يمر كل حرف بمنطقة منه ذات إيقاع معين، يتم فيه الضغط المعين، ليصوت الحرف بجرس معين...ووراءه العبارة والموضوع والفكرة والمشاعر السابقة

(1) ينظر الزمخشري: الكشاف ج 4 ص43

(2) Jean Dubois et Autres : Dictionnaire de linguistique p 361

واللاحقة وكل منها عالم عجيب غريب، ينشأ في هذا الكيان الإنساني العجيب الغريب بصنعة الرحمن، وفضل الرحمن».[1]

وقد أوردنا القول كلّه على طوله، لماله من أهمية خطيرة في مجال النطق والبيان. نعم.. إنه النطق الذي يوصل إلى البيان، إلى سحر القول الذي له شروطه ومتطلباته كما مدحه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حاثا على التأنق في الكلام؛ لأنه كان يدرك أنّ وقع اللسان المبين أشد من وقع السهام، فقال «وإنّ من البيان لسحرا».[2] وقد كان الجاحظ على وعي بأنّ الوظيفة الأساسية والأولى للغة تكمن في التواصل، والإعراب عمّا في الصدور، فقد صاغ للبيان مفهوما إجرائيا، أكّد من خلاله أنه الأداة الفاعلة التي توصل إلى الفهم والإفهام، فقال: «والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأنّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأيّ شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان»،[3] ولعلّ أول ما ينبغي أن يلفت نظرنا في هذا النص هو ما يكشف عنه من رؤية شمولية تضع التواصل مرادفا للبيان الذي اختزل في «الفهم والإفهام في بعديه: المعرفي والإقناعي (الاستمالة والاحتجاج)، ثم ربطت الأداة بالموضوع والمناسبة؛ أي بالمقام الخطابي».[4] والحق أنّ هذا الفهم للتواصل (الفهم والإفهام) لا يخرج عن كونه قانونا يضبط المعايير التي يتمّ التواصل بفضلها، تحقيقا لسلوك كلامي يهدف إلى إيصال كلام فني ناجح على المستويين الإخباري والتأثيري في العقل والمشاعر معا بحسب مقتضى الحال؛ أي أشكال الاستجابة للكلام.

ـ القراءة:

خلق الله تعالى الإنسان، ومنّ عليه بالبيان، الذي يعني النطق والإفصاح، كما أشرنا، فيتعلم القرآن لأداء تلاوته حق تلاوة؛ إذ كما هو معلوم، فإنّ القرآن خطاب الله لكلّ النفوس البشرية، أمر بقراءته ثم تلاوته كي يصلها به؛ أي يصل النفس البشرية بالله، وأردف ذلك بالأمر بالصلاة؛ لأنها تجسّد خطاب العبد لربّه، أي اتصال به، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ (المزمل ـ الآية 20)، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (العنكبوت ـ الآية 45)، وبهذه الصورة

---

(1) سيد قطب: في ظلال القرآن م 6 ج 27 ص 3447.

(2) البخاري (أبوعبد الله محمد بن إسماعيل): صحيح البخاري ـ دار ابن كثير ـ دمشق ـ بيروت ط 1، 2002 ـ ص 1460 .

(3) الجاحظ: البيان والتبيين ج 1 ص 8.

(4) محمد العمري: البلاغة العربية ـ أصولها وامتداداتها ـ أفريقيا الشرق الدار البيضاء المغرب / بيروت لبنان 1999 ص 201

تتمظهر أرقى الوسائل التي يتوازن بها التواصل ويكتمل؛ ذلك أنّ «كلّ تواصل لغوي يقوم بناء على شكل من أشكال الحوار».[1]

وما سمي القرآن قرآنا إلا لأنه يحمل في طياته لفظ القراءة التي لها من مدلولات الاتصال ما لها. فهو مقروء لا يحقق وجود الآخرين ـ أي المعنيين بقراءته، وهم هنا البشر كافة ـ قبل وجوده إلا بقراءته، التي تقوم على العلاقة الشخصية بين القارئ والمقروء/ النص وبين القارئ والله.[2] إنها الميكانيزم أو الآلية التي تحرّك النص، حتى يبحث القارئ عن دلالاته المودعة فيه. والقرآن خاص بكلام الله، وهو مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممت أحدهما إلى الآخر، وسمي به لقران السور والآيات والحروف فيه. وقال الفراء: هو مشتق من القرائن؛ لأنّ الآيات منه يصدق بعضها بعضا، ويشابه بعضها بعضا، وهي قرائن. وقال قوم: إنه مصدر لقرأت... سمي به الكتاب المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر، وقال آخرون: هو وصف على فُعلان، مشتق من القرء بمعنى الجمع، ومنه قرأت الماء في الحوض، أي جمعته، وحكى قطرب قولا: إنه إنّما سمي قرآنا لأنّ القارئ يظهره ويبيّنه مِن فيه، أخذا من قول العرب: ما قرأت الناقة سلا قط، أي ما رمت بولد، أي ما حملت قط، والقرآن يلفظه القارئ من فيه ويلقيه فسمي قرآنا.[3]

إنّ أهم إسهام قدّمه هؤلاء لا يكمن فيما أفصحوا به، بقدر ما يكمن فيما لم يقولوه صراحة حول إشكالية إعجاز القرآن، في جزئها التواصلي، إذ في ضوء هذه المعطيات يحق لنا أن نقول: إنه سمي قرآنا لقران القرآن بالله، وقرانه بالعباد، ومن ثمة تصير المسألة مسألة متعدية تفضي إلى قران العباد بالله، وسمي كذلك ـ أيضا ـ لأنه يقرأ من قبل القارئ. ولا يكاد بعض اللغويين والمفسرين ناهيك عن بعض الدارسين يفرقون بين القراءة والتلاوة، ويظنون بهما الترادف، والحقيقة أنها ليست منه، إذ لا ريب أنّ القراءة مرحلة أسبق من التلاوة، وكما هو معروف فإنّ الله تعالى افتتح محكم تنزيله بـ اقرأ، فكان أول أمر ألقاه على رسوله المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ القراءة ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) ﴾ (العلق ـ الآيات 1 ـ 2 ـ 3) ، ممّا يؤكّد ارتباط القراءة بالتواصل، ومن تدبر ذلك في مواضع من القرآن استشف ذلك جليّا، فقوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ﴾ (القيامة ـ الآية 18) يشير إلى أنّ القراءة هنا متعلقة بفعل التلقي فحسب، وهو، أي الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ محمول على ترديده، حيث كان جبريل ـ

---

(1) Mikhaïl Bakhtine : Le principe Dialogique; ed Seuil p 68 نقلا عن أنور المرتجي: سيميائية النص الأدبي، أفريقيا الشرق الدار البيضاء المغرب 1987 ص 106.

(2) ينظر سيزا قاسم: القارئ والنص ـ من السيميوطيقا إلى الهيرمينوطيقا ـ عالم الفكر المجلد الثالث والعشرون العددان الثالث والرابع ـ يناير / مارس ـ أبريل / يونيوالكويت 1995 ص 273 .

(3) ينظر السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ص ص 80 ـ 81.

عليه السلام ـ يلقّنه؛ لأنّه مأمور بقراءته قراءة مكررة إلى أن يحفظه، مقفيا له فيه لفظا لا معنى، على أساس أنّ بيانه يأتي بعد ذلك في قوله عزّ وجلّ: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ (القيامة ـ الآية 19) ، ولهذا بشّره الله بإعطائه آية بينة؛ وهي أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحي، وهو أمي لا يكتب ولا يقرأ، فيحفظه ولا ينساه (إلا ما شاء الله) فذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته،[1] فقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ (الإسراء ـ الآية 45) ، وقوله جلّ جلاله: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ (الإسراء ـ الآية 106) ، وقوله عـــز وجلّ: ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ (المزمل ـ الآية 20) على سبيل المثال لا الحصر يوحي بأنّ القراءة جاءت مقترنة بالتلقي أو الجمع ومعرفة ما ورد فيه من أحكام ثم العمل بها.

ـ التلاوة:

هكذا تبدوالقراءة مرحلة تدريبية، تعمل على تحريك المتلقي حتى يصل إلى المرحلة التالية لها، وهي التلاوة، فتصير هذه الأخيرة «نشاطا خاصا يسمو به كل قارئ بنفسه فوق نفسه»،[2] إذا القراءة تفعّل التلاوة وتتفاعل معها، وبذلك تتحول إلى جزء منها.

ورد لفظ التلاوة في القرآن الكريم ثلاثا وستين مرة (63)، وهو لفظ كثيرا ما يأتي مقترنا بالحث على الاتباع والعمل بما في كتاب الله العزيز الحميد كقوله جلّ جلاله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ (فاطر ـ الآية 29) ؛ أي يأخذون بما فيه، ويعلمون ما فيه، ويعملون به،[3] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ (النمل ـ الآية 92) ؛ أي أن أتّبع ما فيه. وكذا في قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ (هود ـ الآية 17) ؛ أي ويتّبع ذلك البرهان شاهد يشهد بصحته وهو القرآن، ثمّ إنّ القراءة عامة تشمل جميع الناس، وقد ورد هذا في الصيغ التالية: فاقرؤوا واقرأ وقرأت، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ ،[4] وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ (العلق ـ الآية 1) ، أما التلاوة فهي خاصة محصورة في الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ؛ لأنّها «شأن من شأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بل هو معظم شأنه»،[5] كما أنّها محصورة في

---

(1) للاستزادة ينظر الزمخشري: الكشاف ج 4 ص 243.

(2) سيزا قاسم: القارئ والنص ـ من السيميوطيقا إلى الهيرمينوطيقا ـ عالم الفكر ـ المجلد الثالث والعشرون العدد الثالث والرابع الكويت 1995 ص 273.

(3) ينظر الزمخشري: الكشاف ج 3 ص 307.

(4) المزمل ـ الآية 20.

(5) الزمخشري: الكشاف ج 2 ص 242.

المؤمنين دون غيرهم؛ لأنهم فهموا معنى قوله تعالى في القرآن الكريم كلّه، فطبقوها تدبرا، وسجودا، وبكاء فزادتهم إيمانا، سواء تليت عليهم أم تلوها هم أنفسهم، مصداقا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (الأنفال - الآية 2) ، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ (مريم - الآية 58) ، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ (آل عمران - الآية 113) ، وكذلك ما جاء في سورة فاطر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ (فاطر - الآية 29) ، وأما الكفار فهم أيضا فهموا معنى ما جاء في القرآن الكريم، وهم أهل فصاحة وبيان واقتدار في فنون القول، فحاربوه. يقول عزّ من قائل: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15) قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (يونس - الآيتان 15 - 16). هكذا فقد حُرم الكفار شرف تلاوتها، وإنّما تليت عليهم. أضف إلى ذلك أنّ «التلاوة سميت أمنية؛ لأنّ تالي القرآن إذا مرّ بآية رحمة تمنّاها، وإذا مرّ بآية عذاب تمنّى أن يوقاه»،[1] على عكس الكافر الذي طلب من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يبدّل آية العذاب بآية الرحمة.

ولمزيد من التأكيد نورد هذه الآيات، ونتمعن في بديع توصيفها بعض الشيء لنجد أنّ التلاوة شرف جليل أفردت للرسول - صلى الله عليه وسلم - وأمّا العمل فهو لجميع الناس، على أساس أنّ الأمر بالتلاوة إلزام للرسول - صلى الله عليه وسلم - بالالتزام الحرفي بما جاء في أعظم تشريع رباني شامل، قال عزّ من قائل: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ (الأنعام - الآية 151) ، وقال: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ (القصص - الآية 59).

- الترتيل:

إنّ التلاوة مثلما هي حقّ للمؤمن، فإنّ من حقّ القرآن الكريم عليه أن يتلى التلاوة الصحيحة، مثلما أمر الله سبحانه وتعالى وقال: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ (المزمل - الآية 4) ، ممّا يعني «أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب، فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، وحظ العقل تفسير المعاني، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر

(1) القيسي: العمدة في غريب القرآن ص 79.

بالانزجار والائتمار، فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ». [1] وبالتالي تـأتي مرحلـة أخـرى لتـشكّل شبكة متلاحمة، تدور في فلك التواصل، إنها مرحلة الترتيل الذي أمر به عز وجلّ في موطنين من سور القرآن الكريم، مؤكّدا الفعل بالمصدر تعظيما لشأن الترتيل، وزيادة في البيان والإيضاح، و«تأكيدا في إيجاب الأمر به، وأنه ما لابد منه للقـارئ»، [2] فقـال عـز وجـل: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ (الفرقان ـ الآية 32). والترتيل هو أن يصل المرتل إلى كنه القـرآن، وهدفـه أن يتلوه تلاوة واعية تامة، يُعمل فيها كلّ حواسه؛ أي يُحضر القلب والعقل واللسان، فيتدبر من خلالها معـاني كلّ حرف من حروفه، وكلّ كلمة من كلماته، وكلّ آية من آياته، وكلّ سورة من سوره، فتكون تلاوته علـى ترسّل وتؤدة وتمهُّل وتثبُّت، بتبيين الحروف، وإشباع الحركات، ومد الصوت به وتجويـده، وتفخـيم ألفاظـه، وأن يقرأه على منازله، فإن قرأ تهديدا لفظ به لفظ المتهدد، وإن قرأ تعظيما لفظ به على التعظيم؛ [3] أي يتمثّل ما فيه من مشاعر، ويقف فيه عند كلّ ذكر لله أو وعد ووعيد، أو ما ضرب الله من أمثال أو قصص للاتعـاظ والخوف والرجاء، فتكون له عونا على الوصول إلى قلب القرآن ومن ثمة «كان الأمر بترتيله ترتيلا، لا كيفما اتفق، وذلك حتى يتم وقعه، ويعظم أثره». [4]

ولعل في ترتيل القرآن الترتيل المطلوب، المفتاح الذي يجعل من الصوت المشكّل من نفيس كـلام الله المدخل الرئيس للوصول إلى منتهى الصفاء القلبي والروحي مع الله ـ سبحانه وتعالى ـ بنـاء علـى أنّ «كتـاب التبليغ قرئ ليرتل، والترتيل من أقوى دواعي شرح الصدور، وتأليف القلـوب، وجـذب النفـوس إلى تقبّـل حقائق الإيمان والتجاوب معها، فهو يعرض الحقائق عرضا فنيـا مـشبعا بالجوالعـاطفي المناسـب لهـا، فتجـد مسـارها إلى القلوب والعقول، وتشق الدعوة بالترتيل طريقها إلى البصيرة والوجدان، فهـو أسـلوب فـني مـن أساليب فن القول، يوقظ الكيان الإنساني، فيتلقى التبليـغ في نـشوة غـامرة ورضـا واطمئنـان». [5] إنّـه ـ أي الترتيل ـ الطريق الأمثل الذي يقع به الإيصال ويتحدد التواصل. غير أنّ سؤالا يظهر على الـسطح، ليطـرح نفسه قبل أن ننهي الحديث عن هذه المرحلة الخطيرة؛ إذ كيف يأمر الله ـ عز وجلّ ـ رسوله بترتيل القرآن وهو

---

(1) أبوحامد الغزالي: إحياء علوم الدين ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت (د ت)، المجلد الأول ج 3 ص131.

(2) الزمخشري: الكشاف ج 4 ص 175.

(3) للاستزادة ينظر السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ص ص 162 ـ 163 وينظر الزركـشي: البرهـان في علـوم القـرآن، ج 1 ص 450 وينظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج 7 ص 142 والزمخشري: الكشاف، ج 4 ص 175 سيد قطب: في ظلال القـرآن، المجلد 6 ج 29 ص 3744.

(4) صلاح الدين عبد التواب: الصورة الأدبية في القرآن الكريم ص 81 .

(5) إحسان عسكر: وظائف التبليغ القرآني ص 186.

سبحانه لم ينزّله بعد؟ وبتعبير آخر هل الترتيل سابق للإلقاء من منطلق قول الله تبارك وتعالى: ﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ (المزمل ـ الآيتان 4 ـ 5).

من حكمته سبحانه وتعالى أنّه يقدّر الأمور جلّيلها ودقيقها، فكل شيء عنده بمقدار، وتأسيسا عليه فإنّه يهيئ رسوله المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لتلقي هذا القول الثقيل، ويعدّه إعدادا روحيا لقبول هذا الأمر الجلّيل، الذي له هيبة وروعة وجلّال؛ لأنّه كلام عظيم قدير، فكان القرآن عظيما لقدره، ولما يحمله من أوامر ونواه لا يعلم المبلّغ / المرسَل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كيف يبينها.

ـ الدعوة:

وفي أثناء رصدنا لمدلول كلمة الدعوة، وجدناها ترد اثنتي عشرة ومائتي (212) مرة، والمراد بها «محاولة الداعي استمالة الناس نحوهدف معين، وإقناعهم به إقناعا تطمئن إليه قلوبهم، وترضى عنه عقولهم، وتنشرح له صدورهم ويخالط وجدانهم، ويسري في مشاعرهم، ويمتزج بكيانهم، ويصبح إيمانا راسخا كي يتهيأ لهذا الإيمان أن يكون محركا لكلّ ما يصدر عنهم من فكر وعاطفة وسلوك، به يؤمنون، وبتوجيهه يعملون، وفي سبيله يبذلون، وعنه ينافحون، ومن أجلّه يستشهدون».[1] وهكذا يستشري الإيمان من القلب إلى الجوارح كلها.

ولما كانت الدعوة هي حسن الطلب، والتلطف فيه من الداعي حتى يتوجه المدعوإلى الله، ويعتمد عليه، ويطلب عونه ورحمته وهداه، تقدمت على التبليغ، وأصبحت مرحلة سابقة له، على اعتبار أنّ الدعوة إلى الإسلام عامة، تسبق تبليغ التعاليم بالتفصيل، إذن فهذه الدعوة تستلزم وجود داعية، لذلك سمي الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ داعيا؛ لأنه يدعوالناس إلى دين الحق، إلى عبادة رب الناس والترغيب إليه، فيعمل على نشر المنهج وتبليغه ومتابعته؛ لأنّه لب الدعوة وجوهرها في كلّ مكان وفي كلّ زمان، وبهذا تتحقق العملية التواصلية التي هي «فعل يقوم على نقل المعلومات من مصدر إلى هدف».[2]

ـ التبليغ:

أيضا فإنّ التواصل محكوم بلفظ التبليغ، الذي هو الآخر يسهم في تحقيق جوهر التواصل بشكل صريح ومباشر. وقد ورد في القرآن الكريم سبعا وسبعين (77) مرة، وكان في كل مرة دالا، يقصد من ورائه إما التوكيد أو الكفاية والانتهاء أو الإنذار. وهذا اللفظ مشتق من كلمة البلوغ والبلاغ. وبَلَغَ الشيءُ يَبْلُغُ بُلُوغاً وبَلاغاً: وصَلَ إليه وانْتَهَى، زمانا كان هذا الشيء أو مكانا أو غيرهما حسيا أو معنويا. وأَبْلَغَهُ هو إِبْلاغاً

---

(1) عبد الغني محمد سعد بركة: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجا، دار غريب ـ القاهرة ـ مصر ط 1، 1983 ص 14

(2-) نور الدين الملاخ: "مفاهيم في التواصل" ـ تاريخ النشر02 / 02 / 2005 http://www.aljamaa.com/ar/index.asp ص 3.

وبَلَّغهُ تَبْليغاً... وتَبَلَّغَ بالشيء وصَلَ إلى مُرادِه ... والبلاغُ الكفايةُ في التذكير والموعظة. والبلاغُ ما يُتَبَلَّغُ به ويُتوصَّلُ إلى الشيء المطلوب. والبلاغ ما بَلَّغك ... والإبلاغ والإيصال وكذلك التبليغ. ويقال أمر الله بَلْغ بالفتح؛ أي بالغٌ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ (الطلاق ـ الآية 3). وأمر بالِغٌ وبَلْغٌ نافذٌ، يَبْلُغُ ما أُريدَ به. والمبالغةُ أن تَبْلُغَ في الأمر جُهْدَكَ. ويقال بُلِغَ فلان أي جُهِدَ وأمر بالغٌ جيد. وحجة بالغة وحكمة بالغة؛ أي واصلة على نهايتها من القوة. والبلاغة الفصاحة. والبَلغُ والبِلْغُ: البليغ من الرجال، رجلٌ بليغ وبَلْغٌ وبِلْغٌ حَسَنُ الكلام فصيحُه يبلغ بعبارة لسانه كُنْه ما في قلبه، وقد بَلُغَ بالضم بلاغة؛ أي صار بليغا.[1]

قال عز وجلّ: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (إبراهيم ـ الآية 52) ؛ أي هذا القرآن، وما فيه من البيان، بلاغ من الله إليكم. والبلاغ بمعنى التبليغ، كما يكون المعنى لهم فيه كفاية وغنى ما أخبرناهم،[2] كما جاء البلاغ في القرآن بمعنيين؛ أحدهما الإيصال، فيكون اسما بمعنى الإبلاغ والتبليغ، والثاني الكفاية.

ويضيف الراغب الأصفهاني أنّ البلوغ والإبلاغ والتبليغ بمعنى: الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى، والوصول والإيصال والتوصيل إلى غاية مقصودة أو حد مراد، سواء كان هذا الحد أو تلك الغاية مكانا أو زمانا أو أمرا من الأمور المقدرة معنويا، وربما يعبّر به عن المشارفة عليه وإن لم ينته إليه؛[3] مما يعني أنّ التبليغ هو إيصال الحجة البالغة الواصلة إلى الحد النهائي تماما وكمالا في شقها المعنوي خاصة، ووصلها بالطرف الآخر حيث إنّ «البلاغة تقال على وجهين: أحدهما أن يكون الكلام بذاته بليغا، والثاني أن يكون بليغا باعتبار القائل والمقول له؛ وهو أن يقصد القائل أمرا ما فيورده على وجه حقيقٌ أن يقبله المقول له».[4]

فمفهوم التبليغ في القرآن مفهوم أكبر من أن يقال عنه إيصال تعاليم الإسلام إلى الناس فحسب، إنه يقتضي عرضا حسنا لهذه التعاليم؛ عرض فيه درجة عالية من النضج الفني والإجادة، وفيه ـ كذلك ـ تمام بيان كفاية لكلّ الأفهام حتى ينتهي إلى القلوب كلّها على أساس أنّ «البلاغة، هي الجدّ، وهي الجامعة لثمرات

---

(1) للاستزادة ينظر ابن منظور (أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب ج 8 ص 419 (مادة بلغ) وكذا معجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية ص 124 وما بعدها.

(2) للاستزادة ينظر البغوي (الحسين بن مسعود الفراء أبومحمد): معالم التنزيل ـ تفسير البغوي ـ تحق خالد العك ـ مروان سوار ـ دار المعرفة بيروت ط 2، 1987 ج 4 ص 177 وينظر عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي: زاد المسير في علم التفسير ج 7 ص 393.

(3) ينظر الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، تحق / صفوان عدنان داوودي، دار القلم ـ دمشق ـ الدار الشامية ـ بيروت ط 2 ـ 1997 ص 144 .

(4) المصدر نفسه ص 145.؟

العقل؛ لأنها تحق الحقّ، وتبطل الباطل على ما يجب أن يكون الأمر عليه، ثـم تحقيـق الباطـل وإبطـال الحـق لأغراض تختلف، واغراض تأتلف، وأمور لا تخلوأحوال هذه الدنيا منها من خير وشر، وإباء وإذعان، وطاعة وعصيان، وعدل وعدول، وكفر وإيمان».[1]

هكذا يتبدى لنا أس التواصل بمفاهيم تتجلّى في منظومته اللفظية التي ينطلق منها ومعها، وقد حفلت بكم هائل من المرامي التعبيرية، فإذا كان بعض الدارسين يعرّفون التواصل على أنّه كشف مـا جـاء في مـادة التبليغ وعرضها، وأنّه الإبلاغ والإعلام والإخبار؛ أي نقل خبر من طرف لآخر وإخباره به وإطلاعـه عليـه، وأنه يقصد من ورائه إحداث علاقة مع شخص أو شيء ما، كذلك يشير إلى فعل التوصيل إضافة إلى أنّه يعني التبليغ؛ أي توصيل شيء ما إلى شخص ما وإلى نتيجة ذلك الفعل، ويدلّ أيضا على الشيء الذي يتمّ تبليغـه والوسائل التقنية التي بها يتم التواصل،[2] أقول إذا كان التواصل يقوم بهذه المهمات كلها، فإنّا نراها مهمـات يؤديها التواصل، وليست تحديدا للمفهوم؛ ذلك أنّ الإيصال هو الإبلاغ الذي يـشترط وجـود بـلاغ ومبلّـغ ومبلَغ، ولا يشترط من هذا الأخير التجاوب سلبا أم إيجابا. في حين يشترط التواصل ما يشترطه الإيصال، إلا أنّه متعلق بوجود تجاوب من المبلَغ بل يؤكّده، حتى يحقّق وجوده ووجود النص أيضا، وإن كان حرا مخيرا بين قبوله أو التولي عنه، مما ينتج عنه «علاقة حوارية حرة بين فئات المجتمع المتعددة والمتباينة إيديولوجيا وطبقيـا، علاقة تتوخى بناء وعي بمنأى عن ضغط المؤسسات والأجهزة».[3]

- الصدع:

وحين نصل إلى قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾ (الحجر - الآية 94)، نلتقي بكلمة اصـدع الـتي تعـني امض لما أمرت. وقد وردت في القرآن مرة واحدة (01)، ولكنها دالة بما يكفي لأن تمنح المبلّغ المرسَل الإقدام والثبات والقوة والنفاذ، لتأدية هدف نبيل، وغاية سامية تستند إلى إعمال العقل، وتصديع القلوب في إيـصال الرسالة، كما هو مطلوب منه، إذ لوكان المرسَل المبلّغ - صلى الله عليه وسلم - يتواصل من أجلّ نفسه أو أجر ما... أو ما شابه ذلك لحق له أن يتواصل كما يشاء، أمّا وأنّه يتواصل لله وبأمره فكان لزاما عليـه أن يوصـل ويتواصل كما شاء الله ذلك.

إنّ الظاهرة الاتصالية من الأمور التي تزيد من ارتباط البلاغ بالمبلّغين، وتجدّد صلتها به، فتحقيق قيمة توصيلية إذن يقتضي نقل الخبر بشكل مؤثر، كون المستعار له في «فاصدع بما تؤمر» هو تبليـغ الرسـالة، وهـو

---

(1) أبوحيان التوحيدي: كتاب الإمتاع والمؤانسة ج 1 ص 101.

(2) Josette Ray – Debove et Alain Rey : Le petit Robert de la langue française 1982 p 135

(3) عمر مهيل: الخطاب الفلسفي للحداثة يورغن هابرماس - مجلة اللغة والأدب - جامعة الجزائر - قسم اللغة العربية وآدابها - العـدد العاشر ديسمبر 1996 ص 44.

عقلي، والجامع لهما التأثير، وهو ـ أيضا ـ عقلي، ولكونها أي الظاهرة الاتـصالية ـ كـذلك ـ عمليـة إخبـار وإعلام تهتم بنقل الخبر من مبلِّغ إلى مبلَّغ، فإنّها تهتمّ بتوضيح الخبر المنقول، والإبداع في التبليغ، وأحيانا حتى في الإلزام المادي والمعنوي، وهنا تظهر سيطرة الرسالة، وهيمنة المبلغ، ودونية الملتقي.(1)

هكذا فقد أمر الله رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يبلّغ رسالته، ويجهر بها، ويظهرها ويمضي فيما أمره، بل أمره أن يفرّق بين الحق والباطل، وأن يصرّح بجميع ما أوحى إليه، وأن يتبين كلّ ما أمر ببيانـه «وإن شقّ ذلك على بعض القلوب فانصدعت ، والمشابهة بينهما ـ أي المستعار والمستعار له ـ فيما يؤثره التـصديع في القلوب، فيظهر أثر ذلك على ظاهر الوجوه من التقبض والانبساط، ويلوح عليها مـن علامـات الإنكـار والاستبشار».(2) وبالتالي تجلّى مفهوم الصدع في إحـداث صـورة مـن صـور الاتـصال والتواصـل الفاعلـة والناجعة، فتسهل عملية الإيصال إلى المبلَّغين أكثر من التبليغ؛ لأنّ «التبليغ قد يصعب حتى لا يكون له تأثير، فيصير بمنزلة ما لم يقع، والمعنى الذي يجمعهمـا الإيـصال، لأنّ الإيـصال الـذي لـه تـأثير كـصدع الزجاجـة أبلغ»،(3) ومن هنا فهو لا يصل إلى منتهاه من روعة التأثير إلا بالصدع.

وبعد: فإنّه من الضروري بمكان فهم إشكالية التواصل في معناها الأنتولوجي، فالقول الـذي يـسمح بنشر بلاغ، أو بإعلان صحيفة إخبارية ـ مثلا ـ ليس إلا حالة خاصة من حالات التواصل في معنـاه العـام... فهو يحسن المشاركة في الشعور العام بالوضعية، وفي فهم الوجود ـ مع ـ الآخرين.(4) والمهـم في هـذا كلّـه أنّ التواصل هو التلفظ بقول أو خطاب أو نداء أو تقديم بلاغ أو التكلّم بالإشارة أو القيام بحركـة وغيرهـا مـن أشكال التواصل، التي تتّجه من المبلِّغ إلى المبلَّغ. وفي كلّ الأحوال، فإنّ هذا النوع من التواصل، لن يـصل إلى مستواه، ولن يبلغ مداه الدلالي ما لم يتوفر كلّ من المبلِّغ إلى المبلَّغ على السنن نفـسها، لتبليـغ الـبلاغ وتلقيـه حتى يحصل التفاهم بشكل عملي.

وبناء على ما سبق، يمكن القول: إنّ التواصل هو العملية الأساسية الفاعلة، الـتي بمقـدورها تحقيـق حلقة الوصـل بـين أطـراف قـال عـنهم عـــــزّ وجـلّ: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ

(1) نور الدين الملاخ: "مفاهيم في التواصل" تاريخ النشر 02 / 02 / 2005 http://www.aljamaa.com/ar/index.asp ص 1 .

(2) ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن ص 22.

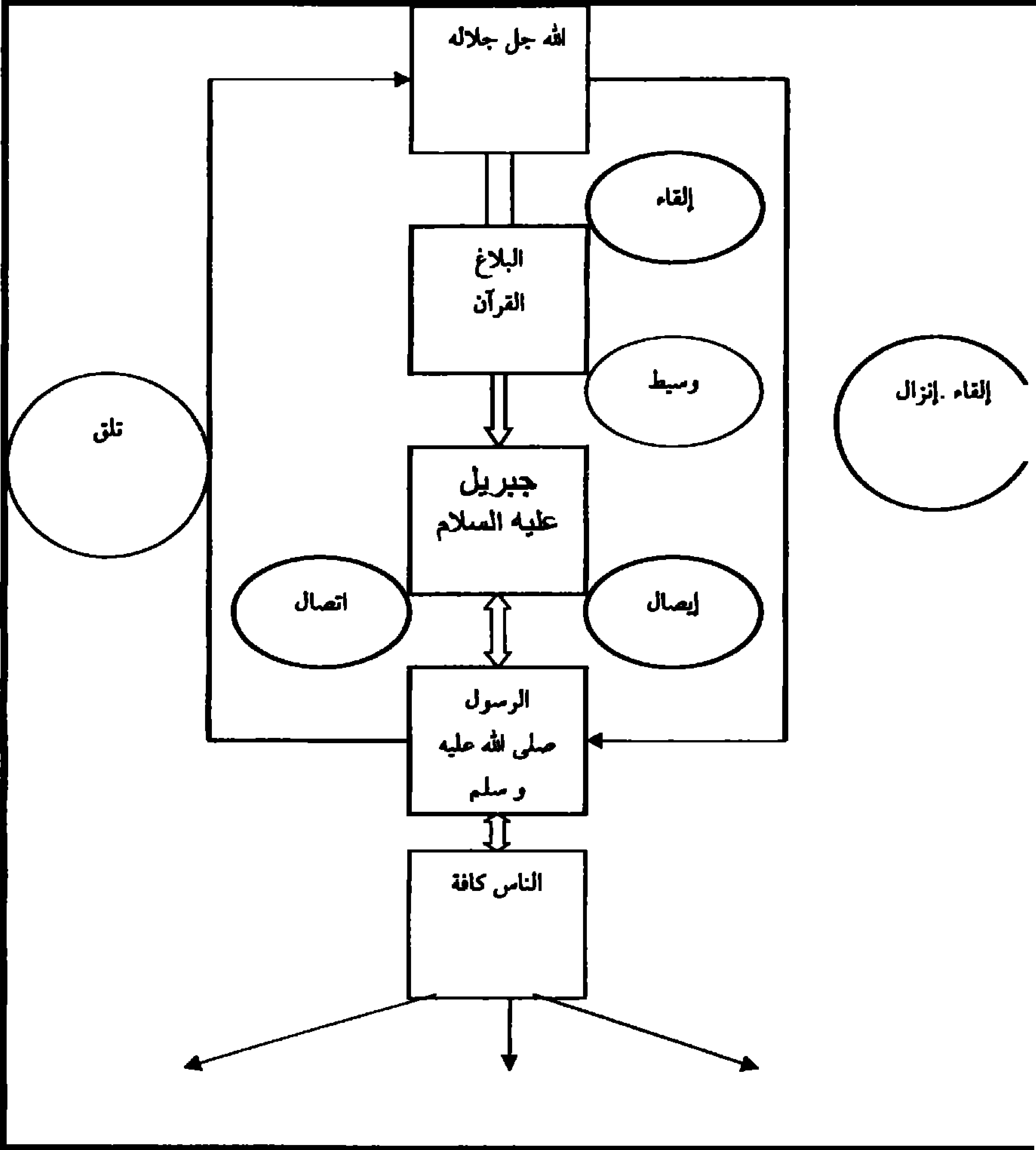
(3) صلاح الدين عبد التواب: الصورة الأدبية في القرآن الكريم ص 61.

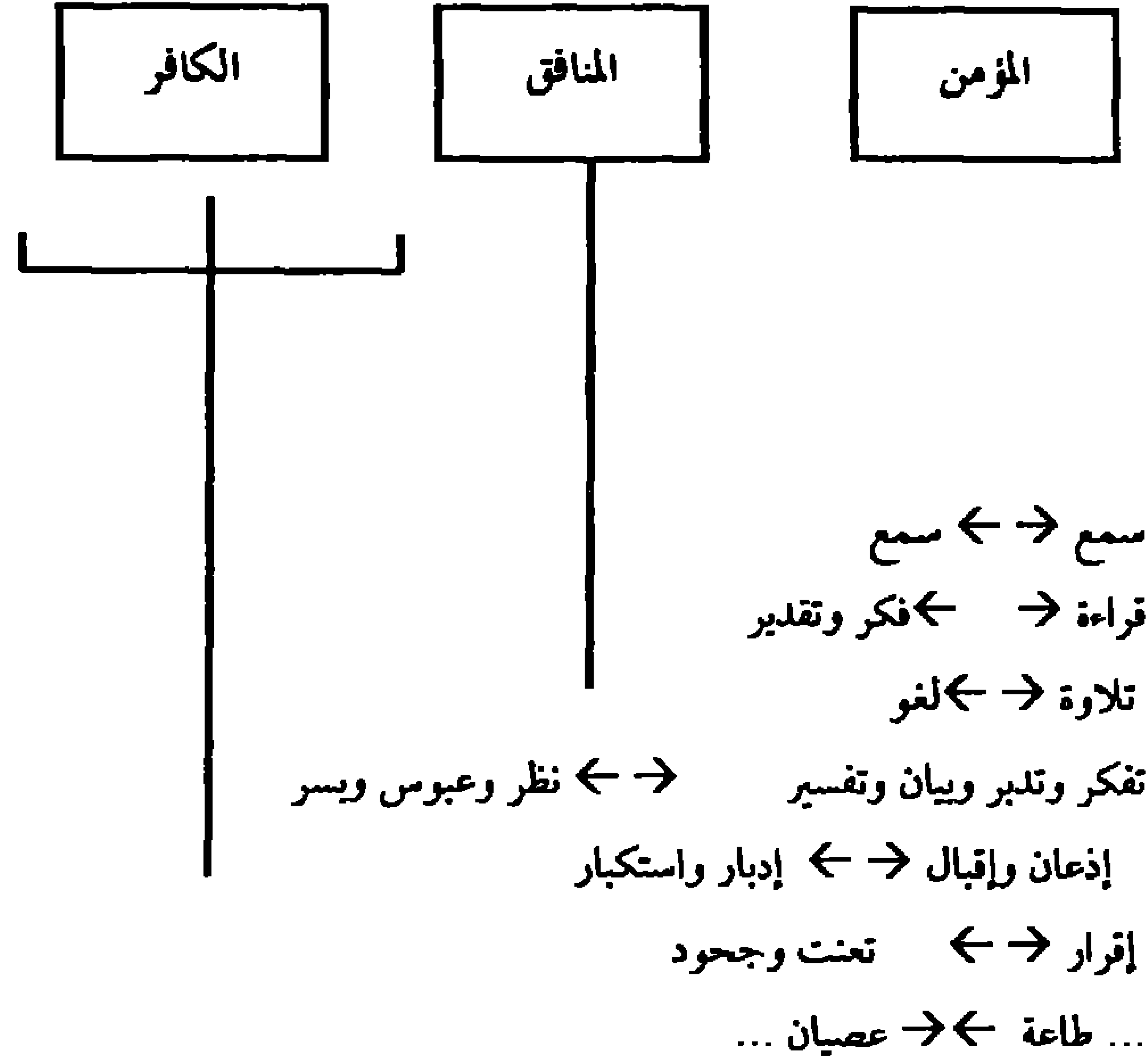
(4) Martin Heidegger: Etre et temps . Traduit de l'allemand par François Vesin ; d'après les travaux de R. Bouchem et A. de Waelhens. Editions Gallimard. Paris. P 162

مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (البقرة ـ الآية 213) ، وعليه فهو يتعدى حدود التحقيق والربط، إلى إعادة التحقيق وتجديد الربط كلّما انقطع حبل الوصل بين الناس بعضهم مع بعض، وبين الناس ورب الناس.

إنّ السؤال الذي يطرح نفسه علينا هنا: هو لماذا وظّف القرآن كل هذه المواد وبصيغ مختلفة؟ خاصة وأنّ "مرسلين" و"مرسلو" و"مبعثون" مثلا ليست كأرسل أو يرسل أو رسول أو مرسل فما قيمة هذه الصيغ وما دلالتها في القرآن؟

عملية التواصل





تصديق وإيمان

تكذيب وكفران

﴿ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ (البقرة ـ الآية 285).

﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ (البقرة ـ الآية 93)

النتيجة: شعور بالأمان وفوز بالجنان

النتيجة: الخزي والهلاك والعذاب

الفصل الثاني
معجم ألفاظ التواصل

1. إشكالية التواصل
2. معجم ألفاظ التواصل
3. دراسة وتحليل لمعجم ألفاظ التواصل

الفصل الثاني
معجم ألفاظ التواصل

1. إشكالية التواصل:

ممّا لا مشاحة فيه أنّ القرآن في كلّ آية من آياته يطرح جملة من القضايا المخصوصة، حتى يتدبّرها أولوالألباب. والذي يتمعّن في القرآن الكريم يجد حشدا من الصيغ، من أسماء وأفعال ومشتقات، تغلّف الطابع العام للبلاغ بكلّ فنون التواصل الذي يمارس وظائفه عبر كلّ صوره. حيث تتردّد في كتاب الله ألفاظ أخرى كثيرة، عدا التي أشرنا إليها سابقا، توسّع من مفهوم التواصل، وتشكّل المفهوم المفتاح له، إذ ليس الإلقاء أو الإنزال أو البيان أو القراءة أو التلاوة أوالترتيل أو الدعوة أو التبليغ أو الصدع... وغيرها بمحدد للتواصل وحدها، وإنّما تتنزّل جميعها ضمن كلّ أشمل، وفق وعي تام بمدلول كل واحد منها، وعلاقته بغيره، على اعتبار أنّ التنقيب عن استراتيجية التواصل في البلاغ القرآني يعد الإشكال الرئيس الذي جعل كلّ هذه الألفاظ تتبوأ منزلة خطيرة في البحث، حتى لتعدّ التربة الكريمة التي نمت فيها العملية التواصلية، فأنبتت منظومتها على أساس القرآن بوصفه إعجازا يعرض من القضايا، ويطرح من التساؤلات، ما يشغل القلوب جميعها.

فما مدى تناسب هذه الألفاظ وانسجامها مع بعضها في تحقيق مفهوم للتواصل؟ وما هو الضابط لها، خاصة أنّها تبدو مترادفة قابلة لاستيعاب دلالات مختلفة؟

ونحن نحاول الاقتراب من فهم أكثر لتحديد مفهوم للتواصل، ألفينا تعالقا متفردا لم يسبق إليه، بين الألفاظ التي تشير إلى التواصل ـ بوصفها مصطلحات تحمل قضايا قائمة بذاتها ـ وبين الآية أو السورة بوصفهما نصا مكتملا. كما وجدنا أنّ قيمة كلّ لفظ تبدّت في وروده في تعبيرات متسقة اتساقا كاملا مع المعنى، استحالت بعدا معرفيا يتطلب تدبرا متميزا؛ لأنّ اللفظ الواحد تتعاقب عليه صناعة الكلام، فيصاغ بأساليب تبرز خصوصيته وتفرده عن التعبيرات الأخرى التي يرد فيها.

والألفاظ الدالة على ذلك وعلى التواصل بالتحديد، كثيرة، والشواهد أكثر، على أساس أنّ المعجم القرآني بلغ ذروته، حينما فرّق بدقة متناهية بين الألفاظ؛ فلفظ بعث وأرسل، ورتل وتلا، وقال وكلّم، وأخبر وأنبأ وحدّث، وجاء وأتى، ونطق ولفظ، وألقى وقذف، وذهب وقصد، وأخذ وحمل... معناهما واحد، ولكن القرآن يستعمل بعث مثلا للإشارة إلى أنّه عز وجلّ أرسله وحده، ويستعمل بعث به للإشارة إلى أنّه ـ سبحانه ـ أرسله مع غيره كقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ﴾ (الجمعة ـ الآية 2) ، أما أرسل فهي تدل على التوجيه مع متابعة، على أساس أنّ الرسول معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه، كقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ (التوبة ـ الآية 33). وكذلك الشأن بالنسبة إلى رتّل التي تعني الترسّل في القراءة والتمكين والتبيين، ويتمّ ذلك بأن يبيّن المرتّل جميع الحروف، ويوفّيها حقها من الإشباع، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ (الفرقان ـ الآية 32) ، ولما كان الأمر كذلك؛ أي أنّ الله أتى به شيئا بعد شيء، ورتّله ترتيلا بتمهل وتؤدة، لتيسير فهمه وحفظه، أمر عباده المرتلين بترتيله فقال: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴾ (المزمل ـ الآية 4). في

حين أنّ التلاوة تتطلب من التالي أن يتّبعه حق اتباعه، ويعمل به حقّ عمله مصداقا لقوله عـز وجـلّ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ (البقرة ـ الآية 121) ، وإن قيل: التلاوة أفضل أم الذكر؟ قلت: إذا تلوتَ خاطبك الله عـزّ وجـلّ، وإذا ذكرتـه فأنـتَ تخاطبُه.(1)

وإذا ما حاولنا البحث عن الفروق الدقيقة بين لفظتي القول والكلام، وجدنا أنّ الأولى تدلّ على الكـلام علـى الترتيـب، وهو كل لفظ قال به اللسـان تاما كان أو ناقصا. وبمفهوم آخر هو الألفاظ المفردة التي يبنى الكلام منهـا، ومـن ثمـة فهـو متـضمن في الكلام، وبهذا كان الكلام مكتفيا بنفسه، ومن أدلّ الدليل على الفرق بين القول والكلام إجماع الناس على أن يقولـوا القـرآن كـلام الله ولا يقولوا القرآن قول الله؛ وذلك أنّ هذا موضع ضيق متحجر لا يمكن تحريفه، ولا يسوغ تبديل شيء من حروفه، فعبّر لـذلك عنه بالكلام الذي لا يكون إلا أصواتا تامة مفيدة(2) ولهذا غالبا ما تأتي لفظة الكلام لصيقة بقائلـها، كقولـه تعـالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة ـ الآيـة 75) ، وقولـه تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة ـ الآيـة 6) ، وأيـضا قولـه تعـالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الفتح ـ الآية 15). أما لفظة القول فمتصلة بما يأتي بيانه كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الزمر ـ الآية 18) ، وغالبا ما تستعمل لفظة القول في معنى الحكم، ومثل ذلك قوله تعـالى: ﴿ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴾ (النمـل ـ الآيـة 85) ، كذلك فإنّ القول يستعمل على خمسة أوجه حسب ما يذهب إليه الفراهي في مفردات القرآن:

1- قول مسموع.

2- وقول بالسر، قال تعالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ (الرعد ـ الآية 10).

3- وإيماء من غير تكلم، قال تعـالى: ﴿ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ (مريم ـ الآيات من 26 إلى 29).

4- وحديث في النفس من غير كلام مرتب بالحروف، وذلك بإحضار المعنى الذي يحضر قبل الكلام، ومن ذلـك قولـه: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ

---

(1) علم الدين السخاوي (أبوالحسن علي بن محمد): جمال القراء وكمال الإقراء، تحق/ عبد الكـريم الزبيـدي، دار البلاغـة ـ بيروت ـ ط 1 ـ 1993 ج 1 ص 270.

(2) ينظر ابن جني: الخصائص ج 1 ص 18 وابن منظور: لسان العرب، مادتي (كلم) و(قول).

﴿ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (آل عمران ـ الآية 154).

5- وإشارة عامة، سواء كانت بفعل أم بلسان حال، كما جاء في الحديث: «وقال بيده كذا»، وهو كثير، ومنه ما رواه البخاري في كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، عن أبي هريرة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: «يُقبض العلم، ويظهر الجهلُ والفتنُ، ويكثر الهرجُ» قيل: يا رسول الله وما الهرج ؟ فقال: هكذا، بيده، فحرّفها، كأنه يريد القتل.[1]

ويحدّد ابن خلدون مفهوما دقيقا للكلام، فهو من منظوره «العبارة والخطاب»؛[2] أي ما يركّبه المتكلّم من أقوال من أجل الإفادة، ممّا يقتضي أسبقية الكلام للقول، فالكلام سابق إذا للقول الذي هو تركيب الأصوات حروفا ملفوظة ومسموعة.[3]

بينها في المعنى، لا يفصل بينها سوى اقتفاء أثر ورودها في آي الذكر الحكيم، فقوله تعالى: ﴿ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴾ (التوبة ـ الآية 94) يشير إلى أنّ نبّأ هنا هي أليق من خبّر، من منطلق أنّ النبأ خبر عن الله عزّ وجلّ، وهو مأخوذ من النبوة والنباوة للدلالة على شرفه وعلوه، كما يدلّ النبأ على الخبر ذي الشأن والقصة ذات البال، وبتعبير الراغب الأصفهاني: خبر ذو فائدة عظيمة، يحصل به علم أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر.[4] والنبأ قد يكون عن الماضي كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ (إبراهيم ـ الآية 9)، وقد يكون عن الآتي مثل قوله تعالى: ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنعام ـ الآية 67)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴾ (ص ـ الآية 88) أما الخبر فيدل على السريرة والحال، وهو أيضا الكلام الذي يفيد به المتكلم السامع واقعة من الوقائع.[5] أما الحديث فهو الخبر يأتي على القليل والكثير كقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴾ (البروج ـ الآية 17)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ (النازعات ـ الآية 15)، ومثله قوله ـ تعالى ـ ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (التحريم ـ الآية 3)، وقوله ـ جل جلاله ـ ﴿ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴾ (الطور ـ الآية 3)، وكذلك قوله ـ تبارك وتعالى ـ ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ (الزمر ـ الآية 23)،

---

(1) الفراهي (عبد الحميد): مفردات القرآن ـ نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية ـ تحق / محمد اجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ط 1 ـ 2002 ص ص 371 ـ 372.

(2) ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ الطبعة الثانية 1979 ص 1116.

(3) بناني محمد الصغير: البلاغة والعمران عند ابن خلدون ـ دراسة تحليلية للمبادئ اللسانية والبلاغية والعقيدية التي تحدد العلاقة بين اللغة والمجتمع ـ ديوان المطبوعات الجامعية ـ الجزائر ـ 1996 ص 122.

(4) الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن ص 788.

(5) مجمع اللغة العربية: معجم ألفاظ القرآن الكريم ص 332.

وقوله: ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف ـ الآية 185). فكلّ كلمة تحمل معنى خاصا معينا، لا تحمله الكلمة الثانية، ولو غيّرنا مثلا أرسل يبعث في قوله عز وجلّ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ (الصف ـ الآية 9) لما سدت مسدها في هذه الآية، وكذلك قوله ـ تعالى ـ ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ (العنكبوت ـ الآية 48) ، فكلمة تتلو أنسب وأحسن من التعبير بـ "تقرأ" لثقلها بالهمزة. بل إنّ وقع كلمة أرسل أو تتلو في الآيتين السابقتين أو بلّغ في قوله ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (المائدة ـ الآية 67) يختلف باختلاف الكلمات الأخرى التي وضعت بينها وفي سياقها الملائم، فمثل هذه الكلمات صارت ألفاظا محددة للمعنى الذي وردت فيه، ومحددة للتواصل؛ لأنها بكلّ بساطة مترافقة معها.

فكل هذه الألفاظ ذات مزية استحالت إلى قضية قائمة بذاتها، شغلت بال الدارسين؛ إنها التواصل. إنّ هذه الألفاظ اكتسبت دلالاتها الدقيقة بحسب موقعها في الآية، وهي في جوهرها ألفاظ دالة، لا تعمل في فراغ، وإنّما تزداد دلالتها وتتحدّد أكثر عندما تتفاعل مع أنماط التراكيب الملائمة للهدف المنشود، مثل كونها فعلا، أو فاعلا، أو مفعولا، أو حالا، أو تمييزا، أو مضافا، أو تجيء على وزن مخصوص، أو صيغة ما كتأكيد الفعل بالمصدر زيادة في الإيضاح والبيان كما جاء في قوله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴾ (الإنسان ـ الآية 23) ، وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ (المزمل ـ الآية 4) ، وقوله عز من قائل: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ (النساء ـ الآية 164).

أو ذكر المصدر بدل اسم الفاعل للمبالغة في قوله سبحانه: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة ـ الآية 97) ؛ أي هاديا ومبشرا.

أو كاستعمال صيغة الماضي المفيدة للوقوع كقوله عزّ من قائل: ﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾ (طه ـ الآية 13) ، وكذا قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَٰتِ رَبِّى ﴾ (الأعراف ـ الآية 93) ، فالفعل أبلغتكم هو من الأفعال الماضية، الدالة على أخبار الأولين من الأنبياء المرسلين.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (البقرة ـ الآية 119 / فاطر ـ الآية 24). وكذلك اصطفينا واصطفيتك على سبيل المثال لا الحصر في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (آل عمران ـ الآية 151) ، وقوله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (فاطر ـ الآية 32) ، ولم يقل سنرسلك أو سنصطفيك، وإن قال في مقام آخر ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (المزمل ـ الآية 5) ، وقوله تعالى: (سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ) فالسين هنا تدل على الزمنين؛ القريب والبعيد.

واستعمال صيغ المضارع للدلالة على التجدّد والاستمرار، كقوله تبارك وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ (البقرة ـ الآية 121) ، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (المائدة ـ الآية 83) ، وقوله عز من قائل: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟

﴿عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ (القصص - الآية 59)، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ (الأحزاب - الآية 39)، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى - الآية 51)، فالفعل يكلّم أو يرسل أو يوحي تدل على حقيقة ثابتة، وقد تجردت من قرائن زمن الاستقبال.

أو استعمال صيغ المضارع لحكاية الحال الماضية، باستحضار صورتها في الذهن مثلا، كقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ (الأحزاب - الآية 37)، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ (المائدة - الآية 67)، الذي يشير إلى انّ الحدث لا يقع في زمن خاص.

وكذا توظيف صيغة الجمع الدالة على التعظيم والتكريم والتشريف، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ (النحل - الآية 36)، وقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الفتح - الآية 8 / الأحزاب - الآية 45) وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ (النساء - الآية 105).

وإذا جئنا إلى قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الشعراء - الآية 16)، وجدنا صيغة رسول في المفرد، ولم يقل رسلا أو رسولي، لأنّ فعول يستوي فيها المذكر والمؤنث والواحد والجمع.

وكثيرا ما نجد الإضافة كما جاء في قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (البقرة - الآية 23)، فالإضافة هنا للتشريف والتخصيص، وهذا أشرف وصف له - عليه الصلاة والسلام - وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ (الأنفال - الآية 41)، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة - الآية 61)، فقد أبرز الله - تبارك وتعالى - اسم الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولم يأت به ضميرا، فلم يقل يؤذونه تعظيما لشأنه - صلى الله عليه وسلم - وجمع له بين الرتبتين العظيمتين [النبوة والرسالة]، وإضافته إليه زيادة في التكريم والتشريف. ومن بديع صنيعه أن أضاف الاسم الجليل إلى عباده تلطفا معهم في الدعوة في قوله عز وجل: ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ (الزمر - الآية 55)، أو استعمال التنوين والتنكير والتعريف للتفخيم والتكثير كقوله: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ (الأنعام - الآية 34)، وقوله: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ (الأنعام - الآية 130)، أي رسل عظام ذوو عدد كثير، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ (البقرة - الآية 101)، فالتنكير هنا للتفخيم، وقد جاء وصفا للرسول - صلى الله عليه وسلم - على أنه آت من عند الله لإفادة مزيد التعظيم له، أو تعريفه بالعلمية لإحضاره بعينه في ذهن السامع ابتداء باسم يختص به ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ (الفتح - الآية 29)، أو خطابه بلفظ الرسالة للغرض نفسه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ (المائدة - الآية 67).

كما أنّ صياغة اسم الفاعل في المعنى غير صياغة صيغ المبالغة أو الصفة المشبهة مثلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ (الطلاق - الآية 3)، أو قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ (النور - الآية 54)، فهنا أطلق الله سبحانه المصدر البلاغ، وأراد به التبليغ للمبالغة.

كما أنّ زنة فعّل بالتضعيف تختلف عن أفعل، حيث تدل أنـزل ونـزّل في قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ (آل عمران ـ الآيتان 3 – 4) ، أنّ القرآن أُنزل في ليلة القدر جملة واحدة إلى السماء الدنيا... وكان الله ينزّله على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعضه في أثر بعض، كما روي ذلك عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أو أنّ القرآن أُنزل جملة واحدة حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا، ونزّله جبريل ـ عليه السلام ـ على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بجواب كلام العباد وأعمالهم كما روى ذلك الطبراني والبزّار.[1]

هكذا فقد استعمل القرآن صيغة فعّل بالتشديد للمبالغة والتكثير، إذ لمّا كان نزول القرآن منجّما، كان أكثر تنزيلا عن غيره، لتفرّقه في مرات عديدة، فعبّر عنه بصيغة مطابقة لكثرة تنزيلاته، وعبّر عن الكتابين بصيغة أفعل، ومن ثمة فقد اتّسمت نـزّل بالخصوصية التي تدلّ على أنّها خاصة بالله ـ جلّ وعلا ـ أمّا أنزل فتدل على العموم والشمول والإطلاق.[2] وكذلك وصّلنا التي تشير بدورها إلى المبالغة والتكثير وأنّ توصيله خاص به ـ عز وجلّ ـ لذلك أتى بعبارة مطابقة لقصد الخصوصية في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥١ ﴾ (القصص ـ الآية 51) ، وأردف ذلك بصيغة الجمع زيادة في التكريم والتعظيم.

أمّا إذا جئنا إلى قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ (العلق ـ الآيات من 1 إلى 5) ، فإنّ تكرار مثل هذه الأفعال، التي تحمل مدلول التواصل خاصة، قد وظّف لمزيد الاهتمام بشأن القراءة والعلم، وتوصيل حقائق، وقد زاد ـ أي التكرار ـ اللفظ فصاحة وحسنا، وزاد المعنى توكيدا وتمييزا لمدلوله وتتميما له وتكميلا للمدح...

هكذا يتضح أنّ هذا النوع من البلاغ التواصلي يتحدد من جهتين على الأقل: جهة الإعراب، وجهة التصريف، لما لهما من مزية وفضل في قراءة البلاغ، وفك ما استغلق فيه؛ إذ لا يمكن فهم مثل هذه الصيغ بوصفها أصواتا فقط وإنّما لأنّها تفهم من معنى المعنى.[3]

(1) ينظر السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ص 64.

(2) للاستزادة ينظر الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ج 1 ص411.

(3) ابن فارس (أحمد): الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها ـ تحقيق السيد أحمد صقر، ط مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة، (د. ت) ص ص 68 ـ 69 .

2. معجم ألفاظ التواصل*:

معروف أن عدد سور القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة، وجميع آيه ستة آلاف ومائتا آية وست ثلاثين، فكان من الطبيعي أن يضم هذا الكم الهائل من السور والآي عدد ضخما من الكلمات، التي عدّها العلماء فوجدوها سبعة وسبعين ألف كلمة وتسعمائة وأربعا وثلاثين كلمة. وقيل: وأربعمائة وسبع وثلاثون، ومائتان وسبع وسبعون، وقيل: غير ذلك؛ لأنها متراوحة بين لفظ ورسم وحقيقة ومجاز.(1)

ولأنّ القرآن بلاغ الله الذي أحكم آياته، فقد أودع فيه ألفاظا تنزلت منزلة الفريدة من حبّ العقد وكانت كلّها بمنزلة الجوهرة التي لا نظير لها، وهي ليست كذلك إلا عندما وضعت في نظم بديع منحها قوامها، وجميعها دالة على التواصل بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وأيا كان نوعها؛ إسما، أو فعلا أو حرفا. وآيات القرآن جميعها شاهدة على ذلك ودليل. وعليه سنحاول جهدنا ذكر أغلبها من خلال سياقاتها التي وردت فيها ومعانيها المستقاة من كتب التفسير والمعاجم.

(*) معاني الألفاظ مأخوذة من بعض كتب التفاسير، كتفسير القرطبي والجلالين لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي وبعض المعاجم كمفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني والقاموس الوجيز لمعاني كلمات القرآن الكريم لحسن آل عصفور، أما ترتيب الألفاظ فمأخوذ من المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

(1) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ص 108.

اللفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
أ	﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ (140) البقرة	استخبار على سبيل التقرير للتبكيت	−	−	+	+	−
أبَ	﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ (38) يوسف	الجد السلف الصالح	+	−	−	−	+
أبَ	﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ ﴾ (80) يوسف	الوالد	+	−	−	−	+
إبراهيم	﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾ (4) الممتحنة	نبي الله	+	−	−	+	−
أبى	﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾ (56) طه	رفض	+	+	−	+	−
أتى	﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى ﴾ (87) الحجر	أعطيناك وأرسلناك	+	+	−	+	−
أتى	﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (1) النحل	دنا وقرب	+	+	−	+	−
أتى	﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ (93) مريم	الإقرار والطاعة	+	+	−	+	−
أثر	﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (9) الحشر	يفضلون	+	+	−	+	−
أثر	﴿ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى ﴾ (84) طه	لاحقون بي	+	−	−	−	+
أثم	﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ (37) الشورى	الشرك	+	+	−	+	−
أجر	﴿ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (179) آل عمران	ثواب	+	+	−	+	−

اللفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
أجلٌ	﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ (34) الأعراف	وقت	+	−	−	−	+
أحد	﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ (7) البلد	الله تعالى	+	−	−	+	−
أخذ	﴿ فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (144) الأعراف	اقبل واقنع بما أعطيتك	+	+	−	+	−
أخذ	﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ (43) الفرقان	اختار	+	+	−	+	−
أخذ	﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ ﴾ (25) العنكبوت	عبدتم	+	+	−	+	−
أخذ	﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ (87) مريم	اعتقد وشهد أن لا إله إلا الله	+	+	−	+	−
أخر	﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ (13) القيامة	آخر أعماله	+	+	−	+	−
أخر	﴿ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ (19) هود	القيامة	+	+	−	+	−
أخو	﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ (103) آل عمران	في الدين والولاية	+	+	−	+	−
آدم	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (33) آل عمران	أبو البشرية وأول الأنبياء	+	−	−	+	−
إدريس	﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ (56) مريم	نبي الله	+	−	−	+	−
أدى	﴿ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ﴾ (18) الدخان	قوموا بواجب الطاعة	+	−	−	+	−
أذن	﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (44) الأعراف	نادى مناد	+	−	−	+	−

لفـــــظ التواصل	الشاهد الآية_رقمها_السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ.مباشر
اذن	﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ﴾ (62) النور	طلب الرخصة والسماح بها	+	–	–	+	–
اذن	﴿قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ (47) فصلت	اعلمناك واخبرناك	+	–	–	+	–
اذن	﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ (179) الأعراف	الجارحة	+	–	–	+	–
اذن	﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (38) الرعد	بامر الله وعلمه	+	–	–	+	–
اذي	﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ (61) التوبة	يحصون ويشتمون	+	–	–	+	–
اذي	﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾ (263) البقرة	منّ	+	–	–	+	–
ارض	﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ (46) الحج	ما حل بالأمم المكذبة لرسلها	+	–	–	–	+
ازّ	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ (83) مريم	تهيجهم وتغريهم بالمعاصي	+	+	–	+	–
اسباط	﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ (136)البقرة	نبي الله	+	–	–	+	–
إسحاق	﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ (49) مريم	نبي الله	+	–	–	+	–
اسف	﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (55) الزخرف	اغضبونا	+	+	–	+	–
إسماعيل	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ (163) النساء	نبي الله	+	–	–	+	–

اللفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
أسوة	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (21) الأحزاب	قدوة	+	+	−	+	−
أصل	﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ (205) الأعراف	ما بين العصر والمغرب	+	−	−	−	+
أف	﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ (67) الأنبياء	كلمة تضجر	+	+	−	+	−
أفق	﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ ﴾ (53) فصلت	أقطار السموات والأرض	+	−	−	−	+
أفك	﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ (17) العنكبوت	عبادة الأصنام	+	+	−	+	−
أفك	﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ (11) النور	قذف المحصنات	+	+	−	+	−
أكل	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ﴾ (130) آل عمران	تتعاطوا	+	+	−	+	+
أكل	﴿ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾ (161) النساء	أخذ الأموال ظلما بغير حق	+	+	−	+	+
إلى	﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ (85) الأعراف	أرسلنا حرف دال على الإيصال	−	−	+	+	−
ألف	﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ (63) الأنفال	جمع	+	+	−	+	−
ألف	﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ (1) قريش	الإلف والاعتياد	+	+	−	+	−
ألك	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ﴾ (1) فاطر	عباد الرحمن	+	−	−	+	−
ألم	﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (10) البقرة	موجع	+	+	−	−	+

اللفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
إلياس	﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (123) الصافات	نبي الله ورسوله	+	-	-	+	-
أمر	﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ (40) يوسف	الأمر بعينه	+	+	-	+	-
أمر	﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (71) التوبة	يرشدون ويحظون	+	+	-	+	-
أمر	﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ (1) النحل	القيامة، فرائض القرآن وأحكامه	+	+	-	+	-
أمر	﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ (5) السجدة	الوحي	+	+	-	+	-
أمر	﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ (71) الكهف	منكرا فظيعا	+	+	-	+	+
أمل	﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (46) الكهف	ما يرجوه الإنسان من ربه	+	+	-	+	+
أمّ	﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ (52) المؤمنون	ملة	+	-	-	-	+
أمّ	﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ (73) الأنبياء	قادة في الخير	+	+	-	+	-
أمّ	﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ (9) القارعة	فمأواه ومقره	+	-	-	-	+
أمّ	﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ (71) الإسراء	صحيفة الأعمال	+	-	-	+	-
أمّ	﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ (12) يس	اللوح المحفوظ	+	-	-	+	-
أمّ	﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾	التوراة	+	-	-	+	-

لفــــظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	(12) الأحقاف						
إمام	﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (79) الحجر	الطريق الواضح المستبين	+	−	−	−	+
أمن	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (136) النساء	إقرار باللسان والقلب والعمل	+	+	−	+	−
أمن	﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ (143) البقرة	صلاتكم إلى بيت المقدس	+	+	−	+	−
أمن	﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ (283) البقرة	الذي توضع عنده الأمانة	+	+	−	+	−
أمي	﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾ (158) الأعراف	الذي لا يقرأ ولا يكتب	+	−	−	+	−
أمي	﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ (2) الجمعة	العرب	+	−	−	+	−
أنا	﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۝١٤﴾ (14) طه	دال على المتكلم المخاطب	+	−	−	+	−
أنت	﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ۝٤٢﴾ (42) طه	دال على المخاطب	+	−	−	+	−
أنث	﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا﴾ (117) النساء	أصناما	+	−	−	+	−
أهل	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ (64) آل عمران	قراء التوراة والإنجيل	+	−	−	+	−
أهل	﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ (35) النساء	القوم والعشيرة	+	−	−	+	−
أوب	﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝٣٢﴾ (32) ق	دائم الرجوع إلى الله	+	+	−	+	−

اللفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
اول	﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ (6) يوسف	تعبير الرؤيا	+	+	−	+	−
اول	﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ (14) الأنعام	اول من آمن بالله من أهل مكة	+	−	−	−	+
اولاء	﴿ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ (78) النساء	دال على المخاطَبين	+	−	−	+	−
اولئك	﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾ (5) البقرة	دال على المخاطَبين	+	−	−	+	−
اوه	﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ۝ ﴾ (114) التوبة	كثير التطوع والخشوع	+	+	−	+	−
اوي	﴿ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ (74) الأنفال	ضموا	+	+	−	+	−
اوي	﴿ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ (50) آل عمران	العلامة والمعجزة	+	−	−	+	+
اوي	﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ۝ ﴾ (99) البقرة	القرآن	+	−	−	+	−
اوي	﴿ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (15) العنكبوت	العبرة	+	−	−	+	−
اي	﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ (185) الأعراف	للاستخبار	−	−	+	+	+
إي	﴿ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ (53) يونس	نعم	+	−	+	+	−
إياك	﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ (5) الفاتحة	دال على المخاطَب	+	−	−	+	−

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
أيد	﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ (13) آل عمران	يقوي	+	+	−	+	−
أيك	﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ۝﴾ (78) الحجر	البقعة الكثيفة الشجر	+	−	−	−	+
أين	﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ (115) البقرة	حيثما	+	−	−	-	+
أيها	﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (31) النور	دال على المخاطَبين	+	−	−	+	−
أيوب	﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ﴾ (163) النساء	نبي الله	+	−	−	+	−
ب	﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ (105) الإسراء	الأولى مع الحق والثانية بمحمد	−	−	+	−	+
بأس	﴿فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ۝﴾ (12) الأنبياء	عذابنا	+	+	−	+	−
بأس	﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ (36) هود	لا تحزن	+	+	−	+	−
بتل	﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ (8) المزمل	تفرغ للعبادة	+	+	−	+	−
بحر	﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ (103) المائدة	الناقة تشق أذنها وتترك للأصنام	+	−	−	+	−
بخس	﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ (85) الأعراف	تنقصوا	+	+	−	+	−
بخع	﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾	قاتلها ومهلكها	+	+	−	+	−

لفـــظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	(6)الكهف						
بخل	﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ﴾ (24)الحديد	الامتناع عن ما أوجب الله	+	+	−	+	−
بدل	﴿ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (11) النمل	التغير	+	+	−	+	+
بدل	﴿ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾ (28) الإنسان	الإهلاك	+	+	−	+	−
بدل	﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ ﴾ (101)النحل	النسخ	+	+	−	+	+
بدل	﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (108) البقرة	الاختيار	+	+	−	+	+
بدل	﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (70) الفرقان	التحويل من حال إلى حال	+	+	−	+	−
بدو	﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ﴾ (271) البقرة	تظهروا وتبينوا	+	+	−	+	−
برّ	﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ ﴾ (14)مريم	كثير بذل الخير والإحسان	+	+	−	+	−
برز	﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ (48)إبراهيم	خرجوا من القبور للحساب	+	+	−	−	+
برق	﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ ﴾ (7) القيامة	فزع وبهت الشخوص	+	+	−	+	−
برم	﴿ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (79) الزخرف	أحكموا	+	+	−	+	−

لفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
برهن	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (174) النساء	حجة	+	+	-	+	-
برهن	﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ ﴾ (32) القصص	آيتان معجزتان	+	+	-	+	-
بسر	﴿ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴾ (22) المدثر	كلح وجهه واسود	+	+	-	+	-
بسط	﴿ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ (36) سبأ	يفتح وينشر ويوسع	+	+	-	+	-
بسط	﴿ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ (2) الممتحنة	يمدوا	+	+	-	+	-
بسل	﴿ وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ (70) الأنعام	تفتضح وترتهن عن إدراك المطلوب	+	+	-	+	-
بسم	﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا ﴾ (19) النمل	البسمة عينها	+	+	-	+	-
بشر	﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ﴾ (108) يوسف (97) مريم	تخبر بما يسر النفوس	+	+	-	+	-
بصر	﴿ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ (108) يوسف	بينة واضحة	+	+	-	+	-
بطش	﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴾ (16) الدخان	العقوبة والعذاب	+	+	-	+	-
بطل	﴿ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (173) الأعراف	المدعون غير الحق	+	+	-	+	-
بعث	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ (36) النحل	أرسلنا	+	+	-	+	-
بعث	﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾	الإلهام	+	+	-	+	+

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	(31)المائدة						
بعد	﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (6) الصف	ظرف زمان دال على التواصل	+	−	−	−	+
بعد	﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (44) هود	هلاكا	+	−	−	+	+
بعد	﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (101) الأنبياء	الإبعاد عنه	+	+	−	−	+
بعض	﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ (4) محمد	جزء دال على التواصل	+	−	−	−	+
بعل	﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ (125) الصافات	صنم يسمى بعلا	+	−	−	+	−
بعل	﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ (228) البقرة	الأزواج	+	−	−	+	−
بغي	﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ (2) المائدة	يطلبون	+	+	−	+	−
بغي	﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ (83) آل عمران	يلتمسون	+	+	−	+	−
بغي	﴿فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (23) يونس	يفسدون ويتجاوزون	+	+	−	+	−
بقع	﴿مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ (30) القصص	المكان	+	−	−	−	+
بقي	﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (86) هود	طاعة الله وثوابه	+	−	−	+	−
بقي	﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾	الصلاة التسبيح الحمد التهليل	+	−	−	+	−

اللفظ التواصل	الشاهد الآية_رقمها_السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (46) الكهف	التكبير					
بكر	﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ (11) مريم	أول النهار	+	-	-	-	+
بكّ	﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ (96) آل عمران	مكة	+	-	-	+	-
بكم	﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ﴾ (22) الأنفال	الذين لا ينطقون بالحق	+	-	-	+	-
بكي	﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾ (109)الإسراء	البكاء من الخشية	+	+	-	+	-
بلد	﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾ (1) البلد	مكة المكرمة	+	-	-	+	-
بلس	﴿ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ (44) الأنعام	آيسون من النجاة والرحمة	+	+	-	+	-
بلس	﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (20) سبأ	أبو الجن	+	-	-	+	-
بلغ	﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ ﴾ (39) الأحزاب	يخبرون ويؤدون	+	+	-	+	-
بلو	﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (168) الأعراف	اختبرناهم	+	+	-	+	-
بلي	﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾ (7) التغابن	نعم	-	-	+	+	-
بهت	﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾ (258) البقرة	سكت وانقطعت حجته	+	+	-	+	-
بهل	﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (61)آل عمران	نتضرع	+	+	-	+	-

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
بوأ	﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ (9) الحشر	نزلوا وتوطنوا	+	+	−	−	+
بوأ	﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ﴾ (26) الحج	بينا وأرشدنا	+	+	−	+	−
بوب	﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ (189) البقرة	المدخل لكل شيء	+	−	−	−	+
بيت	﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ (125) البقرة	الكعبة	+	−	−	+	−
بيت	﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ (108) النساء	يدبرون بالليل ويخططون	+	+	−	+	−
بيع	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ (10) الفتح	البيعة وأخذ المواثيق	+	+	−	+	−
بيع	﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ ﴾ (40) الحج	كنائس النصارى	+	−	−	+	−
بيع	﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ (275) البقرة	البيع بعينه	+	+	−	+	−
بين	﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (44) النحل	تظهر	+	+	−	+	−
بين	﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾ (89) الأعراف	دال على التواصل	+	−	−	+	−
بين	﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ (94) الأنعام	قرئت بينكم بالرفع أي وصلكم	+	−	−	+	−
تبع	﴿ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ (14) ق	نبي أو رجل صالح	+	−	−	+	−
تبع	﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن	الطاعة واقتفاء الأثر بالائتمار	+	+	−	+	−

لفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	رَبِّكُم ﴾ (55) الزمر						
تجر	﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (10) الصف	الإيمان بالله ورسوله والجهاد	+	+	–	+	–
ترك	﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (37) يوسف	رفض عن قصد واختيار أو قهر واضطرار	+	+	–	–	+
تفث	﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (29) الحج	قضاء النسك وفك الإحرام	+	+	–	+	–
تقن	﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (88) النمل	أحسن وأجاد	+	+	–	–	+
تلك	﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ﴾ (108) آل عمران	دال على التواصل	+	–	–	+	–
تلو	﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ (121) البقرة	الانقياد والاتباع	+	+	–	+	–
تلو	﴿ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴾ (3) الصافات	الملائكة تقرأ كتاب الله تعالى	+	–	–	+	–
تلو	﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ (102) البقرة	ما تقوله عليه بالباطل	+	+	–	+	–
تلو	﴿ نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (3) القصص	تقص	+	+	–	+	–
تم	﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (150) البقرة	انتهاؤها إلى حد لا تحتاج إلى شيء خارج عنها	+	+	–	+	–
توب	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ (8) التحريم	الندم والرجوع عن المعصية	+	+	–	+	–

اللفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
تار	﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ (3) آل عمران	التوراة على موسى والإنجيل على عيسى	+	-	-	+	-
ثبت	﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ (27) إبراهيم	التمسك بلواء التوحيد	+	+	-	+	-
ثبت	﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ (30) الأنفال	ليحبسوك ويقيدوك	+	+	-	+	-
ثخن	﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (67) الأنفال	الغلبة بالقتل	+	+	-	+	-
ثقف	﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ (191) البقرة	وجدتموهم وأدركتموهم	+	+	-	-	+
ثقل	﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ (38) التوبة	تراثيتم وتباطأتم وركنتم	+	+	-	-	+
ثقل	﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾ (31) الرحمن	الإنس والجن	+	-	-	+	-
ثَمّ	﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ (115) البقرة	هناك	+	-	-	-	+
ثُمّ	﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (32) فاطر	الاستقبال	-	-	+	-	+
ثمد	﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (141) الشعراء	قوم صالح	+	-	-	+	-
ثني	﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ﴾ (46) سبأ	اثنين اثنين	+	-	-	-	+
ثني	﴿ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (9) الحج	لاويا عنقه تكبرا على الإيمان	+	+	-	+	-
ثني	﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ﴾	يحنونها إخفاء لبغضهم للرسول	+	+	-	+	-

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	(5) هود						
ثوب	﴿ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (18) الفتح	وعلمهم وجزاهم	+	+	−	+	−
ثوي	﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ (19) محمد	مقامكم حيث تستقرون	+	+	−	−	+
جأر	﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ (53) النحل	تجزعون وتتضرعون	+	+	−	+	−
جبت	﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ (51) النساء	صنم لقريش	+	−	−	+	−
جبر	﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ (45) ق	يتسلط تكرههم على الإيمان	+	+	−	+	−
جبريل	﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ (97) البقرة	رئيس الملائكة	+	−	−	+	−
جدل	﴿ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ (13) الرعد	يخاصمون في الله ويكذبون بعظمته	+	+	−	+	−
جذ	﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ (58) الأنبياء	كسرهم قطعا	+	−	−	−	+
جرح	﴿ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ (60) الأنعام	فعلتم وكسبتم	+	+	−	+	−
جرّ	﴿ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ﴾ (150) الأعراف	غضبا	+	+	−	+	−
جرم	﴿ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ (35) هود	الإثم وعاقبة الأمر	+	+	−	+	−
جزع	﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ (21) إبراهيم	حزننا حزنا يصلنا عما نحن فيه	+	+	−	+	−

اللفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
جزي	﴿ يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ﴾ (25) القصص	ليكافئك	+	+	-	+	-
جزي	﴿ حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾ (29) التوبة	ما يفرض على أهل الكتاب مقابل الحماية	+	-	-	+	-
جسّ	﴿ ولا تجسسوا ﴾ (12) الحجرات	لا تتبعوا عورات المسلمين	+	+	-	+	-
جسد	﴿ واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا ﴾ (148) الأعراف	تمثالا مجسدا	+	-	-	+	-
جعل	﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ (124) الأنعام	يضعها في موضعها اللائق بها	+	+	-	+	-
جعل	﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾ (3) الزخرف	أنزلناه ووصفناه وسميناه	+	+	-	+	-
جفي	﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ (16) السجدة	ترتفع وتنبو	+	+	-	-	+
جالوت	﴿ فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت ﴾ (251) البقرة	محارب قوي قتله نبي الله داود	+	-	-	+	-
جلس	﴿ إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا ﴾ (11) المجادلة	مواضع الجلوس للذكر	+	+	-	+	-
جلي	﴿ تجلى ربه للجبل جعله دكا ﴾ (143) الأعراف	أظهر بعضا من نوره	+	+	-	+	-
جمع	﴿ وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا ﴾ (62) النور	مهم يجب اجتماعهم له	+	+	-	+	-
جمع	﴿ إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله ﴾ (9) الجمعة	صلاة الجمعة	+	+	-	+	-
جنب	﴿ والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش ﴾	يتركون ويبتعدون	+	+	-	+	-

لفـــظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	(37) الشورى						
جنب	﴿يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ (191) آل عمران	الجنب بعينه	+	-	-	-	+
جنب	﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾ (52) مريم	جهة	+	-	-	-	+
جنب	﴿أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله﴾ (56) الزمر	طاعة الله وأمره وحقه	+	-	-	+	-
جنح	﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾ (61) الأنفال	مالوا	+	+	-	+	-
جند	﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ (31) المدثر	الملائكة	+	-	-	+	-
جند	﴿وإن جندنا لهم الغالبون ﴿١٧٣﴾﴾ (173) الصافات	الرسل والمؤمنون	+	-	-	+	-
جنّ	﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا ﴿١﴾﴾ (1) الجن	خلاف الإنس	+	-	-	+	-
جهد	﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾ (78) الحج	جهاد بالعمل	+	+	-	+	-
جهد	﴿وجاهدهم به جهادا كبيرا﴾ (52) الفرقان	جهاد بالقول أي القرآن	+	+	-	+	-
جهد	﴿يجاهدون في سبيل الله﴾ (54) المائدة	جهاد بالسلاح	+	+	-	+	-
جهر	﴿ثم إني دعوتهم جهارا ﴿٨﴾﴾ (8) نوح	بأعلى صوتي	+	+	-	+	-
جهل	﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴿١٩٩﴾﴾ (199) الأعراف	السفهاء المستهزئين	+	+	-	+	-
جهنم	﴿جهنم يصلونها وبئس القرار ﴿٢٩﴾	النار	+	-	-	-	+

لفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	﴾ (29) إبراهيم						
جوب	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ (24) الأنفال	لبوا وأطيعوا	+	+	−	+	−
جوب	﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ ﴾ (29) العنكبوت	رد	+	+	−	+	−
جور	﴿ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (9) النحل	مائل عن الحق	+	+	−	+	−
لفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
حجب	﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ (51) الشورى	ساتر	+	+	−	+	−
جور	﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ ﴾ (36) النساء	الجار عينه	+	−	−	−	+
جور	﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ﴾ (6) التوبة	طلب حمايتك فاعطه الأمان	+	+	−	+	−
جوز	﴿ وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ﴾ (16) الأحقاف	نغفر ونصفح	+	+	−	+	−
جوس	﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ﴾ (5) الإسراء	مشوا مفسدين	+	+	−	+	−
جيا	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (57) يونس	أتتكم	+	+	−	+	−
حبّ	﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ ﴾ (7) الحجرات	جعل الإيمان غايته ومنتهاه	+	+	−	+	−

اللفـــظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
حبل	﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ (103) آل عمران	القرآن	+	-	-	+	-
حجّ	﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ ﴾ (80) الأنعام	الخصومة	+	+	-	+	-
حجّ	﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (149) الأنعام	الدليل والبرهان	+	+	-	+	-
حجّ	﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ (97) آل عمران	قصد بيت الله إقامة للنسك	+	+	-	+	-
حجر	﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴾ (5) الفجر	ذي عقل	+	-	-	+	-
حدث	﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾ (23) الزمر	القرآن	+	+	-	+	-
حدث	﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (44) المؤمنون	عبرة يتحدث بها الناس	+	+	-	+	-
حدّ	﴿ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ (63) التوبة	يخالف	+	+	-	+	-
حدّ	﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ (229) البقرة	أحكامه وحقائق معانيه	+	-	-	+	-
حذر	﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ﴾ (92) المائدة	خافوا وامتنعوا	+	+	-	+	-
حرب	﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (279) البقرة	الجهاد في سبيل الله	+	+	-	+	-
حرب	﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾ (39) آل عمران	المصلى، محل العبادة	+	-	-	+	-
حرث	﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ	ثواب	+	-	-	+	-

اللفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	﴾ (20) الشورى						
حرج	﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ (65) النساء	ضيقا وكراهية أو شكا	+	–	–	+	–
حرد	﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ (25) القلم	القصد السيئ أي منع للمساكين	+	–	–	–	+
حرّ	﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ (92) النساء	عتق	+	+	–	+	–
حرص	﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (128) التوبة	شدة الإرادة	+	+	–	+	–
حرم	﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ (30) الحج	شرائع ومناسك	+	–	–	+	–
حرم	﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ﴾ (33) الأعراف	منع	+	+	–	+	–
حري	﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ (14) الجن	قصدوا	+	+	–	+	–
حزب	﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (19) المجادلة	أتباعه وجنده	+	–	–	–	+
حزب	﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (22) المجادلة	جند الله	+	–	–	–	+
حزن	﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا﴾ (92) التوبة	خشونة في النفس بسبب الغم	+	+	–	+	–
حسب	﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا﴾ (2) العنكبوت	الظن	+	+	–	+	–
حسب	﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ (284) البقرة	الثواب والجزاء	+	+	–	+	–
حسد	﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ	تمنوا زوال نعمة الله عن	+	+	–	+	–

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	مِن فَضْلِهِۦ﴾ (54) النساء	مستحقيها					
حسر	﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (19) الأنبياء	لا يملون ولا يعيون	+	+	−	+	−
حسر	﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ (56) الزمر	تندمي على ما فات	+	+	−	+	−
حسّ	﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ (152) آل عمران	تقتلونهم	+	+	−	+	−
حسّ	﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ (87) يوسف	اطلبوا خبرهما بالحواس	+	+	−	+	−
حسن	﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ (7) الإسراء	اطعتم جوزيتم واثبتم	+	+	−	+	−
حسن	﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (10) الحديد	الجنة	+	−	−	+	−
حشر	﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (96) المائدة	تجمعون	+	+	−	−	+
حصّ	﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ (51) يوسف	ظهر وبان	−	+	−	+	−
حصر	﴿وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ (5) التوبة	وامنعوهم	+	+	−	+	−
حصل	﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾ (10) العاديات	ميز وأظهر	+	+	−	+	−
حصي	﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (12) يس	كتبناه	+	+	−	+	−
حصي	﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ (20)	لن تحفظوه ولن تطيقوا القيام به	+	+	−	+	−

اللفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	المزمل						
حصي	﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (34) إبراهيم	لا تطيقوا عدها شكرا لله	+	+	−	+	−
حضر	﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾ (29) الأحقاف	الحضور للاستماع	+	+	−	+	−
حضر	﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ (30) آل عمران	مكتوبا	+	+	−	+	−
حضّ	﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣٤﴾ (34) الحاقة	لا يحث ولا يحرض	+	+	−	+	−
حفظ	﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ (238) البقرة	الزموا وأدوا	+	+	−	+	−
حفظ	﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ (44) المائدة	بما أمروا بحفظه والعمل به	+	+	−	+	−
حفظ	﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠﴾ (10) الانفطار	رقباء من الملائكة	+	−	−	+	−
حفّ	﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ (75) الزمر	محيطين	+	+	−	+	−
حفّ	﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ۝٣٧﴾ (37) محمد	يلح عليكم بطلب المال	+	+	−	+	−
حفي	﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (47) مريم	رحيما مكرما	+	+	−	+	−
حقي	﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ (21) الأحقاف	واد سكنه قوم عاد	+	−	−	−	+

لفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
حقّ	﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ﴾ (7) الأنفال	الإسلام وكل شيء فيه صلاح	+	+	−	+	−
حقّ	﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ (105) الأعراف	خليق بي	+	−	−	−	+
حكم	﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ (48) المائدة	فاقض	+	+	−	+	−
حكم	﴿ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ (251) البقرة	النبوة	+	−	−	+	−
حكم	﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾ (12) مريم	الفهم والفقه والعلم	+	+	−	+	−
حلف	﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ﴾ 96التوبة	يقسمون يمينا	+	+	−	+	−
حلق	﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ﴾ (196) البقرة	قص الشعر تأدية للمناسك	+	+	−	−	+
حلّ	﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ ﴾ (27) طه	أطلق لساني	+	+	−	+	−
حلّ	﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ﴾ (157) الأعراف	يرخص	+	+	−	+	−
حلم	﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ (75) هود	متأن صبور على الأذى	+	−	−	+	−
حلم	﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا ﴾ (32) الطور	عقولهم	+	−	−	+	−
حمد	﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ ﴾ (112) التوبة	الشاكرون المثنون الممجدون	+	+	−	+	−
حمد	﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ﴾ (52) الإسراء	بأمره وحكمه	+	−	−	+	−

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
حمل	﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ (54) النور	ما أمر به من التبليغ وأنتم بالطاعة	+	+	-	+	-
حمل	﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ﴾ (72) الأحزاب	وقبلها	+	+	-	+	-
حمّ	﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (101) الشعراء	قريب	+	-	-	+	-
حنث	﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ (46) الواقعة	الشرك	+	+	-	+	-
حنث	﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ (44) ص	لم يف يمينه ويبر بها	+	+	-	+	-
حنف	﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ (31) الحج	مائلين عن الباطل إلى الحق	+	-	-	+	-
حنك	﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (62) الإسراء	لأستميلنهم	+	+	-	+	-
حنّ	﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ (13) مريم	رحمة وعطفا	+	-	-	+	-
حوذ	﴿قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ (141) النساء	نستول عليكم بالمعونة	+	+	-	+	-
حور	﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ (1) المجادلة	مراجعتكما القول	+	+	-	+	-
حوط	﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ (22) النمل	العلم	+	+	-	+	-
حول	﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ (24) الأنفال	الحيلولة	+	+	-	+	-
حول	﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (7) الشورى	سائر الخلق	+	-	-	+	-
حيث	﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (144) البقرة	مكان مبهم	+	-	-	+	-

لفظ الفواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
حير	﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ (71) الأنعام	تائها	+	+	-	+	-
حيف	﴿أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾ (50) النور	يجور	+	+	-	+	-
حيق	﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (43) فاطر	لا ينزل ويحيط	-	+	-	-	+
حين	﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (48) الطور	وقت بلوغ الشيء وحصوله	+	-	-	-	+
حيّ	﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (86) النساء	سلمتم بسلام فسلموا	+	+	-	+	-
خبت	﴿وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ (23) هود	القبول والإخلاص	+	+	-	+	-
خبث	﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ (26) إبراهيم	كلمة الكفر والضلال	+	-	-	+	-
خبر	﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ (94) التوبة	أنبائكم	+	+	-	+	-
خبل	﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ (47) التوبة	فسادا ونميمة	+	-	-	+	-
ختر	﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ (32) لقمان	غدار	+	+	-	+	-
ختم	﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ (7) البقرة	طبع	+	+	-	+	-
ختم	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ (24) الشورى	يربط ويحفظ	+	+	-	+	-
خدع	﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ	يظهرون خلاف ما في أنفسهم	+	+	-	+	-

اللفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	خادعهم ﴾ (143) النساء						
خذل	﴿ وكان الشيطن للإنسن خذولا ﴾ (29) الفرقان	يتبرأ منه عند البلاء	+	+	−	+	−
خرب	﴿ وسعى في خرابها ﴾ (114) البقرة	لهدم بيت المقدس	+	+	−	+	−
خرج	﴿ أن أخرج قومك من الظلمت إلى النور ﴾ (5) إبراهيم	أبعدهم	+	+	−	−	+
خرج	﴿ أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرزقين ﴾ (72) المؤمنون	ثواب وأجر	+	−	−	+	−
خرّ	﴿ إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ﴾ (107) الإسراء	يسجدون	+	+	−	+	−
خرص	﴿ وإن أنتم إلا تخرصون ﴾ (148) الأنعام	تظنون وتقدرون	+	+	−	+	−
خرق	﴿ وخرقوا له بنين وبنت بغير علم ﴾ (100) الأنعام	ادّعوا وافتروا	+	+	−	+	−
خزن	﴿ أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ⁅٩⁆ ﴾ (9) ص	النبوة والكتاب	+	−	−	+	−
خزي	﴿ وأن الله مخزي الكفرين ﴾ (2) التوبة	الذل والهوان	+	+	−	+	−
خسأ	﴿ قال اخسئوا فيها ولا تكلمون ⁅١٠٨⁆ ﴾ (108) المؤمنون	اسكتوا أذلاء مهانين	+	+	−	+	−
خسر	﴿ وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ⁅٣⁆ ﴾ (3) المطففين	ينقصون	+	+	−	+	−
خسف	﴿ ومنهم من خسفنا به الأرض ﴾ (40) العنكبوت	غابوا وذهبوا في الأرض	+	+	−	+	−
خشع	﴿ ألم يأن للذين ءامنوا أن تخشع قلوبهم	تتواضع وتخاف وتذل	+	+	−	+	−

لفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (16) الحديد						
خشي	﴿ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (13) التوبة	تخافوه	+	+	-	+	-
خصّ	﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ (74) آل عمران	يمنح	+	+	-	+	-
خصم	﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ (19) الحج	تنازعوا	+	+	-	+	-
خضع	﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ﴾ (32) الأحزاب	تلن وترققن	+	+	-	+	-
خطأ	﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ (82) الشعراء	الذنب	+	+	-	+	-
خطب	﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (63) الفرقان	قالوا لهم ما يكرهون	+	+	-	+	-
خطّ	﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ﴾ (48) العنكبوت	تكتبه	+	+	-	+	-
خطف	﴿ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ ﴾ (26) الأنفال	يستأصلكم ويأخذكم بسرعة	+	+	-	-	+
خطف	﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ ﴾ (10) الصافات	اختلس الكلمة من السماء مستخفيا	+	+	-	+	-
خفت	﴿ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (23) القلم	يتسارون ويتهامسون	+	+	-	+	-
خفض	﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (88) الحجر	تواضع	+	+	-	+	-
خفّ	﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ (28) النساء	يسهل عليكم أحكام الشرع	+	+	-	-	+

اللفظ التواصل	الشاهد الآية_رقمها_السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
خفّ	﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ (54) الزخرف	استخفهم بالقول واستجهلهم	+	+	–	+	–
خفي	﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ۝١٥﴾ (15) طه	الإظهار أي أظهرها	+	+	–	–	+
خفي	﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۝٣﴾ (3) مريم	في السر	+	+	–	+	–
خلد	﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ (176) الأعراف	ركن إليها ومال ورضي بها	+	+	–	–	+
خلص	﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (14) غافر	متبرئين من كل ما دون الله	+	+	–	+	–
خلص	﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (24) يوسف	المختارين لطاعته ورسالته	+	+	–	+	–
خلط	﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ (220) البقرة	تخلطوا نفقاتهم بنفقاتكم	+	+	–	–	+
خلط	﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (24) ص	الشركاء	+	–	–	+	–
خلف	﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ (142) الأعراف	كن خليفتي ونب عني	+	+	–	+	–
خلف	﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ (26) ص	نبيا مدبرا أمر الناس	+	+	–	+	–
خلف	﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ (10) الشورى	تنازعتم	+	+	–	+	–
خلق	﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ (17) العنكبوت	تخرصون وتكذبون وتفترون	+	+	–	+	–
خلق	﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	أوجدكم	+	+	–	+	–

اللفظ التواصل	الشاهد الآية - رقمها - السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	(21) فصلت						
خلّ	﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (125) النساء	صفيا اصطفاه لمحبته	+	+	−	+	−
خلّ	﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (24) فاطر	جامعا	+	+	−	+	−
خلّ	﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ (14) البقرة	رجعوا وانفردوا	+	+	−	+	−
خلو	﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (5) التوبة	لا تتعرضوا لهم	+	+	−	+	−
خنس	﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④﴾ (4) الناس	الذي يتوارى عند ذكر الله	+	+	−	−	+
خوض	﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ (68) الأنعام	يتحدثوا	+	+	−	+	−
خوف	﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾ (59) الإسراء	تهديدا ووعيدا	+	+	−	−	+
خوف	﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ النساء (35)	علمتم	+	+	−	−	+
خول	﴿إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ (49) الزمر	أعطيناه	+	+	−	+	−
خون	﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ (7) الأنفال	أظهروا من القول عكس ما يبطنون	+	+	−	+	−
خون	﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ (187)	تخونون وتلومون	+	+	−	+	−

لفظ التواصل	الشاهد: الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	البقرة						
خون	﴿ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ (10) التحريم	خالفتاهما في الدين	+	+	−	+	−
خون	﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾ (58) الأنفال	نقض العهد	+	+	−	+	−
خير	﴿ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (32) الدخان	اصطفيناهم	+	+	−	+	−
خير	﴿ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ (114) آل عمران	الصالحات وكل أعمال البر	+	−	−	+	−
خير	﴿ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (105) البقرة	وحي	+	−	−	+	−
خير	﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ (36) الحج	النفع والأجر	+	−	−	−	+
خيل	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (36) النساء	متكبرا ومتعجبا	+	+	−	+	−
داود	﴿ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾ (26) ص	نبي الله	+	−	−	+	−
دبب	﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ (49) النحل	كل ما يدب على الأرض	+	−	−	−	+
دبر	﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ (5) السجدة	ينزل الوحي مع جبريل	+	+	−	+	−
دبر	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ (82) النساء	يتفكرون	+	+	−	+	−
دبر	﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ (5) النازعات	للملائكة تنزل بالتدبير المأمور به	+	−	−	+	−

لفـــظ التواصل	الشاهد الآية_رقمها_السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
دبر	﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ ﴾ (65) الحجر	سر خلفهم لتطمئن عليهم	+	+	-	-	+
دبر	﴿ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ﴾ (25) محمد	أديان الآباء الباطلة والمضللة	+	-	-	+	-
دبر	﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23) ﴾ (23) المدثر	أدار ظهره عن الإيمان	+	+	-	+	-
دحض	﴿ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ﴾ (5) غافر	ليزيلوا ويبطلوا	+	+	-	+	-
دخر	﴿ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ (48) النحل	صاغرون منقادون	+	-	-	+	-
دخل	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ (208) البقرة	آمنوا	+	+	-	+	-
درا	﴿ وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ (22) الرعد	يدفعون	+	+	-	+	-
درج	﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (44) القلم	تقربهم إلى الهلاك	+	+	-	-	+
درك	﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ (103) الأنعام	لا تراه ولا تحيط به	+	+	-	-	+
درك	﴿ حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا ﴾ (38) الأعراف	اجتمعوا	+	+	-	-	+
دري	﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ ﴾ (16) يونس	أعلمكم	+	+	-	+	-
دعو	﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ ﴾ (33) فصلت	نادى	+	+	-	+	-
دعو	﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (186) البقرة	نداء وسؤال	+	+	-	+	-

اللفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
دعو	﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴾ (15) الأنبياء	قولهم	+	+	–	+	–
دعو	﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (88) القصص	لا تعبد	+	+	–	+	–
دفع	﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (34) فصلت	أمر بالصفح ومكارم الأخلاق	+	+	–	+	–
دفع	﴿ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (38) الحج	بإعلائهم بالحجة	+	+	–	+	–
دلّ	﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (10) الصف	أرشدكم	+	+	–	+	–
دلك	﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾ (78) الإسراء	عند زوالها عن كبد السماء	+	–	–	–	+
دلي	﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ (8) النجم	فنزل على الرسول بالوحي	+	+	–	+	–
دم	﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴾ (14) الشمس	أهلكهم وأطبق العذاب عليهم	+	+	–	–	+
دمر	﴿ فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴾ (36) الفرقان	فأهلكناهم	+	+	–	–	+
دمع	﴿ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ (83) المائدة	البكاء	+	–	–	–	+
دمغ	﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ (18) الأنبياء	يمحقه ويدحضه	+	+	–	+	–
دنو	﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ (8) النجم	قرب	+	+	–	–	+
دهن	﴿ أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴾ (81) الواقعة	مكذبون	+	+	–	+	–
دول	﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾	تصرفها بأحوال مختلفة	+	+	–	–	+

لفـــظ التواصل	الشاهد الآية_رقمها_السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	(140) آل عمران						
دوم	﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ (23) المعارج	محافظون	+	+	-	-	+
دين	﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ (282) البقرة	دفعتم الدين	+	+	-	+	-
دين	﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (19) آل عمران	اسم لجميع ما يعبد به الله	+	+	-	+	-
دين	﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ (53) الصافات	محاسبون	+	+	-	-	+
ذا	﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ (27) القصص	اسم إشارة	+	-	-	+	-
ذا	﴿قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ (63) طه	اسم إشارة	+	-	-	+	-
ذبح	﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (107) الصافات	بكبش يذبح	+	-	-	-	+
ذب	﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ (143) النساء	مترددين بين الكفر والإيمان	+	+	-	+	-
ذرّ	﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ (128) البقرة	الولد	+	-	-	-	+
ذعن	﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ (49) النور	منقادين طائعين	+	+	-	-	+
ذقن	﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ (107) الإسراء	على الوجوه	+	-	-	-	+
ذكر	﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (152) البقرة	اعملوا صالحا	+	+	-	+	-

لفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
ذكر	﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (45) ق	فعظ	+	+	-	+	-
ذكر	﴿أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ (25) القمر	الوحي	+	+	-	+	-
ذكر	﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ (5)الشعراء	الرسول نفسه -عليه السلام-	+	+	-	+	-
ذكر	﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ (198) البقرة	الذكر باللسان بالتلبية والتهليل	+	+	-	+	-
ذكر	﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ (135) آل عمران	استحضار القلب	+	+	-	+	-
ذكر	﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ (16) مريم	النقل والخبر وعرفهم	+	+	-	+	-
ذكر	﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (171) الأعراف	بالحفظ والعمل به	+	+	-	+	-
ذكر	﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (239) البقرة	صلوا	+	+	-	+	-
ذكر	﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ (1) ص	البيان والشرف	+	+	-	+	-
ذكر	﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ (124) طه	توحيدي والعمل بكتابي	+	+	-	+	-
ذكر	﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ (17) القمر	للحفظ والتذكر	+	+	-	+	-
ذلّ	﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ (14) الإنسان	سخرت ويسر تناولها	+	+	-	-	+
ذلّ	﴿يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (54) المائدة	متواضعين	+	+	-	+	-

اللفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
ذمّ	﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ (18) الإسراء	ملوما	+	+	–	+	–
ذنب	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ (53) الزمر	المعاصي	+	+	–	+	–
ذنب	﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴾ (59) الذاريات	نصيب من العقاب	+	–	–	–	+
ذهب	﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ (24) طه	امض إلى فرعون رسولا تدعو	+	+	–	+	–
ذهب	﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ (26) التكوير	تعدلون عن كتابي وطاعتي	+	+	–	+	–
ذهب	﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (99) الصافات	الهجرة	+	+	–	+	–
ذيع	﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ﴾ (83) النساء	أفشوه	+	+	–	+	–
ذو الكفل	﴿ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴾ (48) ص	نبي الله	+	–	–	+	–
ذو القرنين	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ (83) الكهف	رجل صالح	+	–	–	+	–
ذو النون	﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ (87) الأنبياء	يونس-عليه السلام-	+	–	–	+	–
ذوى	﴿ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (1) الأنفال	المشاجرة والخصومة والسباب	+	–	–	+	–
ذوق	﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ (112) النحل	عذبها	+	+	–	–	+
ذوق	﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ﴾ (10) هود	أنلناه	+	+	–	–	+

لفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
راس	﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ (51) الإسراء	الرأس عينه	+	-	-	-	+
رأف	﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (128) التوبة	شديد الرحمة	+	+	-	+	-
رأي	﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ (105) النساء	أعلمك وعلمك	+	+	-	-	+
رأي	﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ (53) فصلت	المشاهدة والمعاينة	+	+	-	-	+
رأي	﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (31) يس	الاعتبار والإخبار	+	+	-	-	+
رأي	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ (243) البقرة	ألم يته إلى علمك	+	+	-	+	-
رأي	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ (19) إبراهيم	ألم تنظر وتتأمل	+	+	-	+	-
رأي	﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ (6) الماعون	يقصدون الرياء بأعمالهم	+	+	-	+	-
رأي	﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ (105) الصافات	الوحي	+	+	-	+	-
ربّ	﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ﴾ (53) آل عمران	مربيهم ومالكهم ومدبر أمورهم	+	-	-	+	-
ربّ	﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ (41) يوسف	الملك والسيد	+	-	-	+	-
ربّ	﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ (79) آل عمران	علماء حكماء	+	-	-	-	+
ربط	﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ (11) الأنفال	ليشد ويقوي	+	+	-	+	-

لفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
ربط	﴿وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ (200) آل عمران	أقيموا على الجهاد	+	+	–	–	+
ربو	﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ (276) البقرة	يقبل وينمي	+	+	–	–	+
ربي	﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (24) الإسراء	أنشأني حالا فحالا إلى حد التمام	+	+	–	–	+
رتل	﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (4) المزمل	اقرأ بتمهل	+	+	–	+	–
رتل	﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (32) الفرقان	نزلناه آية بعد آية مبينا واضحا	+	+	–	+	–
رجأ	﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (111) الأعراف	أخره احبسه واطمعه ودعه يرجو	+	+	–	+	–
رجأ	﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ﴾ (51) الأحزاب	تؤخر عنك	+	+	–	+	–
رجز	﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ (5) المدثر	الآثام والأصنام	+	–	–	+	–
رجز	﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ (134) الأعراف	العذاب	+	–	–	–	+
رجع	﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (64) الأنبياء	الإقبال على النفس بالملامة	+	+	–	+	–
رجع	﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (41) الروم	يتوبون	+	+	–	+	–
رجع	﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ﴾ (50) يوسف	اذهب	+	+	–	–	+
رجف	﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ (60) الأحزاب	الذين يشيعون الكذب	+	+	–	+	–

اللفظ	الشاهد	معناه	نوعه				
التواصل	الآية ـ رقمها ـ السورة		اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
رجلٌ	﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ ﴾ (76) النحل	الوثن والله الحق تعالى	+	-	-	+	-
رجلٌ	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ ﴾ (43) النحل	أنبياء ورسل	+	-	-	+	+
رجلٌ	﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْ ﴾ (46) الأعراف	سور بين الجنة والنار	+	-	-	+	-
رجم	﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ ﴾ (18) يس	لنشتمنكم ولنقتلنكم	+	+	-	+	-
رجو	﴿ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ (9) الزمر	يطمع	+	+	-	-	+
رجو	﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ (110) الكهف	يخشى	+	+	-	-	+
رحم	﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ (29) الفتح	المودة والرأفة	+	+	-	+	-
رحم	﴿ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ (75) الأنفال	القرابة	+	+	-	-	+
رحم	﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ (8) البقرة	تثبيتا	+	+	-	-	+
رحم	﴿ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (107) آل عمران	جنة	+	+	-	-	+
رحم	﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (56) الأعراف	إحسانه وإنعامه	+	+	-	+	-
رحم	﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (83) النساء	عصمته وتوفيقه	+	+	-	+	-

لفـــظ التواصل	الشاهد الآية_رقمها_السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
رحم	﴿وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾ (28) هود	نبوة	+	+	-	+	-
ردأ	﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ (34) القصص	عونا	+	+	-	-	+
ردّ	﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ (9) إبراهيم	عضوا على أناملهم وسكتوا	+	+	-	+	-
ردّ	﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (59) النساء	قولوا الله ورسوله أعلم	+	+	-	+	-
ردّ	﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ (45) التوبة	يتحيرون	+	+	-	+	-
رزق	﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ (88) هود	الهدى والتوفيق والعلم	+	+	-	-	+
رزق	﴿وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (114) المائدة	أعطنا	+	+	-	+	-
رزق	﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (131) طه	الثواب والجنة	+	+	-	-	+
رزق	﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (82) الواقعة	شكركم	+	+	-	+	-
رسخ	﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ (7) آل عمران	المتمكنون	+	-	-	-	+
رسّ	﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ⑫﴾ (12) ق	البئر قتلوا نبيهم ودسوه فيها	+	-	-	-	+
رسل	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ (33) التوبة	بعث	+	+	-	+	-
رسل	﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾ (28) الجن	وحي ربهم	+	+	-	+	-
رسل	﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ①﴾ (1) المرسلات	الملائكة المرسلة بالوحي	+	-	-	+	-

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
رسل	﴿ولنرسلن معك بني إسرائيل﴾ (134) الأعراف	ولنطلقنهم من العذاب	+	+	−	−	+
رسل	﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا (83)﴾ (83) مريم	سلطناهم عليهم بالإغواء	+	+	−	+	−
رشد	﴿أولئك هم الراشدون (7)﴾ (7) الحجرات	المهتدون الموفقون	+	+	−	+	−
رشد	﴿أليس منكم رجل رشيد﴾ (78) هود	يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر	+	+	−	+	−
رصد	﴿إن ربك لبالمرصاد (14)﴾ (14) الفجر	يراقب أعمالهم ويجزيهم عليها	+	+	−	+	−
رضي	﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ (119) المائدة	رضي بطاعتهم ورضوا بثوابه	+	+	−	+	−
رعب	﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ (151) آل عمران	الخوف	+	+	−	+	−
رعد	﴿ويسبح الرعد بحمده﴾ (13) الرعد	صوت السحاب	+	+	−	−	+
رعن/رعي	﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا﴾ (104) البقرة	سب من الرعونة عند اليهود	+	+	−	−	+
رعي	﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون (8)﴾ (8) المؤمنون	حافظون	+	+	−	−	+
رغب	﴿وإلى ربك فارغب (8)﴾ (8) الشرح	تضرع، رغب الناس فيما عندي	+	+	−	+	−
لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
رفث	﴿فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾ (197) البقرة	اللغو وفحش القول ودواعي الجماع	+	+	−	+	−
رفع	﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق	التشدد في الكلام ورفع الصوت	+	+	−	+	−

اللفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ (2) الحجرات						
رفع	﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ (100) يوسف	اجلسهما	+	+	–	–	+
رفع	﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (158) النساء	عرج به	+	+	–	–	+
رفع	﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ (36) النور	تعظم وتطهر	+	+	–	+	–
رفق	﴿ وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (69) النساء	الرفيق والصاحب	+	–	–	–	+
رقب	﴿ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ (94) طه	لم تنتظر عهدي ولم تعمل بوصيتي	+	+	–	+	–
رقب	﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (18) ق	حافظ شهيد متابع للأمور	+	–	–	+	–
رق	﴿ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴾ (3) الطور	ما يكتب فيه من ورق وجلد...	+	+	–	+	–
رقم	﴿ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴾ (9) المطففين	مكتوب مختوم	+	+	–	+	–
رقم	﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ (9) الكهف	لوح كتبت فيه أسماؤهم	+	+	–	+	–
رقي	﴿ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ ﴾ (39) الإسراء	تصعد	+	+	–	–	+
ركب	﴿ ٱرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾ (41) هود	الركوب عينه	+	+	–	–	+
ركب	﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ (19) الانشقاق	تنتقلن من حال إلى حال	+	+	–	–	+
ركز	﴿ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ (98) مريم	الصوت الخفي	+	+	–	+	–

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
ركس	﴿ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ﴾ (91) النساء	رجعوا وردوا	+	+	−	−	+
ركض	﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ۝١٢ ﴾ (12) الأنبياء	يهربون مسرعين	+	+	−	−	+
ركع	﴿ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (43) البقرة	كونوا مع المؤمنين ومنهم	+	+	−	+	−
ركن	﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ (113) هود	تميلوا وتطمئنوا	+	+	−	−	+
رمز	﴿ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ (41) آل عمران	إيماء وإشارة	+	+	−	+	−
رمض	﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ (185) البقرة	رمضان عينه	+	+	−	−	+
رمي	﴿ أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا ﴾ (112) النساء	قذف اتهم	+	+	−	+	−
رهب	﴿ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (60) الأنفال	تخيفون	+	+	−	+	−
رهن	﴿ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ (283) البقرة	وثائق بالدين	+	+	−	+	−
روح	﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝١٩٣ ﴾ (193) الشعراء	جبريل	+	+	−	+	−
روح	﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ (2) النحل	الوحي	+	+	−	+	−
رود	﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ (88) هود	أرغب في	+	+	−	−	+
رود	﴿ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ۝٦١ ﴾	سنجتهد في طلبه منه	+	+	−	+	−

لفـــظ الفواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	﴾ (61) يوسف						
روغ	﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾﴾ (26) الذاريات	ذهب خفية	+	+	−	−	+
ريح	﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ (16) فصلت	العذاب	+	−	−	−	+
ريع	﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ (128) الشعراء	الطريق	+	−	−	−	+
ريب	﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ (45) التوبة	الشك والحسرة	+	+	−	+	−
زبر	﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾﴾ (25) فاطر	الكتب المنزلة	+	−	−	+	−
زبر	﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ (53) المؤمنون	فرقا مختلفة	+	−	−	−	+
زبر	﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾ (52) القمر	كتب الحفظة	+	−	−	+	−
زجر	﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾﴾ (2) الصافات	للملائكة وقيل نواهي القرآن	+	+	−	+	−
زجر	﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾﴾ (4) القمر	ردع	+	+	−	+	−
زجر	﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾﴾ (9) القمر	زجروه	+	+	−	+	−
زح	﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ (185) آل عمران	أبعد	+	+	−	−	+
زحف	﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ (15) الأنفال	قادمين لقتالكم	+	+	−	−	+

لفـــــظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
زخرف	﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ (112) الأنعام	الباطل المزين	+	+	–	+	–
زري	﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ (31) هود	تستحقر تستهين	+	+	–	+	–
زعم	﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا﴾ (7) التغابن	القول بالظن	+	+	–	+	–
زفّ	﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ۝﴾ (94) الصافات	يسرعون	+	+	–	–	+
زكريا	﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۝﴾ (2) مريم	نبي الله	+	–	–	+	–
زكي	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝﴾ (14) الأعلى	تطهر من دنس الذنوب، تصدق	+	+	–	+	–
زكي	﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝﴾ (7) فصلت	النطق بالشهادة والتوحيد	+	+	–	+	–
زلف	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ (114) هود	ساعة بعد ساعة	+	–	–	–	+
زلف	﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ۝﴾ (40) ص	قربى كرامة رفعة	+	+	–	+	–
زلق	﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ (51) القلم	يصيبونك بالعين	+	+	–	+	–
زلّ	﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (11) الأحزاب	حركوا من الفزع تحريكا شديدا	+	+	–	+	–
زلّ	﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝﴾ (209) البقرة	ملتم وضللتم عن الحق	+	+	–	–	+
زلّ	﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا	حملهم على الخطيئة	+	+	–	+	–

لفـــظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	كَسَبُوا ﴾ (155) آل عمران						
زوج	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ (21) الروم	الأزواج عينهم	+	+	–	–	+
زود	﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾ (197) البقرة	أخذ الزاد	+	+	–	+	–
زور	﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ﴾ (2) المجادلة	الباطل الكذب القبيح	+	+	–	+	–
زيد	﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ (76) مريم	يضم إلى هداهم هدى آخر	+	+	–	+	–
زيغ	﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ (5) الصف	مالوا عن الحق وضلوا	+	+	–	+	–
زين	﴿ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (7) الحجرات	حسنه	+	+	–	+	–
زين	﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (43) الأنعام	الإغواء	+	+	–	+	–
لفـــظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
سأل	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ (186) البقرة	السؤال والاستفسار	+	+	–	+	–
سأل	﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ٣٦ ﴾ طه (36)	مرادك	+	+	–	+	–
سأل	﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ١ ﴾ (1) النبأ	يختصمون	+	+	–	+	–

لفظ التواصل	الشاهد الآية_رقمها_السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
سببً	﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٖ سَبَبٗا ﴾ (84) الكهف	علما وطريقا يوصله إلى مراده	+	-	-	+	-
سبّ	﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ﴾ (108) الأنعام	الشتم الوجيع	+	+	-	+	-
سبح	﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (1) الجمعة	الصلاة، الذكر، التوبة والتنزيه	+	+	-	+	-
سبح	﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحٗا طَوِيلٗا ﴾ (7) المزمل	تصرفا واشتغالا في مهمتك	+	+	-	-	+
سبح	﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحٗا ﴾ (3) النازعات	للملائكة تسبح بأرواح المؤمنين	+	+	-	+	-
سبغ	﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗ﴾ (20) لقمان	أوسع بسط	+	+	-	-	+
سبق	﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقٗا ﴾ (4) النازعات	للملائكة تسبق بالأرواح إلى مستقرها	+	+	-	+	-
سبق	﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (21) الحديد	أسرعوا سرعة المتسابقين	+	+	-	+	-
سبل	﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ (108) يوسف	منهجي سنتي	+	-	-	+	-
سبل	﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (141) النساء	حجة	+	-	-	+	-
سجد	﴿وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗا﴾ (40) الحج	كل المساجد	+	+	-	+	-
سجد	﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (15) الرعد	الصلاة والطاعة والانقياد	+	+	-	+	-
سحب	﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ (48)	يجرون	+	+	-	-	+

اللفظ الفواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ.مباشر
	القمر						
سحت	﴿لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب﴾ (61) طه	يستأصلكم	+	+	-	-	+
سحر	﴿وقالوا يا أيه الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك﴾ (49) الزخرف	العالم	+	+	-	+	-
سحر	﴿سيقولون لله قل فأنى تسحرون ﴿٨٩﴾﴾ (89) المؤمنون	تصرفون عن توحيد الحق	+	+	-	+	-
سحر	﴿وجاءو بسحر عظيم﴾ (116) الأعراف	كذب	+	+	-	+	-
سخر	﴿قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون﴾ (38) هود	استهزأ	+	+	-	+	-
سخر	﴿سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما﴾ (7) الحاقة	سلطها عليهم	+	+	-	-	+
سخر	﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض﴾ (13) الجاثية	يسرها	+	+	-	-	+
سخط	﴿أن سخط الله عليهم﴾ (80) المائدة	أنزل عليهم العقوبة	+	+	-	+	-
سخط	﴿وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾ (58) التوبة	يغضبون غضبا شديدا	+	+	-	+	-
سدّ	﴿وقولوا قولا سديدا﴾ (70) الأحزاب	صوابا عادلا	+	+	-	-	+
سرب	﴿وسارب بالنهار﴾ وسارب بالنهار (10) الرعد	ظاهر في عمله	+	+	-	-	+
سرج	﴿وسراجا منيرا﴾ (46) الأحزاب	مثله في الاهتداء به	+	-	-	-	+
سرّ	﴿وأسررت لهم إسرارا﴾ (9) نوح	الإخفاء	+	+	-	+	-

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
سرع	﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (133) آل عمران	بادروا معجلين	+	+	–	+	–
سرف	﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ (53) الزمر	أفرطوا في المعاصي	+	+	–	+	–
سرف	﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (83) يونس	المتجاوزين الحد بادعاء الربوبية	+	+	–	–	+
سرق	﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ (18) الحجر	استمع إلى كلام الملائكة مستخفيا	+	+	–	+	–
سري	﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ (1) الإسراء	سيره ليلا	+	+	–	+	–
سطر	﴿ن ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ①﴾ (1) القلم	يكتبون	+	+	–	+	–
سطر	﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ㉒﴾ (22) الغاشية	متسلط	+	+	–	+	–
سطو	﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ (72) الحج	يبطشون	+	+	–	+	–
سعي	﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (9) الجمعة	اذهبوا استجيبوا	+	+	–	+	–
سفر	﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ㊳﴾ (38) عبس	مشرقة ضاحكة	+	+	–	–	+
سفر	﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ⑮﴾ (15) عبس	ملائكة ينسخونها في اللوح المحفوظ	+	+	–	+	–
سفع	﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ⑮﴾ (15) العلق	الأخذ أخذا شديدا	+	+	–	–	+
سفك	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ (84) البقرة	تريقونها	+	+	–	–	+
سفل	﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ	تحتكم	+	–	–	–	+

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	﴾ (10) الأحزاب						
سفه	﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ (130) البقرة	استخف بها وامتهنها	+	+	–	+	–
سقط	﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ ﴾ (149) الأعراف	ندموا على ما فعلوا	+	+	–	+	–
سقط	﴿ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ (9) سبأ	السقوط بعينه	+	+	–	–	+
سقي	﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ﴾ (60) البقرة	طلب السقيا	+	+	–	+	–
سكت	﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ ﴾ (154) الأعراف	سكن	+	+	–	+	–
سكر	﴿ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا ﴾ (15) الحجر	منعت من الإبصار	+	+	–	+	–
سكن	﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (4) الفتح	الطمأنينة والاستئناس	+	+	–	+	–
سلخ	﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا ﴾ (175) الأعراف	خرج	+	+	–	–	+
سلط	﴿ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ﴾ (6) الحشر	يمكنهم من القهر	+	+	–	+	–
سلطن	﴿ وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ (19) الدخان	حجة برهان	+	–	–	+	–
سلف	﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ﴾ (30) يونس	ما عملت قدمت	+	+	–	+	–
سلف	﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾	العبرة	+	+	–	+	–

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	﴿...﴾ (56) الزخرف						
سلق	﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ (19) الأحزاب	آذوكم	+	+	-	+	-
سلك	﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (200) الشعراء	أدخلناه	+	+	-	+	-
سلك	﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ (27) الجن	يخص	+	+	-	+	-
سلّ	﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ (63) النور	يخرجون تدريجيا خفية	+	+	-	-	+
سلم	﴿سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ (233) البقرة	دفعتم أعطيتم	+	+	-	+	-
سلم	﴿وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (27) النور	التحية الخاصة بالمؤمنين	+	+	-	+	-
سلم	﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ (61) الأنفال	الصلح	+	+	-	+	-
سلم	﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ (79) الصافات	الثناء الحسن	+	+	-	+	-
سلم	﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (71) الأنعام	نقر ونخلص العبادة	+	+	-	+	-
سليمان	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ ولقد آتينا داود وسليمان علما (15) النمل	نبي الله	+	-	-	+	-
سمد	﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ (61) النجم	لاهون معرضون	+	+	-	+	-
سمر	﴿سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ (67) المؤمنون	جماعة يتحدثون حول الكعبة بالليل	+	+	-	+	-

لفـظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
سمر	﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ (85) طه	رجل ماكر كان من قوم عبدة البقر	+	−	−	−	+
سمو	﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (78) الرحمن	المسمى	+	+	−	−	+
سمو	﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ ﴾ (40) يوسف	أصناما	+	+	−	+	−
سنّ	﴿ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ (26) النساء	طرائق	+	+	−	−	+
سنه	﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴾ (130) الأعراف	بالجدب والقحط	+	−	−	−	+
سهم	﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ (141) الصافات	فاقترع	+	+	−	+	−
سوأ	﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ﴾ (31) النجم	عصوا وأذنبوا وأشركوا	+	+	−	+	−
سوأ	﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى ﴾ (10) الروم	العقوبة المتناهية في السوء	+	+	−	+	−
سوأ	﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾ (34) النحل	عقوبات وعذاب	+	+	−	+	−
سوأ	﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا ﴾ (27) يونس	الشرك وسائر المعاصي	+	+	−	+	−
سوأ	﴿ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ (2) الممتحنة	بالسب والشتم	+	+	−	+	−
سود	﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾	شريفا وحليما عن الجهل	+	−	−	−	+

لفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	(39) آل عمران						
سور	﴿تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ تسوروا المحراب (21) ص	أتوه من أعلى السور	+	+	–	–	+
سور	﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا﴾ (124) التوبة	القطعة من القرآن	+	–	–	+	–
سوع	﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ (23) نوح	صنم كان يعبد في الجاهلية	+	–	–	+	–
سوق	﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ (71) الزمر	بعنف	+	+	–	–	+
سوق	﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ (73) الزمر	بلطف	+	+	–	–	+
سول	﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ (25) محمد	زين	+	+	–	–	+
سوم	﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ (6) إبراهيم	يذيقونكم	+	+	–	–	+
سوي	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ (64) آل عمران	عدل وإنصاف	+	–	–	–	+
سوي	﴿وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (77) المائدة	قصد السبيل والطريق القويم	+	–	–	–	+
سوي	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ (6) البقرة	الاستواء	+	+	–	–	+
سوي	﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (58) الأنفال	علنا جهارا	+	–	–	+	–

لفظ التواصل	الشاهد الآية_رقمها_السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
سوي	﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ (10) مريم	سويا لا خرص بك ولا علة	+	+	-	+	-
سوي	﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾ (7) الإنفطار	خلقك سويا مكتمل الأعضاء	+	+	-	-	+
سوي	﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ (29) البقرة	قصد	+	+	-	+	-
سوي	﴿أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (22) الملك	معتدلا	+	+	-	-	+
سيب	﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ (103) المائدة	للماشية المتروكة للآلهة والأصنام	+	-	-	+	-
سيح	﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ﴾ (112) التوبة	الصائمون المفكرون المجاهدون المهاجرون	+	+	-	+	-
سير	﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (46) الحج	يشاهدوا ويتعظوا	+	+	-	+	-
سير	﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ (22) يونس	يحفظكم	+	+	-	-	+
شأن	﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ (61) يونس	أمر عمل	+	-	-	-	+
شبه	﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (118) البقرة	اتفقت على الكفر	+	+	-	-	+
شبه	﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ (7) آل عمران	خافيات استأثر الله بعلمها	+	+	-	+	-
شتى	﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾ (4) الليل	مختلف فيه	+	-	-	+	-
شجر	﴿يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ (65) النساء	اختصموا فيه	+	+	-	+	-
شح	﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ (19) الأحزاب	بخلاء بالمعونة	+	+	-	-	+

اللفـــظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
شدّ	﴿ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ (88) يونس	الطبع	+	+	−	+	−
شدّ	﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾ (20) ص	قويناه بالتأييد والنصر	+	+	−	+	−
شدّ	﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ (35) القصص	سنقويك ونعينك	+	+	−	+	−
شدّ	﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾ (29) الفتح	غلاظ	+	+	−	+	−
شرب	﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ (93) البقرة	أحبوا وغلب عليهم حب الشرك	+	+	−	+	−
شرح	﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ (125) الأنعام	وسعه ووفقه للإسلام	+	+	−	+	−
شرح	﴿ مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾ (106) النحل	وسعه لقبول الكفر	+	+	−	+	−
شرع	﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا ﴾ (13) الشورى	سن وفرض	+	+	−	+	−
شرق	﴿ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ (18) ص	طلوع الشمس وإضاءتها	+	−	−	−	+
شرق	﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ ﴾ (115) البقرة	موضع الشروق	+	−	−	−	+
شرك	﴿ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ﴾ (12) النساء	يستوي فيه ذكرهم وأنثاهم	+	+	−	−	+
شرك	﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (48) النساء	الشرك عينه	+	+	−	+	−
شرك	﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ (64) الإسراء	المشاركة في المعاصي و المحرمات	+	+	−	+	−
شرك	﴿ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ (32) طه	شريكا في تبليغ الرسالة	+	+	−	+	−

لفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
شري	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ (207) البقرة	يبذل ويبيع	+	+	-	+	-
شري	﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ (20) يوسف	باعوه واستبدلوه	+	+	-	+	-
شري	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ (6) لقمان	يختار	+	+	-	-	+
شطأ	﴿ نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ ﴾ (30) القصص	جانب	+	-	-	-	+
شطر	﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ (144) البقرة	جهة	+	-	-	-	+
شطّ	﴿ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ ﴾ (4) الجن	الزور، الجور، الميل عن الحق	+	+	-	+	-
شطن	﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ (6) فاطر	إبليس	+	-	-	+	-
شطن	﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (14) البقرة	رؤساؤهم من المشركين	+	-	-	+	-
شعب	﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا ﴾ (13) الحجرات	أعلى طبقات النسب	+	-	-	-	+
شعيب	﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ (85) الأعراف	نبي الله	+	-	-	+	-
شعر	﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (109) الأنعام	ما يدريكم	+	+	-	-	+
شعر	﴿ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ (154) البقرة	لا تعلمون ما هم فيه	+	+	-	-	+
شعر	﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ (158) البقرة	معالم دينه	+	-	-	+	-

لفـــظ الفواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
شعر	﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ (19) الكهف	لا يخبرن	+	+	−	+	−
شعر	﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ (224) الشعراء	قائلو الشعر	+	+	−	+	−
شغف	﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ (30) يوسف	دخل حبه شغاف قلبها	+	+	−	−	+
شغل	﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ (11) الفتح	ليس لنا من يقوم بهما	+	+	−	−	+
شفع	﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ﴾ (85) النساء	بين الناس موافقة للشرع	+	+	−	+	−
شفع	﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ (85) النساء	بين الناس مخالفة للشرع	+	+	−	+	−
شفق	﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ (57) المؤمنون	خائفون	+	+	−	−	+
شفه	﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ (9) البلد	يستعين بها للكلام	+	−	−	+	−
شفي	﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (82) الإسراء	بيان	+	+	−	−	+
شفي	﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ (14) التوبة	الفرح والعافية	+	+	−	+	−
شق	﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (53) الحج	نزاع واختلاف	+	+	−	+	−
شقّ	﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (4) الحشر	عادوا وعصوا	+	+	−	+	−
شكر	﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (152) البقرة	اعرفوا إحساني وتحدثوا به	+	+	−	+	−

اللفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
شكس	﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ ﴾ (29) الزمر	مختلفون متنازعون	+	+	-	+	-
شكك	﴿ وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ (62) هود	ريب	+	+	-	+	-
شكل	﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ (84) الإسراء	طريقته وناحيته	+	-	-	-	+
شكو	﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (86) يوسف	اظهر	+	+	-	+	-
شمت	﴿ فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ ﴾ (150) الأعراف	تسرهم بما تنال مني	+	+	-	+	-
شمز	﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (45) الزمر	نفرت وتقبضت	+	+	-	+	-
شمس	﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾ (39) ق	الشمس عينها	+	-	-	-	+
شمل	﴿ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ﴾ (17) الأعراف	جهتهم اليسرى	+	-	-	-	+
شنأ	﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ﴾ (8) المائدة	بغض وكراهية	+	-	-	+	-
شهد	﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾ (133) البقرة	حاضرون	+	+	-	+	-
شهد	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ (143) البقرة	امناء شهداء بالحق في أمر الله	+	+	-	+	-
شهد	﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ﴾ (282) البقرة	الذي يشهد في الحق على الخلق	+	+	-	+	-
شهد	﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (18) آل	بين	+	+	-	+	-

لفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	عمران						
شهد	﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (54) هود	أقسم بالله ولتعلموا	+	+	-	+	-
شهر	﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ (36) التوبة	الشهر	+	-	-	-	+
شور	﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ (29) مريم	أو مات	+	+	-	+	-
شور	﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (38) الشورى	لا يبرمون أمرا حتى يتشاوروا فيه	+	+	-	+	-
شيأ	﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (30) الإنسان	اتخذ السبيل بالطاعة	+	+	-	-	+
شيع	﴿يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ (19) النور	ظهر وتفرق وفشى	+	+	-	+	-
شيع	﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ (83) الصافات	من أعوانه وعلى سنته	+	-	-	-	+
صبأ	﴿وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (62) البقرة	من خرج من دين إلى دين	+	+	-	-	+
صبب	﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ (13) الفجر	أفرغ عليهم وألقى	+	+	-	-	+
صبح	﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ (17) الروم	صلاة الفجر	+	+	-	+	-
صبر	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ (200) آل عمران	الصبر عينه، الإصرار، الجرأة	+	+	-	+	-
صبع	﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ (7) نوح	عينها	+	-	-	-	+
صبغ	﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ	الدين الإسلامي	+	-	-	+	-

لفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	صِبْغَةً ﴾ (138) البقرة						
صحب	﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ (15) لقمان	عاملهما	+	+	–	+	–
صحف	﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ②﴾ (2) البينة	كتبا	+	+	–	+	–
صخ	﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ③③﴾ (33) عبس	صيحة تصم الآذان يوم القيامة	+	+	–	–	+
صدّ	﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ (61) النساء	يعرضون ويضحكون	+	+	–	+	–
صدّ	﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ﴾ (99) آل عمران	تمنعون	+	+	–	+	–
صدر	﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ (2) الأعراف	قلبك	+	–	–	–	+
صدع	﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ (94) الحجر	امض لما أمرت واقصد واجهر	+	+	–	+	–
صدف	﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ (46) الأنعام	يعرضون	+	+	–	+	–
صدق	﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (122) النساء	صدق القول والفعل	+	+	–	+	–
صدق	﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ (88) يوسف	الصدقة	+	+	–	+	–
صدي	﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ (35) الأنفال	تصفيقا	+	+	–	+	–
صدي	﴿فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ⑥﴾ (6) عبس	تقبل عليه	+	+	–	+	–
صرح	﴿ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾	بناء شاخا	+	–	–	–	+

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	(36) غافر						
صرخ	﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ (18) القصص	يستغيثه من بعد	+	+	−	+	−
صرخ	﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ (37) فاطر	يستغيثون	+	+	−	+	−
صرّ	﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ (46)﴾ (46) الواقعة	يقيمون ويداومون	+	+	−	+	−
صرّ	﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ﴾ (29) الذاريات	صيحة	+	−	−	+	−
صرف	﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ (164) البقرة	توجيه	+	+	−	−	+
صرف	﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ (16) الأنعام	يبعد	+	+	−	−	+
صرف	﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ (46) الأنعام	نتبع الحجج ونضرب المثل	+	+	−	+	−
صرف	﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ (47) الأعراف	حولت	+	+	−	−	+
صرف	﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ (127) التوبة	بكفرهم فصرفهم الله عن الهدى	+	+	−	−	+
صرف	﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا﴾ (41) الإسراء	بينا وفصلنا بأساليب مختلفة	+	+	−	+	−
صعد	﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ﴾ (153) آل عمران	تهربون في جهات الأرض بعيدا	+	+	−	−	+
صعد	﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ (10) فاطر	يرفع	+	+	−	+	−
صعد	﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (17)﴾ (17) المدثر	عذابا لا راحة فيه ومشقة لا تطاق	+	+	−	−	+
صعر	﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ (18) لقمان	تمله تكبرا	+	+	−	+	−

لفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
صعق	﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ (143) الأعراف	مغشيا عليه	+	+	-	-	+
صعق	﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ﴾ (13) الرعد	أنواع العذاب	+	+	-	-	+
صغر	﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (29) التوبة	خاضعون	+	+	-	-	+
صغي	﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ (113) الأنعام	لتميل	+	+	-	+	-
صفح	﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (85) الحجر	فاعف واغفر وتسامح	+	+	-	+	-
صفّ	﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ①﴾ (1) الصافات	الملائكة المصطفة	+	+	-	+	-
صفّ	﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾ (64) طه	مصطفين	+	+	-	-	+
صفو	﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ (75) الحج	يختار	+	+	-	+	-
صفو	﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ (158) البقرة	جبل بمكة	+	-	-	-	+
صكك	﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ (29) الذاريات	ضربت	+	+	-	-	+
صلب	﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ (71) طه	أعلقكم للقتل	+	+	-	-	+
صلح	﴿وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (129) النساء	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	+	+	-	+	-
صلح	﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ (73) الأعراف	نبي الله	+	-	-	+	-

اللفـــظ الفواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
صلي	﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ (56) الأحزاب	يثنون ويستغفرون	+	+	−	+	−
صلي	﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾ (43) الأحزاب	يتعهدكم برحمته	+	+	−	+	−
صلي	﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (14) طه	الصلاة بعينها	+	+	−	+	−
صلي	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا ﴾ (56) النساء	ندخلهم	+	+	−	−	+
صلي	﴿ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ ﴾ (40) الحج	معابد اليهود	+	−	−	+	−
صمت	﴿ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴾ (193) الأعراف	ساكتون	+	+	−	+	−
صمد	﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ (2) الإخلاص	المقصود في الحوائج	+	+	−	+	−
صمع	﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ ﴾ (40) الحج	معابد الرهبان	+	−	−	+	−
صمّ	﴿ وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ ﴾ (71) المائدة	لم يسمعوا الحق ولم يقبلوا	+	+	−	+	−
صنع	﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ (41) طه	اصطفيتك للرسالة	+	+	−	+	−
صنع	﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (45) العنكبوت	تعملون	+	+	−	−	+
صنم	﴿ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴾ (71) الشعراء	أوثانا	+	−	−	+	−
صوب	﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ ﴾ (6) الحجرات	تخطئوا في قصدكم	+	+	−	+	−

لفـــظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
صوب	﴿ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ (38) النبأ	حقا وسدادا، كلمة التوحيد	+	+	-	+	-
صيح	﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ (67) هود	صوت مهلك من السماء	+	+	-	-	+
صوت	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ (2) الحجرات	إذا تكلمتم	+	+	-	+	-
صور	﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴾ (20) ق	البوق أو القرن ينفخ فيه للبعث	+	+	-	+	-
صوم	﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ (185) البقرة	العبادة المفروضة	+	+	-	-	+
صوم	﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ (26) مريم	إمساكا عن الكلام	+	+	-	+	-
صيح	﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾ (31) القمر	صوتا مهلكا من السماء	+	+	-	-	+
صيح	﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ (4) المنافقون	نداء مناد أو إنشاد ضالة	+	+	-	+	-
صير	﴿ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ (53) الشورى	ترجع	+	+	-	-	+
ضحك	﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ (47) الزخرف	يستهزئون ويتعجبون	+	+	-	+	-
ضحك	﴿ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴾ (39) عبس	مسرورة فرحة	+	+	-	+	-
ضحي	﴿ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾ (59) طه	حين تشرق الشمس	+	-	-	-	+
ضدّ	﴿ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ (82) مريم	خصوما يكذبونهم	+	+	-	+	-
ضرب	﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾	أحاطت بهم	+	+	-	-	+

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	(61) البقرة						
ضرب	﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (12) الأنفال	اقتلوهم	+	+	−	−	+
ضرب	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ (24) إبراهيم	ذكر وبين شيئا أثره ظهر في غيره	+	+	−	+	−
ضرب	﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ⑪﴾ (11) الكهف	أنمناهم ومنعناهم السمع	+	+	−	−	+
ضرب	﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ⑤﴾ (5) الزخرف	أنترك	+	+	−	−	+
ضرب	﴿فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ (34) النساء	نوع من العقاب للتأديب	+	+	−	−	+
ضرّ	﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ (17) الأنعام	البلاء والأذى والأهوال	+	+	−	−	+
ضرّ	﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ (62) النمل	هو الذي قطع العلائق عما دون الله	+	+	−	+	−
ضرع	﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ (55) الأعراف	تذللا وخشوعا	+	+	−	+	−
ضعف	﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (40) النساء	يزيده	+	+	−	−	+
ضعف	﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي﴾ (150) الأعراف	قهروني	+	+	−	+	−
ضعف	﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ﴾ (4) القصص	يستعبد	+	+	−	−	+

لفظ الفواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
ضغن	﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ ﴾ (29) محمد	أحقادهم الشديدة الكامنة	+	–	–	–	+
ضلّ	﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا ﴾ (77) المائدة	ابتعدوا وأبعدوا عن قصد الحق	+	+	–	+	–
ضلّ	﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾ (119) النساء	الإغواء عن الحق بالوسوسة	+	+	–	+	–
ضلّ	﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ ﴾ (95) يوسف	حبك	+	+	–	–	+
ضلّ	﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ﴾ (48) فصلت	ذهبوا فلم يفعوهم	+	+	–	–	+
ضنك	﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (124) طه	ضيقة شديدة	+	–	–	–	+
ضنّ	﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ (24) التكوير	يبخل فيقصر في تبليغه	+	+	–	+	–
ضهي	﴿ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ﴾ (30) التوبة	يشبهون به	+	+	–	+	–
ضوء	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (48) الأنبياء	نورا	+	–	–	–	+
ضيع	﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ﴾ (59) مريم	تركوا	+	+	–	–	+
ضيف	﴿ فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ (77) الكهف	يطعموهما	+	+	–	–	+
ضيف	﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ	وهم الملائكة	+	–	–	+	–

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	﴾ (24) الذاريات						
ضيق	﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ (97) الحجر	يحزن ويغتم	+	+	−	+	−
طبع	﴿ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ (100) الأعراف	نختم	+	+	−	+	−
طبق	﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ (19) الانشقاق	حالا بعد حال	+	−	−	−	+
طرح	﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾ (9) يوسف	القوه في أرض بعيدة	+	+	−	+	−
طرد	﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ (52) الأنعام	تزعج وتبعد استخفافا	+	+	−	+	−
طرف	﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (127) آل عمران	طائفة	+	−	−	−	+
طرف	﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ ﴾ (114) هود	الصبح والعصر	+	−	−	+	−
طرف	﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ (43) إبراهيم	بصرهم	+	−	−	−	+
طرق	﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾ (11) الجن	أجناسا وضروبا وأهواء	+	−	−	−	+
طرق	﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾ (16) الجن	ملة الإسلام	+	−	−	+	−
طعم	﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (8) الإنسان	يتصدقون	+	+	−	+	−
طعن	﴿ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ	عابوا	+	+	−	+	−

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	ٱلْكُفْرِ ﴾ (12) التوبة						
طغى	﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ ﴾ (11) الفجر	تجبروا وعصوا وكفروا	+	+	−	+	−
طغى	﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ ﴾ (51) النساء	كل ما يعبد من دون الله	+	+	−	+	−
طفأ	﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ﴾ (64) المائدة	ردهم وأذلهم وشتتهم	+	+	−	+	−
طفأ	﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ (32) التوبة	يخمدون دين الله بتكذيبهم	+	+	−	+	−
طفف	﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ﴾ (1) المطففين	المنقصين في الكيل أو الوزن	+	+	−	−	+
طلب	﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾ (54) الأعراف	يطلب كل منهما الآخر طلبا	+	+	−	−	+
طلب	﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ (73) الحج	عابد الصنم والصنم	+	+	−	+	−
طالوت	﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ (247) البقرة	ملك بني إسرائيل	+	−	−	−	+
طلع	﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ (13) المائدة	تقف وتظهر	+	+	−	−	+
طلع	﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ ﴾ (78) مريم	أعلم	+	+	−	+	−
طلع	﴿ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ ﴾ (38) القصص	أنظر إليه وأقف عليه	+	+	−	+	−
طلق	﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ ﴾ (6) ص	ذهبوا بسرعة	+	+	−	−	+
طلق	﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى ﴾	في أداء الرسالة للعقدة التي فيه	+	+	−	+	−

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	(13) الشعراء						
طمس	﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾ (88) يونس	أهلك وأتلف	+	+	−	−	+
طمع	﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ (16) السجدة	رجاء في رحمته	+	+	−	+	−
طم	﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ (34) النازعات	القيامة	+	−	−	−	+
طمن	﴿بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (28) الرعد	تسكن	+	+	−	−	+
طهر	﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ (125) البقرة	من الأوثان	+	+	−	+	−
طهر	﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ (103) التوبة	من الذنوب	+	+	−	+	−
طور	﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ (52) مريم	اسم جبل	+	−	−	−	+
طوع	﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (59) النساء	انقادوا وامتثلوا الأوامر	+	+	−	+	−
طوع	﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (158) البقرة	ما يأتيه المؤمن من نفسه	+	+	−	+	−
طوف	﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ (158) البقرة	يسعى بينهما	+	+	−	+	−
طوف	﴿وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا﴾ (87) الأعراف	الجماعة	+	−	−	−	+
طوف	﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ	وسوسة	+	+	−	+	−

لفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا﴾ (201) الأعراف						
طوق	﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ (180) آل عمران	سيجعل طوقا في أعناقهم	+	+	-	-	+
طوى	﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (16) النازعات	اسم الوادي	+	-	-	-	+
طيبه	﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ (29) الرعد	فرح وقرة عين، الجنة	+	-	-	-	+
طيب	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ (24) إبراهيم	كلمة التوحيد لا إله إلا الله	+	+	-	+	-
طيب	﴿وَهُدُوٓا إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ (24) الحج	التوحيد	+	+	-	+	-
طير	﴿قَالُوا ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ (47) النمل	تشاءمنا	+	+	-	+	-
ظعن	﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ (80) النحل	سفركم ورحيلكم	+	+	-	-	+
ظفر	﴿وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ (24) الفتح	أظهركم وأعلاكم	+	+	-	-	+
ظلّ	﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ (57) البقرة	سترناكم	+	+	-	-	+
ظلم	﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (117) آل عمران	الجحود، الجور	+	+	-	+	-
ظلم	﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ (257) البقرة	الكفر والشرك	+	+	-	-	+
ظن	﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا	التوهم والشك	+	+	-	+	-

اللفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	يخرصون ﴾ (66) يونس						
ظنّ	﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ (20) الحاقة	الاعتقاد والتيقن والعلم	+	+	-	+	-
ظهر	﴿ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (85) البقرة	تعاونون	+	+	-	+	-
ظهر	﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ (101) البقرة	لم يعملوا بما فيه	+	+	-	-	+
ظهر	﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ ﴾ (120) الأنعام	علانيته	+	+	-	+	-
ظهر	﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ (8) التوبة	يغلبوا	+	+	-	-	+
ظهر	﴿ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ (48) التوبة	بان واطلعكم عليه	+	+	-	+	-
ظهر	﴿ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (92) هود	لم تعبأوا بأمر الله	+	+	-	-	+
ظهر	﴿ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ﴾ (33) الرعد	بباطل	+	+	-	+	-
ظهر	﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ ﴾ (20) الكهف	يعرفوا حقيقة أمركم	+	+	-	+	-
ظهر	﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا ﴾ (22) الكهف	يسيرا كما بينه الله لك	+	+	-	+	-
ظهر	﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ (4) الأحزاب	تحرمونهن	+	+	-	+	-
ظهر	﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا	متقاربة متواصلة	+	+	-	-	+

لفـــظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً ﴾ (18) سبأ						
عبأ	﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ (77) الفرقان	يكترث ويبالي	+	+	–	–	+
عبث	﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴾ (128) الشعراء	تسخرون	+	+	–	+	–
عبد	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ (21) البقرة	أطيعوا ووحدوا	+	+	–	+	–
عبد	﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ (65) الكهف	الخضر	+	–	–	+	–
عبر	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ (13) آل عمران	لعظة ودلالة	+	+	–	+	–
عبر	﴿ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ (43) يوسف	تفسرون وتأولون	+	+	–	+	–
عبس	﴿ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴾ (22) المدثر	قطب وجهه	+	+	–	+	–
عتب	﴿ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾ (24) فصلت	يطلبوا رضى الله	+	+	–	+	–
عتل	﴿ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ (47) الدخان	جروه واسحبوه	+	+	–	–	+
عتل	﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ (13) القلم	غليظ جاف	+	+	–	+	–
عتو	﴿ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ (21) الفرقان	تجاوزوا الحد في الطغيان	+	+	–	+	–
عثر	﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾ (107) المائدة	ظهر وبان	–	+	–	+	–

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
عثر	﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ (21) الكهف	أطلعنا الناس عليهم	+	+	–	+	–
عثو	﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (36) العنكبوت	تسعوا بالبغي والفساد	+	+	–	+	–
عجب	﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ (59) النجم	تكذبون به	+	+	–	+	–
عجب	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (204) البقرة	الإعجاب	+	+	–	+	–
عجب	﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (5) الرعد	الاستعظام	+	+	–	+	–
عجز	﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (51) الحج	معاندين مشاقين مثبطين	+	+	–	+	–
عجلَ	﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (51) البقرة	إله مصنوع في صورة عجل	+	–	–	+	–
عجلَ	﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ (6) الرعد	يطلبونها ويتحرونها قبل أوانها	+	+	–	+	–
عجلَ	﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ (83) طه	وما حملك على العجلة	+	+	–	+	–
عجم	﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (103) النحل	غير عربي	+	–	–	+	–
عدّ	﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ (203) البقرة	أيام التشريق	+	–	–	–	+
عدّ	﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ	تحصوا	+	+	–	+	–

لفـــظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (18) النحل						
عدّ	﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ (31) يوسف	هيأت	+	+	−	−	+
عدل	﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (1) الأنعام	يشركون	+	+	−	+	−
عدل	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (90) النحل	التوحيد والإنصاف	+	+	−	+	−
عدو	﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (28) الكهف	تجاوز	+	+	−	−	+
عدو	﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ (163) الأعراف	يخالفون أمر الله	+	+	−	+	−
عدو	﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ (194) البقرة	الظلم والعدوان	+	+	−	+	−
عدو	﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾ (42) الأنفال	حافة الوادي	+	−	−	−	+
عذب	﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (101) التوبة	العقوبة والجزاء	+	+	−	−	+
عذر	﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ﴾ (94) التوبة	تحروا عذرا يمحون به ذنبهم	+	+	−	+	−
عرب	﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ (3) الزخرف	بلسان العرب	+	−	−	+	−
عرب	﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (99) التوبة	أهل البادية	+	−	−	−	+

اللفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
عرج	﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ (14) الحجر	يصعدون ويرتقون	+	+	-	+	-
عرج	﴿ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (5) السجدة	يصعد	+	+	-	+	-
عرج	﴿ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ ﴾ (17) الفتح	الذي تعرض برجله آفة	+	-	-	-	+
عرّ	﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾ (36) الحج	الفقير الذي يسأل	+	-	-	-	+
عرّ	﴿ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (25) الفتح	إثم	+	-	-	-	+
عرش	﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ (100) يوسف	سرير الملك والسلطان	+	-	-	-	+
عرض	﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ ﴾ (235) البقرة	لوحتم وأشرتم به	+	+	-	+	-
عرض	﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ ﴾ (63) النساء	اترك	+	+	-	-	+
عرض	﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ ﴾ (35) الأنعام	انصرافهم	+	+	-	+	-
عرض	﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾ (72) الأحزاب	طرحنا	+	+	-	+	-
عرف	﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (178) البقرة	بالإحسان والمودة	+	-	-	+	-
عرف	﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ	جبل	+	-	-	-	+

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ (198) البقرة						
عرف	﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ (46) الأعراف	سور بين الجنة والنار	+	–	–	–	+
عرف	﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾ (263) البقرة	كلام حسن	+	–	–	+	–
عرف	﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ (102) التوبة	أقروا	+	+	–	+	–
عرف	﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ﴾ (72) الحج	ترى	+	+	–	–	+
عرف	﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ (69) المؤمنون	يعلموا ويوقنوا	+	+	–	+	–
عرف	﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (13) الحجرات	ليعرف بعضكم بعضا	+	+	–	+	–
عرف	﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾﴾ (1) المرسلات	متابعة	+	–	–	–	+
عرو	﴿وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ (256) البقرة	بالعقيدة	+	–	–	+	–
عرو	﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ (54) هود	أصابك	+	+	–	+	–
عري	﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ (145) الصافات	الأرض الفضاء	+	–	–	–	+
عزر	﴿وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ (12) المائدة	نصرتموه ووقرتموهم وعظمتموهم	+	+	–	+	–
عزّ	﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا	قوينا	+	+	–	+	–

اللفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	بِثَالِثٍ ﴾ (14) يس						
عزّ	﴿ وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ ﴾ (23) ص	غلبني	+	+	−	+	−
عزّ	﴿ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾ (26) آل عمران	تعلي	+	+	−	+	−
عزّ	﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ ﴾ (81) مريم	شفعاء وأنصارا	+	+	−	+	−
عزّ	﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ (19) النجم	صنم	+	−	−	+	−
عزل	﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى ﴾ (48) مريم	أهجركم	+	+	−	+	−
عزل	﴿ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ ﴾ (212) الشعراء	ممنوعون	+	+	−	+	−
عزل	﴿ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ ﴾ (51) الأحزاب	اجتنبت	+	+	−	+	−
عزل	﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ ﴾ (21) الدخان	اتركوا أذاي	+	+	−	+	−
عزم	﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (159) آل عمران	قمحت الأمر وترويت	+	+	−	+	−
عزم	﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ (115) طه	صبرا	+	+	−	+	−
عزم	﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ (21) محمد	جد	+	+	−	−	+
عزو	﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (37) المعارج	جماعات متفرقين	+	−	−	−	+

لفـــظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
عسر	﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ﴾ (6) الطلاق	تضايقتم وامتنعتم	+	+	–	+	–
عشر	﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (19) النساء	خالقوهن وصاحبوهن	+	+	–	+	–
عشر	﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ (130) الأنعام	جموع	+	–	–	–	+
عشر	﴿يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ⑬﴾ (13) الحج	الصاحب المعاشر	+	–	–	+	–
عشو	﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ (52) الأنعام	آخر النهار	+	–	–	–	+
عشو	﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا﴾ (36) الزخرف	يعرض	+	+	–	+	–
عصب	﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ (11) النور	جماعة	+	–	–	–	+
عصف	﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ②﴾ (2) المرسلات	للملائكة الموكلة بالرياح العاصفة	+	–	–	+	–
عصم	﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ (103) آل عمران	التجئوا واعتصموا	+	+	–	+	–
عصم	﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (67) المائدة	يمنعك	+	+	–	+	–
عصم	﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ (10) الممتحنة	عقود الزواج	+	–	–	–	+
عصو	﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ㉜﴾ (32) الشعراء	العصا المعروفة	+	–	–	–	+
عصي	﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ (46) النساء	خرجنا عن الطاعة	+	+	–	+	–

لفظ التواصل	الشاهد: الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
عضد	﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾ (51) الكهف	أعوانا وأنصارا	+	–	–	+	–
عض	﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ (119) آل عمران	العض عينه	+	+	–	+	–
عضل	﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ (232) البقرة	تمنعوهن وتضيقوا عليهن	+	+	–	+	–
عضو	﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ (91) الحجر	فرقوه وجعلوه أعضاء	+	+	–	+	–
عطف	﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (9) الحج	لاويا عنقه تكبرا عن الإيمان	+	+	–	+	–
عطي	﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ (50) طه	جعل ومنح	+	+	–	+	–
عطي	﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾﴾ (5) الليل	بذل	+	+	–	+	–
عظم	﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ (30) الحج	يرى ارتكاب المعاصي كبيرة	+	+	–	+	–
عظم	﴿وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ (5) الطلاق	في الآخرة	+	+	–	–	+
عفر	﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ (39) النمل	العارم الشرس الخبيث	+	–	–	+	–
عفّ	﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ (273) البقرة	التنزه عن السؤال	+	+	–	+	–
عفّ	﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ (6) النساء	فليستغن بماله	+	+	–	–	+
عفو	﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (237) البقرة	تصفحوا	+	+	–	+	–

اللفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
عقب	﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ (10) النمل	لم يرجع ولم يلتفت	+	+	-	-	+
عقب	﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ﴾ (126) النحل	القصاص	+	+	-	+	-
عقب	﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ ﴾ (77) التوبة	أورثهم	+	+	-	-	+
عقب	﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢٨ ﴾ (28) الزخرف	ذريته	+	-	-	-	+
عقب	﴿ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ (35) الرعد	الآخرة والمأوى	+	-	-	-	+
عقب	﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ ﴾ (11) البلد	جبل في جهنم	+	-	-	-	+
عقد	﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴾ (89) المائدة	وثقتموها بالقصد والنية	+	+	-	+	-
عقد	﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ۝٢٧ ﴾ (27) طه	لثغة أصابت لسانه	+	-	-	+	-
عقد	﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ ﴾ (4) الفلق	عقد الخيط	+	+	-	+	-
عقر	﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ ﴾ (77) الأعراف	ذبحوا	+	+	-	-	+
عقل	﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾ (46) الحج	يتفكرون فيمسكون عن الذنب	+	+	-	+	-
عقم	﴿ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ۝٤١ ﴾ (41) الذاريات	المهلكة لهم القاطعة لنسلهم	+	-	-	-	+
عقم	﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ (55) الحج	يوم القيامة	+	-	-	-	+

لفـــظ الفواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
عكف	﴿ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾ (187) البقرة	مقيمون فيها للعبادة	+	+	−	+	−
عكف	﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ (52) الأنبياء	عابدون	+	+	−	+	−
علم	﴿ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ (2) الرحمن	من التعليم	+	+	−	+	−
علم	﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ ﴾ (31) محمد	نرى ونميز	+	+	−	+	−
علم	﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ﴾ (14) هود	بإذن الله وأمره	+	+	−	+	−
علم	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (2) الفاتحة	الخلق كافة	+	−	−	−	+
علم	﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (62) الواقعة	عرفتم	+	+	−	+	−
علن	﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ ﴾ (9) نوح	جهرت	+	+	−	+	−
علو	﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ (64) آل عمران	دعاء إلى	+	+	−	+	−
علو	﴿ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (31) الدخان	مستكبرا	+	+	−	+	−
على	﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (23) المائدة	به	−	−	+	−	+
عمد	﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ (5) الأحزاب	القصد والنية	+	+	−	+	−
عمر	﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ	يتعهد ويعتاد	+	+	−	+	−

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (18) التوبة						
عمر	﴿ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ (158) البقرة	أدى العمرة	+	+	-	+	-
عمر	﴿ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴾ (4) الطور	بيت في السماء تطوف به الملائكة	+	-	-	+	-
عمر	﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (16) يونس	زمنا	+	-	-	-	+
عمق	﴿ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (27) الحج	بعيد	+	-	-	-	+
عمل	﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (105) التوبة	العمل يكون صالحا أو سيئا	+	+	-	+	-
عمّ	﴿ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ ﴾ (61) النور	أخ الأب	+	-	-	-	+
عمه	﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (4) النمل	يتحيرون ويترددون	+	+	-	+	-
عمي	﴿ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ ﴾ (71) المائدة	عمى البصر والبصيرة	+	+	-	+	-
عند	﴿ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴾ (16) المدثر	مخالفا لا يذعن للحق	+	+	-	+	-
عند	﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (76) يونس	لدنا	+	-	-	-	+
عنق	﴿ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ (4) الشعراء	كبرائهم جماعاتهم	+	-	-	-	+
عنو	﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ (111) طه	ذلت وخضعت	+	+	-	+	-

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
عهد	﴿وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾ (40) البقرة	الطاعة / الجزاء	+	+	–	+	–
عوج	﴿قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون﴾ (28) الزمر	لا اختلال أو اختلاف فيه	+	+	–	–	+
عود	﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ (85) القصص	مكة ، يوم القيامة	+	–	–	+	–
عود	﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا﴾ (3) المجادلة	يرجعون	+	+	–	+	–
عود	﴿وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله﴾ (65) الأعراف	قوم هود	+	–	–	–	+
عوذ	﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ (98) النحل	فالجأ إليه واعتصم به	+	+	–	+	–
عوق	﴿قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا﴾ (18) الأحزاب	المثبطين	+	+	–	+	–
عوق	﴿ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾ (23) نوح	صنم كان يعبد في الجاهلية	+	–	–	+	–
عول	﴿ذلك أدنى ألا تعولوا﴾ (3) النساء	تجوروا وتظلموا	+	+	–	–	+
عام	﴿أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين﴾ (126) التوبة	السنة	+	–	–	–	+
عون	﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ (2) المائدة	التظاهر	+	+	–	+	–
عون	﴿والله المستعان على ما تصفون﴾ (18) يوسف	المطلوب منه العون	+	+	–	+	–
عير	﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير	القافلة	+	–	–	–	+

اللفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ (82) يوسف						
عيسى	﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ (87) البقرة	نبي الله ورسوله	+	–	–	+	–
عين	﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴾ (8) البلد	العين المبصرة	+	–	–	+	–
غبر	﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ (57) النمل	الباقين في العذاب	+	–	–	–	+
غبن	﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ (9) التغابن	يوم القيامة	+	–	–	–	+
غثاء	﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ﴾ (41) المؤمنون	هالكين يابسين كالورق البالي	+	–	–	–	+
غدر	﴿ مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ (49) الكهف	يترك	+	+	–	–	+
غدو	﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ (121) آل عمران	خرجت أول النهار	+	+	–	–	+
غرب	﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ (115) البقرة	موضع الغروب	+	–	–	–	+
غرّ	﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (120) النساء	باطلا وخداعا	+	+	–	+	–
غرف	﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾ (75) الفرقان	أعلى درجات الجنة	+	–	–	–	+
غرق	﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ﴾ (37) الفرقان	الغرق عينه	+	+	–	–	+

اللفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
غرم	﴿وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾ (60) التوبة	للدينين	+	+	-	-	+
غرو	﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (14) المائدة	فسلطنا بعضهم على بعض	+	+	-	+	-
غزو	﴿أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ (156) آل عمران	غزاة مجاهدون محاربون	+	+	-	+	-
غسق	﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ (78) الإسراء	سواده وظلمته	+	-	-	-	+
غسق	﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾﴾ (57) ص	صديد يسيل من أجسامهم في جهنم	+	-	-	-	+
غسل	﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ (6) المائدة	الوضوء	+	+	-	-	+
غشي	﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ (107) يوسف	عذاب وعقوبة تجللهم	+	+	-	-	+
غشي	﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ (23) الجاثية	غطاء يمنع من رؤية الحق	+	+	-	+	-
غشي	﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ﴾ (20) محمد	من أصابته الغاشية والسكرة	+	+	-	+	-
غشي	﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ (7) نوح	غطوا بها وجوههم	+	+	-	+	-
غشي	﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾﴾ (1) الغاشية	القيامة	+	-	-	-	+
غصب	﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (79) الكهف	سلبا بغير حق	+	+	-	-	+

لفظ التواصل	الشاهد: الآية - رقمها - السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غير مباشر
غصّ	﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣﴾ (13) المزمل	ذا نشوب في الحلق فلا يساغ	+	+	−	−	+
غضب	﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ (87) الأنبياء	غضبان لله	+	+	−	+	−
غضّ	﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ واغضض من صوتك (19) لقمان	الخفض	+	+	−	+	−
غطي	﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾ (101) الكهف	مانع	+	+	−	+	−
غفر	﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (20) المزمل	التوبة والصلاة	+	+	−	+	−
غفل	وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (92) يونس	معرضون لا يعتبرون	+	+	−	+	−
غلب	﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٢١﴾ (21) المجادلة	بالحجة والسيف	+	+	−	+	−
غلظ	﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (123) التوبة	الشدة والشجاعة	+	+	−	+	−
غلظ	﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (159) آل عمران	قسوة القلب	+	−	−	+	−
غلّ	﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا﴾ (161) آل عمران	يخون	+	+	−	+	−
غلّ	﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ﴾ (10) الحشر	حقد وضغينة	+	+	−	+	−
غلّ	﴿وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ (5) الرعد	الأطواق	+	−	−	−	+

لفظ الفواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
غلّ	﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾ (171) النساء	تجاوزوا وتسرفوا	+	+	−	+	−
غلّ	﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾ (30) الحاقة	قيدوه وضعوا له الأغلال	+	+	−	−	+
غلم	﴿ قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴾ (53) الحجر	ولد	+	−	−	−	+
غمر	﴿ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (54) المؤمنون	جهالة وغفلة	+	−	−	+	−
غمز	﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴾ (30) المطففين	يشيرون إليهم بالأعين استهزاء	+	+	−	+	−
غمض	﴿ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (267) البقرة	تساهلوا وتسامحوا في أخذه	+	+	−	+	−
غنم	﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا ﴾ (69) الأنفال	أخذتم من الكفار قهرا	+	+	−	+	−
غنى	﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَ ﴾ (28) التوبة	يعطيكم	+	+	−	+	−
غنى	﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴾ (8) الليل	عن ربه	+	+	−	+	−
غوث	﴿ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ ﴾ (15) القصص	استجاره وطلب عونه	+	+	−	+	−
غوث	﴿ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴾ (23) نوح	صنم كان يعبد	+	−	−	+	−
غور	﴿ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ ﴾ (40) التوبة	ثقب في جبل ثور	+	−	−	−	+
غيب	﴿ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًا ﴾ (12) الحجرات	الغيبة	+	+	−	+	−

لفـــظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
غيب	﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (53) سبأ	بالظنون	+	+	-	+	-
غيب	﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝﴾ (24) التكوير	الوحي	+	+	-	+	-
غير	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (11) الرعد	يبدلوا ويصلحوا	+	+	-	+	-
غيظ	﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ۝﴾ (55) الشعراء	لمغضبون	+	+	-	+	-
فاد	﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ (113) الأنعام	قلوب	+	-	-	+	-
فئة	﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (249) البقرة	جماعة	+	-	-	-	+
فتح	﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ (89) الأعراف	احكم واقض	+	+	-	+	-
فتح	﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ (76) البقرة	بيّن وقصّ	+	+	-	+	-
فتح	﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ (52) المائدة	بالنصر	+	+	-	-	+
فتن	﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ (53) الأنعام	امتحنا	+	+	-	+	-
فتن	﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (49) المائدة	يصرفوك ويصدوك	+	+	-	+	-
فتن	﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (191) البقرة	الشرك	+	+	-	+	-
فتن	﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ (7)	التلبيس على نفسه وعلى غيره	+	+	-	+	-

لفظ الفواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	آل عمران						
فتن	﴿أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (101) النساء	أن ينالوكم بمكروه	+	+	-	-	+
فتن	﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ (41) المائدة	ضلالته	+	+	-	-	+
فتن	﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (23) الأنعام	معذرتهم	+	+	-	+	-
فتن	﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ (25) الأنفال	بلاء وعقابا دنيويا	+	+	-	-	+
فتن	﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ (83) يونس	يعذبهم	+	+	-	-	+
فتي	﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ (176) النساء	يطلبون منك الفتوى	+	+	-	+	-
فتي	﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ (13) الكهف	أصحاب الكهف	+	-	-	-	+
فتي	﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ (32) النمل	أشيروا علي	+	+	-	+	-
فتي	﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ (149) الصافات	فاسألهم	+	+	-	+	-
فج	﴿يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (27) الحج	مكان	+	-	-	-	+
فجر	﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (78) الإسراء	صلاة الفجر	+	-	-	+	-
فجر	﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ (5) القيامة	يكذب	+	+	-	+	-

لفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
فحش	﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ (28) الأعراف	إثما ومعصية	+	+	−	+	−
فخر	﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ ﴾ (20) الحديد	تباهي	+	+	−	+	−
فدي	﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ (4) محمد	بالمال أو بأسرى المؤمنين	+	+	−	−	+
فرح	﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ (36) الرعد	الفرح عينه	+	+	−	+	−
فرح	﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ (76) القصص	البطرين الباغين الأشرين	+	+	−	+	−
فرد	﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ﴾ (46) سبأ	واحد واحد	+	−	−	−	+
فردس	﴿ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ (107) الكهف	أعلى درجات الجنة	+	−	−	−	+
فرّ	﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ (50) الذاريات	فاهربوا من عقابه إلى ثوابه	+	+	−	+	−
فرّ	﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴾ (6) نوح	بعدا ونفورا وكراهية	+	+	−	+	−
فرض	﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا ﴾ (1) النور	أوجبنا أحكامها عليكم	+	+	−	+	−
فرض	﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ (85) القصص	أنزل القرآن وأمرك بتبليغه	+	+	−	+	−
فرض	﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ﴾ (38) الأحزاب	أحل	+	+	−	+	−
فرض	﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴾ (2) التحريم	شرع	+	+	−	+	−

لفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
فرط	﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ (38) الأنعام	ما تركنا شيئا من أمر الدين	+	+	-	+	-
فرط	﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (28) الكهف	ضائعا في الباطل	+	+	-	-	+
فرط	﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ (45) طه	يعجلّ بالعقوبة علينا	+	+	-	-	+
فرعون	﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ (41) القمر	طاغية امتلك الأرض وادعى الربوبية	+	+	-	+	-
فرغ	﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (126) الأعراف	أنزل	+	+	-	+	-
فرغ	﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ (31) الرحمن	سنقصد لمحاسبتكم	+	+	-	+	-
فرق	﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ (75) البقرة	الجماعة المفرقة عن آخرين	+	-	-	-	+
فرق	﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (25) المائدة	فافصل	+	+	-	+	-
فرق	﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ (159) الأنعام	اختلفوا	+	+	-	+	-
فرق	﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ (56) التوبة	يخافون	+	+	-	+	-
فرق	﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ (106) الإسراء	أنزلناه مفرقا مبينا مفسرا	+	+	-	+	-
فرق	﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾﴾ (4) المرسلات	الملائكة المرسلة بالوحي	+	-	-	+	-
فره	﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ (149) الشعراء	بطرين متجبرين	+	+	-	-	+

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
فري	﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ (105) النحل	يختلق	+	+	−	+	−
فزّ	﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ﴾ (76) الإسراء	ليستخفونك	+	+	−	+	−
فزع	﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ﴾ (22) ص	خاف	+	+	−	−	+
فسح	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (11) المجادلة	توسعوا	+	+	−	+	−
فسد	﴿ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ (152) الشعراء	بالمعاصي	+	+	−	+	−
فسر	﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (33) الفرقان	بيانا	+	+	−	+	−
فسق	﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ (49) المائدة	خارجون عن طاعة الله	+	+	−	+	−
فشل	﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ (152) آل عمران	ضعفتم وجبنتم	+	+	−	+	−
فصح	﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ (34) القصص	أبين	+	+	−	+	−
فصل	﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ (1) هود	فسرت وبينت أحكامه	+	+	−	+	−
فصل	﴿ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾ (20) ص	علم القضاء في الخصومات	+	+	−	+	−
فصل	﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (40) الدخان	يوم القيامة	+	−	−	−	+
فصل	﴿ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ ﴾ (13) المعارج	عشيرته الأقربين	+	−	−	−	+

لفظ التواصل	الشاهد: الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه: اسم	نوعه: فعل	نوعه: حرف	نوعه: مباشر	نوعه: غ مباشر
فصل	﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣﴾ (13) الطارق	بين الحق والباطل	+	+	−	+	−
فصم	﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ (256) البقرة	لا انقطاع	+	+	−	−	+
فضح	﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ۝٦٨﴾ (68) الحجر	تخجلون	+	+	−	+	−
فضض	﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (159) آل عمران	لتفرقوا	+	+	−	+	−
فضل	﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (253) البقرة	خصصناهم بمقبة ليست لغيرهم	+	+	−	+	−
فضل	﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (113) النساء	الإسلام والنبوة وغيرهما	+	+	−	+	−
فضل	﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ (3) هود	كل ذي عمل جزاءه	+	+	−	+	−
فضي	﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ (21) النساء	اتصل وخلا وعاشر	+	+	−	+	−
فطر	﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (30) الروم	اتبعوا دين الله الذي خلق الناس عليه	+	+	−	+	−
فطر	﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٢﴾ (22) يس	خلقني وأوجدني	+	+	−	−	+
فظظ	﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (159) آل عمران	جافيا	+	+	−	+	−
فعل	﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (77) الحج	اعملوا	+	+	−	+	−
فقد	﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى	طلب رؤية الطير الذي غاب	+	+	−	+	−

لفظ الفواصل	الشاهد الآية - رقمها - السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	الهدهد أم كان من الغائبين (٢٠)﴾ (20) النمل						
فقر	﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد (١٥)﴾ (15) فاطر	المحتاجون	+	–	–	–	+
فقه	﴿قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾ (98) الأنعام	يعلمون أحكام الشريعة	+	+	–	+	–
فكر	﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ (44) النحل	يتدبرون	+	+	–	+	–
فكه	﴿وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين (٣١)﴾ (31) المطففين	متلذذين باستخفافهم من المؤمنين	+	+	–	+	–
فكه	﴿لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون (٦٥)﴾ (65) الواقعة	تعجبون	+	+	–	+	–
فلح	﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٥)﴾ (5) البقرة	الفائزون بما يطلبون السعداء	+	+	–	–	+
فلق	﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ (1) الفلق	الصبح	+	–	–	–	+
فلك	﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾ (37) هود	السفينة	+	–	–	–	+
فلن	﴿يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا﴾ (28) الفرقان	كناية عن الإنسان	+	–	–	–	+
فند	﴿إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون﴾ (94) يوسف	تسفهون وتكذبون	+	+	–	+	–
فهم	﴿ففهمناها سليمان﴾ (79) الأنبياء	أوحى إليه ومكنه من الفهم	+	+	–	+	–
فوت	﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من	فلا مهرب من العقاب	+	+	–	–	+

اللفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ (51) سبأ						
فوج	﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾ (2) النصر	جماعات كثيرة	+	−	−	−	+
فور	﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾ (125) آل عمران	ساعتهم هذه	+	−	−	−	+
فوز	﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (73) النساء	أحظى بسهم	+	+	−	−	+
فوض	﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (44) غافر	التوكل على الله واستعانته	+	+	−	+	−
فوق	﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ (10) الأحزاب	من أعلى الوادي	+	−	−	−	+
فوه	﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ (118) آل عمران	ألسنتهم وكلامهم	+	−	−	+	−
في	﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (19) النمل	مع	−	−	+	−	+
فيأ	﴿فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (226) البقرة	رجعوا عن اليمين في المدة	+	+	−	+	−
فيأ	﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ﴾ (9) الحجرات	ترجع	+	+	−	−	+
فيض	﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ (199) البقرة	إنزلوا	+	+	−	+	−
فيض	﴿تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ (83) المائدة	تسيل بغزارة	+	−	−	−	+
فيض	﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ	تخوضون فيه وتعملونه	+	+	−	+	−

اللفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ (61) يونس						
قبس	﴿ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ (13) الحديد	نأخذ ونستضيء	+	+	–	+	–
قبض	﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾ (67) التوبة	يمسكونها عن الصدقة	+	+	–	–	+
قبل	﴿ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ (31) القصص	ارجع إلى حيث كنت	+	+	–	+	–
قبل	﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ﴾ (16) الأحقاف	قبول الشيء على وجه يقتضي ثوابا	+	+	–	+	–
قبل	﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ (144) البقرة	المكان المقابل المتوجه إليه للصلاة	+	–	–	+	–
قبل	﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ (27) الأعراف	أتباعه	+	–	–	–	+
قبل	﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ (13) الحجرات	طوائف وجماعات	+	–	–	–	+
قبل	﴿ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (36) ﴾ (36) المعارج	نحوك	+	–	–	–	+
قبل	﴿ أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴾ (92) الإسراء	نراهم بالعين، شهيدا	+	+	–	+	–
قبل	﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ ﴾ (183) آل عمران	الترتيب والتقدم الزمني	+	–	–	–	+
قتر	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا (67) ﴾ (67) الفرقان	لم يبخلوا	+	+	–	–	+
قتل	﴿ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ (191) البقرة	القتل ذاته	+	+	–	–	+

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
قتل	﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ (19) المدثر	لعن	+	+	-	+	-
قدّ	﴿ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾ (11) الجن	ضروبا وأجناسا متفرقة مختلفة	+	-	-	-	+
قدر	﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾ (16) الفجر	ضيق	+	+	-	-	+
قدر	﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ (91) الأنعام	ما عرفوا عظمة الله وجلاله	+	+	-	+	-
قدر	﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴾ (40) طه	في الوقت المقدر لإرسالك	+	-	-	+	-
قدر	﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴾ (18) المدثر	هيأ في نفسه قولا	+	+	-	+	-
قدر	﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (1) القدر	ليلة الشرف والعظمة	+	-	-	+	-
قدس	﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ (30) البقرة	نعظمك ونجلك	+	+	-	+	-
قدس	﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ (102) النحل	جبريل ـ عليه السلام ـ	+	-	-	+	-
قدس	﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ (12) طه	المبارك	+	-	-	-	+
قدس	﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ ﴾ (23) الحشر	المنزه عن كل نقص	+	-	-	+	-
قدم	﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴾ (28) ق	أرسلت الرسل وأعلمتكم	+	+	-	+	-
قدم	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (1) الحجرات	كونوا تبعا له ولا تسبقوه	+	+	-	+	-
قدم	﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ﴾ (110) البقرة	تفعلوا	+	+	-	+	-
قدم	﴿ وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ	قلوبنا	+	-	-	-	+

لفـــظ الفواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (147) آل عمران						
قفو	﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ (90) الأنعام	اتبع أثرهم	+	+	−	+	−
قذف	﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ (26) الأحزاب	ألقى وأنزل	+	+	−	+	−
قذف	﴿ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ (53) سبأ	يتكلمون ويقولون بالظن	+	+	−	+	−
قذف	﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ (48) سبأ	يأمر ويبين ويظهر	+	+	−	+	−
قرأ	﴿ فَٱقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ (20) المزمل	القراءة عينها والصلاة	+	+	−	+	−
قرب	﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ (19) العلق	من الله بطاعته	+	+	−	+	−
قرب	﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ (38) الروم	القرابة	+	−	−	−	+
قرب	﴿ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا ﴾ إذ قربـا قربانـا (27) المائدة	ما يتقرب به إلى الله	+	+	−	+	−
قرب	﴿ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴾ (52) مريم	كلمناه من غير وحي وأكرمناه	+	+	−	+	−
قرب	﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾ (82) المائدة	إليهم	+	+	−	−	+
قرح	﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾ (140) آل عمران	جرح أو قتل	+	+	−	−	+
قرّ	﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ (84) البقرة	اعترفتم	+	+	−	+	−
قرّ	﴿ ٱلْءَاخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾ (39) غافر	دار إقامة واستقرار	+	−	−	−	+

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
قرش	﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١﴾ (1) قريش	قبيلة	+	–	–	–	+
قرض	﴿وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ (20) المزمل	أنفقوا	+	+	–	–	+
قرطس	﴿وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗا﴾ (91) الأنعام	أوراقا وصحفا مكتوبة	+	–	–	+	–
قرع	﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾ (1) القارعة	القيامة تقرع القلوب بأهوالها	+	–	–	–	+
قرف	﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًا﴾ (23) الشورى	يكتسب	+	+	–	–	+
قرن	﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا﴾ (38) النساء	صاحبا ومعينا	+	–	–	+	–
قرن	﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ﴾ (6) الأنعام	أمة من الناس	+	–	–	–	+
قرن	﴿وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٤٩﴾ (49) إبراهيم	مقرون بعضهم مع بعض	+	+	–	–	+
قرن	﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ﴾ (83) الكهف	ملك صالح أعطي العلم والحكمة	+	–	–	–	+
قرن	﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ (39) العنكبوت	غني متكبر من أقارب موسى	+	–	–	–	+
قري	﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ﴾ (13) محمد	القوم أنفسهم	+	–	–	–	+
قري	﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ﴾ (92) الأنعام	مكة	+	–	–	–	+
قس	﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا﴾ (82) المائدة	الخطباء والعلماء	+	–	–	–	+

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
قسط	﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (9) الحجرات	اعدلوا	+	+	–	+	–
قسط	﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ (15) الجن	الظالمون الجائرون	+	+	–	+	–
قسم	﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم﴾ (8) النساء	الميراث	+	+	–	–	+
قسم	﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (21) الأعراف	حلف	+	+	–	+	–
قسم	﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ (4) الذاريات	الملائكة تقسم المقدرات الربانية	+	–	–	+	–
قسو	﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ (74) البقرة	صلبت عن قبول الحق	+	–	–	+	–
قشعر	﴿كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ (23) الزمر	تخاف وتهتز	+	+	–	+	–
قصد	﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ (9) النحل	بيان الطريق المستقيم	+	+	–	+	–
قصر	﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ (101) النساء	تردوها من أربع إلى اثنين	+	+	–	+	–
قصر	﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ (202) الأعراف	يكفون	+	+	–	+	–
قصّ	﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (176) الأعراف	بين، أخبر، اقرأ –	+	+	–	+	–
قص	﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (179) البقرة	إتباع الأثر بإقامة الحد العقوبة بالمثل	+	+	–	+	–

لفظ التواصل	الشاهد الآية_رقمها_السورة	معناه	اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
قصم	﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ (11) الأنبياء	أهلكنا	+	+	−	+	−
قصي	﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ (1) الإسراء	اعتبارا بمكان المخاطبين به من النبي وأصحابه	+	−	−	+	−
قضي	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ (23) الإسراء	أمر ووصى	+	+	−	+	−
قضي	﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ (66) الحجر	أوحينا	+	+	−	+	−
قضي	﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ (114) طه	يكمل ويتم	+	+	−	+	−
قضي	﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾﴾ (78) النمل	يفصل ويحكم	+	+	−	+	−
قضي	﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ (103) النساء	أديتم	+	+	−	+	−
قطع	﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ (27) البقرة	يتركوا	+	+	−	+	−
قطع	﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ (32) النمل	قاضية أو أبرم أمرا	+	+	−	+	−
قطع	﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (7) الأنفال	يستأصل	+	+	−	−	+
قطع	﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾ (93) الأنبياء	تفرقوا أحزابا واختلفوا	+	+	−	+	−

لفـــظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
قعد	﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (16) الأعراف	لأترصدن	+	+	−	+	−
قعد	﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (68) الأنعام	تجتمع	+	+	−	+	−
قعد	﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا ﴾ (60) النور	العجائز	+	−	−	−	+
قعد	﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ (81) التوبة	مخالفته بالقعود عن الجهاد	+	+	−	−	+
قفو	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ﴾ (87) البقرة	أتبعنا	+	+	−	+	−
قفو	﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ (36) الإسراء	لا تتبع وتطلب	+	+	−	+	−
قلب	﴿ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ ﴾ (48) التوبة	أجالوا الفكر في كيدك	+	+	−	+	−
قلب	﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ (143) البقرة	يرتد عن دينه	+	+	−	+	−
قلب	﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ (219) الشعراء	قائما وقاعدا وراكعا وساجدا	+	+	−	+	−
قلب	﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (28) الرعد	القلب والنفس	+	−	−	+	−
قلم	﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ﴾ (27) لقمان	القلم بعينه	+	−	−	+	−
قلم	﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ (44) آل عمران	سهامهم	+	−	−	+	−

اللفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
قلي	﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴾ (168) الشعراء	من المبغضين	+	+	-	-	+
قمر	﴿يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (18) الحج	قمر السماء عينه	+	-	-	-	+
قنت	﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (238) البقرة	طائعين خاضعين مقرين بالعبودية	+	+	-	+	-
قنط	﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ (36) الروم	ييأسون	+	+	-	+	-
قنع	﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ (36) الحج	الفقير الذي لا يسأل	+	-	-	-	+
قهر	﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ (9) الضحى	تحقره أو تظلمه في ماله	+	+	-	+	-
قوب	﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ (9) النجم	مسافة أو قدر	+	-	-	+	-
قوت	﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ (85) النساء	شهيدا وحسيبا	+	-	-	+	-
قول	﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (122) النساء	قولا خبر حديثا	+	+	-	+	-
قول	﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ (6) المزمل	أثبت قراءة لحضور القلب فيها	+	+	-	+	-
قول	﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ (86) الكهف	الإلهام	+	+	-	+	-
قول	﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ (136) البقرة	اعتقدوا وانطقوا واعملوا	+	+	-	+	-
قوم	﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (13) الشورى	بينوه واعملوا به	+	+	-	+	-

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
قوم	﴿ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ ﴾ (6) فصلت	توجهوا	+	+	-	+	-
قوم	﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا ﴾ (191) آل عمران	قيام بالاختيار	+	+	-	+	-
قوم	﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى ﴾ (125) البقرة	الحجر الذي قام عليه عند بناء الكعبة	+	+	-	+	-
قوم	﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ (5) البينة	الملة المستقيمة	+	-	-	+	-
قوم	﴿ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾ (92) النحل	الآخرة	+	-	-	-	+
قوم	﴿ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ ﴾ (31) الأحقاف	العشيرة والجماعة	+	-	-	-	+
قوي	﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ ﴾ (63) البقرة	بجد وحزم واجتهاد ومواظبة	+	-	-	+	-
قيض	﴿ وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ ﴾ (25) فصلت	هيأنا	+	+	-	+	-
كبب	﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ ﴾ (90) النمل	ألقوا منكوسين	+	+	-	-	+
كبت	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ (5) المجادلة	أهلكوا ولعنوا وهزموا	+	+	-	-	+
كبد	﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾ (4) البلد	مشقة ومكابدة للشدائد	+	+	-	-	+
كبر	﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ﴾ (3) المدثر	عظم	+	+	-	+	-
كبر	﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ ﴾ (87) البقرة	تكبرتم عن اتباعه	+	+	-	+	-

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
كبكب	﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ (94) الشعراء	قلب بعضهم على بعض	+	+	−	−	+
كتب	﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ ﴾ (41) الزمر	القرآن	+	+	−	+	−
كتب	﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (21) المجادلة	قضى وأوجب	+	+	−	+	−
كتب	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ (216) البقرة	فرض	+	+	−	+	−
كتب	﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ (15) المائدة	التوراة والإنجيل	+	+	−	+	−
كتب	﴿ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾ (22) المجادلة	أثبت	+	+	−	+	−
كتب	﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (21) المائدة	أمركم بدخولها	+	+	−	+	−
كتم	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ ﴾ (159) البقرة	يخفون	+	+	−	+	−
كدي	﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ﴾ (34) النجم	قطع ومنع	+	+	−	+	−
كذب	﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ﴾ (32) الزمر	افترى، قذف، جحد	+	+	−	+	−
كذو	﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ (42) النمل	أمثل هذا	+	−	−	+	−
كرس	﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾	أحاط علمه بهما	+	+	−	+	−

لفظ الفواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	(255) البقرة						
كرم	﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾﴾ (15) الفجر	اختاره وتفضل عليه بالمال وغيره	+	+	–	+	–
كره	﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ (106) النحل	اجبر على التلفظ بالكفر	+	+	–	+	–
كره	﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾ (9) محمد	رفضوا ولم يقبلوا	+	+	–	+	–
كسب	﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (225) البقرة	تعملت	+	+	–	+	–
كسب	﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ (8) يونس	يشركون ويعصون	+	+	–	+	–
كسل	﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ (142) النساء	متثاقلين	+	+	–	+	–
كشف	﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (62) النمل	يرفع الضر والجور	+	+	–	+	–
كظم	﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ (134) آل عمران	الحابسين غيظهم في قلوبهم	+	+	–	+	–
كظم	﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ (58) النحل	حزين في قلبه غم وغيظ	+	+	–	+	–
كعب	﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ (97) المائدة	بيت الله الحرام	+	–	–	+	–
كفر	﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ (12) غافر	جحدتم وحجبتم نور الحق عن بصيرة القلب	+	+	–	+	–

اللفظ التواصل	الشاهد الآية_رقمها_السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
كفر	﴿إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم﴾ (4) الممتحنة	تبرأنا وأنكرنا أن تكونوا على الحق	+	+	−	+	−
كفّ	﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة﴾ (24) الفتح	عصمكم وإياهم عن بعضكم	+	+	−	+	−
كفّ	﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾ (208) البقرة	جميعا	+	−	−	−	+
كفل	﴿اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته﴾ (28) الحديد	نصيبين	+	−	−	−	+
كفل	﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا﴾ (91) النحل	شهيدا ورقيبا	+	+	−	+	−
كفل	﴿إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم﴾ (44) آل عمران	يقوم على رعايتها وتنشئتها	+	+	−	+	−
كفي	﴿إنا كفيناك المستهزئين ۝﴾ (95) الحجر	سينصرك عليهم ويظفرك بهم	+	+	−	+	−
كلأ	﴿قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن﴾ (42) الأنبياء	يحفظكم ويحرسكم	+	+	−	+	−
كلف	﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾ (286) البقرة	يأمر بما يشق على النفس	+	+	−	+	−
كلف	﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ۝﴾ (86) ص	المتقولين على الله	+	+	−	+	−
كل	﴿ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط﴾ (47) يونس	جميع	+	−	−	−	+
كلم	﴿ويحق الله الحق بكلماته ولو كره	بحججه ودلائله	+	+	−	+	−

لفظ التواصل	الشاهد الآية_رقمها_السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ } (82) يونس						
كلم	{ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ } (6) التوبة	القرآن الكريم	+	+	-	+	-
كلم	{ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا } (51) الشورى	يخاطب	+	+	-	+	-
كمل	{ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ } (3) المائدة	حصل ما فيه الغرض منه	+	+	-	+	-
كند	{ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ } (6) العاديات	كفور جحود	+	+	-	+	-
كنز	{ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا } (82)الكهف	علم في صحف ملفونة	+	-	-	+	-
كنن	{ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ } (235) البقرة	أخفيتم وأسررتم وأضمرتم	+	+	-	+	-
كهف	{ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن } (16) الكهف	ثقب في الجبل	+	-	-	-	+
كون	{ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ } (146) آل عمران	استسلموا وخضعوا	+	+	-	+	-
كوي	{ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ } (35) التوبة	تحرق	+	+	-	-	+
كي	{ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ } (33) طه	تفسيرية تعليلية	-	-	+	+	-
كيد	{ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ } (15) الطارق	يمكرون	+	+	-	+	-
كيد	{ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ } (45) القلم	عذابي	+	+	-	-	+

لفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
كيف	﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ (101)آل عمران	استفهام تعجب وتوبيخ	–	–	+	+	–
كون	﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ (146)آل عمران	استسلموا	+	+	–	–	+
كون	﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ﴾ و (76) المؤمنون	فما خضعوا	+	+	–	+	–
لبّ	﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ (29) ص	العقول	+	–	–	+	–
لبد	﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ (19) الجن	مزدحمين حرصا لسماع القرآن	+	+	–	+	–
لبس	﴿وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ (137) الأنعام	يخلطوا	+	+	–	+	–
لبس	﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ (26) الأعراف	الإيمان والعمل الصالح	+	+	–	+	–
لجا	﴿وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ (118) التوبة	عاصم	+	+	–	+	–
لجّ	﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ (75) المؤمنون	تمادوا واستمروا	+	+	–	+	–
لحد	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ (40) فصلت	يكذبون ويميلون عن الحق	+	+	–	+	–
لحف	﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ (273) البقرة	إلحاحا في السؤال	+	+	–	+	–
لحق	﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ (83) الشعراء	اجعلني معهم في الدنيا والآخرة	+	+	–	+	–

اللفـــظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
لحن	﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ (30) محمد	أساليب ملتوية في الحديث	+	+	–	+	–
لدّ	﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾ (97) مريم	شدة الخصومة في الباطل	+	+	–	+	–
لدن	﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾ (6) النمل	عند	+	–	–	+	–
لدي	﴿ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (10) النمل	عندي	+	–	–	+	–
لزم	﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ ﴾ (26) الفتح	حكم وأمر	+	+	–	+	–
لسن	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (4) إبراهيم	لغة	+	–	–	+	–
لسن	﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ﴾ (78) المائدة	لعنهم الله في الزبور والإنجيل	+	–	–	+	–
لسن	﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ (50) مريم	ثناء حسنا	+	–	–	+	–
لطف	﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ﴾ (19) الشورى	بر رفيق	+	+	–	–	+
لعب	﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾ (57) المائدة	لهو	+	+	–	–	+
لعل	﴿ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ (2) الرعد	في كلامه للتحقيق وفي الأصل للترجي	–	–	+	+	–
لعن	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ (57) الأحزاب	سخط عليهم وطردهم من رحمته	+	+	–	+	–

لفـــظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
لغو	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ (26) فصلت	صيحوا في زمن قراءته بالباطل	+	+	–	+	–
لفظ	﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ (18) ق	ما يتكلم	+	+	–	+	–
لقب	﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ (11) الحجرات	الأسماء المستكرهة	+	–	–	+	–
لقمان	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ (12) لقمان	رجلٌ صالح	+	–	–	+	–
لقي	﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾ (5) المزمل	سنوحي إليك ونترل	+	+	–	+	–
لقي	﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾﴾ (5) المرسلات	الملائكة المرسلة بالوحي	+	–	–	+	–
لقي	﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ (37) ق	استمع باهتمام	+	+	–	+	–
لقي	﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ (35) فصلت	ما يعطاها ويوفق لها ويؤتاها	+	+	–	–	+
لقي	﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾﴾ (15) القيامة	جاء بكل عذر لم ينفعه	+	+	–	+	–
لقي	﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ (44) آل عمران	يقترعون ويتساهمون	+	+	–	+	–
لقي	﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ (52) الحج	وسوس	+	+	–	+	–
لقي	﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ (94) النساء	سلّم	+	+	–	+	–
لمز	﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (11) الحجرات	يعيب بعضكم بعضا	+	+	–	+	–
لمس	﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ	رمنا-الجن-استراق السمع	+	+	–	+	–

لفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ ﴾ (8) الجن						
لمم	﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ ﴾ (8) الشمس	أعلمها وأرشدها	+	+	−	+	−
لهو	﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ﴾ (70) الأنعام	باستهزائهم به وغفلتهم عنه	+	+	−	−	+
لات	﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ (19) النجم	صنم من أصنام الجاهلية	+	−	−	−	+
لوح	﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (145) الأعراف	ألواح التوراة	+	−	−	+	−
لوذ	﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ﴾ (63) النور	خفية	+	+	−	−	+
لوط	﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ (133) الصافات	نبي الله ورسوله	+	−	−	+	−
لوم	﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (30) القلم	يلوم بعضهم بعضا ويعنف	+	+	−	+	−
لوي	﴿ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ ﴾ (46) النساء	تحريفا للكلام	+	+	−	+	−
لوي	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ ﴾ (5) المنافقون	عطفوها إعراضا واستهزاء	+	+	−	+	−
ليت	﴿ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ﴾ (14) الحجرات	لا ينقصكم	+	+	−	−	+
ليت	﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (26) يس	طمع وإشفاق	−	−	+	+	−
ليل	﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ	الليل ذاته	+	−	−	−	+

اللفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	يَسْجُدُونَ ﴾ (113) آل عمران						
لين	﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (44) طه	بالملاطفة واللين	+	+	-	+	-
مأجوج	﴿ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (94) الكهف	قبيلتين مفسدتين	+	-	-	-	+
متع	﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا ﴾ (3) هود	يرزقكم	+	+	-	-	+
متى	﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ﴾ (214) البقرة	سؤال عن وقت	-	-	+	+	-
مثل	﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (25) إبراهيم	العبرة	+	+	-	+	-
مثل	﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ﴾ (6) الرعد	العقوبات الزاجرة	+	+	-	+	-
مثل	﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ (52) الأنبياء	الأصنام والأوثان	+	-	-	+	-
مجد	﴿ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ (73) هود	واسع العطاء والجود	+	-	-	-	+
مجس	﴿ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (17) الحج	عبدة النار	+	-	-	+	-
محص	﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ (141) آل عمران	ليختبر	+	+	-	-	+
محق	﴿ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (141) آل عمران	يهلك	+	+	-	-	+
محن	﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (3) الحجرات	أخلص وصفى	+	+	-	-	+

لفظ التواصل	الشاهد الآية_رقمها_السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
محن	﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ﴾ (10) الممتحنة	بالحلف	+	+	-	+	-
محو	﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ (24) الشورى	أذهب أثره وأزاله	+	+	-	+	-
مدّ	﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ (202) الأعراف	يزينون لهم ويزيدونهم	+	+	-	-	+
مدّ	﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ (132) الشعراء	أعطاكم وأنعم عليكم	+	+	-	-	+
مدّ	﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾ (109) الكهف	حبرا	+	-	-	+	-
مدّ	﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ (75) مريم	يمهلهم استدراجا	+	+	-	-	+
مدن	﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ (84) هود	اسم بلد أو قبيلة، قوم شعيب	+	-	-	-	+
مرأ	﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ (128) النساء	عينها	+	-	-	-	+
مرأ	﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ (24) الأنفال	الإنسان	+	-	-	-	+
مرت	﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ (102) البقرة	ساحر يعلم السحر إنذارا منه	+	-	-	-	+
مرج	﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ (5) ق	مختلط مضطرب	+	-	-	-	+
مرح	﴿ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ (75) غافر	يتوسعون في الفرح والبطر	+	+	-	-	+

لفظ الفواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
مرد	﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ (101) التوبة	ثبتوا وتعودوا عليه	+	+	–	–	+
مرّ	﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ (105) يوسف	يشاهدونها	+	+	–	–	+
مرض	﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ (20) المزمل	سقيم	+	+	–	–	+
مرض	﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ۝٢٩﴾ (29) محمد	شك وفجور ونفاق وكفر	+	+	–	–	+
مرو	﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ (158) البقرة	جبل بمكة	+	–	–	+	–
مري	﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ (55) الحج	شك وتردد	+	+	–	+	–
مري	﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢﴾ (12) النجم	تجادلون جدل الشاكين الجاحدين	+	+	–	+	–
مريم	﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ﴾ (42) آل عمران	أم عيسى	+	–	–	–	+
مزق	﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ (19) سبأ	فرقناهم في البلاد كل التفريق	+	+	–	–	+
مسح	﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ (43) النساء	التيمم	+	+	–	–	+
مسح	﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ (171) النساء	الصديق	+	–	–	+	–
مسّ	﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ (201) الأعراف	ورد إليهم	+	+	–	–	+

اللفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
مسّ	﴿ لَا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ (79) الواقعة	لا ينزل به، لا يقرأه لا يلمسه	+	+	−	+	−
مسك	﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ﴾ (43) الزخرف	خذ بالقرآن واعمل به	+	+	−	+	−
مسك	﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ ﴾ (170) الأعراف	يعملون بما فيه	+	+	−	+	−
مسك	﴿ لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ﴾ (100) الإسراء	لبخلتم	+	+	−	−	+
مسو	﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ (17) الروم	تدخلون في وقت صلاة المغرب والعشاء	+	+	−	−	+
مشي	﴿ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ (122) الأنعام	قرآنا يهتدي به	+	+	−	+	−
مشي	﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴾ (11) القلم	ساع بين الناس بالكلام للإفساد	+	+	−	+	−
مصر	﴿ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ (61) البقرة	من الأمصار	+	−	−	−	+
مطي	﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴾ (33) القيامة	يتثاقل عن الداعي إلى الله	+	+	−	+	−
مع	﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ﴾ (12) المائدة	تقتضي المعية أي معكم بالعون	−	−	+	+	−
مع	﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ﴾ (157) الأعراف	عليه	−	−	+	+	−
معن	﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ (7) الماعون	كل ما ينتفع به من أنواع القربات	+	+	−	+	−
مقت	﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (3) الصف	سخطا وغضبا	+	+	−	+	−
مكث	﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾	على تؤدة وتأن	+	−	−	+	−

لفـــظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	(106) الإسراء						
مكر	﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (54) آل عمران	خدعوا وكذبوا فجزاهم الله بفعلهم	+	+	-	+	-
مكة	﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾ (24) الفتح	بيت الله	+	-	-	+	-
ميكال	﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾ (98) البقرة	ملك موكل بالرزق	+	-	-	+	-
مكن	﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾ (55) النور	يظهره في جميع البلاد وينشره	+	+	-	+	-
مكا	﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ (35) الأنفال	صفيرا	+	+	-	+	-
ملأ	﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ﴾ (38) هود	جماعة	+	-	-	-	+
ملك	﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (75) الأنعام	الآيات الدالة على الله	+	-	-	-	+
ملك	﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾ (77) الزخرف	خازن من خزنة جهنم	+	-	-	+	-
ملك	﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (55) القمر	الله عزيز الملك	+	-	-	+	-
ملّ	﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (123) النحل	شريعة وعقيدة ودين	+	-	-	+	-
ملّ	﴿ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ﴾ (282) البقرة	يقر بلسانه	+	+	-	+	-

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
ملي	﴿ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ (25) محمد	مد لهم في الأماني الباطلة	+	+	–	+	–
ملي	﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝﴾ (5) الفرقان	تقرأ	+	+	–	+	–
من	﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ (77) الأنبياء	على	–	–	+	+	–
من	﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ (23) الجن	من قبل، عن	–	–	+	+	–
من	﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ (23) الجن	اسم موصول أكثر استعماله للعاقل	+	–	–	+	–
منع	﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝﴾ (12) القلم	يمنع عن الإسلام ولده وعشيرته	+	+	–	+	–
منّ	﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا﴾ (164) آل عمران	تفضل	+	+	–	+	–
منّ	﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم﴾ (17) الحجرات	يظهرون فضلهم بإسلامهم	+	+	–	+	–
مني	﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ﴾ (119) النساء	أعرض عليهم الأماني الباطلة	+	+	–	+	–
مني	﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ (52) الحج	قرأ الآيات المنزلة عليه وتلاها	+	+	–	+	–
مني	﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ (20) النجم	صنم من أصنام الجاهلية	+	–	–	+	–
مني	﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ﴾ (119) النساء	أعرض عليهم الأماني	+	+	–	+	–
مهد	﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾ (14) المدثر	هيأت وبسطت النعمة والجاه	+	+	–	–	+

اللفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
مهل	﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ (17) الطارق	لا تستعجل بالانتقام	+	+	–	–	+
مهن	﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾ (10) القلم	كاذب حقير	+	+	–	+	–
موت	﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ (119) آل عمران	إغاظة	+	+	–	+	–
موج	﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ (99) الكهف	يختلطوا ويضطربوا	+	+	–	+	–
موسى	﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (53) البقرة	نبي الله ورسوله	+	–	–	+	–
ميز	﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (37) الأنفال	ليفرق	+	+	–	–	+
ميل	﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (27) النساء	تعدلوا عن الحق	+	+	–	–	+
نأى	﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ (26) الأنعام	يبتعدون عن القرآن والرسول	+	+	–	–	+
نبأ	﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩)﴾ (49) الحجر	خبر	+	+	–	+	–
نبأ	﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ (213) البقرة	الرسل	+	–	–	+	–
نبت	﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ (58) الأعراف	قلب طيب يقبل الوعظ	+	+	–	–	+
نبت	﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ (37) آل عمران	أنشأها	+	+	–	–	+
نبذ	﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ (101) البقرة	طرحوه وتركوه	+	+	–	–	+

اللفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
نبز	﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ (11) الحجرات	لا يدعو بعضكم بعضا بلقب يكرهه	+	+	-	+	-
نبط	﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (83) النساء	يطلبون علمه وهم المتبعون	+	+	-	+	-
نجد	﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (10) البلد	طريقي الخير والشر	+	-	-	-	+
نجل	﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾ (27) الحديد	كتاب الله	+	-	-	+	-
نجم	﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (6) الرحمن	الكوكب الطالع	+	-	-	-	+
نجم	﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ (75) الواقعة	نزول القرآن نجوما مفرقا	+	-	-	+	-
نجو	﴿إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ (9) المجادلة	تساررتم فيما بينكم	+	+	-	+	-
نجي	﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ (52) مريم	كلمناه من غير وحي	+	+	-	+	-
نحت	﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ (95) الصافات	من الحجارة وغيرها أصناما	+	+	-	+	-
نحر	﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ (2) الكوثر	اذبح أضحيتك يوم النحر	+	+	-	+	-
نحل	﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ (68) النحل	الحشرة المخصوصة	+	-	-	-	+
ندم	﴿فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ (52) المائدة	متحسرين	+	+	-	+	-
ندي	﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ (193) آل عمران	داعيا يدعو ويرغب	+	+	-	+	-

لفظ الفواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
ندي	﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ (29) العنكبوت	مجلسكم الذي تجتمعون فيه	+	-	-	+	-
ندي	﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ (10) الشعراء	أمر	+	+	-	+	-
ندي	﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾﴾ (32) غافر	القيامة	+	-	-	-	+
نذر	﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ (270) البقرة	إلزام النفس بالطاعة	+	+	-	+	-
نذر	﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾﴾ (6) يس	حذّر وأخبر	+	+	-	+	-
نذر	﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾﴾ (56) النجم	رسول من الرسل	+	+	-	+	-
نذر	﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾﴾ (5) القمر	الأمور المخوفة لهم	+	+	-	+	-
نزع	﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾﴾ (1) النازعات	الملائكة التي تنزع الأرواح	+	-	-	+	-
نزع	﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (59) النساء	اختلفتم	+	+	-	+	-
نزغ	﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ (200) الأعراف	نزغ الشيطان وسوسته	+	+	-	+	-
نزل	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ (23) الإنسان	شيئا بعد شيء وبيناه	+	+	-	+	-
نزل	﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ (32) فصلت	مترلا ورزقا	+	-	-	-	+
نزل	﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ (13) النجم	مرة	+	-	-	-	+

اللفــــظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
نسخ	﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ (106) البقرة	نزيل حكمها	+	+	–	+	–
نسخ	﴿وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ (154) الأعراف	ما نسخ فيها أي كتب	+	+	–	+	–
نسر	﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (23) نوح	صنم كان يعبد	+	–	–	+	–
نسك	﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾(67) الحج	شريعة خاصة يعملون بها	+	+	–	+	–
نسو	﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾ (61) آل عمران	جمع المرأة من غير لفظها	+	–	–	–	+
نسي	﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦﴾ (126) طه	اهملتها وتعاميت عنها	+	+	–	+	–
نسي	﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ (106) البقرة	محوها من القلوب	+	+	–	+	–
نزل	﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ (59) يوسف	المضيفين	+	+	–	+	–
نشأ	﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ (6) المزمل	القيام بالليل والتعبد فيه	+	+	–	+	–
نشر	﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ۝٣﴾ (3) المرسلات	للملائكة الموكلة بالسحب	+	–	–	+	–
نشر	﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾ (3) الطور	مفتوح	+	+	–	+	–
نشز	﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾ (34) النساء	عصيانهن وتخاصمهن	+	+	–	+	–
نشز	﴿وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا﴾ (11) المجادلة	قوموا إلى الصلاة وغيرها	+	+	–	+	–

اللفظ التواصلي	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
نشط	﴿ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴾ (2) النازعات	للملائكة التي تنزع الأرواح	+	−	−	+	−
نصب	﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾ (3) البقرة	حجر كان ينصب فيعبد	+	−	−	+	−
نصب	﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ﴾ (7) الشرح	فاجتهد في الدعاء	+	+	−	+	−
نصت	﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (204) الأعراف	اسكتوا منتبهين	+	+	−	+	−
نصح	﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ ﴾ (62) الأعراف	أتحرى ما فيه صلاحكم	+	+	−	+	−
نصر	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (7) محمد	تنفيذ شريعته وطاعته فيكون الثواب	+	+	−	−	+
نصر	﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ﴾ (82) المائدة	جمع نصراني	+	−	−	−	+
نطق	﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ (3) النجم	يقول	+	+	−	+	−
نظر	﴿ ثُمَّ نَظَرَ ﴾ (21) المدثر	تأمل وأعاد النظرة والتروي	+	+	−	+	−
نظر	﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ ﴾ (127) التوبة	تلفتوا	+	+	−	+	−
نظر	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا ﴾ (104) البقرة	انتظرنا وتأن علينا	+	+	−	+	−
نظر	﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ (17) الغاشية	الاعتبار	+	+	−	−	+
نظر	﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ ﴾ (19) الأحزاب	الرؤية	+	+	−	−	+

اللفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
نعق	﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ ﴾ (171) البقرة	يصوت ويصيح	+	+	-	+	-
نعم	﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ﴾ (83) الإسراء	منّا	+	+	-	-	+
نغض	﴿ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ﴾ (51) الإسراء	يحركون استهزاء	+	+	-	+	-
نفث	﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) ﴾ (4) الفلق	ساحرات ينفث بشيء يقله	+	+	-	+	-
نفخ	﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ (99) الكهف	البوق ينفخ فيه	+	+	-	+	-
نفر	﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ (38) التوبة	اخرجوا للجهاد	+	+	-	-	+
نفر	﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤١) ﴾ (41) الإسراء	بعدا وإعراضا عن الحق	+	+	-	-	+
نفس	﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) ﴾ (26) المطففين	فليسابق وليرغب الراغبون	+	+	-	-	+
نفس	﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ (45) المائدة	الإنسان	+	-	-	-	+
نفق	﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣٩) ﴾ (39) سبأ	بالمال تصدقتم	+	+	-	-	+
نفق	﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ ﴾ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ (101) التوبة	يضمرون ما لا يظهرون	+	+	-	+	-

اللفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
نفل	﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ (79) الإسراء	طاعة زائدة خاصة بك	+	+	-	+	-
نفي	﴿ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ (33) المائدة	يبعدوا أو يسجنوا	+	+	-	-	+
نقب	﴿ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ (12) المائدة	كبير القوم يقوم بمصالحهم	+	-	-	-	+
نقذ	﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ (103) آل عمران	أنجاكم	+	+	-	-	+
نقر	﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾ (8) المدثر	النقر الصوت، الناقور القرن	+	+	-	+	-
نقص	﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ ﴾ (155) البقرة	الخسران والإهلاك	+	+	-	-	+
نقض	﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ (25) الرعد	يتركون أمره	+	+	-	-	+
نقم	﴿ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ﴾ (47) الروم	فعاقبنا	+	+	-	-	+
نقم	﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (8) البروج	كرهوا وأنكروا	+	+	-	+	-
نكب	﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴾ (74) المؤمنون	منحرفون عن الحق	+	+	-	-	+
نكث	﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾ (10) الفتح	نقض البيعة	+	+	-	+	-
نكح	﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ (32) النور	تزوجوا	+	+	-	+	-

لفـــظ الفواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
نكر	﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴾ (50) الأنبياء	جاحدون	+	+	−	+	−
نكر	﴿ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ (41) النمل	غيروا	+	+	−	−	+
نكر	﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ﴾ (2) المجادلة	قولا قطيعا رفضه الشرع	+	+	−	+	−
نكر	﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ ﴾ (72) الحج	أثر الإنكار من العبوس والتجهم	+	+	−	+	−
نكس	﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ (65) الأنبياء	اطرقوا في الأرض	+	+	−	+	−
نكص	﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ ﴾ (66) المؤمنون	ترجعون معرضين عن سماعها	+	+	−	+	−
نكف	﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (173) النساء	أنفوا وترفعوا عن عبادته	+	+	−	+	−
نكل	﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (66) البقرة	عقوبة	+	+	−	−	+
نمل	﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ (18) النمل	الحشرة المخصوصة	+	−	−	−	+
نمل	﴿ وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ (119) آل عمران	أطراف الأصابع	+	−	−	−	+
نمم	﴿ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ (11) القلم	يسعى بالفساد بين الناس	+	+	−	+	−

اللفظ التواصل	الشاهد الآية_رقمها_السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
نهج	﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (48) المائدة	سبيلا وطريقا	+	+	–	+	–
نهر	﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (23) الإسراء	تزجرهما	+	+	–	+	–
نهر	﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ﴾ (72) آل عمران	ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس	+	–	–	–	+
نهي	﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (7) الحشر	كفكم عنه فكفوا واتركوا	+	+	–	+	–
نهي	﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ (128) طه	العقول والبصائر	+	–	–	+	–
نهي	﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾ (14) النجم	شجرة عظيمة في السماء السادسة	+	–	–	–	+
نوب	﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾ (54) الزمر	ارجعوا بالتوبة	+	+	–	+	–
نوح	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (25) هود	نبي الله ورسوله	+	–	–	+	–
نور	﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ (174) النساء	القرآن وما فيه من بيان وهدى	+	+	–	+	–
نوس	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ (21) البقرة	كل إنسان	+	–	–	–	+
نوش	﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (52) سبأ	تعاطي الإيمان وهم في الآخرة	+	+	–	+	–
نوق	﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾ (27) القمر	ناقة الله المعجزة	+	–	–	–	+

لفظ الفواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
نوم	﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ﴾ (43) الأنفال	رؤيا الأنبياء في المنام وحي	+	+	–	–	+
نون	﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ (87) الأنبياء	نبي الله يونس ـ عليه السلام ـ	+	–	–	+	–
نول	﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (124) البقرة	لا يستحق ولا يعطى	+	+	–	+	–
نول	﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾ (37) الحج	يرفع إليه العمل الصالح الخالص	+	+	–	+	–
ها	﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (19) ﴾ (19) الحاقة	خذوا	+	+	–	+	–
هتو	﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (64) ﴾ (64) النمل	اعطوني قدموا جيئوني	+	+	–	+	–
هجد	﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ ﴾ (79) الإسراء	قيام الليل	+	+	–	+	–
هجر	﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (67) ﴾ (67) المؤمنون	تهذون و تطعنون بالقرآن	+	+	–	+	–
هجر	﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (30) ﴾ (30) الفرقان	متروكا	+	+	–	–	+
هجر	﴿ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (26) العنكبوت	تارك هذه الأرض إلى حيث أمرني ربي	+	+	–	–	+
هجر	﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (10) ﴾ (10) المزمل	اعتزلهم	+	+	–	–	+
هدد	﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20) ﴾	طائر معروف	+	–	–	–	+

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	(20) النمل						
هدي	﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ (24) الحج	أرشدوا	+	+	−	+	−
هدي	﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (35) النمل	شيء عيني يقدم محبة وتلطفا	+	+	−	+	−
هدي	﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ (196) البقرة	ما يهدى إلى بيت الله من الأنعام	+	+	−	+	−
هاروت	﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ (102) البقرة	ساحر يعلم السحر إنذارا منه	+	−	−	+	−
هرع	﴿فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ (70) الصافات	يسرعون ويسفهون	+	+	−	+	−
هارون	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (48) الأنبياء	نبي الله ورسوله	+	−	−	+	−
هزأ	﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (30) يس	يسخرون	+	+	−	+	−
هزّ	﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ (10) النمل	تتحرك بشدة واضطراب	+	+	−	−	+
هزل	﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ (14) الطارق	اللهو واللعب	+	−	−	+	−
هزم	﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (251) البقرة	فكسروهم وتغلبوا عليهم	+	+	−	−	+
هطع	﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ (8) القمر	ناظرين فاتحين آذانهم للصوت	+	+	−	+	−
هلع	﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ (19)	الهلع أسوأ الجزع، الضجور	+	+	−	−	+

اللفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	المعارج						
هلك	﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ (139) الشعراء	عذبناهم وسلطنا عليهم العقوبة	+	+	-	-	+
هلّ	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ (173) البقرة	ما ذكر غير الله عند ذبحه	+	+	-	+	-
هلّ	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (189) البقرة	القمر في أوله	+	-	-	-	+
هلم	﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ﴾ (150) الأنعام	احضروا	+	+	-	+	-
هلم	﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ (18) الأحزاب	أقبلوا	+	+	-	+	-
همز	﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (1) الهمزة	المغتاب	+	+	-	+	-
همس	﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (108) طه	الصوت الخفي	+	+	-	+	-
همّ	﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ (5) غافر	حرصوا على قتل الرسل	+	+	-	-	+
هامان	﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ (39) العنكبوت	وزير فرعون وكانا يشركان بالله	+	-	-	-	+
هيمن	﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ (23)	حفيظا وشهيدا ورقيبا	+	+	-	+	-

اللفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	الحشر						
هنو	﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ (38) آل عمران	ظرف يستعمل للزمان والمكان	+	-	-	+	-
هنو	﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ (35) الحاقة	اسم إشارة إلى مكان	+	-	-	+	-
هود	﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ (156) الأعراف	تبنا ورجعنا	+	+	-	+	-
هود	﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ (65) الأعراف	نبي الله ورسوله	+	-	-	-	+
هون	﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (18) الحج	يذله ويخزيه ويحرمه الرحمة	+	+	-	+	-
هون	﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (63) الفرقان	بسكينة وتواضع	+	+	-	-	+
هوي	﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ (37) إبراهيم	تسرع شوقا	+	+	-	-	+
هوي	﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ (53) النجم	رفعها ثم أسقطها إلى الأرض	+	+	-	-	+
هوي	﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ (71) الأنعام	استماله	+	+	-	+	-
هوي	﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (119) الأنعام	بما تهواه أنفسهم كتحليل الحرام	+	+	-	+	-
هوي	﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ (9) القارعة	جهنم يهوي فيها	+	-	-	-	+
هيا	﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ (10) الكهف	أصلح	+	+	-	+	-
هيت	﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي﴾	تهيأت	+	+	-	-	+

لفظ التواصل	الشاهد: الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ (23) يوسف						
هيم	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾ (225) الشعراء	يخوضون ويذهبون كل مذهب	+	+	−	+	−
وأد	﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾﴾ (8) التكوير	البنت التي تدفن حية	+	−	−	−	+
وبق	﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾﴾ (34) الشورى	يهلكهن ويغرقهن	+	+	−	−	+
وبل	﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ (15) الحشر	سوء العاقبة	+	−	−	−	+
وبل	﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ (16) المزمل	شديدا شاقا	+	−	−	−	+
وتر	﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ (35) محمد	لن ينقصكم	+	+	−	−	+
وتر	﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ (44) المؤمنون	متتابعين	+	+	−	−	+
وتن	﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ (46) الحاقة	عرق متصل بالقلب	+	−	−	−	+
وثق	﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾ (7) المائدة	عهده الذي عاهدكم عليه	+	+	−	+	−
وثن	﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ (25) العنكبوت	أصناما للتواد والتواصل بينكم	+	−	−	+	−
وجد	﴿الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ (157) الأعراف	يقرؤونه	+	+	−	+	−
وجس	﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ (67) طه	أخفى وأضمر	+	+	−	+	−

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
وجف	﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾ (8) النازعات	خائفة مضطربة	+	+	−	+	−
وجلَ	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (2) الأنفال	خافت وخشعت	+	+	−	+	−
وجه	﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ﴾ (79) الأنعام	قصدت بعبادتي	+	+	−	+	−
وحد	﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ (163) البقرة	فرد	+	−	−	+	−
وحي	﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ (163) النساء	إعلام في خفاء	+	+	−	+	−
ودّ	﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ (9) القلم	أحبوا	+	+	−	−	+
ودّ	﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (21) الروم	محبة	+	+	−	+	−
ودّ	﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (23) نوح	صنم كان يعبد في الجاهلية	+	−	−	+	−
ودع	﴿ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ (48) الأحزاب	اترك	+	+	−	−	+
ودع	﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ (3) الضحى	قطعك وتركك	+	+	−	−	+
ودي	﴿ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ ﴾ (92) النساء	ما يعطى عوضا عن دم القتيل إلى وليه	+	−	−	−	+

لفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
ودي	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ (225) الشعراء	الغي والفساد	+	+	−	+	−
ودي	﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ ﴾ (30) القصص	مما يلي الجبل	+	−	−	−	+
ورث	﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (32) فاطر	أعطينا	+	+	−	+	−
ورد	﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ (98) البقرة	أدخلهم	+	+	−	−	+
وذر	﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ﴾ (70) الأنعام	اترك	+	+	−	−	+
ورق	﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴾ (19) الكهف	بدراهمكم الفضية	+	−	−	−	+
وري	﴿ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ﴾ (59) النحل	يستخفي	+	+	−	−	+
وري	﴿ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ ﴾ (102) النساء	خلفكم	+	−	−	−	+
وري	﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ (101) البقرة	خلف	+	−	−	−	+
وزر	﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴾ (29) طه	معينا	+	+	−	+	−
وزر	كَلَّا لَا وَزَرَ (11) القيامة	لا ملجأ	+	−	−	−	+
وزع	﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي	ألهمني ووفقني	+	+	−	+	−

اللفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
	أنعمت علي وعلى والدي ﴾ (19) النمل						
وزع	﴿ ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون ﴾ (83) النمل	يساقون ويدفعون إلى جهنم	+	+	-	-	+
وزن	﴿ وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ (35) الإسراء	تحري العدل في كل شيء قولا وفعلا	+	+	-	+	-
وسع	﴿ قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ (156)الأعراف	عمت، لا نهاية لها	+	+	-	-	+
وسل	﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ﴾ (57) الإسراء	القربى إلى الله بالطاعة والعبادة	+	+	-	+	-
وسم	﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ (75) الحجر	للمتأملين الناظرين من أهل الفراسة	+	+	-	+	-
وسم	﴿ سنسمه على الخرطوم ﴾ (16) القلم	سنجعل له علامة يعير بها ويفتضح	+	+	-	+	-
وسّ	﴿ الذي يوسوس في صدور الناس ﴾ (5) الناس	يغريهم بالمعصية	+	+	-	+	-
وصب	﴿ وله ما في السماوات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون ﴾ (52) النحل	خالصا ودائما	+	+	-	-	+
وصف	﴿ سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم ﴾ (139) الأنعام	كذبهم على الله	+	+	-	+	-
وصل	﴿ ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون ﴾ (51) القصص	أنزلنا القرآن متتابعا	+	+	-	+	-

لفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
وصي	﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ (131) النساء	أمرنا ودعونا	+	+	-	+	-
وضع	﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾ (2) الشرح	غفرنا لك ما تقدم وتأخر من ذنبك	+	+	-	+	-
وضع	﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ (69) الزمر	آخذ بيمينه أو بشماله أبرز الأعمال	+	+	-	+	-
وضع	﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ (47) التوبة	سعوا بالفرقة	+	+	-	+	-
وطأ	﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ (6) المزمل	موافقة بين السمع والبصر واللسان والقلب	+	+	-	+	-
وطن	﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ (25) التوبة	غزوات	+	+	-	-	+
وعد	﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ (22) إبراهيم	الوعد يكون في الخير والشر	+	+	-	+	-
وعد	﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢﴾ (2) البروج	القيامة	+	-	-	-	+
وعظ	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (57) يونس	التذكير بالخير فيما يرق له القلب	+	+	-	+	-
وعي	﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣﴾ (23) الانشقاق	تضمر صدورهم من التكذيب	+	+	-	+	-
وعي	﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى ۝١٨﴾ (18) المعارج	جمع المال ولم يؤد حق الله	+	+	-	-	+
وعي	﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ۝١٢﴾ (12) الحاقة	تسمعها وتحفظها وتفهمها	+	+	-	+	-

لفـــظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
وفد	﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ (85) مريم	جماعة مكرمين	+	-	-	-	+
وفض	﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ (43) المعارج	يسرعون إليهم يستلمه أولا	+	+	-	+	-
وفق	﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (88) هود	رشدي وقدرتي على الطاعة	+	+	-	+	-
وفي	﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴾ (37) النجم	أكمل وأتم ما أمره الله به	+	+	-	+	-
وفي	﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾ (60) الأنفال	يرد لكم تاما كاملا وزيادة	+	+	-	+	-
وفي	﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ (11) السجدة	يقبض أرواحكم	+	+	-	-	+
وفي	﴿ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ (2) المطففين	يأخذون حقهم بالوافي والزائد	+	+	-	-	+
وفي	﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ (40) البقرة	أخلصوا العبادة أتقبلها وأثيبكم	+	+	-	+	-
وقت	﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾ (11) المرسلات	حدد مجيئهم للشهادة على أقوامهم	+	+	-	+	-
وقت	﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ (103) النساء	معلوم الوقت	+	+	-	-	+
وقد	﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾ (64) المائدة	لحرب النبي الكريم	+	+	-	-	+
وقر	﴿ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (9) الفتح	تعظموه وتبجلوه	+	+	-	+	-

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
وقر	﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ (46) الإسراء	صمما	+	+	-	+	-
وقع	﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ (1) الواقعة	القيامة	+	-	-	-	+
وقع	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ (91) المائدة	يسقطكم في	+	+	-	+	-
وقع	﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (72) ص	خروا له سجود تحية لا عبادة	+	+	-	+	-
وقف	﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ (24) الصافات	حاسبوهم	+	+	-	+	-
وقف	﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ (30) الأنعام	عرضوا للسؤال والجازاة	+	+	-	+	-
وقي	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ (102) آل عمران	لا يعصى ولا طرفة عين	+	+	-	-	+
وكد	﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ (91) النحل	توثيقها وتغليظها وتشديدها	+	+	-	+	-
وكز	﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ (15) القصص	دفعه أو ضربه بيده	+	+	-	-	+
وكل	﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (159) آل عمران	اعتمد وثق به	+	+	-	+	-
وكل	﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ (65) الإسراء	حافظا ومانعا	+	+	-	+	-
وكل	﴿قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (66) يوسف	شهيد	+	+	-	+	-
ولج	﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ (16) التوبة	بطانة من المشركين	+	-	-	-	+

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه: اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
ولد	﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (27) نوح	يخلفوا ويتركوا	+	+	–	–	+
ولد	﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ (11) النساء	الذرية	+	–	–	–	+
ولد	﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (83) البقرة	الأبوين	+	–	–	–	+
ولي	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾ (123) التوبة	يجاورونكم	+	+	–	–	+
ولي	﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ (46) الإسراء	أدبروا راجعين وانصرفوا	+	+	–	–	+
ولي	﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (150) البقرة	وجه	+	+	–	–	+
ولي	﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ (55) المائدة	متول لأموركم وناصر لكم	+	+	–	–	+
ولي	﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ (34) القيامة	وعيد وتهديد	+	–	–	+	–
وني	﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ (42) طه	لا تفترا ولا تضعفا ولا تبطئا	+	+	–	–	+
وهب	﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ (50) مريم	وأعطيناه الثناء الحسن	+	+	–	+	–
وهن	﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ (18) الأنفال	مضعف	+	+	–	–	+
وي	﴿وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (82) القصص	ويلك اعلم ألم تر	–	–	+	+	–

اللفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
ويل	﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (22) الزمر	واد في جهنم العذاب	+	-	-	-	+
ويل	﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ﴾ (80) القصص	زجر لهم	+	-	-	+	-
يا	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ (21) البقرة	حرف نداء دال على التواصل	-	-	+	+	-
ياجوج	﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (94) الكهف	قبيلتين مفسدتين	+	-	-	-	+
يئس	﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ (3) المائدة	ايس وقطع طمعه وامله	+	+	-	-	+
يئس	ح﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ (110)يوسف	يئسوا من تصديق قومهم لهم	+	+	-	-	+
يئس	﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (31) الرعد	يتبين	+	+	-	+	-
يتيم	﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾ (9) الضحى	المنقطع عن أبيه قبل بلوغه	+	+	-	-	+
يثرب	﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ (13) الأحزاب	المدينة المنورة	+	-	-	-	+
يحيى	﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢﴾ (12) مريم	نبي الله ورسوله	+	-	-	+	-
يدي	﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (29) التوبة	عن قهر وقوة	+	-	-	-	+

لفظ التواصل	الشاهد الآية ـ رقمها ـ السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
يدي	﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (51) الأنفال	أكثر الأفعال تزاول بها	+	−	−	−	+
يس	يس (1) يس	يا إنسان، من أسماء الله والرسول	+	−	−	+	−
يسر	﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (17) القمر	سهلناه للحفظ وهيأناه للتذكر	+	+	−	+	−
يسع	﴿ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴾ (48) ص	نبي الله ورسوله	+	−	−	+	−
يوسف	﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ (34) غافر	نبي الله ورسوله	+	−	−	+	−
يعقوب	﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ﴾ (163) النساء	نبي الله ورسوله	+	−	−	+	−
يقن	﴿ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (24) السجدة	يصدقون	+	+	−	+	−
يقن	﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ (14) النمل	تيقنوا وتحققوا أنها من عند الله	+	+	−	+	−
يقن	﴿ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ (31) المدثر	ليتين	+	+	−	+	−
يمن	﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ (109) الأنعام	مجتهدين في الحلف بأغلظها	+	−	−	+	−
يمن	﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾ (17) الأعراف	جهة اليمين	+	−	−	−	+
يمن	﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ (18) البلد	الجنة	+	−	−	−	+

لفظ التواصل	الشاهد الآية-رقمها-السورة	معناه	نوعه				
			اسم	فعل	حرف	مباشر	غ مباشر
يونس	﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (139) الصافات	نبي مرسل	+	−	−	+	−
هود	﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ (82) المائدة	كفار بني إسرائيل	+	−	−	−	+
يوم	﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (9) آل عمران	القيامة	+	−	−	−	+
يوم	﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (140) آل عمران	الفرح الحزن، النصر والهزيمة	+	−	−	−	+
يوم	﴿ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾ (5) إبراهيم	بوقائع الله من إنعام أو انتقام	+	−	−	−	+
يوم	﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾ (184) البقرة	شهر رمضان	+	−	−	−	+
يوم	﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾ (203) البقرة	أيام التشريق	+	−	−	−	+

3. دراسة وتحليل لمعجم ألفاظ التواصل:

يمثل هذا الجدول ميدانا خصبا للتواصل، حاولنا فيه رصد جملة من الكلمات التي تشكل فعلا تواصليا، انطلاقا مما ورد في البلاغ القرآني؛ لتحديد استراتيجية التواصل، غير أنّ هذا لا يتمّ من دون تحليل صحيح ودقيق قدر الإمكان لمعاني الفعل التواصلي، ضمن البناء النصي الذي جاء فيه، خاصة إذا علمنا أنّ مهمة التواصل تتجلّى «في التنسيق بين الأفعال في مجال اللغة الطبيعية»؛(1) إذ ليس التواصل مجرد نقل عادي للأخبار بوساطة ميكانيزمات معينة، وإنّما هو جملة من الأفعال اللغوية المتنوعة معرفيا واجتماعيا والتي تستند إلى خطاطات أفعال بواسطة سنن أو رموز، يتم التفاهم من خلالها شفاها وكتابة؛[2] ذلك أنّ كلّ لفظة* في القرآن سواء أكانت حرفا أم فعلا أم اسما هي أكبر من أن تكون مجرد ألفاظ وإنّما تمثل ـ من جهة ـ كلا متكاملا من التفاعل بينها كأفعال إنجازية «تنشئ متواليات من الأفعال»،[3] ثم بينها وبين الأطراف التي تفعّلها أو تتفاعل معها وبها ـ من جهة أخرى...

وهذه الأفعال الإنجازية هي أفعال لغوية، تتضمن جملة من الخصوصيات، فهي ترتكز على تحقيق فعل (سلوك) ما وفعالية تهدف إلى تغيير الواقع، وهي ـ أيضا ـ أفعال قصدية وتواضعية، لا بدّ لها من تحقيق عدد معيّن من الشروط، التي هي مرتبطة بطريقة توظيفها حتى تكون ناجحة، كما أنّها ذات طبيعة سياقية ومقامية.[4]

إنّ إدراك مدلول التواصل يتطلب منا العودة إلى ما أورده الجرجاني عن صنوف العلائق التي تنتج بين هذه المكونات المجردة للغة (الاسم ـ الفعل ـ الحرف) وفق مقتضيات النحوومعانيه؛ فيتعلق الاسم بالاسم، والاسم بالفعل، والحرف بهما، من أجلّ أن تتعالق كل هذه الأقسام بمدلول البلاغ سواء كان آية أم سورة، بوصفهما نصا قائما بذاته، ومكتملا ضمن أنساقه وأطره؛ إذ «لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك»،[5] وبهذا تتفاعل دلالات العلامات اللغوية، ودلالات التركيب معا، حتى يتحقق التواصل

---

(1) جان مارك فيري: فلسفة التواصل تر/ عمر مهيبل منشورات الاختلاف ـ الجزائر، المركز الثقافي العربي ـ بيروت ، الدار البيضاء، الدار العربية للعلوم ـ بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى 2006 ص 67

(2) ينظر للاستزادة عمر مهيبل: إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، منشورات الاختلاف ـ الجزائر ـ المركز الثقافي العربي ـ المغرب ـ لبنان، الدار العربية للعلوم ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 2005 ص17

* عدد كلمات القرآن: سبعة وسبعون ألفا وأربع مائة وسبع وثلاثون (77437)

(3) فان دايك: النص والسياق ـ استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ـ تر / عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق 2000 الدار البيضاء ـ المغرب، بيروت ـ لبنان ص 228

(4) ينظر Jacques Moeschler : Argumentation et Conversation – Eléments pour une pragmatique du discours ; collection / Langues et apprentissage des langues – Hatier-Crédif . Paris 1985 p 24 – 25

(5) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ص 85

ويكتمل، بناء على نجاعة جمالية البلاغ وتأثيره؛ فـ"جاء" أو "أخذ" أو "وعد" أو "أنذر"... مثلا لا يمكن أن تقوم بمعزل عن كثير من الضوابط المتسلسلة، أو لنقل الأحداث اللاحقة المترتبة عن فعل سابق، قد حصل عن قصد، وهذا من أجل أن تكون فعلا إنجازيا؛[1] فما بعث الله الرسل إلا بعد أن اختلف الناس، وانقسموا إلى مؤمنين موحدين وكفار مشركين، وكان مضمون ما بعث به الرسل من الحق البشرى بالجنة لمن سار على هدي الرسل ورسالاتهم، والوعيد لمن خالفهم، وقد قال جلّ جلاله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ البقرة ـ الآية 213.

وإذا كان لفظ بعث فعلا إنجازيا، حصل عن قصد، وفقا لأحداث متتابعة، وقد اختصّ بالله سبحانه وتعالى، فكان بذلك الباعث أو المرسِل، فإنّه لم يكن الفعل الوحيد الذي يجسد هذا الفعل الإنجازي، وإنّما هناك أفعال كثيرة تصب في المجرى نفسه؛ منها أرسل وأنزل وحكم وقضى ووعد وحذّر وخلق وأحيا وأمات ورزق... كما أنّ هناك أفعالا أخرى كثيرة، ولكنها تختصّ بالمبلَّغ مثل: عبد وصام وصلى وسجد وركع وآمن وكفر وتبع وولّى واستكبر وأول وتبتّل وغيرها كثير... ولكنها متراوحة في نتائجها بين النجاح والفشل؛ أي تُتَقَبّل من بعض المبلَّغين ولا تُتقبل من بعضهم، ولعلّ أجمل ما يعكس هذا الفعل في البلاغ القرآني "الصلاة"، فالعبد عندما يشرع في الصلاة، فإنّه مطالب بإعمال عقله وقلبه وكلّ حواسه، لا في قراءة القرآن فحسب، وإنّما في ركوعه وسجوده وتشهده وتسليمه، لذلك فإنّه ملزم بالشعور بسبابته ـ على سبيل المثال ـ وهو يحركها ويديرها على نحو مخصوص، وبالتالي فهو غير محصور في قراءة بضع آيات، وذكر بعض العبارات، مستعملا في الآن ذاته بعض الحركات، بل يتعدى ذلك ليلتقي غرض الفعل مع القصد الذي «هو إيجاد الفعل ذاته كحيز للغرض»،[2] ومن ثمّة يكون الأول؛ أي غرض الفعل، متضمنا في الثاني؛ أي في القصد، ومرتبطا به. ومعيار الغرض كما يذهب إلى ذلك فان دايك هو أنّ كلّ تعبير عنه ينبغي أن يجيب عن علة السؤال الموجد للفعل؛ فالعبد يصلي ولكن الغرض من فعله هذا هو الخوف من الله والرهبة لقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ النور ـ الآية 37، أو الطمع والرغبة في التواصل معه عز وجل كقوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ إبراهيم ـ الآية 40، أو لأنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ومثل هذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ العنكبوت ـ الآية 54، أو لأنّ المصلي يحشر في زمرة المؤمنين الخاشعين المفلحين الفائزين، الذين يحبّهم الله تعالى مصداقا لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ المؤمنون ـ الآيتان 1 ـ 2 ويقول في السياق نفسه:

---

(1) فان دايك: النص والسياق ـ استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ـ ص 235

(2) فان دايك: النص والسياق ـ استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ـ ص 237

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١ ﴾ المؤمنون ـ الآيات 9 ـ 10 ـ 11، أو حبا في الامتثال لأوامره سبحانه وتعالى كقوله: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ۝٤٥ ﴾ البقرة ـ الآية 45، وقوله عزّ من قائل: ﴿ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝٣١ ﴾ الروم ـ الآية 31 أو ليذكر الله جلّ جلاله في صلاته كقوله: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۝١٤ ﴾ طه ـ الآية 14، وقوله: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٧١ ﴾ التوبة ـ الآية 71، أو لإعلان الإخلاص لله ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ ﴾ الأنعام ـ 162، أو للالتزام بتأديتها في وقتها ﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩٢ ﴾ الأنعام ـ الآية 92... إلى غير ذلك من الآيات البيّنات على تنوع أغراضها واتفاق مقاصدها، فإذا ما استوفيت مثل هذه الشروط، فإنّ الكلام هنا يتّجه صوب الفعل الإنجازي، ذي المؤثرية التي تتطابق فيها النتيجة مع الغرض؛ فلو قام العبد بالصلاة من دون غرض من هذه الأغراض أو من دون هذه الأغراض كلّها، فإنّها لا تعد منجزة متحققة، فهو حتى إن قام بذلك فإنّه يعتبر فاشلا؛ ذلك أنّ «الفعل الذي يفشل ولا يبلغ مراده لا يعدّ فعلا إنجازيا»،[1] على أنّ الفشل هنا يظهر بداية من غياب النية، وهي تماثل مصطلح القصد؛ أي الإخلاص لله وحده، وما يؤكّد هذا قوله عزّ من قائل: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ ﴾ الأنعام ـ الآية 162. ولابدّ أن نشير في السياق ذاته إلى أنّ من بين هذه الأفعال الإنجازية ما هو مشترك بين الله وعباده، دون انتهاك للقداسة، التي يجب أن نحسب لها ألف حساب. وهي شراكة نلمسها في اللفظ فقط، فبعض الألفاظ الخاصة بالله عز وجلّ كـ 'سمع' و'رأى' في قوله: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝١٨١ ﴾ آل عمران ـ الآية 181 وقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦ ﴾ طه ـ الآية 46 تختلف عن 'سمع' و'رأى' في الآيات التي تختص بالعباد كقوله تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝٢٨٥ ﴾ البقرة ـ الآية 285، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٤٦ ﴾ النساء ـ الآية 46، فأما الأولى ـ الخاصة بالله وحده ـ فتحيل على القدرة والثقة بالله والتوكّل عليه، وبالتالي لا تحتمل إلا نتيجة واحدة تسير على خط مستقيم، الحفظ والنصرة والتأييد للدلالة على أنّه لا إله إلا هو رب العالمين، وأمّا الثانية ـ الخاصة بجميع المبلّغين على تباين أنواعهم ـ فإنّها تحتمل نتيجتين: الطاعة أو العصيان، والأمر نفسه عندما يتعلق بلفظة دعا في قوله عز وجلّ: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢٥ ﴾ يونس ـ الآية 25،

---

(1) فان دايك: النص والسياق ـ استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ـ ص 238

فدعوة الله ليست هي نفسها التي نجدها عند البشر؛ فهؤلاء قد يدعون إلى الجنة أو إلى النار، والله يدعو إلى الجنة مصداقا لقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (71) ﴾ الأنعام ـ الآية 71، وقوله تعالى: ﴿ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (41) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (42) ﴾ غافر ـ الآيتان 41 ـ 42، وكذلك بشّر في قوله: ﴿ ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (23) ﴾ الشورى ـ الآية 23. وصدق في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (27) ﴾ الفتح ـ الآية 27، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ آل عمران ـ الآية 152، وقوله سبحانه: ﴿ لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (8) ﴾ الأحزاب ـ الآية 8... فهذه الآيات تشير إلى أنّ صدق الله ليس له ضدّ، في حين أن صدق البشر على مراتب تعتريها شكوك وظنون بحسب مراتب المبلِّغين؛ ذلك أنّ صدق الألسنة مرهون بصدق القلوب وإخلاصها، وغير بعيد عن ذلك لفظة 'دنا' التي تشير إلى هيئة معينة في قوله تعالى: (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى) النجم ـ الآية 8 معناه أنّ الله تبارك وتعالى دنا من محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتدلى. وقال بعضهم* ثم دنا محمد من ربه دنو كرامة فتدلى؛ أي هوى للسجود، ونضيف إلى ذلك لفظة رمى في قوله عزّ من قائل: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ الأنفال ـ الآية 17؛ أي وما فعلتَ ونجحتَ في رميتك، ولكن الله قدّر لك ذلك بحوله وقوته، ثمّ إنّ رمية الله ليست نفسها هي رمية البشر. وغير بعيد عن هذه اللفظة لفظة أمر في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ النساء ـ الآية 58.

ولئن أمر الله عزّ وجلّ بالإحسان في قوله: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص ـ الآية 77، فإنّ إحسانه مختلف كليًا عن إحسان المبلّغين؛ إذ إنّ إحسانهم يتجلّى في طاعة الله، والامتثال لأوامره، والانتهاء عما نهى عنه، أمّا إحسانه جلّ جلاله فيتجلّى فيما أنعم به على عباده من النعم. فهذه وغيرها هي أفعال إنجازية يصدق فيها الغرض مع القصد، بل يتقاطعان مع النتيجة.

*) ينظر كتب التفاسير فجميعها اهتمت بتفسير هذه الآية .

وتظل أفعاله ـ جلّ جلاله ـ من سمع ورؤية ودنو وإحسان ومجيء وإتيان ونزول... ليست مثل سمع المخلوق ورؤيته ودنوه وإحسانه ومجيئه وإتيانه ونزوله... وهذا أمر ضروري متفق عليه بين علماء السنة، فإنّ الصفات والأفعال تتبع الذات المتصفة الفاعلة.[1]

ثم إنه لتسهيل تحديد مفهوم التواصل لا بدّ من اعتبار كثير من الأفعال ضمن حدود الأحداث وألفاظها، التي تحصل باستمرار في أزمنة متقاربة أو متباعدة؛ أي أنّ دور كلّ لفظ يتجلّى في كيفية استعماله، وذلك بالإشارة إلى خصوصية بنائه، فاللفظ لا يتوفر على كنه قار، وإنما يتغير بتغيّر السياقات والأطر التي يندرج فيها، والذكر والرزق والدعوة والشكر والسؤال... كلها أمثلة نموذجية، فإذا ما قال الله عزّ وجلّ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 172، وقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ الإنسان ـ الآية 25، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ الجمعة ـ الآية 9، وقال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 186، وقال: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ يوسف ـ الآية 108... فإنه سبحانه وتعالى يتكلّم عن أحداث بعينها، لا عن سيرورة العملية في وقت بعينه، على أنه يمكن أن تحصل أحداث كثيرة في وقت واحد، وبالتالي «يكون حدّ (متوالية الأحداث) مستعملا في أدق معانيه، لكي يدلّ على مجموعة فرعية من مجموعة السلاسل الممكنة للأحداث»،[2] وإذا ما تفحصنا بعض الألفاظ الواردة في القرآن من زاوية أخرى كـ ارحموا واعبدوا واصبروا واعملوا وافعلوا واسعوا واذكروا وجدنا أنها أحداث واقعة في زمان متصل دائم؛ مما يعني أنها تتمّ في كلّ الأوقات لا في جزئها. أمّا الألفاظ الدالة على الصوم والصلاة والزكاة والحج وقراءة القرآن... فإنها أحداث واقعة في زمان محدود محدد ولكنّه مستمر؛ أي أنها تستغرق بعض الوقت لا كلّه، مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (184) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185) ﴾ البقرة ـ الآيات 183 ـ 184 ـ 185، وأيضا قوله عزّ وجلّ: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ الإسراء ـ الآية 78، وقوله: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ

---

(1) ينظر أحمد بن عبد الحليم الحراني ابن تيمية: كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ـ تحق عبدالرحمن ابن محمد بن قاسم النجدي ـ مكتبة ابن تيمية بيروت الطبعة الثانية 1982 الفتاوى ج 16 ص 422.

(2) ينظر فان دايك: النص والسياق ـ استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ـ ص 236.

ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴾ الإسراء ـ الآية 110، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ هود ـ الآية 114، وقوله: ﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ ﴾ البقرة ـ الآية 197...

كذلك نسجلّ طائفة أخرى من الأحداث أو الأفعال الكلامية التي تهتم بإبراز الهيئة التي تتم بها العبادة كقوله: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾ البقرة ـ الآية 45 فالخشوع هنا يدلّ على هيئة في النفس وقوله: ﴿ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ الأعلى ـ الآية 15، وكذلك قوله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴾ المائدة ـ الآية 55، وقوله: ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾ النساء ـ الآية 103، وقوله: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ البقرة ـ الآية 238، فالذكر هنا والقيام والصلاة أمور تتمّ على هيئتين مخصوصتين: أولهما خاصة بالنفس، وثانيهما خاصة بالجسد. ولئن كنا قد وجدنا هذه الأحداث ترتبط بنوع أو شكل أو هيئة ما، فإنّها قد استعملت استعمالا دقيقا في سلسلة من الأحداث غير المنتهية، وهي تمثل مراحل متتالية في أحداث متعاقبة من حيث معانيها والسياقات الواردة فيها.

كذلك فإن، هذا الجدول يختزل مجموع المحاور التي يدور حولها مصطلح التواصل داخل حقول ذات أصول لغوية مشتركة وأخرى معنوية موحدة، مع الإشارة إلى أنّه ليس من السهل تعيين حدود الحقول التي ينبغي أن يكون فيها التواصل معتمدا اعتمادا كليا على كلّ حرف أو لفظ ورد في البلاغ القرآني، أو متطابقا تماما مع كلمات بعينها، على أساس أنّ كلّ لفظ يؤدّي معنى في سياق ما، وهذا لا يعني تضييق الخناق على الخصوصية التي تميّز كلّ كلمة بعينها؛ إذ ارتبط التواصل أولا بالإنزال والإلقاء ليحصل الإيصال فيحدث التلقي، الذي يفرض على المبلِّغ أن يلج عالمه من خلال القراءة والتلاوة، ليكون هناك اتصال، على أن يتمتع المبلَّغ بنظرة شاملة يستعين فيها بالترتيل؛ فيعمل سمعه وبصره وعقله وقلبه، ليتذكر ويتدبر ويفكر، على أساس أنّ الفكر هو النظر فيما وراء الشيء، فهو سلّم إلى فوق، أمّا الذكر هو القيام على الشيء، وحفظه والتجرد له، فهو سكون، كما أنّ الفكر حركة، والذكر بعد النسيان أو الغفلة مثل ردّ السكون على الشيء بعد الذهاب أو الالتفات عنه.[1] المهم أنّه في كل خطوة من خطواته يحاول الوصول إلى أسراره، فينسجم معها روحا وجسدا، قولا وعملا، فكل لفظ ـ كما هو وارد في الجدول ثمّ بالنظر إلى سياقات الآيات التي ورد فيها ـ قد احتوى المعنى الموافق لما سُطر له؛ إذ إنّ «دلالات المفردات ذاتها، وبالرغم من أنّها تشكّل وحدات منفصلة، ليست وحدات جامدة بل متحركة ومتعددة المعنى، وهي تحتاج إلى معنى جامع لتصل إلى تعيين الدلالة»[2] وهذا ما

---

(1) ينظر الفراهي (عبد الحميد): مفردات القرآن ص 302

(2) عز العرب لحكيم بناني: الظاهرتية وفلسفة اللغة ـ تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية ـ أفريقيا الشرق ـ الدار البيضاء ـ المغرب، بيروت ـ لبنان 2003 ص 31

يجعل البناء الدلالي لهذه الألفاظ يشير إلى أنها حمّالة أوجه (معان) حينما تتحول من مجرد وحدات تركيبية كلامية إلى خطاب ذي دلالات متعددة.

إنّ القول بأنّ التواصل عملية محصورة في القول والتلّفظ تماثل في صوابها وخطئها عملية حصر قراءة القرآن في التلّفظ بحروفه دون إقامة حدوده، من منطلق قوله عزّ وجلّ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18)﴾ القيامة ـ الآيات 16 ـ 17 ـ 18، فإذا ما فحصنا الكلمات التالية على سبيل المثال لا الحصر: بلّغ ونبّئ وقل وجادل وشاور... وكلّها تدخل تحت إطار القول، وكذا الكلمات التي يدعوفيها تعالى إلى التبصّر والتفقّه وإعمال العقل والسمع والسجود والركوع، التي تدخل تحت إطار الفعل، دون أن نستثني منها المرغوب فيها كالخشوع، والخشية، والتصديق... أو المرغوب عنها كالسخرية، والاستخفاف، والخيانة، والإدبار، والتكذيب... وجدنا أنّ توظيفها الدلالي يفصح عن وجود مستويات تواصلية مخصوصة، استثمرت فيها الكلمات للتعبير عن أفعال تلك طاقات فاعلة، بقصد تحقيق أهداف تواصلية لا تخرج عن نطاق الوعد والوعيد والترغيب والترهيب من أجلّ تقويم المبلّغ من خلال افعل ولا تفعل؛ التي تجيء على شكل إثبات أو تساؤل أو طلب أو أمر من دون أن يتوقف ليكون تواصلا[1] بل كلّما دققنا بين هذه الكلمات جميعها عن كثب أكثر، خاصة إذا ما نظرنا إليها على أنّها تشكّل نظما منيعا في انسجامه واتساقه تبيّن أنّها تنتمي إلى لغة التواصل بصورة حتمية أكثر، وبالتالي فإنّ الهدف من كل هذه الكلمات الدالة في البلاغ يتصل بتحقيق غاية التواصل، إذ بني كلّ فعل في البلاغ القرآني على تراتبية أفعال موزعة على مستويات تعدّ شكلا من أشكال التواصل، وتحضر فيها أغلب المعايير التي تتصل؛ أي بالتواصل كما يذهب إلى ذلك بول ريكور:[2]

1. مستوى الفعل التعبيري أو الافتراضي: فعل القول، فالبلاغ القرآني كلّه خطاب تظهر فيه هذا المستوى بشكل مباشر ومكثف، فإذا قال تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ المزمل ـ الآية 20، فإنّ الله تعالى أضاف مسند فعل (قرأ) للعباد والقرآن.
2. مستوى الفعل(أو المفعول) اللا تعبيري: ما نفعله قولا، إذ يقول ذلك أي [اقرؤوا] بمفعول أمر فيه تبيان ونصح وتوجيه.
3. مستوى الفعل التعبيري المولد: ما نفعله بكوننا نتكلّم، حيث يثير الكلام في المتلقي حالة معينة؛ كالسكينة والرغبة أو الخوف والرهبة كقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ الفتح ـ الآية 4، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ

---

(1) André Martinet : La linguistique synchronique – presses universitaire de France - 1974 p 9

(2) ينظر Paul Ricœur : Du texte à l'action – Essais d'herméneutique – Edition p 118

﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ الزمر ـ الآية 23، وقوله جلّ في علاه: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ الإسراء ـ الآية 45، وتختلف هذه الحالة بين المؤمنين والكافرين والمنافقين الظالمين، فتكون حال المؤمنين متراوحة بين الخوف والخشية والرغبة والحب والسكينة والطمأنينة. وبالموازاة تكون حال الكافرين والمنافقين متراوحة بين الرعب والخوف والضعف؛ لأنّ طبيعتهم العناد والتكذيب والجحود، وما يؤكّد هذا قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ﴾ الانشقاق ـ الآية 21، وكقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ الإسراء ـ الآية 82، فمثل هذه الألفاظ مكّنت البلاغ القرآني من أن يكون أقدر نص يتبوأ هذه الدرجة الإعجازية التي كشفت عن جماليته حينما تشاكلت «المعاني النفسية والألفاظ في أسلوب مخصوص».[1] وقد ارتبط هذا النظم البديع أولا بقدرة المبلّغ لله وعلمه ثم بالألفاظ إذ إنّها معروفة متداولة لدى العام والخاص، ولكن مزيتها تظهر في تخيّرها، على اعتبار أنّ البعد الجمالي في البلاغ لا يتأتى من الألفاظ اللغوية، وإنّما من تعالقها بشكل منسجم، أو بمفهوم الجرجاني النظم الذي هو صنعة يستعان عليها بالفكرة وتستخرج بالروية.[(2)] وهذا ما يفضي إلى دراسة اللغة في خطاب كالقرآن الكريم لا من حيث مستواها الصوتي والتركيبي فقط وإنّما تتجاوز ذلك كلّه إلى الدلالات التواصلية المتضمنة فيها.

ومن نافلة القول أن نؤكّد أنّ طبيعة تداخل الأفعال الإنجازية خاصة في خطاب كالقرآن الكريم تحول دون الفصل بينها كأنواع مختلفة لضروب مختلفة أيضا من الموضوعات المتمايزة؛ فالذي يقصد الإيمان يروم نتيجة واحدة وهي الطاعة، والذي يقصد الكفر يروم نتيجة واحدة وهي العصيان، مع العلم أنّ كلّ واحد منهما يدرك ذلك، وما يؤكّد هذا قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ المائدة ـ الآية 83، وقوله تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ الأنعام ـ الآية 33.

على كل إذا تدبرنا الآيات جملتها وتفصيلها ومفرداتها رأينا من التفنن في تدقيق استعمال مثل هذه الألفاظ التي تدخل في نطاق التواصل أو حتى التي لا تصب فيه مباشرة ما تقصر عنه العبارة، وعليه فإنّ هذا البحث يضيق عن ذكرها كاملة بل يشفق من ذلك، ناهيك أنّ القرآن الكريم أعظم من يحاط بدراسات بشرية قاصرة، ويكفي أنّه وعى مثل هذه الفروق الدقيقة التي يحدثها تغيّر موقع كلّ لفظ معنى ومبنى في الآية. وبهذا يكون قد أسهم في بلورة مفهوم للتواصل، لكون القرآن خطاب تواصل منزلا من عند الله، بعث به إلى رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كي يقرأه على

---

(1) أحمد المنادي: التلقي والتواصل الأدبي ـ قراءة في نموذج تراثي ـ عالم الفكر العدد الأول المجلد الرابع والثلاثون يوليو ـ سبتمبر 2005 ص 184

(2) ينظر عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ص 51

الناس على مكث، ويتلوه عليهم حق تلاوته مرتلا إياه، فيدعوهم بالبلاغ الحق ويصدع به مبشرا ومنذرا ومخبرا عن الأمم السالفة وما ورد عنها من أنباء وعن الأمم الآتية وما سيكون فيها... إلخ هكذا فإنّ التواصل يرمي إلى إزالة التعتيم عن تلك التساؤلات وإعادة تجميع المبلَّغ إليهم على كلمة واحدة هي عبادة الله الواحد الأحد، وهي كلمة ذات معنى أكثر ثراء وسموا.

الفصل الثالث
مرتكزات التواصل

1. مادة التواصل
   أ- طبيعة اللغة
   ب- حسن العرض
   ج- أريحية الأثر
   د- صحة المعنى
   هـ- نمطا التواصل
2. المبلِّغ
   مفهومه وخصوصياته
   1. الله - جلَّ جلاله -
   2. الرسول - صلى الله عليه وسلم -
3. المبلَّغ
   1. مفهومه وضوابطه
   2. أنواعه وخصوصياته
      - المبلَّغ المستهدف
      - المبلَّغ الفطري
      - المبلَّغ النموذجي
      - المبلَّغ المستروح
      - المبلَّغ المؤمن
      - المبلَّغ الكافر

الفصل الثالث
مرتكزات التواصل

ينطلق هذا الباب من محاولة تروم معرفة المرتكزات الأساسية التي تنبني عليها عملية التواصل في البلاغ القرآني،* ومقاربة المسألة في بعدها الوظيفي الجمالي، وهي مسألة ملّحة لابدّ منها، حيث لا نستطيع الانفلات من هيمنة مرتكز فيها أو آخر؛ فلكل حضوره الدائم والفاعل، إذ ليس من المعقول أبدا تقديم الرسالة بوصفها بلاغا ربانيا أو تأخيرها أو تغييبها، وكذلك الشأن بالنسبة إلى المبلِّغ (الله عز وجلّ)، والمبلَّغ (الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاصة بوصفه صاحب أعظم رسالة، القرآن، والمعني الأول ثم باقي الرسل ـ عليهم السلام ـ) والمبلَّغين (الرسول/ الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ والناس كافة)؛ إذ في كل قراءة تحضر هذه العناصر متعالقة متواشجة، ومن هنا يكون الحديث عن المبلِّغ هو استحضار للبلاغ والمبلَّغ والمبلَّغين في آن معا؛ كما يكون الكلام عن البلاغ هو استحضار للمبلِّغ وللمبلَّغ والمبلَّغين، وكذا الحديث عن المبلِّغ يستوجب حضور البلاغ والمبلَّغ والمبلَّغين وكذا الأمر فيما يخص المبلَّغين... والشواهد على ذلك كثيرة كقوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ

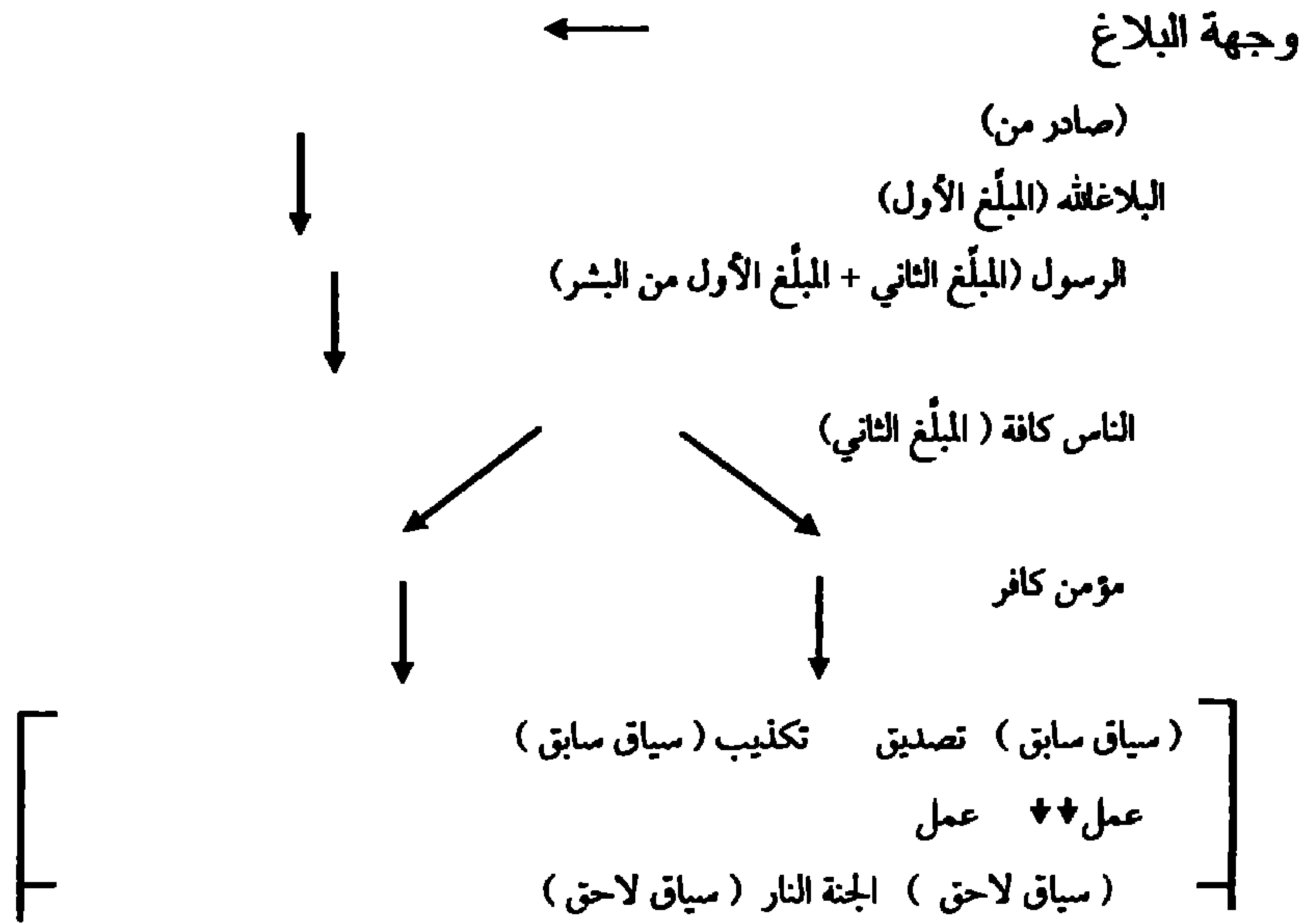
(*) وجدنا صعوبة كبيرة في انتقاء مصطلح واحد من بين المصطلحات الكثيرة التي يمكن أن تطلق على القرآن الكريم حين تتم مقاربته بوصفه هونفسه استعمل أكثر من لفظ منها الخطاب والقول والكلام والبلاغ، وكلها يتقاطع بعضها مع بعض في جوانب كثيرة؛ فالخطاب لغة هومراجعة الكلام، وهوالكلام والرسالة، وهوالمواجهة بالكلام، أوما يخاطب به الرجل صاحبه ونقيضه الجواب، وهومقطع كلامي يحمل معلومات يريد المرسل (المتكلم أوالكاتب) أن ينقلها إلى المرسل إليه (أوالسامع أوالقارئ)، ويكتب الأول رسالة ويفهمها الآخر بناءً على نظام لغوي مشترك بينهما، وهوعند هاريس ملفوظ طويل أوهومتتالية من الجمل تكون منغلقة، يمكن من خلالها معاينة سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجيّة التوزيعيّة الاستغراقية، وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض، وهوعند إميل بنفنيست الملفوظ منظوراً إليه من وجهة نظره هوكلّ قول يفترض متكلماً ومستمعاً، ويكون لدى الأول هدف التأثير في الثاني بطريقة ما، وهوعند ريكور التحقق الفعلي للسان، والخطاب كلام ينجز في ظرفية ما من ظروف التواصل، وكذلك فإن لفظ الخطاب ـ كما هوشائع عند أغلب الدراسين الذين تناولوا القرآن الكريم بالدرس والمقاربة ـ يقتضي مخاطبا مواجها به ومخاطبة؛ وذلك مما لا يصح إلا من اثنين كلاهما موجودان. في حين أن النص هوكلام من غير تركيز على الوضعية التواصلية . لذلك آثرنا استعمال لفظ بلاغ من منطلق قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ إبراهيم الآية (52) لأنه أقرب ـ في تصورنا ـ لمدلول التواصل، على أن هذا لا يعني إلغاء المفاهيم أوالمصطلحات الأخرى القريبة منها كالرسالة والقول والكلام والخطاب... فقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من موضع وبصيغ متنوعة، وبالتالي فهي لا تقل قيمة عنها، وتؤدي الدور بامتياز، ولم يخل بحثنا من استعمالنا لها بشكل واضح وصريح كلما اقتضى الأمر ذلك، بحكم طبيعة سياق الكلام الذي وردت فيه.

ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ البقرة ـ الآية 213، فاختلاف المبلِّغين فيما بينهم استلزم حضور مبلِّغ ومبلَّغ وبلاغ. ومثال ذلك ـ أيضا ـ قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ الأحزاب ـ الآية 39 ، فقهم هذه الآية استلزم استحضار الله (جلّ وعلا) بوصفه مرسِلا مبلِّغا، والرسالة التي هي من عنده، ورسله الذين يبلِّغون رسالاته، كقوله ـ عز وجلّ ـ:

﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ التوبة ـ الآيات 31 ـ 32 ـ 33، فالرسالة هنا اقتضت تعريفا بمرسِلها وحاملها وسبب إرسالها إلى مرسَل إليهم مستهدفين، وكثير من الآيات الدالة على ذلك، فلا يمكن أن نتناول أي شيء خارج أطره المحيطة به أو الصميمة فيه، حتى نصل إلى الخصائص التي تشمل كلّ عنصر على حدة؛ «إذ لا يتصور قيام عملية تواصل بدون الأطراف المساهمة فيها، بل لن يتسنى فهم وتأويل التعابير والأقوال (الخطاب بصفة عامة) إلا بوضعها في سياقها التواصلي زمانا ومكانا ومشاركين ومقاما»[1] ويتضح هذا من خلال الخطاطة التالية:

---

(1) محمد خطابي: لسانيات النص ـ مدخل إلى انسجام الخطاب ـ المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ـ المغرب ط 1، 1991 ص ص 48 ـ 49



إن هذه الخطاطة توضح أنّ وجهة البلاغ هي التي تقوم بتحديد دور كلّ مرتكز يقوم عليه التواصل، وقد ارتأينا أن نبدأ بالبلاغ، لا لأنه يحتّل المقام الأول من منظورنا بالنظر إلى المرتكزات الأخرى، وإنّما لأنّ الحديث عن المبلّغ والمبلَّغ والمبلَّغين مترابط في شقّه المتعلق بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما سيتضح ذلك لاحقا.

وفي كلّ الأحوال سواء كان التواصل على مستوى النص البشري أو على مستوى النص الإلهي فإنّه يضع في حسبانه المبلِّغ صاحب البلاغ، وكذلك البلاغ الذي يحمل مضمونا يخص مبلَّغا له حضوره، إذ من الضروري أن يكون لكل بلاغ جمهوره من المتلقين، كذلك فإنّ هذا البلاغ قد يأتي وفق نمطين: أحدهما شفوي وثانيهما كتابي، وقد يكون عربيا أو غير ذلك، وقد يعكس في كلّ الأزمنة والأمكنة صورة المبلِّغ، والمبلَّغ، والظروف المحيطة به كما هو حال القرآن الكريم.

I. مادة التواصل:

إنّ أصعب شيء في التواصل هو توصيل ما أمر الله بإيصاله، لكن ما هو هذا الشيء الذي أمر به؟ إنّه المادة التي هي مدار الحدث التواصلي، وهي أيضا طرف شرعي له أهميته وقيمته في عملية التواصل، لذلك اهتمّ بها بول غرايس وغيره كثير، وصاغ لها أربعة قواعد، كلّها تقع تحت ظل مبدأ المشاركة أو التعاون أو ما يعرف عنده بالاستلزام التخاطبي:

1. القاعدة الأولى: متعلقة بنوعية الخبر، أي كيف هو الخبر، وقد دعا فيه إلى:

أ- تجنب ذكر الأخبار الخاطئة.

ب- تجنب الأخبار التي تفتقر إلى البراهين.

2. القاعدة الثانية: متعلقة بحجم الخبر؛ أي مقداره، وقد نصح فيه بإعطاء المتلقي على قدر حاجته من الفائدة، وأن لا يكثر من الأخبار.

3. القاعدة الثالثة: فقد ركّز فيها على علاقة الخبر بمقتضى الحال.

4 القاعدة الرابعة: حدّد فيها الطريقة التي يُضَمِّنُ فيها أخباره؛ أي الأسلوب، وحذّر من الوقوع في اللبس والغموض والإطالة والتشتت.(1)

تحمل هذه المادة التي نستشفها في البلاغ القرآني أعظم طرح تشريعي رباني يسيّر الكون كله، ويقدم خلاصا شفافا واضحا تسكن إليه النفوس جميعها، تشريع أزلي يمثل في جوهره حقيقة لا ريب فيها، وقد جاءت على لسان كلّ الرسل من عهد نوح ـ عليه السلام ـ إلى عهد محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنها حقيقة لا إله إلا الله، وتقوم بعد الإيمان بها على خمسة مطالب وهي: طبيعة اللغة وحسن العرض وصحة المعنى وأريحية الأثر وغطا التواصل، وهي في جوهرها أركان متينة في البلاغ لا تخلو من جمالية متجددة، كما سيرد هذا تباعا، وتصدق عليها تسمية هابرماس شروط التداول المثالي للغة.

أ) طبيعة اللغة:

إنه من المنصف أن نتناول اللغة كمعيار فاعل ليس في مادة البلاغ فحسب، بل كذلك في عملية التواصل؛ ذلك أنهما يشكلان شفعا متواشجا لا يمكن فصم عراه، وإن بدت بالنسبة إلى البعض سوى شرط أولي للتواصل الذي يقدّم له العالم شيفراته،(2) وكان التواصل بالنسبة إلى بعضهم الآخر خاصية من خصائص اللغة، وليس هدفا، من منطلق أنّ كلّ استعمال للغة يدعو لاستعمال خاصية التواصل؛(3) فأزوالد دوكروDucrot مثلا يرفض تقييد وظيفتها في ذلك فحسب؛ لذلك فهو يرى أنّ التواصل هو إحدى وظائفها إلا أنه ليس الوظيفة الرئيسة، فاللغة عنده ليست دائما لغة تواصل واضح وشفاف، بل هي لغة إضمار وغموض وإخفاء. ويعني هذا أنّ الفرد قد يوظّف اللغة كلعبة اجتماعية للتمويه والتخفية وإضمار النيات والمقاصد. ويكون الإضمار اللغوي لأسباب اجتماعية ونفسية وسياسية ودينية

---

(1) Grice H P (1975) « Logic and conversation » in cole , p , and morgan , J .L (eds) 41 نقلا عن قويدر شنان: التداولية في الفكر الأنجلوسكسوني ـ المنشأ الفلسفي والمآل اللساني ، مجلة اللغة والأدب العدد 17 جانفي 2006 ص 17

(2) paul Ricœur: Du texte à l'action p 116

(3) ينظر Dell H . HYMES: Vers la compétence de communication - Traduction de France Mugler – les Editions Didier , Paris 1991 p 129

والخلاقية، وخير مثال على هذا أسلوب الأمر في الشريعة الإسلامية الذي يستعمل للوجوب والدعاء والندب، وهذا يعني أنّ اللغة ـ حسب بعضهم ـ فيها أوجه دلالية عدة، ممّا يزيد من غموضها وعدم شفافيتها التواصلية.(1)

وإذا كانت وظيفة اللغة من منظور ياكبسون تقوم على الكشف والإظهار، حيث تكون ناقلة للأفكار والمشاعر بشكل قابل للإدراك والفهم، بشرط أن يكون بين المرسل والمرسل إليه رسالة تخضع لسَنن لسان مشترك فهذا يعني أنّها تضطلع بوظيفة التواصل الذي هو تبليغ رسالة من ذات متكلمة إلى أخرى، وكانت وظيفتها عند دوكروالإخفاء والإضمار، فإنّها تؤدي وظيفة سلطوية عند رولان بارت Roland Barthes على مستوى الشكل أو على مستوى المضمون؛ فأما على مستوى الشكل فلا يمكن للفرد أن يمارس اللغة دون أن يخضع لضوابطها وقواعدها النحوية والتركيبية، وأمّا على مستوى المضمون، فإن تعلم الفرد اللغة يعني استبطانه لمختلف القيم والمضامين الفكرية التي تختزنها اللغة، بحيث تصبح جزءا من شخصية الفرد، وتمارس عليه سلطة سواء على مستوى القول أو الفعل، ولأنّها كذلك فقد عمل هاليداي على حصرها في عدد من الوظائف، وهذه الوظائف قد تكون نفعية، باعتبار أنّ مستعمل لغة أنا أريدُ، يكون قادرا على التعبير عن رغباته، وإشباع حاجاته منذ طفولته المبكرة. وقد تكون تنظيمية يستطيع الفرد من خلالها التحكم في سلوك الآخرين باستخدام لغة أفعل كذا ولا تفعل كذا من أجلّ تنفيذ مطلب أو النهي عنه. وقد تكون تفاعلية يستخدم فيها الإنسان لغة أنا وأنتَ للتفاعل مع الآخرين بوصفه كائنا اجتماعيا لا يستطيع الفكاك من أسر الجماعة. كما قد تكون شخصية، يعبّر الفرد من خلالها عن أفكاره واتجاهاته ومشاعره إزاء قضايا كثيرة. أو تكون وظيفة استكشافية، وهي التي تسمى الوظيفة الاستفهامية، بمعنى أنّ الفرد يسأل عن الجوانب التي لا يعرفها في البيئة المحيطة به حتى يستكمل النقص عن هذه البيئة، أيضا يمكن أن تكون وظيفة تخيلية تستعمل للترويح وشحذ الهمة والتغلب على صعوبة العمل، وإضفاء روح الجماعة، بنسج نصوص في قوالب لغوية. كما يمكن تكون وظيفة إخبارية، إذ باللغة يستطيع الفرد أن ينقل معلومات جديدة ومتنوعة إلى أقرانه، بل ينقلها وتجاربه وخبراته إلى الأجيال المتعاقبة، وإلى أجزاء متفرقة من الكرة الأرضية، خصوصًا بعد الثورة التكنولوجية الهائلة. ويمكن أن تمتد هذه الوظيفة لتصبح وظيفة تأثيرية إقناعية؛ لحث الجمهور على الإقبال على سلعة معينة مثلا أو العدول عن نمط سلوكي غير محبب. أو تتخذ وظيفة رمزية من حيث إنّ ألفاظ اللغة تمثل رموزًا تشير إلى الموجودات في العالم الخارجي.

وتأتي أهمية اللغة في هذه الدراسة لا بكونها لغة الوحي الرباني ـ البلاغ ـ فقط، أو لكونها لغة السحر الحلال الذي حاز قصب السبق لدى العربي؛ وإنّما لأنّها كذلك النظام التواصلي الأكثر نجاعة بالنظر إلى أنظمة التواصل الأخرى، والقاسم المشترك بين المبلِّغ والمبلَّغ كي يكون التواصل محققا، ويحددها ابن جني بأنّها أصوات يعبّر بها قوم عن

(1) Oswald Ducrot: Dire et ne pas dire – principes de semantique linguistique – Hermann , Paris, 1972 p 37

أغراضهم.[1] وهو المفهوم نفسه الذي توصّل إليه دوسوسور عندما قال: إنّ اللغة نسق من العلامات والإشارات، هدفها التواصل خاصة أثناء اتحاد الدال مع المدلول بنويا أو تقاطع الصورة السمعية مع المفهوم الذهني.[2] وهو ما اختصره ياكبسون في عبارة وظيفة إقامة الاتصال، ولخّصه أندري مارتينيه عندما تحدث عن وظائف اللغة بقوله «وفي نهاية المطاف فإن التواصل؛ أي التفاهم المتبادل هو الجدير بالاعتبار كوظيفة مركزية لهذه الوسيلة التي هي اللسان، بوصف أنّ أي لغة قبل كلّ شيء هي الأداة التي تسمح للأشخاص بالدخول في التواصل بعضهم مع بعض».[3] إذ كما سبقت الإشارة إليه، فإنّ أول شيء تعلّمه آدم من ربه عزّ وجلّ، وهو في الجنة، الأسماء التي هي اللغة حتى يتمّ بها التواصل؛ لكون اكتساب اللغة عملية تتمّ من خلال استعداد يتولد من الجينات البشرية كما يذهب إلى ذلك علماء النفس، ثمّ «إنّ العناية الدقيقة بالكلمات هي في جوهرها عناية بمشكل الاتصال»؛[4] لذلك كانت اللغة نظاما معرفيا، ومعرفيته تعتمد على التفاعل الحيوي بين الحاجة الإنسانية للتعبير، والواقع الموضوعي، واللغة المنجز الإنساني الأساس في تطوير المجتمع الإنساني.

إنّ اللغة التي تواصل بها الناس (العرب) قديما، وعبروا بها عن مشاعرهم وآرائهم وضمائرهم هي من منظور كثير من الدارسين تمثل حوارا بين عقول المتحدثين، وتهدف إلى إقامة جسر التفاهم وبلوغ التوافق بصدد القضايا المثارة بينهم من دون اللجوء إلى العنف. واللغة هنا جملة قواعد تؤسس للاتصال والتواصل بين الناس، وليست أصواتا تلقى شذر مذر، إضافة إلى كونها خزّان المعارف والتجارب الإنسانية، بل إنّ كل فعل لغوي إنساني يندرج ضمن ألعاب لغوية تتبارى فيها قضايا السياسة والأخلاق... بمنطقها واستعمالها الخاص،[5] وحسبها أنّها كائن ذو جينات متطورة متجدّدة، ولكن حبست أنفاسها لغة البلاغ الرباني الذي لا يبلى أبد الدهر، فهذه المنظومة الناقلة للأخبار والأفكار والمعلومات والعظات... وغيرها كانت معول هدم وبناء، في آن معا، على ذات الهيكل المبنية منه؛ فألفاظه وأصواته وحركاته وسكناته وفواصله وإعرابه واستعاراته وغريبه... هي المعطيات نفسها السائدة في العرف اللغوي العربي، غير أنّه على أشلاء الشائع والجاهز الذي وئد، ولد شكل جديد مؤسس على أركان متينة، تكفّل خالقه وصانعه بحياته وضمين خلوده، يقول ربّ العزة: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر - الآية 9، ففاق طوق البشر وتعالى عن كل إبداع زمانا ومكانا؛ لأنّ مناط لغته تركية عجيبة، محورها البصيرة ثم اللسان، حيث قالت اللغة ما كان مستحيلا

---

(1) ابن جني(أبوالفتح عثمان): الخصائص، تحق محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية 1952، ج 1 ص 33.

(2) فرديناد دوسوسور: دروس في الألسنية العامة، تر/ صالح قرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة، الدارالعربية للكتاب، تونس - ليبا 1985 ص 32 وما بعدها.

(3) Andre Martinet: Elements de linguistique generale, edition Armand colin, paris 1970 p9

(4) مصطفى ناصف: اللغة والتفسير والتواصل - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت 1995 ص 142.

(5) - حسن مصدق: النظرية النقدية التواصلية ، ص 18.

أمام جلّ المعجزات التي كانت تمس الجانب الحسي العيني، فما كان على القرآن إلا أن صنع من اللغة العادية لغة إعجاز أي «خلق لغة من لغة؛ أي أن صانع الأدب ينطلق من لغة موجودة، فيبعث فيها لغة وليدة، هي لغة الأثر الفني».[1] كما أتمّ النقص الذي كان يعتريها، فجعلها تأتيه طائعة خاضعة، دون أن ينساق وراءها مثلما هو شأن الإنسان، ولله المثل الأعلى، باعتبار أنّ «اللغة العربية نضجت واكتملت عند نزول الوحي الكريم بها».[2]

لكن لماذا نزل القرآن بلغة العرب دون غيرها من اللغات؟ ولماذا بلهجة قريش تحديدا؟

لقد آن الأوان أن يبعث الله رسولا إلى هذه الأمة، كما بعث رسلا إلى غيرها من الأمم؛ فمثلما كان نصيب قوم عيسى ـ عليه السلام ـ الطب، ونصيب قوم موسى ـ عليه السلام ـ السحر، وقد اشتهروا بذلك، فقد كان حظّ هذه الأمة البيان؛ بحكم أنّها أمة اللسان والبيان، وقد برعت في ذلك؛ لذلك أعدّها الله أحسن إعداد، ومكنّها في النفوس أجود تمكين، وجعل منها لغة واحدة لبلاغ واحد ولأمة واحدة «وإنّما فضلت العربية على غيرها، لاعتدالها في الوضع... فقد أهملوا الألفاظ المستكرهة في نظمها، وأسقطوها من كلامهم، وجعلوا عامة لسانهم على العدل... والعربية أشدّها تمكنا، وأشرفها تصرّفا وأعدلها، ولذلك جعلت حلية لنظم القرآن، وعلق بها الإعجاز، وصار دلالة < في النبوة >»،[3] وقد رد علي ـ رضي الله عنه ـ على القوم الذين قالوا: إنّ العربية أفضل اللغات؛ لأنه بها نزل كلام الله تعالى فقال: وهذا لا معنى له؛ لأنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ قد أخبرنا أنّه لم يرسل رسولا إلا بلسان قومه، وقال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ، فبكل لغة قد نزل كلام الله تعالى ووحيه، وقد أنزل التوراة والإنجيل والزبور، وكلّم موسى ـ عليه السلام ـ بالعبرانية، وأنزل الصحف على إبراهيم ـ عليه السلام ـ بالسريانية، فتساوت اللغات في هذا تساويا واحدا.[4]

والحق أنّ اللغة العربية ـ كما يذهب إلى ذلك كثير من الدارسين مثل ْبلاشيرْ وْبروكلمانْ وْنالينوْ ـ كانت مزيجا من اللهجات التي أسهمت اللقاءات في صقلها وتهذيبها وتغذيتها، حتى أصبحت اللغة الفنية القائمة فوق اللهجات، بعدما استوعبت خصائصها وخصائص الأصل القديم أكمل استيعاب، يقول المستشرق أرنست رينان في كتابه تاريخ اللغات السامية: «من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية، وتصل إلى درجة الكمال عند أمة من الرّحّل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها».[5]

---

(1) عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب ـ الدار العربية للكتاب ـ ط 2 1982ص 117.

(2) عدنان علي رضا النحوي: الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام ص 75.

(3) الباقلاني: إعجاز القرآن ص 118.

(4) ينظر ابن حزم: الأحكام في أصول الأحكام ج 1 ص 32 .

(5) إرنست رينان: تاريخ اللغات السامية نقلا عن مجلة الأزهر ـ مجمع البحوث الإسلامية ـ مجلد 3 ص 240.

كما اعتلت لهجة قريش تحديدا أعلى المراتب بين لهجات العرب كلّها، بسبب مكانتها المتوسط في شبه جزيرة العرب، حيث كان المكّيون القرشيون أكثر تعاملا مع غيرهم، وبحكم بسطها لنفوذها الاقتصادي، فكانت قبلة للقوافل التجارية التي تفد إليها خاصة في مواسم الحج، حيث تنتهز القرص لتبدي قدرتها البيانية في المحافل الفكرية والإبداعية، وتعلن سيادتها على اللهجات الأخرى، فكان كلامها (أي قريش) أوفر حظا بسبب اختيارها ما استحسنته من ألفاظ القبائل وأساليبها، سهولة وليونة ووضوحا، وكلّ هذا جاء مكملا لمكونات اللغة الموحدة، لا مؤسسا لها، أو ممهدا لنشأتها.

وجعل الله القرآن عربيا؛ لأنه نزل على العرب أولا بلسانهم ولغتهم التي عرفوها حتى يعقلوه. «وكون النص بلاغا معناه أنّ المخاطبين به هم الناس جميعا، الناس الذين ينتمون إلى الإطار الثقافي الذي تعد هذه اللغة مركزه»،[1] كذلك فإنّ اللغات الأخرى غير العربية واللهجات الأخرى العربية وغير العربية قد تحمل في جوهرها قصورا كبيرا في الإيصال، عدا اللغة العربية التي بلغت قدرا عاليا من النضج والكمال في الأداء، وتماسك بناء أساليبها، وغناها، وجمال نصوصها الأدبية من شعر ونثر فني، ونجد هذه المواصفات بالتحديد في لهجة قريش التي كانت أمينة في استيفاء المعاني، وتحقيق الهدف الرئيس وهو التواصل.

ومن هنا تظهر أهمية مفهوم خبرة التواصل بناء على مثل هذه الأسباب؛ ذلك أن خبرة فرد بلغة ما مرتبطة، جزئيا وبشكل متغيّر، باللغات الأخرى التي قد يعرفها ويستعملها، بالإضافة إلى أنّ امتداد مجال لغة ما مرتبط جزئيا وبشكل متغير ـ أيضا ـ بالمكانة التي تحتلها بين وسائل الاتصال الأخرى، وهذا المجال يكون واسعا إلى حد ما وفقا للاستعمالات فيما يتعلق بثراء طرق التسمية والتعليم الاستدلالي والرضا الحسي في الكلام أو محدوديتها[2]..

هكذا فقد كانت أداته اللغة في نقلها للوحي حتى يتم التواصل وتتحقق عملية الفهم؛ لأنه «في أي نص جانبان: جانب موضوعي يشير إلى اللغة، وهو المشترك الذي يجعل عملية الفهم ممكنة، وجانب ذاتي يشير إلى فكر المؤلف ويتجلّى في استخدامه الخاص للغة».[3] وبالنظر إلى أهمية هذه المسألة في تقعيد استراتيجية للتواصل في البلاغ القرآني نجد القرآن نفسه يؤكّد نزوله بلسان عربي مبين، ويفسّر الحكمة من مجيئه على ذلك النحو في أحد عشر (11) موضعا من القرآن حتى يتيسّر التقاط معانيه فيعقلون ويعملون، من غير أن يطلب من سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي ـ وهم من بيئة مختلفة عن البيئة العربية لاختلاف ثقافاتهم وطرائق معيشتهم ـ الانسلاخ منها، والانحلال في النموذج العربي، حتى يسهموا في توسيع نطاق التواصل خدمة للإسلام ونصرة للدين القيّم.

---

(1) نصر حامد أبوزيد: مفهوم النص ـ دراسة في علوم القرآن ـ ص 56.

(2) Dell H . Hymes: Vers la compétence de communication p 128.

(3) نصر حامد أبوزيد: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ـ الطبعة الثانية 1992، الطبعة الثالثة 1994 ص 21.

وقد تميزت طبيعة اللغة في القرآن الكريم بالإبانة والوضوح خاصة حينما أخضعت لتركيب مميز جعلها براعة تواصلية حيّة، فكانت لغة ليست كمثل كل اللغات بما فيها لغة قريش، وإذا كانت اللغة تؤدي دور الوسيط في نقل الكلام ـ أي إقامة علاقة تواصل ـ من جانب، فإنّها تسعى إلى تمكين البلاغ فهما وإفهاما من جانب آخر بإمكانات تفعّل التواصل بين طرفين فأكثر، تأسيسا أوليا ديناميا لمتطلبات كل طرف، «فتصبح اللغة، في أهم وظائفها في الحياة الدنيا، وحيا من عند الله على رسله وأنبيائه وبلاغا منهم بعد ذلك للناس، وتدبّرا وعلما فيما بينهم وتفاهما وتعاونا على الوفاء.. بالأمانة والعهد مع الله والعمارة ليكون ذلك كلّه عبادة خَلْق الإنسان لها».[1]

إنّ هذه الشيفرة قد استعملت نتيجة حاجة الناس إلى هذا النمط من الوسائل، باعتبار أنّ اختلاف الناس بعد أن كانوا أمة واحدة كان سببا وجيها لصياغة نص على هذا النحو من الحقيقة، التي صوب بها الأفهام والسلوكيات، وهذّب بها الرؤى التي عبّر عنها الناس بلغتهم ولسانهم كقوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ البقرة ـ الآية 213، يؤكّد ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ إبراهيم ـ الآية 4، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ الشعراء ـ الآية 195، التي تكررت في أكثر من موضع بصورة مباشرة وغير مباشرة، كقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ الدخان ـ الآية 58، وهو ما يؤكّد أنّ اللغة هي الضابط الرئيسي والدقيق لنظام التواصل الذي يستحيل تهميشه، أو العبث بإحدى مقوماته حتى يقع الإدراك المنشود، وإن كانت في نظر بعض الدارسين تواصلا لغويا، لا يمكنه بأيّ حال من الأحوال، أن يكون مكتفيا بذاته، وأن يشكل خطا معرفيا متكاملا؛[2] ممّا يعني أنّ لذا اللغة ذات طابع لا ينحصر في المفردات فحسب، وإنّما يتجاوز ذلك إلى الإتيان بقدر لا حدود له من النظم المعجز غير المسبوق، الذي يجلّي كثيرا من الحقائق على صعيد المبلّغ إليه، وكل قدر استطاعته، وعليه فإنّ التواصل مرهون باللغة، وهي بدورها متعلقة بمدرستين ذواتي بعد واحد وهما: الصنعة والإبداع، وكلاهما على وفاق وانسجام.

ولابد أن نشير أنّ اللغة هذه المنظومة التواصلية قد أردفت إليها أشكال أخرى استعملت للتواصل، عُرفت بالتواصل الكلامي غير اللفظي، أو باسم اللغة اللامنطوقة في مقابل التواصل اللفظي أو اللغة المنطوقة مثل الرمز* الذي ورد ذكره في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴾ آل عمران ـ الآية 41، والإشارة التي جاءت في قوله عزّ من قائل: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ

---

(1) عدنان علي رضا النحوي: الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام ص 121.

(2) عمر مهيبل: إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة ص 18.

(*) الرمز: إشارة بالشفة، والصوت الخفي، والغمز بالحاجب، ينظر الأصفهاني: مفردات غريب القرآن مادة رمز.

مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ مريم ـ الآية 29، والحركة(**) التي وردت في مثل قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 144.

والصورة* التي جاءت في مشاهد كثيرة في القرآن الكريم تؤكّد عظمة الله ـ جلّ جلاله ـ منها قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف ـ الآية 185، ويقتضي الإتيان بهذه الأشكال في أوضاع معينة تتنزل منزلة الكلام؛ كأن يسكت المتكلم عمدا امتثالا لأوامر ربه ويكتفي بالإشارة أو الرمز، في الوقت الذي يستلزم المقام الإفصاح بالمعنى، مع أنهم أسوياء قادرون على الكلام، فيكون ذلك السكوت وتلك الإشارة دليلا على الخصوصية، والإشارة في هذا الطرح مستويات:

1. الإشارة المساعدة على التبليغ: المصاحبة للفظ المكملة له، لتدل على أنّ الفعل التواصلي هو فعل كلي.
2. الإشارة الدّالة في حد ذاتها: تشمل صور التعبير الاجتماعي كطريقة اللباس والأزياء والمراكب، وغيرها من مظاهر التأثير في الآخرين.(1)
3. ونضيف إليها الإشارة التي تقوم مقام اللفظ وتنوب عنه.

وفي هذا دلالة على أنّ مثل هذه الأشكال التي يجري الكلام بواسطتها؛ أي الإشارة واللفظ شريكان في التواصل، ونعم العون هي للفظ، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عنه، وما أكثر ما تخرجه في صور موجزة

(**) الحركة: ضد السكون ولا تكون إلا للجسم، وهوانتقال الجسم من مكان إلى مكان، ينظر الأصفهاني: مفردات غريب القرآن، مادة حرك.

(*) الصورة: ما ينتقش به الأعيان، ويتميز بها غيرها، وذلك ضربان: أحدهما محسوس يدركه الخاصة والعامة، بل يدركه الإنسان وكثير من الحيوان كصورة الإنسان والفرس، والحمار بالمعاينة، والثاني: معقول يدركه الخاصة دون العامة، كالصورة التي اختص الإنسان بها من العقل، والروية، والمعاني التي خص بها شيء بشيء، وإلى الصورتين أشار بقوله تعالى: (وصوركم فأحسن صوركم) غافر الآية 64، وعن أبي هريرة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: (إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته) أخرجه أحمد 2/ 244.

فالصورة أراد بها ما خص الإنسان بها من الهيئة المدركة بالبصر والبصيرة، وبها فضله على كثير من خلقه، وإضافته إلى الله سبحانه على سبيل الملك، لا على سبيل البعضية والتشبيه، تعالى عن ذلك، وذلك على سبيل التشريف له كقوله: بيت الله وناقة الله ونحوذلك. للاستزادة ينظر الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، مادة صور

(1) محمد العمريّ: البلاغة العربية ـ أصولها وامتداداتها ـ ص ص 206 ـ 205

ومكتملة تستوعب حقيقة المعنى وتعرب عن شخص قائله،[1] وبالتالي فإنها لا تتولى عملية التواصل بمفردها، وإنما هي متممة للكلام أو مفتتحة له، كما جاء على لسان عيسى ابن مريم ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾ مريم ـ الآيات من 30 إلى 33، حتى يكون هناك تواصل أنجع وأفضل؛ لأنّ هذا النوع من الإشارات يشكّل أداة تعبيرية وخطابية غير مباشرة، وغير دقيقة في بعض الحالات، بالنظر إلى كونها ضيقة ومحصورة، لا تعبّر عن الأفكار والرغبات والمشاعر بصورة واضحة تامة، وعليه فإنّ الرسالة الضمنية لا تُنقل كاملة، وبالتالي لا تحلّ نهائيا، بل هي تبقى مثارا للتوتر في العلاقات... إنها مثار للالتباس والتأويل،[2] ولا أدلّ على هذا من أنّ مريم عندما أشارت إلى وليدها عيسى ـ عليه السلام ـ وأحالت الكلام عليه ﴿ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ مريم ـ الآية 29، وقد رأى قومها في إشارتها استخفافا وظنوا أنّها تزدريهم وتستهين بهم.

ب) حسن العرض:

نسعى في هذا المطلب إلى ملامسة حظ هذه الجزئية المهمة، التي تمثل مركز الثقل، والمفتاح الأس لتحديد جدوى البلاغ ودلالته، بوصف اللغة هي المعطى الموصل الذي لا يمكن الإفادة منه إلا إذا تحقق، وأنّه لا يتحقق إلا إذا أوصل في تركيب مميز، للمتكلم حق التصرف من خلاله، فيخرج باللغة من معطاها المعهود إلى مستوى جديد، وهو ما يعرف بالنظم العجيب أو البديع عند الدارسين؛ ذلك أنّ البلاغ مكون من جملة من الأشياء الكامنة في شبكة العلاقات التي تنشأ بين مكونات التعبير القرآني.[3]

وإذا كان النظم العجيب هو الذي يعطي البلاغ بعض إعجازه، فإنّه من جانب آخر هو الذي يزيد من بعده الجمالي، ضمن عرض حسن، تام له قوانين تجمع أشلاء اللغة / الكلمات المتناثرة لتوضع في صياغات وتراكيب خاصة تنشئ لغة دالة جمالية. إذ لا يمكن أن تؤدي الكلمة دورا ما لم ترد في سياق يتمتع بنظام متناسق. فنحن إذا نظرنا إلى قوله عز وجل: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ الشورى ـ الآيتان 49 ـ 50، وجدناه ـ سبحانه وتعالى ـ يُعلِم عباده أنّه تعالى مالك الكون كلّه، الذي بيده مقاليد التصرف في السموات والأرض وما بينهما، فيعطي ويمنح،

---

(1) الجاحظ: البيان والتبيين ج 1 ص78 ومحمد صغير بناني: البلاغة العربية وأصولها النظرية ـ دراسة تحليلية للمبادئ اللسانية والبلاغية والعقيدية التي قامت عليها منذ نشأتها إلى بداية القرن السابع الهجري ـ دكتوراه دولة، إشراف عبد الله ركيبي ـ جامعة الجزائر ـ قسم اللغة العربية وآدابها، جوان 1993 ص 273.

(2) جميل حمداوي: التواصل اللفظي وغير اللفظي ـ الندوة العربية ـ المغرب ـ www.Arabicnadwah.com/articles/tawasul-hamadaoui.htm

(3) ينظر كمال أبوديب: السيميائية أحدث العلوم الإنسانية ـ العربي ـ العدد 334 سبتمبر 1986 ص 62.

ويبسط ويقبض رزقه على من يشاء من عباده، ويقدر؛ لذلك خصّ بعض عباده بهبة الإناث، وبعضهم بهبة الذكور، وقرنهما لبعضهم، ومنعهما بعضهم الآخر، وذكر كل ذلك في عرض حسن، اقتضته بلاغته العجيبة؛ أي البدء بالأدنى وصولا إلى الأعلى. وكان بسطه ظاهرا في هبته التي شملت كلّ قسم من أقسام عباده، لأجل ذلك قدّمها بحكم أنّ تقديم الأهم واجب في كل كلام بليغ، لأنّ إنعامه أهم عنده، فكان الحديث عن نعمه أوجب، وبالتالي ذكر المنع أو الحرمان، وإن أخره، حتى يستوفي جميع أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه، فلا يترك سبحانه شيئا يعرضه إلا أتى به.

ومثل ذلك قوله عزّ وجل: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ هود ـ الآية 44، الآية الكلمة الحق، التي هي جزء لا ينفصل عن هود وأخواتها التي شيبت النبي محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أفصح العرب قاطبة، واستفصحها علماء البيان، ورقّصوا لها رؤوسهم؛ حيث أمر ـ جلّت قدرته ـ الأرض بابتلاع الماء، والسماء بالإقلاع [الإمساك عن إنزال المطر]، حماية للقليل ممن آمن مع سيدنا نوح ـ عليه السلام ـ وأذعن،* وركب سفينة الأمان بأمر من ربهم، لأنّه لو استمر نزول الماء من السماء، ولم تبلع الأرض ما فار من الماء من التنور، اختل الأمر وتعرض كلّ الناس للأذى أو الهلاك، بما فيهم المؤمنون من أهل السفينة. ولما تمّ ذلك أعلمهم عز وجلّ بأنّ المسألة سويت بغيض الماء، وانقضاء أمره تعالى، واستواء السفينة على الجودي، إيذانا بوصولهم إلى بر الأمان سالمين، وهلاك كل الظالمين غرقا، وتحقيقا لنظام دقيق متوازن، ذُكر في معرض حسن، ألفاظه كلّها تميّزت بالحسن، والسلاسة والإيجاز، والجزالة، وسهولة المخرج، وقوة الجرس... ومعانيه رشيقة دقيقة اتسمت بالجودة، والصحة، والصواب، فكان كلّ لفظ دقيقا لا يزيد على معناه ولا ينقص عن المقدار الذي وضع فيه غيره. وقد صيغ في تركيب سليم بعيد عن التعقيد، الذي ربما لن يطمئن إليه المبلغ إليه، فجاءت هذه الآية كمثيلاتها من آيات سور القرآن منسجمة رائقة موصوفة بالائتلاف وحسن البيان والإبداع. ممّا أكّد أنّها تتمتع بقوة لا تضاهى، وفيها من ضروب البديع ما يفوق عدد ألفاظها، وتضيق عنه أرجاء البيان الفسيح منها:[1]

- المناسبة التامة في قوله «ابلعي» و«أقلعي»
- والمطابقة اللفظية بذكر الأرض والسماء
- ومجاز الحذف في «يا سماء» والمراد يا مطر السماء
- والاستعارة في «أقلعي» و«ابلعي» للأرض والسماء

(*) الإذعان: عزم القلب، والعزم جزم الإرادة بعد تردد ينظر الجرجاني (أبوالحسن علي): التعريفات ص 19 .

(1) ينظر السكاكي (أبويعقوب يوسف): مفتاح العلوم، تحق/ محمد كامل الأسيوطي ـ مطبعة التقدم ـ مصر 1348 هـ ـ ص ص 178 ـ 179 .

- وائتلاف اللفظ مع المعنى، لكون كلّ لفظة لا يصلح في موضعها غيرها، باعتبار أنّ الألفاظ «خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها»،[1] فشتان بين توظيف لفظة الاستقرار بدلا من الاستواء في هذه الآية، مع أنّ معناهما يبدو واحدا؛ ذلك أنّ الاستقرار يحتمل معنى الزيغ والميل، ويحتويهما، أما الاستواء فلا. إذا فهذه اللفظة كما الواسطة في العقد، فكان قرارها التفرد، دلالة على عظم فصاحة هذا الكلام، وعلوبلاغته، حيث إنّها اكتسبت قيمتها بفضل اعتمادها كأداة للتواصل، من خلال تكييفها مع هذا النمط الخاص الذي أسهم في تحقيق هدفها. وهذه حسنة أخرى من محاسنه، التي يعزّ علينا حصرها، وإن كانت بمفردها سهلة متداولة، كثيرة الجريان على اللسان، ولكنّها لمّا صيغت في هذا القالب، منحت الآية بعدا جماليا راقيا، في تركيب لن يضاهى مما جعلها تدرج في بابي الفرائد والاقتدار، الدالين على عظمة القرآن الكريم كلّه.
- والإشارة في «وغيض الماء»؛ فإنّها إشارة إلى معان كثيرة؛ إذ تشير إلى انقطاع الماء المنبجس من الأرض والنازل من السماء، ومن دون هاتين المرحلتين ما غيض الماء.
- والتمثيل في «وقضي الأمر»، عبّر بالأمر عن إهلاك الهالكين ونجاة الناجين.
- والإرداف في «واستوت على الجودي»؛ فلفظ «واستوت» كلام تام، أردفه بلفظ «على الجودي» قصدا للمبالغة في التمكين بهذا المكان، فإنّه جيء بِلفظِ الاستواء على هذا المكان تعبيرا عن استقرار السفينة على هيئة مخصوصة، لا تخرج عن نطاق الاعتدال والتمكّن، وقد عبّر عن ذلك بلفظ قريب من لفظ الحقيقة، وفي هذا عدول عن الحقيقة إلى التمثيل، لما في الاستواء من إشعار بالجلّوس الساكن المطمئن الذي عمّ قلوب أهل السفينة، ولما فيه من تمام السكينة وكمالها. وكذلك الشأن في «وقضي الأمر» فقد عبّر فيها بلفظ هو ردف المعنى الخاص وتابعه، وحقيقة ذلك: وهلك من قضى الله هلاكه، ونجا من قضى نجاته، وإنّما عدل عن هذه الحقيقة إلى الإرداف إيجازا وتنبيها على أنّ الأمرين ـ الهلاك والنجاة ـ كانا بأمر الله المطاع وقضائه، حيث يستلزم الأمر آمرا مقتدرا والمأمور يستلزم طاعة.
- والتعليل في «غيض الماء»، فإنّه علة الاستواء.
- والاحتراس في «بعدا للقوم الظالمين»، وهو أيضا ذم لهم، فإنّه سبحانه لمّا أنبأ بهلاك من هلك بالطوفان، أردفه بالدعاء على الهالكين، ووصفهم بالظلم إشارة إلى تمام المعنى وكماله، حتى يستيقن الناجون ومن يأتي بعدهم، أنّ جميع من هلك كان مستحقا لعقاب الله ـ الهلاك ـ مفعلا لدعائه عليهم. فلا يظن ظان أنّ الهلاك وقع على الظالم الذي يستحقّه والمؤمن الذي لا يستحقه. وفي هذا احتراس أو تحرز مما يوجب الطعن.
- والمساواة، فإنّه تعالى قصّ هذه القصة بأبلغ الألفاظ وأوجزها، فعرضت مرتّبة الألفاظ والجمل، وفق تسلسل الأحداث التي جرت في صور لا تَفْضَل عن معانيها ولا تقصر عنها. وإن توهّم متوهم أنّ كلمة «قوم» تحجب

(1) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ص 54.

عن الآية المساواة، فيقال وقيل بعدا للظالمين عوض قوله تعالى: «وقيل بعدا للقوم الظالمين»، فإنّ الكلام لا يستقيم، ولا يؤدي الدور الذي أنيط به، فيتقسم المعنى ويتجزأ حسنه وينقص تمامه؛ لأنّ حسن العرض صيّرها أشدّ توافقا وانسجاما، فذكر القوم هنا فيه إشارة سخية إلى أنّها ليست فضلة في الكلام، كما أنّ ذكر القوم يقرّب الوصل أكثر بين الآية السابقة والآية اللاحقة، ويزيد من تشابكها، حيث قال في أول القصة: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ هود ـ الآية 37، وقال بعد ذلك: ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ هود ـ الآية 37، فجاءت لفظة القوم في آخر القصة، ووصفهم بالظلم ليرتد عجز الكلام على صدره، ويُعلم أنّ القوم الذين هلكوا بالطوفان هم الذين كانوا يسخرون من نوح ـ عليه السلام ـ فهم مستحقّون العقاب، وبالتالي فقد جاء اللفظ فيها لا يزيد على معناه ولا ينقص عنه.

- وهي أيضا يمكن أن تدرج في باب الانفصال، الذي حلّ الإشكال، على أساس أنّ «الانفصال هو أن يقول المتكلم كلاما يتوجه عليه فيه دَخَل، فلا يقتصر عليه حتى يأتي بما ينفصل به عن ذلك».[1]
- وحسن النسق، أن جاءت هذه الآية معطوفة جملها بعضها على بعض بواوالنسق، على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة، فجاء الكلام متتاليا متلاحما تلاحما عجيبا، على اعتبار أنّ «المعنى لا يوجد قبل النسق، ولا يسبق مجال الفعل، فهو ينشأ في الواقع عن طريق ما يختاره له النسق من دلالة».[2] وقد كان مراد الله عز وجلّ رسو سفينة نوح بمن فيها آمنة سالمة؛ لذلك بدأ بالأهم كما سبقت الإشارة، وقد نادى الله سبحانه الأرض بحرف النداء يا، لأنه نزّلها منزلة الكائن الحي العاقل، وفي هذا تجسيد يشير إلى أنّ الكائنات جميعها أمام الله سواء، فهو خالقها، وهو الذي يستطيع أن يوجه إليها الخطاب، فتسمع وتطيع، ثم جاء العنصر التالي للنداء وهو الأمر في ابلعي. وبالإضافة إلى ما فيه من معان يحملها توجيه الأمر إلى الأرض فإنّ فيه تناسقا على مستوى التأليف، حيث يعد النداء ممهدا للأمر، وتنبيها للمأمور إلى ما سيلقى عليه.
- والاستقصاء، فإنّ قصة الطوفان مستقصاة من جميع جوانبها، ولوازمها، حيث لم يترك لمتوهم ثغرة، أو كلاما بكلامه، إنّما استوفى جميع أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه، فلم يغادر منه شيئا، وهو ما يعرف عند رجال البلاغة بصحة الأقسام. ومن بديع ما وقع في هذه الآية أنّه ـ عز وجلّ ـ لم يغادر مرحلة من المراحل التي وقعت في الطوفان حتى أتى بها، فاستوعبت الآية جميع دقائق أحوال الماء حالة نقصه.
- كما اتّسمت الآية بالتمام والتسهيم، حيث اقتضى أول هذه الآية آخرها اقتضاء لفظيا ومعنويا؛ لأنّ ذكر بلع الماء اقتضى إقلاع مطر السماء عن النزول، واقتضى الإقلاع غيض الماء، واقتضى غيض الماء انقضاء أمر الله حتى

(1) ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 326

(2) حسن مصدق: النظرية النقدية التواصلية، ص 115

استوت على الجودي أو العكس، يعني استلزم استواء السفينة، المرور بهذه المراحل عكسيا؛ أي انقضاء أمره ـ عزّ وجلّ ـ الذي تطلّب غيض الماء، الذي اقتضى بدوره الإقلاع، الذي اقتضى بدوره الابتلاع.

- واتصفت بالانسجام المعجب، الذي يقع في النفس فيهزها، ويؤثّر في القلب فيجلّيه ويحييه.
- وكذلك بالتمكين، فالفاصلة في هذه الآية متمكّنة في مكانها، مستقرة في قرارها ومطمئنة، فكل شيء في هذه الآية مهد للآخر. وقس على ذلك القرآن كلّه، فإنّه يعزّ علينا أن نحصر هذا الأسلوب وغيره فيها فقط.
- واتّسمت أيضا بالإيجاز، حيث ذكر الله القصة بألفاظ مناسبة، احتوت المعنى بعبارات مختصرة، دون أن يحذف أو يخل.
- وبحسن البيان، فإنّ للمبلّغ إليه يصله الفهم بأسهل السبل، وهذا بإخراج المعنى في أحسن الصور الموضّحة له.
- وكذلك التهذيب، فإنّ هذه الآية جاء نظمها مرتبا على نهج البلاغة، بدءا من الأدنى إلى الأعلى، موصوفة بحسن الجوار، خفيفة التركيب، سهلة النطق، مؤدّبة لمن بقي من أهل السفينة، ومحذرة من أنّ كل ظالم يلقى عقابه.
- يضاف إلى ذلك كله مشهد التصوير الرباني الإيحائي، الذي يأسر المتلقي، ويأخذ بلبه؛ لأنّه يقوم على الظلال التي يمكن أن تشدّ المبلّغ إليه، فتترك في نفسه أعزّ أثر وأشرفه، حتى تتجلّي داخل القلوب، فتمكّن العقول من استيعاب المعنى المقصود. وأمثال هذه الآية، إذا تُتبّعت من هذه المواقع وغيرها خرجت عن حد الحصر في القرآن جميعه، فكلّ آية لا تخرج عن عديد من الخصوصيات الرائعة التي تتمتع بها آيات الذكر الحكيم.

نعم... إنّها آيات بينات من أفانين كلام المولى ـ عزّ وجلّ ـ تهزّ النفس، وتستنهض القلوب والعقول، فتولد جمالا ناطقا يبوح بمكنوناته الماتعة المقنعة، وإنّه ليتحقق في حالة «وجد التناسب والتلاؤم، الذي يتيح للذات المتأملة أن تصل إلى تفهّم العلاقات بين الأشياء؛ لأنّ الإدراك الجمالي لا نستطيع أن نحيط به إلا بإدراكنا لما يحيط به من مصاحبات أخرى»،[1] تعين على ضبط أكثر لمفهوم الجمال الذي يتأسس على مجموعة من المقومات، منها التماثل، والتناغم، والتوازن، وتعادل مختلف القوى، والتدرج، والتكرار، والتناسق،[2] كما يتّسم بالانسجام، والتوافق، والنظام، حيث ينم عن معنى ويكون له مغزى.[3]

وعليه فإنّ هذا الجمال ناشئ عن الطريقة المخصوصة في عرض مادة البلاغ، وهي طريقة يراعى فيها مدى تماسك البلاغ، والتحامه، وفصاحته، واتساق معانيه، وانتظام مبانيه، وفي سحر بيانه الذي أفصح عنه مرة وأخفاه مرات كثيرة. فهو يُعرض بطريقة مميزة، الحسم فيها يكون لاعتبارات تتصل في جوهرها بنسيج البلاغ من حيث لغته، وبنياته، وتركيباته، ودلالاته، ووقعه.

---

(1) محمد رجاء عيد: التصور الجمالي في النقد العربي ـ المنهل ـ العدد 530 المجلد 57 فبراير ـ مارس 1996 ص40.

(2) ينظر مجاهد عبد المنعم مجاهد: تاريخ علم الجمال، دار ابن زيدون للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ ط1، 1988 ص 39 .

(3) ينظر علي عبد المعطي محمد: جماليات الفن ـ المناهج والمذاهب والنظريات ـ دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية ـ 1994 ص 22.

فمن شأنه [أي حسن العرض] أن يكون ناتجا عن علاقات تراتبية ما بين كل مستوى، حيث يتلو المستوى الصوتي المستوى المعجمي فالتركيبي النحوي ثم الدلالي، ليعود إلى كل مستوى فيعطيه بعده المعنوي، إذ «ليس الغرض بنظم الكلم، أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها، على الوجه الذي اقتضاه العقل».[1] وعليه، فإن حسن العرض يقوم على ربط أواصر التواصل، بما يضمن فعاليته، انتقاء وصناعة؛ أي وفق محوري الاختيار والتأليف، وهو أمر يعود بكليته إلى المبلِّغ في مراعاته للمبلَّغ.

ج) أريحية الأثر*:

يمثل هذا المطلب شرطا واجبا، بما يحمل من خصوصيات تتطلب عِلما كاملا وشاملا بالطبيعة البشرية للنفاذ إلى أعماقها. وهو هنا يتجلّى في لا إله إلا الله ومحاورها؛ أي في البلاغ القرآني كلّه، بدءا من الفاتحة ووصولا إلى الناس. وهي مادة طليقة، يتلقفها المتلقي حيثما كان، إن شاء ذلك، بعد أن يتعقّب أثرها، ويتشرّب جمالها، فتسري في نفسه، ثم تسكن إليها، ليتمثلها كما يشاء له الأثر أن يتمثلها؛ على أساس أنّ «اللغة توحي أكثر ممّا تصرح، وتنبّه أكثر مما تعبّر، وتستفز أكثر مما تخبر».[2] ثمّ إنّ منافذ القبول والتأثر لابد أن تكون فضاء رحيبا، تسيّره إمكانات لغوية متمايزة، تلقي بظلالها على ملكة التوقع، فإن كانت كذلك أحدثت ردة أو ردود فعل تنحو بالبلاغ نحو التألق والسمو أكثر فأكثر، فالنفس ترتاح لكلّ وافٍ صائب وجديد، يبعث على الأريحية، وتطرَب لكلّ كلام سوي، وتطمئن لكلّ سهل صادق العبارة، وتمجّ كلّ ناقص، وتدرأ عنها الاجترار والملالة، وتنكر ما يخالف هواها، إذا فـ«علّة كلّ حسن مقبول الاعتدال، كما أنّ علّة كلّ قبيح منفي الاضطراب».[3]

ففي الوقت الذي كانت فيه الخصوصيات اللغوية، التي تميزت بها النصوص البشرية، تخيّب توقع المبلَّغ وتكسره، كانت هذه الخصوصيات التي نجدها في القرآن الكريم تحركه وتجدّده، والتوقع هنا ليس متصلا بالمبلِّغ فحسب،

---

(1) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ص ص 49 ـ 50

(*) للأثر أكثر من معنى فهو يحمل معنى النتيجة وهو الحاصل من الشيء، وهو العلامة، وهو الجزء وأثر الشيء: حصول ما يدل على وجوده، والجمع: الآثار. قال الله تعالى: (ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا) الحديد الآية 27، وقوله: (وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ) غافر الآية 82، وقوله: (فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ) الروم الآية 50. ومن هذا يقال للطريق المستدل به على من تقدم: آثار، نحو قوله تعالى: (فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ) الصافات الآية 70، وقوله (قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) طه الآية 84. وأثر السيف: جوهره وأثر جودته، وهو الفرند وسيف مأثور. وأثرت العلم: رويته قال ابن فارس: وأثرت الحديث، أي: ذكرته عن غيرك أثره أثرا وأثارة وأثرة، وأصله: تتبعت أثره وهو هنا يعني كل هذه المفاهيم ينظر علي الجرجاني: التعريفات ص 13، الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن الكريم، وابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة أثر

(2) عبد السلام المسدي: قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون ـ الشركة التونسية للتوزيع ـ 1984 ص 141

(3) ابن طباطبا (محمد بن أحمد العلوي): عيار الشعر، تحق/ طه الحاجري ـ محمد زغلول سلام ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة ـ 1956، ص 15

وإنّما بالبلاغ كذلك، كونه يخصّب هذا الأخير، في تكامل متناسق، يشكّل عالما من الإمكانات المتراكمة من الأدوات اللغوية، التي سرعان ما تنتشر وتخترق أفق توقع المبلّغ ، بناء على «أنّ النفس إذا لم تعرف تمام المقصود من الكلام، تشوقت إلى تمامه، ولو عرفت تمامه لبطل التشوق إلى تحصيل الكمال»،(1) وإن كان أثرا ذي يقين مسلم به إلا أنه يملك أفقا واسعا بلا منتهى، ومفتوحا بلا حدود؛ لأنّ سره صار أسرارا، ونفيسه نفائس، ودقيقه دقائق.

كذلك فإنّ ما يجلّي جمال هذا الأثر هو بناؤه على أسس سليمة لا تخرج عن دائرة السكون واللذة والهدوء والطرب، لأجلّ هذا قال ـ جلّ وعلا ـ مؤكّدا ومقسما بأنّ البلاغ كلّه حقيقة لا ريب فيها للناس أجمعين: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ البقرة ـ الآيتان 1 ـ 2، وقال عز من قائل: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ يونس ـ الآية 37... كما أنّه ربط بين صدقه وحقيقته وبين التحدي حتى يلقي في القلوب إما الروع أو السكينة، فقال تبارك وتعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ۝٢٤ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ البقرة ـ الآيات 23 ـ 24 ـ 25.

إنّ هذا البلاغ مثلما تحرر من الجاهز والشائع من الصيغ والتراكيب، فقد حرر متلقي هذا البلاغ، وصار هذا الأخير أثرا فنيا طليقا، فنحن إذا تدبرنا قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ۝١٦ ﴾ الحديد ـ الآية 16، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ آل عمران ـ الآية 164، جملة وتفصيلا، ونظرنا في كلّ صوت من أصواته، وكلّ مفردة من مفرداته، وكلّ تركيب من تركيباته لمسنا من أريحية البلاغ ما تقف عنده الكلمة عاجزة، والعقول مشدوهة؛ فهذه الآية تسطّر لمتلقي البلاغ ـ سواء كان من العامة أم من الخاصة ـ منهاجا صحيحا، وتقدّم له حلولا ناجحة يرتاح لها، «ويتأتى هذا الإحساس بالراحة من خلال الحلول التي يقدمها لنا العمل، والتي يجب أن تتفق مع توقعات القارئ»،(2) فلا يتيه بين مجرد تصورات ضبابية معتمة، أو بين رؤى مشتتة لا تزيده إلا حيرة وقلقا، ولا تستهلك إلا صبره، وإنّما تحييه وتستجيب له، فتكون في صدره أحلى، وفي عقله أجلّى، وفي سمعه أحسن، وفي عمله أشرف وأكرم. وقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝١٣٢ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ

(1) أدونيس: الشعرية العربية ـ دار الآداب ـ بيروت ط 1 1985 ص 76.

(2) فولفجانج إيسر: فعل القراءة ـ نظرية في الاستجابة الجمالية ـ تر / عبد الوهاب علوب ـ المجلس الأعلى للثقافة ـ 2000 ص 48.

النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135)﴾ آل عمران ـ الآيات 132 ـ 133 ـ 134 يشير إلى أنّ هذه الآيات هي آية في الأريحية التامة لدى كل نفس. ومردّ هذا يرجع إلى النظم الرباني الموصول بالدين الوجداني، حيث تسابق المعاني الألفاظ والألفاظ المعاني، فلا تكون الألفاظ إلى الأسماع أسبق من المعاني إلى القلب.[1]

لقد كان نزال هذه الآيات في ميدانين عظيمين: العقل والقلب، بأسلم السبل وألطفها، كما كانت موجهة إلى النفس السوية التي لا ترضى عن الإحسان والإنابة بديلا، في تصوير عميق بارع، جعله ربّ العباد «قريبا إلى الأفهام، يبادر معناه لفظه إلى القلب، ويسابق المغزى منه عبارته إلى النفس»،[2] إذ كلما كان البلاغ على هذا النحو من الوضوح، والقرب، والتأكيد الضاغط برفق على النفس، التي لا يعلم أسرارها إلا الله، وجد في القلب وقعا جميلا، وفي الحس سريانا حسنا، وفي العقول طربا مستفزا، وفي اليقين سبقا وتحقيقا، وفي الفكرة معرفة وعزة، وعليه يتكثف تأثيره وينتشر، فتستولي الأريحية على النفس تطيبا وتنشيطا.

فمن لطائف هذه الآيات أنّ كلّ معنى فيها ألفاظه معطوف بعضها على بعض، وفق ترتيب خاص لعدد غير محدود من الفضائل المحمودة، التي تنبع من النفس، وتصب فيها، فالمتدبر يجده ـ تعالى ـ «قدّم المغفرة على الجنة؛ لأنّ التخلية مقدّمة على التحلية، فلا يستحق دخول الجنة من لم يتطهر من الذنوب والآثام».[3]

ولكن كيف هي هذه الجنة التي تجعل الأنفس تتسابق للظفر بها؟ إنها رحبة واسعة مبسوطة، وهذا ما يجعل النفس تتشوف إليها وتميل؛ لذلك خصّ العرض بالذكر دون الطول، إشارة إلى العِظَم، فأخرج ما لا يُعلم بالبديهة إلى ما يعلم بها. وإن وصفت الجنة بالسعة، فإنّها لا تسع إلا المتقين المحسنين والمستغفرين. كما بدأ بالمحسنين إشعارا بمكانتهم التي تسبق المذنبين التوابين، فقدّمهم، وأشار إليهم بالبعيد ـ أولئك ـ توصيفا لاعتلائهم مرتبة شريفة، ومكانة مرموقة في الفضل. وهذه طريقة من ينصف في جزائه في كلامه قبل ذلك، فقدّم أصحاب مكارم الأخلاق على المذنبين المستغفرين، وبالتالي أقام تواصلا عجيبا، أعلى من شأن النفس التي وافق البلاغ حالها، وخاصة عندما عقد الصلة بين الإخبار والإثارة. والحق أنّها مفارقة مخصوصة في البلاغ الرباني، تفيض جمالية وجدت في ذاته ولذاته، ولا يتقاسمها معها أي من البلاغات الأخرى.

ومن هذه الفضائل: الإنفاق، وإن بدا مسألة مادية، فإنّه عملية نفسية تربوية متأصلة فيها؛ أي في النفس، وقد زُيّن لها حب الشهوات والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والمال... لذلك «افتتح بالإنفاق، لأنّه

---

(1) ينظر الجاحظ: البيان والتبيين ج 1 ص 115.

(2) الباقلاني: إعجاز القرآن ص 46.

(3) محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير ج 1 ص 234.

أشقّ شيء على النفس وأدلّه على الإخلاص».[1] وجعل الإنفاق يتمّ في حالتي السراء والضراء، وقرنهما بالنفس، وجعلهما ملازمتين لها وصادرتين منها، وأردف ذلك بالحديث عن كظم الغيظ والعفو، وهما كذلك يشيران إلى صدورهما من النفس، كذلك فإنّه لم يكتف بذكر كظم الغيظ، لما قد تبقيه النفس من غل وحقد، لذلك ربطه بالعفو، وهو ما يدفع النفس إلى أن تتحرر وتنطلق مع القرآن ومنه، لتجد ذاتها محسنة، قد أحبها الله، راغب كل منهما في الآخر. كما جعل فعل الفاحشة ـ والفاحشة من أقبح الذنوب وأعظمها ـ متصلا بظلم النفس مباشرة، وكلاهما يفضيان إلى الإنابة إلى الله، ويستجيشان الرجاء طلبا للمغفرة والرضا، وقد بدأها بالبشارة وختمها كذلك؛ إذ في خضم تقرير هذه الحقائق، يمس القرآن شغاف القلوب وتستشرف النفوس هذه الكلمات النورانية ليس في حالات الاستبشار والانشراح والسكينة فقط، وإنما أيضا في حالات المهابة والخوف والقلق والحظر والإباحة والتحليل والتحريم. وليس حظ الجزالة والوعورة والعذوبة والسهولة ببعيد عن هذه الأريحية كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ التوبة ـ الآيتان 124 ـ 125، وقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ يونس ـ الآية 57، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ الأعراف ـ الآية 158، وقوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ النساء ـ الآية 63... وآيات القرآن كلها على هذا النحو من التأثير أو الوقع النفسي، حيث لو قمنا بعملية إحصائية وأدرجنا كل كلمة في حقلها المناسب لوجدنا كل كلمة في الآية الواحدة تصب في الحقل النفسي.

إنّ هذا البلاغ بوصفه أثرا ما هو إلا ضرب من الصناعة الكلامية الربانية لواقع أو لمجموع الأحداث الخفية والظاهرة، والآمرة والناهية، والمضحكة والمبكية، والمؤنسة والمقلقة، والماضية والحاضرة، والمنسوجة سلفا؛ أي أنّه أثر يُخضع ولا يَخضع، حيث إنه يتميز بقوى عجيبة، ومزيّة عظيمة على اختزان طاقة دينامية، هي لبّ الجمال الخالص في بعده الوظيفي، وقد تجلّت هذه الطاقة في أريحيته التي تمثل المنطلق والمنتهى؛ إذ تهيمن أو تعلن سطوتها على كل ركن من أركان البلاغ، وعلى كلّ جزئية فيه، فكانت كما عصا موسى، ضربت صميم القلوب، وجوهر العقول، وأغوار النفوس، فشقّتها، وملأتها روحا جميلة حتى ترى آيات ربها وتقبل عليها.

---

(1) الزمخشري: الكشاف ج 1 ص 464.

ولا يملك الأثر هذا القدر من القيمة إلا في حالات تجدّده وغناه، إذ «النص الفني يشتمل على طاقة جمالية، قادرة على أن تبقى في كل مرحلة من مراحل تاريخ الأمة».[1] وإنّه في غياب الطاقة الجمالية، يستحيل التفاعل الكامن داخل البلاغ، ويتوقف ردود الفعل، لذلك يشترط أن يتضمن النص كمونا جماليا، جديرا بأن يثير لدى المبلِّغ ردود فعل متنوعة ومتجددة،[2] غير أنّ أريحيته تظل خارقة، رغم تقادمه وإبقائه على أصله، وكذلك ـ رغم ـ مجيء نصوص بشرية استفادت منه، وحاولت أن تضيف أو تجدّد. والأريحية هنا ترتكز على عنصري: الإقناع والتأثير؛ فأمّا الإقناع فيتجلّى في إعمال الفكر ويتكئ أساسا على العقل ويتوجّه إليه مباشرة، وأمّا التأثير فيركز على الانفعال في إثارة المشاعر، ويتّجه مباشرة نحو القلب، ونضيف أنّ الإقناع لا يتم بمعزل عن الانفعال والعكس؛ إذ كلما حضر عنصر ظهر الآخر، ومدّ البلاغ لأريحية مثيرة، وجمالية ساحرة، فهما متلازمان بحكم أنّ القلوب تعقل مصداقا لقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ الحج ـ الآية 46.

ولئن كانت الأريحية مرتبطة بالبلاغ، ومتمظهرة فيه من خلال عنصري الإقناع والانفعال، فإنّها مرتبطة في الآن معا بالمبلِّغ، الذي يلّح على الجديد المثير، لما له من مسالك في النفوس لطيفة، ومداخل إلى القلوب دقيقة، أو يلّح على الكلام المتين والقول الرصين، أو الكلام الذي يروق ماؤه، ويسلس مأخذه، وتروع بهجته ورواؤه، أو ما يكون قريب المتناول، أو يختار بعيده غامضه، كما يفضله لصدق معناه، ولدلالته على الحقيقة، وروعة مبناه وإشارته إلى بديع صنعة صانعه.[3] ولقد أثبتت آيات الذكر الحكيم ذلك مرات عدة، نذكر منها قوله عز وجلّ: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الأحقاف ـ الآية 30، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾ المائدة ـ الآية 83، وقوله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ الحج ـ الآية 35، وقوله جلّ وعلا: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الأنفال ـ الآية 2، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ الإسراء ـ الآية 109، وقوله عزّ من قائل: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ الإسراء ـ الآية 82... وغيرها كثير من السور التي جاءت على هذا النحو، إما بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

---

(1) إدريس بلمليح: القراءة التفاعلية ـ دراسات لنصوص شعرية حديثة ـ دار توبقال للنشر ـ الدار البيضاء ـ المغرب ط 1 2000 ص 11.

(2) المرجع نفسه ص 22.

(3) للاستزادة ينظر الباقلاني: إعجاز القرآن ص 113 .

تتجلّى أريحية الأثر إذاً، في تعاضد وجوه الحسن هذه مجتمعة متلاحمة، ضمن وجوه البلاغ التي تراوحت بين خطاب العام الذي أريد به العموم، وكذلك خطاب الخاص الذي أريد به العموم والعكس، وخطاب الجمع بلفظ الواحد والعكس... وهكذا؛ ذلك أنّ البلاغ خطاب وجّه إلى كلّ الناس بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهو القائل عزّ وجلّ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ سبأ ـ الآية 28، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ إبراهيم ـ الآية 52. بلاغ صادر عن خبير، عليم بالنفوس، لا يورثها إلا فصل الخطاب الجميل، والأريحية التي ليس لها مثيل، فتملأ القلوب سرورا والعقول نورا ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ الجمعة ـ الآية 4.

د) صحة المعنى:

إنه لحاصرة هذا المطلب المتضمن في البلاغ، لابد من اعتباره لازمة لا يمكن الاستغناء عنها، بأي حال من الأحوال، على أساس أنّ القرآن يتكلم عن حقائق موجودة، وليس مجازا أو رمزا، وبوصفه بلاغا تواصليا، يستوجب وجود طرف مستقبل، قد ضمن وجوده ـ أي البلاغ ـ وخلوده بقوة أعم وأشمل، تجاوزت صحة المعنى اللغوي وسلامته إلى صواب المعنى الشرعي وحقيقته، فيرمي المبلّغ إليه برمية صدق، يستجمع عبرها معانيه في ذهنه، فتستشري فيه كلّه عقلا وقلبا وروحا، ولأنّ إدراك غاية البلاغ مسألة ضرورية في عملية التواصل، فإنّ صحة المعنى هي أهم مكسب له. ويتم هذا بالتعبير عن المعنى «باللفظ الدال على الحقيقة، لكي يحصل كمال العلم له، من جميع وجوهه»،[1] لذلك تجد النقاد يفرّقون بين الكلام المطبوع والمصنوع، ويضعون لهما مقاييس وضوابط، فَهُمْ «إذا قالوا الكلام المطبوع، فإنّما يعنون به الكلام الذي كملت طبيعته وسجيته من إفادة مدلوله المقصود منه؛ لأنه عبارة عن خطاب ليس المقصود منه النطق فقط، بل المتكلم يقصد به أن يفيد سامعه ما في ضميره إفادة تامة، ويدل عليه دلالة وثيقة»،[2] حتى يحمل محمل الجد، ويعمل بمقتضاه.

وإن صح لكلام البشر أن يكون مخالفا للصواب، من أجلّ تحقيق الجمال الفني، فإنّ البلاغ، وهو كلام الله على طول سوره وقصرها، لم يكن مجانبا للصدق، ولو في آية من آياته، ولم يزغ عن الصواب جملة وتفصيلا، وإنّما كان دقيقا في تصوير أحوال النفس والواقع، وقبل هذا كان محكما في تصوير الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهو في جملته منهاج رباني متكامل؛ في عقيدته وعبادته وتشريعاته ومعاملاته صحة وشرف عجيبان، وصدق وحق مطلقان، يقول عزّ من قائل: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ النساء ـ الآية 82، ويقول ـ أيضا ـ: ﴿ الٓمٓ ① غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ② فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ③ فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ④ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ⑤ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ

(1) أدونيس: الشعرية العربية ص 76.

(2) ابن خلدون: المقدمة ص 1119.

﴿ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ الروم - الآيات من 1 إلى 6، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴾ آل عمران - الآية 3، ويقول: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾ النساء - الآية 87، ويقول تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴾ النساء - الآية 122 ويقول سبحانه: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾ المائدة - الآية 48، ويقول - أيضا - ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴾ الأنعام - الآية 92...

هكذا يصير البلاغ مسؤولا عن صحة ما حمّل إياه من مقاصد قادرة على أن توائم بينها، وبين المبلّغ إليهم، الذين وإن اختلفوا في كثير من الجوانب اتفقوا حول صحة المعنى وسلامته؛ ذلك أنّ وجود بلاغ على هذا النحو من الكمال والتمام في صدق معناه وصحته، وائتلاف فحواه مع قواعد فنّه، يمدّ متلقيه بثقة لا حدود لها «فوحدها الحقيقة التي تستطيع أن تحظى بقبول الجميع، يمكن أن تشكل منطلقا مقبولا بين الناس، لتأسيس ما يرونه كفيلا بتنظيم حياتهم، وهي تبنى عن طريق الحوار اللغوي وقواعد البرهان، معتمدة شروط ومسلمات المنطق اللغوي».[1]

وبهذا يتعالى البلاغ على أن يفقد خاصية واحدة، لاسيما إذا تعلق الأمر بالتعبير الدقيق عن الإنسان «فإنّ ذلك التعبير إذا جاء محكما أمينا، كان له في النفس ما للجمال من أثر، وهو الشعور باتساع دائرة النفس، وإضافة آفاق جديدة إليها».[2]

فالبلاغ القرآني مطابق تعبيره لكل إحساس ظاهر وباطن، وبذا تكون صحة المعنى وصوابه مجازا إلى عوالم النفس، والواقع أن لا تعارض بين المجاز والحقيقة؛ لأنّ المجاز في أغلب أحواله يفضي إلى الحقيقة، فهو لا يقوم إلا برسمها في أطر خاصة تزيد من جماليتها، وكذلك الشأن بالنسبة إلى الحقيقة، فهي كثيرا ما تصل المبلّغ في إطار المجاز الجميل، ولئن كان قوله - عزّ وجلّ - عن خلق الإنسان قد تكرر في أكثر من سورة كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴾ الحج - الآية 5، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ المؤمنون - الآية 14، وقوله تعالى:

---

(1) حسن مصدق: النظرية النقدية التواصلية ص 16

(2) نظمي لوقا: الحقيقة عند فلاسفة المسلمين - مكتبة غريب - مصر 1982 ص 108

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ الزمر ـ الآية 6، وجاء بصيغ مختلفة وأساليب متنوعة، فإنّه لا يخرج عن كونه يمثل نصا واحدا لا كذب فيه ولا اختلاف، بل إنّ هذه التركيبة المتكاملة لصحة المعنى من سلامة ودقة وصواب وحقّ وإقناع أكّدت أنّه لعرض المعنى في البلاغ آيات حكيمة جمعت بين المجاز والحقيقة؛ إذ بهما تكاثفت أهميته في توصيله فيما توصيلا دقيقا معنى ومبنى، والقرآن نفسه يعلن في أكثر من مرة أنّه بعيد عن الكذب بدليل قوله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت ـ الآية 42، ليس هذا فحسب، وإنّما القراء المبلّغين من أصحاب العقول السليمة والنفوس السوية يستبعدون غياب صحة المعنى، ويخرجونه من دائرة البلاغ الرباني، قال تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ النساء ـ الآية 162، وقال عزّ من قائل: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ الزمر ـ الآية 18، وقال: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ص ـ الآية 29، وقال: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ الرعد ـ الآية 19، وقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يوسف ـ الآية 111، وقال: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ آل عمران ـ الآية 70..

ونحن إذ ننظر إلى هذه الآيات، على سبيل المثال لا الحصر، نجد أنّ صحة المعنى هي الأداة المفتاح التي تعين على التواصل الجاد، من أجلّ تمكين البلاغ في النفوس قولا وعملا، على أنّه من المهم للغاية أن ننتبه إلى أنّه في غياب خاصيتي الوضوح والدقة في المعنى يفقد البلاغ شرعية وجوده؛ لأنّ الهدف الأساس منه خلاص البشرية، لذلك فهو مسوق إلى إخراجها من الظلمات إلى النور، إذ فيه خبر الأمم الماضية والحاضرة والمستقبلة، حيث «لم تكن أسس دعوته محصورة في التشريع، بل كانت أعم من ذلك... إنّها تشمل أحكاما شرعية، تتعلق بالعقائد كوجوب الإيمان بالله وملائكته... وأحكاما شرعية وجدانية تتعلق بأخلاق الناس، وما يجب أن يكونوا عليه، وأحكاما شرعية تتعلق بما يصدر عن المكلفين من أقوال وأفعال وتصرفات».(1) لقد كان مفيدا لا تنقطع فوائده، وعجيبا لا تنتهي عجائبه، يتمتع بتواصل نديّ، ووضوح جلّي، ويمتلك قابلية استيعاب كلّ الفئات في كلّ الأزمنة وفي شتى الأمكنة...

إنّ الحقيقة التي يحيل إليها القرآن موجودة في كلّ آياته، وهي لا تتنافر مع نفائسه الفنية، وهذا أمر جلّل استحال وجوده في كلام البشر جميعه، حيث نجد أنّ الناس، على اختلافهم، يذهبون كل مذهب في الإبداع الفني، فمنهم من

---

(1) إدريس حمادي: الخطاب الشرعي وطرق استثماره ص 50.

يميل إلى السهل والمطروح من المعاني، وبعضهم يميل إلى الصعب العسير، الذي لا يفصح عن مكنوناته إلا بشق النفس، ويميل بعضهم إلى مدى مطابقته للصواب والصدق أو مجانبته لهما، من منطلق قولهم أعذب الشعر أكذبه... وفي المقابل نجد هذه المسائل تطرح نفسها في القرآن طرحا شفافا، في بناء فكري متكامل، طرح يؤكد أنّ البلاغ لا يستقيم صوابه وحسنه ما لم يتوفر على ودائع، أي معان، تتسم بالصحة؛ فقراءتنا لقوله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ الجمعة ـ الآية 8، أو لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ المؤمنون ـ الآية 16، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ الحج ـ الآية 5، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ المؤمنون ـ الآية 13، وقوله: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ فاطر ـ الآية 11، وقوله: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ غافر ـ الآية 67... وغيرها يفضي إلى أننا نتعامل مع بلاغ ذي نظام واقعي، يدلّ دوما على حقيقة واحدة بأنماط متنوعة ومحاور متعددة و«لأنّ القرآن مجمع الحق، ومنبع الصدق»،[1] فهو يصور الحقّ في صورة الحق والباطل يدمغه، فإذا كان المعنى صحيحا صائبا كان كذلك شريفا منزّها عن كلّ نقص أو خلل.

يقول الله تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ الزمر ـ الآية 23، ويقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ النساء ـ الآية 56.

لقد أثبت العلم الحديث أنّ الجلد هو موطن الإحساس، وهو الأمر الذي بيّنه القرآن الكريم، وأفصح أنّ الجلد جهاز متقدم للشعور العام والشعور الإيماني على وجه التخصيص، وبيّن كذلك أنّ أطراف الأعصاب، التي تجعل الإنسان يشعر بالألم، موجودة في الجلد، وذلك عندما ذكر الطريقة التي سيعاقب بها الذين كفروا يوم الحساب.

فمثل هذه المعاني البارعة صوابا وحسنا، إذا صارت في النفوس أفرغتها من المغلوط الشائن وهذبتها وملأتها حسنا وجمالا خالصين، إذا فأهمية البلاغ تتجلّى بوضوح فيما يعرضه المبلّغ وكيف يتم له ذلك؛ «لأنّ النص إذا كان غير

(1) الزركشي: البرهان في علوم القرآن ص 113.

دال، فقَد أهمّ خاصية فيه بوصفه نصا، وبالأحرى يتوقف عن أن يكون نـصا»،[1] وكلمـا كـان المعنـى صـحيحا تبـيّن المعنى تلوالمعنى أيضا، ومن ثمة كان البلاغ ناجحا في التواصل، وإن صيغ المعنى في صور متنوعة. وكلّها أمور صحيحة غير متضاربة، كلّ منها يكمّل الآخر، بل إنّها تمتّد لتشمل ميادين الحياة كافة، فتعالق فيما بينها أيّما تعالق؛ أي أنّ البلاغ جاء عظيما، رفيع الشأن، مس جواهر الأمور التي لها وجهة، دقيقها وجلّيلها، «فـالقرآن إنّمـا صـار معجـزا ؛لأنّـه جـاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، مضمّنا أصح المعاني، من توحيد له عزّت قدرته، وتنزيه له في صـفاته، ودعـاء إلى طاعته، وبيان بمنهاج عبادته، من تحليل وتحريم وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف ونهي عن منكر».[2]

ه) نمطا التواصل:

إنّ هذه المادة التي عن طريقها نتواصل تطرح نفسها على بساط البحث، كمادة منطوقة ومكتوبـة معـا، ونكـون غير منصفين حين نتجاهل الدور الكبير الذي يقدّمه القرآن، بوصفه بلاغا قوليـا، أداتـه الأولى في التعـبير كانـت تعتمـد على الكلام الشفهي، لما له من أسلوب خاص به، ولما له من مزيّة وفضل من حيـث أسـبقيته في الوجـود، وأكثريتـه في الحضور بالنظر إلى الكلام المكتوب.

لقد كان الخطاب الشفوي الإجراء الأول، لإيصال بلاغ الله للناس جميعا، فهو القائل سبحانه وتعـالى: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ النساء ـ الآية 63، والقائل ـ جلّت قدرتـه ـ: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة ـ الآية 37، والقائل: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ البقـرة ـ الآيـة 253، والقائل: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النساء ـ الآية 46، والقائل تبـارك وتعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ۚ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ المائدة ـ الآية 41، والقائل: (ولَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ) الأنعام ـ الآيـة 34، والقائـل: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ التوبة ـ الآية 6، والقائل: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ الشورى ـ الآية 51، والقائل: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ الحج ـ الآية 46، والقائل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ العلق ـ الآية 1، والقائـل: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ العلـق ـ

---

(1) نصر حامد أبوزيد: مفهوم النص ـ دراسة في علوم القرآن ـ ص 90

(2) أبوسليمان الخطابي: بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص 27

الآية 3، والقائل: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴾ الذاريات ـ الآية 23، والقائل: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴾ النجم ـ الآية 3، والقائل: ﴿ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴾ البلد ـ الآية 9، والقائل: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ﴾ الأعراف ـ الآية 157، والقائل: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ الأعراف ـ الآية 158، والقائل: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾ العنكبوت ـ الآية 48، والقائل: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ الحج ـ الآية 24...

فهذه وغيرها كلّها آيات دالة على أنّ البلاغ القرآني خطاب لغوي، آثر الشفوية كطريقة مبدئية أولى وأساسية؛ لأنّها أكثر وقعا وإيصالا، حيث إنّ قوتها لا تكاد تظهر ولا تصل مداها إلا بحضور المبلِّغ، فيصير بلاغ الله مسموعا من فم غيره، مسرودا في نفسه، امتثالا لأمره عزّ وجلّ: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ الأعراف ـ الآية 204، وقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ «من بلغه القرآن، فكأنّما شافهته به».

إنّ هذا المبلِّغ لا يصل إلى مدلول الآيات إلا بإعطاء القرآن حقه من التلاوة والترتيل والتجويد والتحسين، فإن ذاق المرء حلاوة التلاوة، واستلذ ببراعة المنطَق وألِف سمعه جميل تجويده، استقام في قلبه فحواه، وتهيّأ ليرى مداد الله على دفتي المصحف يرسم كلمات الله التي لا تنفد ، كذلك فإن دورانها في السمع يجعلها تغب* في القلب وتختمر في الصدر،(1) كما أنّ المعنى الذي قد يُدرك سماعا قد لا يدرك كتابة، إلا بعد مجاهدة وتدبّر كبيرين. ولا أدل على ذلك من أحكام التجويد في التلاوة والترتيل، التي تمثل الخطوة الأولى للتوصل إلى كنه القرآن، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴾ المزمل ـ الآية 4، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ ﴾ البقرة ـ الآية 131؛ لذلك كان للقراءة الصحيحة أربعة مراتب: وهي الحدر، والتدوير، والترتيل، والتحقيق .

فأمّا الحدر: فيعني إدراج القراءة وسرعتها، مع مراعاة أحكام التجويد، من إظهار وإدغام وقصر ومد، ومخارج وصفات. وأمّا التدوير: فهو عبارة عن التوسط بين مرتبتي التحقيق والحدر. وأمّا الترتيل: فهو قراءة القرآن بتمهل وتؤدة واطمئنان، وإعطاء كلّ حرف حقّه من المخارج، والصفات، والمدود. وأمّا التحقيق: فالمقصود به إعطاء الحروف حقّها من إشباع المد، وتحقيق الهمز، وإتمام الحركات، وتوفية الغنات، وتفكيك الحروف ـ وهو بيانها ـ وإخراج بعضها من بعض بالسكت والتؤدة، والوقف على الوقوف الجائزة، والإتيان بالإظهار والإدغام على وجهه.

ولا يقدر المبلِّغ على الإبانة عن مراده وإيصاله إلى غيره إلا باللسان الذي فرق بين الإنسان والحيوان وأشياء أخرى من سائر الأصنام والأوثان، ونحن هنا لا ننكر فضيلة المكتوب ـ كما سيأتي ذلك لاحقا ـ إلا أنّ فضل المنطوق

(*) تثبت.

(1) ينظر الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحق/ عبد السلام محمد هارون ـ دار الجيل ـ بيروت 1991 ج 3 ص 41.

الإبانة باللسان والإعراب بالبيان، وفضل المكتوب إعراب بالبيان دون الإبانة باللسان. وفي حال إذا ما تضمنهما فضّل دون الآخر، كان شأنهما أرفع، ورميتهما أصوب، ونفعهما أجدى، وبالتالي فقد جعل الله البيان خصيصة ملازمة للسان، وجعل كلا من التلفظ السليم والمنطق الحسن يحظيان فيه بأوفر نصيب «وإنما أرسل الله تعالى رسله مبشرين ومنذرين الأمم، وأمرهم بالإبلاغ، ليلزمهم الحجة بالكلام لا بالصمت، إذ لا يكون للرسالة بلاغ ولا للحجة لزوم ولا للعلة ظهور إلا بالنطق».[1]

إذا فالباعث إلى إبلاغ القرآن منطوقا أولا، يهدف إلى إشعار القارئ السامع بأهمية ما يقرأ ويسمع، بل ويزيد من إحساسه بدلالة ما يقرأ وما يسمع؛ ذلك أنّ الصوت ينصهر مع كل ترغيب وكل ترهيب، ليتحول إلى كلمات تنبض بالحياة، وتستحيل كلّ آية إلى روح متأصلة، خاصة وأنّ كلّ قراءة محقّقة تمثل عنصرا مهما في فاعلية اللغة، بوصفها تتضمن ضروبا من الدلالات التي تمنح البلاغ ثراء جماليا متجددا، ولذلك التزم القراء «الدقة في إخراج الأصوات في نهج واحد من القراءة، هو ما أسموه (قراءة التحقيق)، فاعطوا كل حرف حقّه من إشباع المد، وتحقيق الهمزة، وإتمام الحركات، واعتماد الإظهار، والتشديدات، وتوفية الغنات، وتفكيك الحروف، وإخراج بعضها من بعض»[2] فقراءة قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (16)﴾ الحديد ـ الآية 16، وقوله: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ الزخرف ـ الآية 77، وقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ الدخان ـ الآية 49، بالاتكاء على الإنصات والسماع، يقتضي إعطاء الحروف حقّها ومُستحقّها في النطق السليم، وترتيبَ مراتبها بالتزام الدقة المطلوبة، في إخراجها من مخارجها وأصولها، ومراعاة صفاتها من جهر، وهمس، وصفير، وترقيق، وتفخيم، واستعلاء، ومد، وما إلى ذلك من أجلّ تلطيف النطق بها من غير إسرافٍ ولا تعسُّفٍ، ولا إفراطٍ ولا تكلّفٍ. فمثل هذا النوع من الآيات، التي تحمل في جوهرها أسلوب التخويف والترهيب، استلزم استعمال حروف اتسمت بالجهر، والشدة، والاستعلاء، والانفتاح، والإصمات، وقد صاحبت الآيات لتوحي بمعان ذات دلالة أعمق وأكثر، والآيات كلّها تعتمد على طبقة الصوت، وكذا الشأن بالنسبة إلى فواصل الآيات مثلا؛ فقد أولاها العلماء عناية خاصة، لما لها ولغيرها، من الخصوصيات الصوتية والنطقية في القرآن الكريم، من عظيم فضل ومزية؛ لأنها تجمع بين الوظيفتين المعنوية والإيقاعية حيث ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ فاطر ـ الآية 10.

وفي ضوء هذا التذوق الجمالي للبلاغ المنطوق/ المسموع يمكننا القول: إنّ هذا التواصل الشفوي هو بمنزلة اللبنة الأولى التي تستقر عليها المعاني في النفس، إذ إنّ نجاح عملية التواصل متوقف على مدى قدرة البلاغ الشعوي على تحريك المبلَّغ، وتفعيل مقدرته الحسية، ثم العمل به؛ أي البلاغ، بعد إدراك مكنوناته، وعليه فقد اتسم هذا النوع من

(1) الجاحظ: رسائل الجاحظ ج 4 ص 239.

(2) تامر سلوم: نظرية اللغة والجمال في النقد العربي ـ دار الحوار ـ سورية ط 1 ـ 1983 ص 35.

التواصل بميزتين رئيسيتين: إحداهما أنه يعدّ ظاهرة؛ لأنه ملحوظ وقابل للقياس، والأخرى أنه دال، بالنظر إلى ارتباطه بالمعنى والدلالة المضفاة على محتوى الرسالة وعلى مكوناتها.

ولئن كان المنطوق الأداة الإجرائية الأولى والأساسية المستعملة للتواصل، فكذلك المكتوب، فإنه لا يقل قيمة وشأنا عنه، إذ لما كانت الكتابة بمنزلة الجسد الذي يحفظ للحروف والكلمات وجودهما، فقد بحثت عن روح تسكن إليها وفيها، فتحييها وتمدّها بالخلود؛ لأنّ الخط هو الوحيد الذي يقتفي آثار اللفظ، ويتلبّس بشكل حروفه المقطعة تلبسا يكاد يكون تاما؛ فما يُنطق باللفظ يُصور بالخط، فلا ينقطع أثره، ويظل يُقرأ في كل زمان ومكان، وجُعل للشاهد والغائب على حد سواء. وبتعبير الجاحظ هو للغابر الحائن مثله للقائم الراهن،[1] يضاف إلى هذا كلّه أنّ الخط «هو الإجراء الذي يهدف إلى تثبيت اللغة المنطوقة والاحتفاظ بها».[2] ولعلنا نستعير سؤال بول ريكور لنقول: ماذا يحصل للخطاب حين ينتقل من الكلام إلى الكتابة ؟

تبدو الكتابة للوهلة الأولى أنها لا تدخل إلا عاملا خارجيا ماديا صرفا؛ هو التثبيت، الذي يجعل حدث الخطاب في منأى عن الهدم،[3] هذا إذا ما نظرنا إليها على أنها ـ فقط ـ إثبات اللغة بحروف أو رموز صوتية يُتفق عليها. ولم تجد اللغة العربية المنطوقة بلاغا صائنا لها، ونفيسا لا يبلى ولا يفنى إلا بلاغ الله، القرآن الكريم،* وكيف لا يكون كذلك! وكلّ الناس في جميع الأمصار والأعصار لهم منه نصيب، ثم إنّ الخطاب يتطلب جمهورا مفترضا يتّسع لكل من يعرف القراءة، هنا تجد الكتابة تأثيرها الأهم: تخلّص الشيء المكتوب من الشرط الحواري للخطاب، وينجم عن ذلك أنّ

---

(1) للاستزادة ينظر الجاحظ: الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ لبنان ط 3، 1969 ج 1 ص 48 ـ 62 ـ 65، البيان والتبيين ج 1 ص ص 79 ـ 80.

(2) صالح بلعيد: في قضايا فقه اللغة العربية ـ ديوان المطبوعات الجامعية ـ الجزائر 1995 ص 219

(3) ينظر Paul Ricœur:Du texte à l'action p 124

(*) لكن هذا لا يعني أن الكتابة لم تظهر إلا بعد نزول القرآن الكريم بوقت فهي سابقة له، ولكن أردنا أن نشير إلى أن الكتابة هي عامل رئيس لتقييد ما وصل حرصا على تثبيت العقيدة المتمثلة بلغتها عامة وبالقرآن الكريم خاصة تدوينا؛ ذلك أن التدوين يعد استمرارا للكتابة التي كانت وسائلها وأدواتها عزيزة وبدائية أي محدودة يعرفها أهل الحواضر ويمارسونها في مجالات ضيقة جدا ينظر مسعود بوبو: في فقه اللغة العربية، منشورات جامعة دمشق الطبعة الثانية 2002 ص ص15 ـ 19، وقد عرفت هذه الكتابة في اصطلاح علماء الرسم الذين اهتموا برسم المصحف: الوضع الذي ارتضاه سيدنا عثمان رضي الله عنه في كتابة كلمات القرآن الكريم وحروفه. مع العلم بأن رسم القرآن توقيفي كله، ومنه ما كان بإملاء الرسول صلّى الله عليه وسلم في كتابةِ بعض الكلمات، والقسم الآخر كُتب كما تقرؤه قريش بلسانها، وكان الرسول صلّى الله عليه وسلم كلما نزل شيء من القرآن أمر كتّاب الوحي بكتابته حسب الرسم المنزل عليه، مبالغة في تسجيله وتقييده، وزيادة في التوثيق والضبط والاحتياط في كتاب الله تعالى، حتى تظاهر الكتابة الحفظ ويعاضد النقش اللفظ.

العلاقة بين الكتابة والقراءة لم تعد أبدا حالة مميزة للعلاقة بين التكلم والسماع.(1) وأنه من المستحب أن نشير إلى أنّ من مقومات هذا البلاغ التواصلي التفاعلي أنه مغلق «أي انغلاق سمته الكتابة الأيقونية التي لها بداية ونهاية».(2)

ونحن نقارب إشكالية البلاغ المنطوق، طرح البلاغ المكتوب نفسه متسائلا: ماذا أراد الله بقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ لقمان - الآية 27، وقوله: ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ القلم - الآية 1، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾ العلق - الآية 4، وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ العنكبوت - الآية 48، وقوله عزّ من قائل: ﴿ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴾ البروج - الآية 22، وقوله عز من قائل: ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ ﴾ الطور - الآيات 1 - 2 - 3. وكلّها - لا ريب - آيات دالة، وجميعنا يعلم أنّ القرآن الكريم ما نزل مكتوبا وما كُتب إلا في مرحلة متقدمة.

يمثل الخط نمطا ثانيا تاليا للمنطوق؛ لأنّ دوره لا ينحصر في التاريخ العلمي الدقيق الذي يجعل الوثائق المادية بعيدة عن الظن والتقدير والترجيح فحسب، ولكن قد يتجاوز ذلك إلى أن يسهم مثلا في توضيح أبعاد المعنى في النصوص، على تنوعها واختلافها، حتى تكون لها دلالة عميقة تحتاج إلى إعمال البصر والعقل. والخط هو كذلك الأسماء التي علّمها الله آدم، واللوح المحفوظ الذي جمعت فيه أسماء المعاني بعد أن أخرجها الله من العدم إلى الوجود، ومن ثمة فهو ليس شيئا آخر سوى الوجود وسوى الكتاب المنزل.(3)

ويكتسب البلاغ بفضل الكتابة استقلالا دلاليا ذاتيا، بالنظر إلى غرض المتكلم وتلقي المستمع / الحاضر الأولي، وكذا إلى الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تصنعه، وبهذا المعنى ينتزع المكتوب حدود الحوار الذي يتمّ وجها لوجه، ويغدو شرط صيرورة الخطاب نصا.(4) يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ المؤمنون - الآية 78، ونحن بهذا لا نستطيع أن نتجاهل الدور الكبير الذي يقدّمه هذا النمط من التعبير الذي يتخذه البلاغ المنطوق؛ إذ كما نجد في المنطوق طاقة قوية تنفذ إلى ذهن المبلَّغ، سامعا أو متلقيا، فتؤثر فيه، فكذلك الشأن بالنسبة إلى المكتوب؛ فإنّه يحوي من الإمكانيات ما يجعلهما؛ أي المنطوق والمكتوب، فاعلين متكاملين؛ ممّا يعني أنّ المكتوب يقف جنبا إلى جنب مع المنطوق، ويوازيه؛ وعليه «شبهوا النطق بالخط، والخط يحتاج مع بيانه إلى رشاقة وصحة، وملاحة ولطف حتى يحوز الفضيلة ويجمع الكمال»،(5) فبدلا من أن يكون المكتوب وسيلة لحفظ بلاغ طويل

(1) ينظر Paul Ricœur:Du texte à l'action p 125

(2) محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) - المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء - المغرب - ط 3، 1992 ص 120.

(3) ينظر محمد الصغير بناني: البلاغة العربية وأصولها النظرية ص ص 282 - 283 .

(4) Paul Ricœur:Du texte à l'action p 35

(5) الباقلاني: إعجاز القرآن ص 119.

ـ دون أي تحريف أو تبديل ـ خوفا عليه من النسيان والضياع أو تلبّسه بالمعرفة غير الصحيحة، وقد تكفّل الله بحفظه، أصبح وسيلة تتحدد فاعليتها بأشياء كثيرة منها: تجديد نشاط القارئ، ووضعه أمام صورة مادية محسوسة ملموسة، فيكون في قلب البلاغ، ليتمعن في آياته وفي تشكيلها الجمالي. إنها تمنحه معانيَ ودلالات أكبر، ومكملة لمعاني المنطوق. وإن كنا نجد بعضهم يميل إلى القول: إنّ «الكتابة ظاهرة شكلية، مشتقة من الكلام الشفهي، أو مستندة إليه، وهي ثانوية؛ لأنها تمثل نقل اللغة من الصورة المنطوقة المسموعة إلى الصورة الرمزية المرئية»،[1] فإنها بالنسبة إلى بلاغ الله مطلب أساسي وملّح؛ لأنها تزيد من قدرة المتلقي على التقبل، وتعمّق الرابطة بينهما، وتنبّه على التركيز على مواطن بعينها، قد توضح مدلول الآية أو السورة أكثر وخاصة إذا كان الخط جميلا؛ لأنّ الخط الجميل يزيد الحقّ وضوحا وإبانة. أضف إلى ذلك أنّ البلاغ القرآني نص طويل، يستحيل استيعابه وإبلاغه دون تبديل أو تغيير في منطوقه اللفظي، اعتمادا على طريقة التلقين الشفوية، التي كانت سائدة آنذاك.[2] وكما أنّ شفوية البلاغ متعددة الأبعاد، فكذلك خطية البلاغ، إذ تسمح لنا بالانتقال فيه بطريقة منظمة، محققة للمعنى، من منطلق أنّ التشكيل الصوتي يخلق المعنى.[3] والأمر نفسه بالنسبة إلى التشكيل الخطي؛ فإنّه بدوره يخلق المعنى؛ فالذي يتمعن في رسم المصحف سيجد جملة من القواعد التي لها دلالتها، مثل قاعدة البدَل، حيث كتبت الألف واواً للتفخيم؛ كما في جاء في لفظتي ٱلصلوٰة وٱلزكوٰة اللتين وردتا في قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ البقرة ـ الآية 43، والأصل فيهما ٱلصلاة وٱلزكاة. ومثل هذه القاعدة، قاعدة الزيادة؛ حيث زيدت الياء في لفظة بأييد في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ الذاريات ـ الآية 47، إشارة إلى تعظيم قوة الله، كما يومئ إلى قوة السماء وشدّتها ومتانة سمكها وبنائها، وما يؤكد هذا التفسير قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ﴾ الرعد ـ الآية 2 والأصل فيها (بأيد). أو كقاعدة الحذف، حيث حذفت الألف من لفظة بسم، والتي جاء بعدها لفظ الجلالة للهِ إشارة إلى وجوب الوصول إلى الله سبحانه وتعالى، وإنشاء صلة أو رابطة بأقصر الطرق وأسرع الوسائل، وهو ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ الفاتحة ـ الآية 1، ومثلها قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ هود ـ الآية 41، فحذف الألف هنا مثلا يضغط مبنى لفظة بسم ويسرّع من وقعها، فتؤدي المعنى المطلوب؛ وهو السرعة على خير وجه. كما أنّ السر في حذف الواو من ﴿ وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ﴾ الإسراء ـ الآية 11، هو الدلالة على أنّ هذا الدعاء سهل على الإنسان، يسارع فيه كما يسارع إلى الخير. والسرّ في حذفها من ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ الشورى ـ الآية 24 هو الإشارة إلى سرعة ذهابه واضمحلاله. والسرّ في حذفها من ﴿ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ﴾ سور القمر ـ الآية 6، هو الإشارة إلى سرعة

---

(1) فيلي ساندليرس: نحو نظرية أسلوبية لسانية ـ تر/ خالد محمود جمعة ـ دار الفكر ـ دمشق ط 1، 2003 ص73 .

(2) ينظر نصر حامد أبوزيد: مفهوم النص ـ دراسة في علوم القرآن ـ ص 98.

(3) تامر سلوم: نظرية اللغة والجمال في النقد العربي ص 36.

الدعاء وسرعة إجابة الداعين. والسرّ في حذفها من﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ العلق - الاية 18، هو الإشارة إلى سرعة الفعل، وإجابة الزبانية وقوة البطش. هكذا صار من الضروري حين نتحدث عن هذين النمطين من التواصل أن نتصورهما طرفين متلازمين، أو على الأقل حضور أحدهما يستدعي حضور الآخر.

2. المبلّغ:

مفهومه وخصوصيته:

1. الله - عزّ وجلّ -:

إن الحديث عن المبلّغ في البلاغ القرآني ماتع في بعده التواصلي الجمالي، وخطير لأهميته، وقد تفرّد القرآن الكريم بالاهتمام به، بل إنّ المبلّغ نفسه (الله - عزّ وجلّ -) اهتمّ بالكشف عن ذاته، لا بوصفه صاحب البلاغ - فحسب - الذي تمثّل فيه بضمير المتكلم أنا، فهو القائل سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ الأنبياء - الآية 25. أو تمثّل فيه بلفظ الجلالة كقوله: ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ المؤمنون - الآية 32، وكقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ النحل - الآية 36، أو تمثّل فيه بضمير المتكلم أنا مضافا إليه لفظ الجلالة، كقوله عز وجلّ: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ طه - الآية 14، أو تمثّل فيه باسم من أسمائه أو بصفة من صفاته، مثل قوله تعالى: ﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الحجر - الآية 49... وغيرها من الصور الأخرى التي تمثّل فيها، وإنّما اهتمّ بالكشف عن ذاته، «فمنه يصدر وبه يكون وإليه يعود»،[1] فاقتضى فقرنا إليه، وحبنا للتواصل معه استحضاره دوما، عن إيمان ويقين بوجود صاحب البلاغ، الأمر الذي يجعل القرآن يحيا حياة سرمدية. وعليه يستحيل عزله عن البلاغ، كما هو الشأن في النصوص الإبداعية البشرية، التي طالما أعلن فيها بعض الدارسين موت المؤلف رغم بقائه على قيد الحياة؛ وهذا بمجرد خروج نصه، وتلقّف الجمهور له. في حين أولاه بعضهم أكبر اهتمام؛ فهو من منظورهم «دائم المثول أثناء وبعد العملية الإبداعية»،[2] وقد قال - جلّ جلاله - في توصيف رباني بديع: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ الشورى - الآية 52، فسبحان الحي الذي لا يموت، الذي نادى عباده المؤمنين فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ الأنفال - الآية 24.

(1) منذر عياشي: مقالات في الأسلوبية - دراسة - منشورات اتحاد الكتاب العرب ط 1، 1990 - ص 217 .

(2) توفيق الزيدي: مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء - المغرب - الطبعة الثانية 1987 ص 10.

ونحن نعالج مسألة المبلَّغ في البلاغ القرآني، صادفنا قضية ذات أهمية بالغة، تفرّعت عنها جملة من التساؤلات التي تبادرت إلى الذهن، منها من هو المبلَّغ؟ وكيف نتعامل معه؟ وكيف يتموضع في البلاغ القرآني؟ وما هي التسمية الدقيقة التي تليق به، هل هي مرسِل أم مبلِّغ أم قائل أم متكلم أم مخاطب؟... وهل تجلّى اسم المبلِّغ في الله ـ عزّ وجلّ ـ وحده، أم أن الإشكالية تعدّت ذلك إلى شخص الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ باعتباره مبلَّغا مبلِّغا، وهو في الوقت نفسه متلق مأمور بتلقي البلاغ وإلقائه؟

إنها زئبقية البلاغ القرآني، التي تدعونا إلى قراءته على مكث، وهي قراءة استدعت الانطلاق مما أورده عبد القاهر الجرجاني قائلا: «إنّ الاعتبار ينبغي أن يكون بحال الواضع للكلام والمؤلف له».[1] والصحيح المسلّم به أنّ الله سبحانه هو من أوجد الكلمات/ الأسماء، وعلّمها آدم الإنسان، كما علّمه القرآن والبيان، مثلما جاء في بديع تنزيله ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ البقرة ـ الآية 31، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) ﴾ الرحمن ـ الآيات من 1 إلى 4. والصحيح الذي لا يعتريه شك ـ أيضا ـ أنّ قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ إبراهيم ـ الآية 52، وقوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ الجن ـ الآية 23، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ المائدة ـ الآية 67... وغيرها، كلّها آيات دالة بصورة مباشرة، وتشير إلى أنه يستحيل كلام بلا متكلم، أو قول بلا قائل، أو رسالة بلا مرسِل، أو بلاغ بلا مبلِّغ، أو خطاب بلا مخاطِب... وكذلك فإنّ القرآن كلّه ينبئ عن وجود مبلِّغ أول هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ بلّغ البلاغ لمبلَّغ ومبلِّغ ثان هو جبريل ـ عليه السلام ـ وجبريل ـ عليه السلام ـ بلّغ البلاغ لمبلَّغ ومبلِّغ ثالث هو الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد أخبر ـ تعالى ـ عن هذا في سورة الشعراء فقال: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195) ﴾ الشعراء ـ الآيات من 192 إلى 195؛ مّما يعني «أنّ الكلام كلام لمن قاله مبتدئا منشئا، لا لمن أداه راويا ومبلّغا... فجبريل رسول الله من الملائكة، جاء به إلى رسول الله من البشر، والله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس، وكلاهما مبلِّغ له».[2]

إنّ أبسط تعريف يمكن أن يعطاه المبلِّغ هو من يقوم بإيصال مادة التبليغ إلى إنسان/ الإنسان المستهدف. وبتحديد أكثر دقة هو الذي يريد أن يبلّغ شيئا ليصل إلى المقصد النهائي؛ عقل المبلَّغ وقلبه. والمبلِّغ في البلاغ القرآني طرف أس في العملية التواصلية، اجتمعت فيه كلّ الصفات المميزة، فهو مبلِّغ مثالي، يظهر في كلّ مرة يحتاجه فيها الإنسان، حين

---

(1) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ص 417.

(2) أحمد بن عبد الحليم الحراني ابن تيمية: كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير، تحق عبد الرحمن محمد قاسم النجدي ـ مكتبة ابن تيمية ـ بيروت الطبعة الثانية 1982 ج 12 ص 260.

يصعب عليه استيعاب الكون، ومعرفة أحواله، أو سبب وجوده، أو من يسيّره... وبالجملة فإنه يظهر عندما يريد أن يفهم الإنسان نفسه.

لقد خاطب الله الناس وهم في أحسن أحوالهم وأسوأها بالخطاب ذاته، فتمكّن خطابه فيهم، وفرض الله سلطانه عليهم بيسر؛ «لأنّ القائل هو الله سبحانه وتعالى، وهو العالم بالنفس البشرية التي خلقها، فقد كان كلامه مناسبا لكلّ حالات المخاطب، مهما اختلفت هذه الحالات، مع أنّه نفس الكلام، إذا فهناك في النفس ملكات خفية عن الإنسان لا يعرف سرها إلا الله سبحانه وتعالى، ويقوم الله بمخاطبة البشر على اختلاف أحوالهم، فتهتزّ هذه الملكات وتتأثر وينسجم الإنسان معها دون أن يعرف السر».(1)

إنّ هذا المبلِّغ المثالي قادر على الإجابة عن تساؤلات شتى، تنثال من المبلَّغ انثيالا، فيعينه على حلّ ما استغلق عليه من مفاهيم وإشكالات دارت بخلده. وما عبارة «يسألونك» التي رُصدت في أكثر من آية إلا دليل على ذلك؛ فقد سئل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو مبلَّغ مبلِّغ عن الأهلة، وماذا ينفقون، وعن القتال في الشهر الحرام، وعن الخمر والميسر، وعن اليتامى، وعن المحيض، وماذا أُحلّ لهم، وعن الساعة والأنفال، وعن الروح، وعن ذي القرنين، وعن الجبال، وعن النبأ... لكن هذا لا يعني أنّ حضوره متوقف على المبلَّغ، بل إنه دائم الحضور، يوصل بلاغه بشكل دائم ومتواصل، شاء المبلَّغ ذلك أم أبى، وهو يدخل ضمن المبلِّغ السميع البصير.

وهو ـ كذلك ـ مبلِّغ فذّ متفرد حكيم عزيز، اجتمع دوما على فكرة واحدة، عبادة الله الواحد الأحد، ويثبت بذلك وجود حقيقة مطلقة واحدة (لا إله إلا الله)؛ إنها الحل للغز أوجده الإنسان، عندما تناسى فطرته التي ولد عليها، واتخذ من الأصنام آلهة، ما أنزل الله بها من سلطان، وسجد للشمس والقمر وغيرها من الكواكب، وعبد الطاغوت،* فبعث الله في كل أمة رسولا، شاهدا، ومبشرا، ونذيرا، يدعو إلى عبادة الله الذي خلق السموات والأرض وما فيهن فقال ـ سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ طه ـ الآية 14، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ الأنبياء ـ الآية 25.

وهو أيضا مبلِّغ عليم خبير، يعمل على إحياء النفوس، بتحميل البلاغ مضامين حيّة تتجدّد مع كلّ قراءة، فتوسّع من دائرة معارفها ـ أي النفوس ـ لما تحمله من أفكار لا تخرج عن نطاق الحقيقة. كما يهدف المبلِّغ العليم الخبير إلى اعتبار القرآن علامة صلة بين المبلِّغ والمبلَّغ، ذلك «أنّ النص يعبّر عن غاية سامية مصدرها المؤلف، ويحمل رسالة جادة تهم خلاص البشرية»،(2) فيغدو البلاغ المفتاح الذي يعرِّف بصاحبه. وهو ـ أيضا ـ خبير بتحكّمه في اللسان العربي ونظامه وأنواعه واختلافاتها إلى حدود لا تخطر على بال بشر، خاصة و«أنّ النظام اللغوي المشترك بين المتكلم والمستمع

---

(1) الشعراوي (محمد متولي): معجزة القرآن الكريم، دار الخياط للطباعة والنشر والتوزيع ـ دمشق ـ الطبعة الأولى 2005 ص 36.

(*) كل ما يعبد ويطاع من دون الله من حجر أو بشر أو شيطان.

(2) ميجان الرويلي ـ سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي ـ إضاءة لأكثر من خمسين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا ـ ص 182.

من أهمّ شروط تحقيق الاتصال»؛[1] فمن خلاله أفصح عن القيم الإنسانية والجمالية العليا، بأساليب فنية وجمالية تتجه مباشرة صوب العقل والقلب للبيان والإقناع والتأثير.

كذلك من الأشياء التي جعلت المبلِّغ خبيرا قديرا، معرفته الدقيقة بمن يبلِّغ له البلاغ؛ حيث زادت من قدرته على التوصيل، ضمن معالم معروفة لديه مجهولة عند غيره. وهو بهذه الصفات كلّها مبلِّغ نموذجي شامل ومتكامل لا يضاهى، لم يهز بعظمته وبلاغته البيان العربي ـ فقط ـ بل هزّ كلّ أركان الفكر الإنساني وشعوره. وما هذه الرسالة إلا واحدة من عجائب صنع الله الذي أتقن كلّ شيء، مما يؤكّد أنّ «ظهور الألوهية كمنطلق في العملية الاتصالية أثر على مستوى الاتصال، إذ جعل ثقلا تبليغيا ليس بعده ثقل، ومن هنا كان توافر عنصر الألوهية في الرسالة القرآنية له أثر بالغ على مستوى التبليغ».[2]

2. الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

ويأتي الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدوره حاملا لهذا الثقل العظيم، مبلّغا رسالة ربه، وإذا كنّا قد انطلقنا من مسلّمة أنّ كل بلاغ يستوجب مبلّغا، وكان الله المبلِّغ الأول؛ لأنه موجد البلاغ ومبدعه ومالكه، فإننا اختصرنا البحث في النقاط التي استهدفت الحديث مع البشر وعنهم، دون ولوج عالم الجن؛ لأنه متلق ـ أيضا ـ مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات ـ الآية 56، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾ الجن ـ الآيتان 1 ـ 2، أو الملائكة؛ لأنهم رسل الله، كقوله عزّ وجلّ: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ الحج ـ الآية 75، فالمسألة تستدعي جهدا أكبر ووقتا أطول، ونحن لا نملك من القراءات والوسائل إلا النزر اليسير، اللّهم إلا جبريل ـ عليه السلام ـ الذي أفردنا له مبحثا خاصا في فصل سابق؛ لأنّ حضوره قوي وأكيد ودائم، فهو روح القدس الأمين الذي نزّل القرآن بالحقّ من ربّ العالمين، بناء على أنّ عملية التواصل هي علاقة حميمية تقوم بين طرفي البلاغ أو أطرافه.

لكن لماذا اختار الله رسله من البشر؟ ولماذا خصّ محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمعجزة القرآن؟ وهل يمكن القول: إنّ الله ورسله من الملائكة، ونخصّ بالذكر هنا روح القدس، جبريل ـ عليه السلام ـ ورسله من البشر هم أطراف في عملية التوصيل والتواصل؟

أما لماذا اختار الله رسله من البشر، فقد أجاب الله عن ذلك عندما قال: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَـٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ ﴾ الإسراء ـ الآيتان 94 ـ 95، إذ جرت حكمة الله ـ عزّ وجلّ ـ أن يرسل إلى كلّ قوم

(1) فيلي سانديرس: نحونظرية أسلوبية لسانية ص 189 .

(2) إحسان عسكر: وظائف التبليغ القرآني، ص 61.

رسولا من جنسهم، وعلى لغتهم ليمكنهم الفهم عنه ومخاطبته، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ التوبة - الآية 128، فهذه الآية كما فسرها سيد قطب هي «أشد حساسية وأعمق صلة، وأدل على نوع الوشيجة التي تربطهم به، فهو بضعة من أنفسهم تتصل بهم صلة النفس بالنفس، وهي أعمق وأحس».[1]

وأمّا لماذا خصّ محمدا - صلى الله عليه وسلم - بمعجزة القرآن؛ فلأنّه يملك من المقومات والخصوصيات ما يجعله أهلا لحمل الرسالة، ولعلنا نستعير الأسئلة نفسها التي راودت سيد قطب في ظلاله، ليس من أجلّ الإجابة عنها أو الغوص في أعماقها، وإنّما من أجلّ إبراز مدى إعجابنا بالطريقة الباهرة التي تمّ بها توصيل البلاغ العَجَب، والإقرار بها؛ إذ «كيف يكون هذا الاتصال بين الذات الأزلية الأبدية، التي ليس لها حيز في المكان ولا حيز في الزمان، المحيطة بكل شيء، والتي ليس كمثلها شيء، كيف يكون هذا الاتصال بين هذه الذات العلية، وذات إنسان متحيزة في المكان والزمان، محدودة بحدود المخلوقات، من أبناء الفناء؟ ثم كيف يتمثل هذا الاتصال معاني وكلمات وعبارات؟ وكيف تطيق ذات محدودة فانية أن تتلقى كلام الله الأزلي الأبدي الذي لا حيز له ولا حدود ولا شكل له معهود؟».[2]

لقد شاءت القدرة الإلهية أن يكون الرسول - صلى الله عليه وسلم - المتلقي الأول والمبلّغ الأول من جنس البشر للبلاغ الرباني - القرآن الكريم - ليصل الأرض بالسماء. وهي ميزة يلتقي فيها جميع الرسل - عليهم السلام - في كونهم يتلقّون الوحي من ربّهم. لقد كان محمد - صلى الله عليه وسلم - جزءا من الواقع والمجتمع،[3] سيرته معروفة لدى قومه، القاصي منهم والداني جملة وتفصيلا، عُرف بصدقه وأمانته ورحمته وعفوه وتواضعه ورأفته ورفقه بأمته في التبليغ، غير فظ ولا غليظ، كما عرف بصبره واصطباره، وكان قويا لا ضعيفا، مقبلا غير مدبر، كريما لا ضنينا... وتبقى قائمة مبادئه المثلى وخصاله الفاضلة المحمودة مفتوحة لا يستوعبها إلا ما قاله ربّ العزة في توصيف رباني بديع: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم - الآية 4، مما سمح له باحتلال مواقع مشرقة، لا في صدور الناس فحسب بل في قلب كلّ آية من آيات الذكر الحكيم. فمن جملة الأشياء التي تستمد منها الوظيفة الجمالية في البلاغ القرآني حضورها، تلك الآيات المشكّلة من ألفاظ ومعان دالة على تفرّد شخص الرسول الكريم المطلق. قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ آل عمران - الآية 159، وقال كذلك في محكم تنزيله: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ التوبة - الآية 128.

---

(1) سيد قطب: في ظلال القرآن م3 ج 11 ص 1743.

(2) المصدر نفسه م 5 ج 25 ص 3170.

(3) ينظر نصر حامد أبوزيد: مفهوم النص - دراسة في علوم القرآن - ص 59.

وكان الله قد أعدّه منذ صغره إعدادا خاصا، فشق صدره؛ لأنه محل أحوال النفس من العلوم والإدراك، ثم أخرج حظّ الشيطان منه، وشرحه، ووسعه؛ إذ ملأه حكمة وعلما وإيمانا، حتى يكون مهيأ لتلقي الوحي، وقادرا على حفظ القرآن، من منطلق أنّ صفاء القلب يمكّن الرسل من تلقي الرسالة، وقبول حمل هذا القول الثقيل والحمل الجميل قبولا شديدا.[1] وهذه بعض دلائل إعجازه التي يستضاء بها على ذلك، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ الشرح - الآية 1، وقال عزّ من قائل: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ طه - الآية 25، وقال: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ الزمر - الآية 22، كما قال: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأنعام - الآية 125، إذن يمكن القول إنّ إعداد الرسول - صلى الله عليه وسلم - بهذه الكيفية الربانية العجيبة دليل على أنّ الرسول الكريم «حقيقة لها وجود سابق على وجودها الإنساني العياني المادي».[2] وأنّ القرآن الكريم حقيقة أزلية أبدية، لها وجود سابق على وجودها العقلي،* وأنّ التحدي فيه وقع بالدال على القديم، وهو الألفاظ بدليل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾ الرحمن - الآيات 1 - 2 - 3 - 4.

ومن حكمته عزّ وجلّ أن جعل رسوله المصطفى أميًا لا يقرأ. ولكن بالموازاة أنبته نباتا حسنا، بين أقوام هم أرباب الفصاحة والبيان، وسادة البلاغة واللسان؛ فقد كان ميلاده في بني هاشم، ومنشأه في قريش، ورضاعه في بادية سعد بن بكر، وكان نسبه من جهة أمه من بني زهرة، غير أنه ليس عجيبا أن يتمتع المرء بملكة صافية، أو سليقة مهذبة، أو فطرة سليمة نقية، أو طبع هادئ مصقول، أو فكر راجح، أو بيان ناصع، وإنما العجب أن تجتمع هذه المحاسن والمزايا كلّها في شخص الرسول - صلى الله عليه وسلم - فبيانه ساحر خلاّب، ومنطقه مشرق جذاب، وأسلوبه سمح فياض، وبلاغته تامة، فاتنة، متخيّرة استملاها من عقله النيّر، وهي خصوصيات أذكاها كماله الإنساني، الذي بلغ أرقى صوره، فقد استودع «من نور العقل وقبس النفس، وهبة الطبيعة، وصحة المزاج، وحسن الاختيار، واعتدال الأفعال، وصلاح العادة، وصحة الفكرة، وصواب القول، وطهارة السر، ومساواته للعلانية، وغلبته بالتوحد، وانتظام كل صادر

(1) للاستزادة ينظر المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي): إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع، تصحيح وشرح محمود محمد شاكر - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - 1941 ج1 ص 6 وينظر الشوكاني (محمد بن علي بن محمد): فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحق/ علي محمد عمر - دار الفكر - بيروت ط1 ج 5، ص 461.

(2) نصر حامد أبوزيد: مفهوم النص - دراسة في علوم القرآن - ص 59.

(*) المقصود بالوجود العقلي هنا لأنّ معجزة القرآن معجزة عقلية، تخص أفهام أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - فالعقل محصور، في المقام الأول، في صدور البشر من ذوي البصائر كي يروا معجزة القرآن.

منه ووارد عليه»[1] ما أهلّه لأن يكون صفي الله وسفيره بين الخلائق. لقد كان محمد رسول الله مبلّغا ومبلّغا حصيفا، أحكم أمر التبليغ وأتقنه، أو بمصطلح ستانلي فيش كان عليما، والقارئ العليم من منظوره هو شخص:

1. يتحدث اللغة التي بني النص بها باقتدار.
2. ملمّ تماما بالمعارف الدلالية التي يأتي بها؛ أي مستمع ناضج إلى هذه المهمة الخاصة بالفهم وهو ما يشمل المعرفة (أي التجربة سواء كمنتج أوكساع إلى فهم) الميول المعجمية والاحتمالات التنظيمية و...
3. له قدرة أدبية.[2]

وهذه الخصوصيات التي يتمتع بها هذا النوع من المبلّغ يمكن أن ندرجها ضمن ما يسمى بالقدرة التواصلية، وهي قدرة لسانية ولغوية توظّف فيها مستويات صوتية ومعجمية وتركيبية ودلالية من الخطاب، تُترجم نواياه التواصلية، ولأنّ القدرة التواصلية هي مجموعة القدرات التي يستطيع بواسطتها شخص أن يدخل في سيرورة تواصلية مع الآخرين، فإنّها لا تقوم على القدرة اللسانية وحدها؛ أي القدرة على تكوين جمل صحيحة لغويا، بل إنّها تأخذ بعين الاعتبار قدرات لسانية تتدخل في سيرورة التواصل، وترتبط باستعمال اللغة أكثر ما ترتبط بنسق نحوي شكلي... وقد جزأ بعض الدارسين كَنال وسوامْ Canal et Swam هذه القدرة إلى ثلاثة مكونات أساسية توضح المتغيرات الأخرى التي تتدخل في القدرة التواصلية وهي:

(1) قدرة نحوية: ترتبط بمعرفة المتعلم ببنيات اللغة.

(2) قدرة سوسيولسانية: تتجلّى في معرفة المتعلم بما هو مقبول عند الاستعمال للغة من طرف جماعة لغوية.

(3) قدرة استراتيجية: تتعلق باستعمال اللغة من أجلّ بلوغ أهداف معينة.[3]

وقد لخّص الجاحظ في بيانه ثلة من الخصوصيات التي ظهرت في كلام الرسول الكريم، وغابت في كلام غيره من البشر، وهو منهم، فكلامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ «حف بالعصمة، وشيّد بالتأييد، ويسّر بالتوفيق... ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلت به قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذّ الخطب الطوال بالكلم القصار، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتّج إلا بالصدق، ولا يطلب الفَلْج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز، ولا يبطئ، ولا يعْجلّ، ولا يسهب، ولا يحصر، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا، ولا أقصد لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم

---

(1) أبو حيان التوحيدي: كتاب الإمتاع والمؤانسة ج 1 ص 207

(2) ينظر فولفجانج إيسر: فعل القراءة ـ نظرية في الاستجابة الجمالية ـ ص 37

(3) ينظر تعريف بعض المصطلحات التربوية المتداولة في اللقاءات التكوينية www.sg.ecam.org/1/article.php3?id_article=69-19k

مطليا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين فحوى، من كلامه صلى الله عليه وسلم كثيرا».[1]

إنّها بعض مواصفات هذه الذات المتلقية، المتكلمة، القادرة على الانجاز اللغوي السليم، وعلى تبليغ ما أمرت بإيصاله، من دون تحريف أو زيادة، والقادرة على الانجاز الفعلي والعملي السليم ـ أيضا ـ وبامتياز.

ويتمتع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو المبلِّغ المصطفى من ربّه بكلّ هذه المواصفات، التي تؤهلّه لتأدية البلاغ بنجاح، إيصالا وتواصلا؛ لأنّ التواصل الناجح، الذي يمهد لالتقاء الأطراف المشاركة في العملية التواصلية ثم وصولها إلى مرحلة متقدمة من الاتفاق والتفاهم والوفاق، يفترض ذاتا تتمتع بمصداقية لا تضاهى.

3. المبلّغ:

1. مفهومه وضوابطه:

يمثل المبلِّغ في القرآن الكريم نقطة البدء والمنتهى؛ من حيث إنه يشكّل دورا خطيرا لأهميته، ويشغل حيّزا كاملا ومكتملا في هذا البلاغ الرباني، الذي هو خطاب للناس كافة عربهم وعجمهم، إذ لم يكن الأمر الإلهي مخصوصا بأنبيائه وأصفيائه، وإن جاء في بعض صيغه بلفظ الخصوص الذي أريد منه العموم، فهو؛ أي المبلَّغ، يقع في نقطة حساسة جدا من عملية التواصل. على أساس أنّه ذات مستهدفة، تجعل من الكلام الفني كلاما جماليا، من منطلق «أنّ العمل الأدبي له قطبان، يمكن أن نطلق على أحدهما: القطب الفني والآخر الجمالي، والقطب الفني هو نص المؤلف، والقطب الجمالي هو عملية الإدراك التي يقوم بها القارئ».[2]

إنّ أولى التساؤلات التي تطرح نفسها علينا هي: إذا كان المبلَّغ عنصرا قارا، ومرتكزا أسا من مرتكزات عملية التواصل، فمن هو؟ وما هي أنواعه؟ وما هو دوره؟ وما هي الحدود التي سطرت له و/ أو رسمها لنفسه؟ وما الذي حمله على التواصل؟ هل لأنّه أمر من الله، أم لأنّ البلاغ القرآني خطاب تمظهرت له فيه حاجياته الجمالية؟ ...

إنّ القرآن الكريم في كلّ آية من آياته يطرح بقوة، وبشكل مباشر وغير مباشر، قضية المبلَّغ، ومدى تفاعله مع المبلِّغ والبلاغ. وهي قضية تقتضي معرفة نوع هذا التفاعل، أ تواصلي هو أم تأويلي أم جمالي؟ كما سنوضح ذلك لاحقا. كذلك فقد حظي مصطلح المبلَّغ في أغلب الدراسات بعناية خاصة، إذ استقطب جلّ اهتمامات الدارسين، عندما نظروا إلى مدى تقبل القارئ المستمع للنص، وأيضا مدى شعوره بالأريحيّة، واهتزازه وطربه، أو ملله ومجّه إياه ونفوره منه، وخاصة في طرحهم لإشكالية اللفظ والمعنى التي لم تكن تعنى بالنص فحسب وإنّما بالمتلقي كذلك. وعندما نظروا ـ أيضا ـ إلى مقدار رضاه عن ائتلاف اللفظ مع المعنى، وكذا تشاكلهما وانسجامهما، وإن كانت دراسة الإرسال

---

(1) الجاحظ: البيان والتبيين ج 2 ص 17.

(2) فولفجانج إيسر: فعل القراءة ـ نظرية في الاستجابة الجمالية ـ ص ص 27 ـ 28.

والتلقي عندهم ذات طابع معياري بارز، حيث انصرفت هذه الدراسة مباشرة إلى الأثر.[1] فهو ـ أي المبلِّغ ـ يسهم في فرض البنية التي يجب أن يكون عليها القول، وهو الذي يدرك جمال الكلام، ويعبّر عن مواطن الحسن فيه بقيم بلاغية تضبط ذاك الإدراك، وتلك الأحاسيس،[2] ولا سيما أنّ «العلاقة بين الأثر الفني وقارئه علاقة تتميز بمظهر مضاعف: جانب منه جمالي صميم، وجانب تاريخي ومتسلسل. وذلك أنّ تلقي الأثر من طرف قرائه الأوائل، يتضمن من جهة حكم قيمة جمالية، يستند مرجعيا إلى آثار مقروءة في السابق، ثم إنّ هذا التلقي المبدئي يستطيع من جهة أخرى أن يتطور ويغتني من جيل إلى جيل، ليكون عبر التاريخ سلسلة من التلقيات، هي التي تحدد الأهمية التاريخية للأثر، وتبيّن مكانته ضمن التراتب الجمالي أو الفني».[3]

والحق أنّ هذا المبلِّغ كان مهيئا ليكون حِلاً بهذا البلاغ، يتلقاه بطريقة أو أخرى. ولمّا كان القرآن خطاب لسان وبيان، وكان العرب هم أفصح الأمم قاطبة، فقد كانوا أول متلق له؛ إذ بلّغ الله ـ عزّ وجلّ ـ كلامه بشفرة يتفق نظامها ويشترك في بعض خصوصياته ونسقه مع كلام البشر، حتى يتم تداول الكلام بصورة تامة، ويسر، ممّا يتيح لهم استقبال البلاغ وتحليله، أو تبادل التواصل بسهولة. فإذا «كان القوم في قبيلة واحدة، وفي أرض واحدة، فإنّ خواطرهم تقع متقاربة، كما أنّ أخلاقهم وشمائلهم تكون متضارعة»،[4] ولذلك بدأ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تبليغه في نطاق محدود؛ فلم يظهر دعوته إلا إلى أقرب الناس إليه، لمدة ثلاث سنين. يقول تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ الشعراء ـ الآية 214، ثم قام يبلّغ كلام ربّه، يصدع بأمره، ويدعو إلى عبادة الله الأحد الصمد، القاصي والداني، والكبير والصغير، والرجلَ والمرأة، والحر والعبد، والأسود والأحمر والعربي والعجمي[5]..

أنواعه وخصوصياته:

إنّ صورة المبلِّغ لن تتضح ما لم نحدد نوعه ودوره في البلاغ، ومن هنا كان دوره بالغ الأهمية، يحتاج إلى خصوصيات تجعله أهلا لتقبّل البلاغ وأدائه على أكمل وجه. وليس غريبا أن نجد بلاغا كالقرآن الكريم يستلزم حضور عدد غير محصور من المبلِّغين الذين توجّب حضورهم في قلب عملية التواصل، وفقا لتصنيف دقيق يقوم على جملة من الضوابط التي ينبغي أن تتوفر في كل صنف، طبقا للصفة التي اتصفوا بها، والدور الذي أسند إليهم، حيث حرص القرآن على التمييز بين أصناف المبلِّغين دون إقصاء لأيّ صنف.

---

(1) ينظر محمد العمري: البلاغة العربية ـ أصولها وامتدادها ـ ص 293.

(2) عبد الرحيم محمد الهبيل: فلسفة الجمال في البلاغة العربية ص 28.

(3) H . R. Jauss: Pour une esthétique de la réception _ Gallimard _ Paris ; 1978 p 45

(4) أبوهلال العسكري: كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبوالفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي ـ القاهر (د.ت) ص 250.

(5) ينظر المقريزي: إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع ص 15.

ولئن كان هذا البلاغ خطابا للناس كافة، فإنّه يشير إلى أنّه نص مفتوح، غير أنّه يتطلب نوعا مخصوصا من المبلِّغين؛ إذ لا يمكن لأي مبلِّغ أن ينفلت من الدّور المحدّد الذي أوكل إليه، أو أن يستخدمه كما يريد. يقول إيكو: «لا تستطيع استخدام النص [المفتوح] كما تشاء، وإنّما كما يشاء النص لك أن تستخدمه، فالنص المفتوح، مهما كان مفتوحا، لا يقبل أيّ تأويل».(1)

لقد تجلّت فاعلية التواصل في اشتمالها على جميع صنوف المبلِّغين من مستهدف إلى فطري، ومنهما إلى نموذجي، أو إلى عادي، أو إلى سلبي، أو إلى إيجابي، أو إلى مضمر، أو إلى ظاهر... ومن ثمّة فقد تسلسل في حلقة مكتملة لتشكل لنا صنفين من المبلِّغين صنف مؤمن وآخر كافر.

فهذا العدد الهائل من المبلِّغين جعل التواصل في البلاغ الرباني نديّا، لا يمكن له أن يحيا ويخلد بمعزل عن هؤلاء جميعا، ثم إنّ انقسام المبلِّغين إلى هذه الصنوف، كانقسام البلاغ إلى أجزاء وأحزاب وأنصاف وأرباع يتمم بعضها بعضا. وانقسامه إلى سور وآيات وكلمات وحروف تسوق بعضها بعضا، وانقسامه إلى عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات مكملة بعضها بعضا، فكذلك أصناف المبلِّغين على اختلافهم وتنوعهم وتعدّد صفاتهم وتباينها، معززة لأواصر التواصل مفعّلة له.

المبلَّغ المستهدف:

يمثل هذا النوع من المبلَّغ عنصرا دائم الحضور في البلاغ، بناء على جملة من المعايير منها:

1) أنّ التواصل اللساني حدث، يشترط وجود طرف مقابل أو أكثر يتلقى البلاغ؛ أي وجود عنصر مستهدف يحقق البلاغ، كقوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الأنعام ـ الآية 151، وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ الكهف ـ الآية 1، وقوله تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) الفرقان ـ الآية 1.

2) أنّ كثيرا من الآيات جاءت بلفظ الخصوص المراد به العموم، كقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ العلق ـ الآية 1، ووجه الاستدلال في الآية، هو أنّ حكم وجوب القراءة على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس ضمن الأحكام الخاصة به وحده، وإنّما يتعدى هذا الوجوب إلى الناس جميعا،* وما يؤكّد هذا أنّه عزّ وجلّ لم

---

(1) ميجان الرويلي ـ سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي ـ إضاءة لأكثر من خمسين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا ـ ص 181.

(*) اختلف أهل العلم في الخطاب الذي يشير النص فيه إلى اختصاص الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ به، هل هو خاص به وحده أو هو يتناول أمته أيضا؟ فمن قائل: إنّ الخطاب يظل على خصوصيته، ولا يتناول الأمة، وهو قول الجمهور. ومن قائل: إنّ الخطاب يتناول الأمة، لأنّ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قدوة لها، فخطابه خطاب لأمته، إلا ما قام الدليل

يخص الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ دون غيره بالقراءة، فلم يقل يا محمد أو يا رسول الله اقرأ. وفي قوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ المزمل ـ الآية 20 يتضح أنّ دلالة وجوب القراءة، بالنسبة إلى الناس كافة، صريحة وقاطعة. وكذلك الشأن في قوله سبحانه تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ص ـ الآية 29، خاصة بعد دخول لام الأمر على الفعل المضارع لِيَدَّبَّرُوا وليَتَذكَّرَ المجزوم بها الذي أكّد المعنى وزاده قوة.

3) أنّ كثيرا من الآيات جاءت بلفظ العموم، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الأعراف ـ الآية 204، وقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ الأحزاب ـ الآية 41، وقوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ التوبة ـ الآية 112، وقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ النحل ـ الآية 36، وقوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الحج ـ الآية 77.

4) مجيء أسماء كثير من السور بصيغة الجمع، مثل سورة المؤمنون، والأنبياء، والصافات، والشعراء، والمنافقون، وسورة المطففين، والزمر، والأحزاب، والجن، والكافرون، والناس... فهل تسمية هذه السور بصيغة الجمع كذكره ـ عزّ وجلّ ـ لها في متن السور؟ ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ المؤمنون ـ الآية 1، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ الكافرون ـ الآية 1، وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ المنافقون ـ الآية 1، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ

على خصوصه به ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد جاء القرآن مؤيدا لذلك، كقوله تعالى: (يَا أيُّهَا النَّبِيُّ إذَا طَلَّقْتُمْ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ)الطلاق ـ الآية 1، فلو كان الخطاب خاصا لقال تعالى: إذا طلقت النساء. وهذا قول أبي حنيفة وأحمد بن حنبل، وإن جاز لنا أن ننظر إليها على أنّ المراد من الجمع فيها التشريف والتعظيم، كما يرى كثير من المفسرين كابن كثير والقرطبي والسيوطي. كما اختلفوا في جمع المذكر السالم فقال الجمهور: إنه لا يتناول الإناث بدليل استخدام القرآن ألفاظ المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، فلو كان المدلول واحدا لما فرق بينهما. وقال الحنابلة وبعض الظاهرية: يتناول الفريقين، الرجال والنساء، لأنّ أغلب أوامر الشرع ونواهيه قد وردت بصيغة الجمع المذكر. وتساءل بعض العلماء عن خطاب المشافهة، إذا كان موجها إلى مخاطبين حاضرين في زمن الخطاب: هل يعم غير الحاضرين؟ فذهب الجمهور إلى أنّ الخطاب الخاص بالحاضرين لا يتناول غير الحاضرين، ويحتاج شمولهم إلى دليل آخر. وذهب الحنابلة وبعض الفقهاء إلى أنّ الخطاب يعمّ الجميع سواء في زمن الخطاب أو بعده. ينظر نخبة من العلماء: قاموس القرآن الكريم ـ المدخل ـ مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ـ الكويت ـ الطبعة الأولى 1992 ص 197 وما بعدها.

﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ الناس - الآيات من 1 إلى 6... وكلها ألفاظ دالة على أن هذا الخطاب للعموم.

الواضح أنّ مثل هذه السور إنّما جاءت كذلك من أجلّ التخصيص الدال على بالغ أهمية هؤلاء المرسلين جميعا، بل إنّ تسمية بعض السور بأسماء بعض الأنبياء والرسل كيونس وهود ويوسف وإبراهيم وطه ويس ومحمد ونوح دليل على أنّها لا تمثلهم هم فحسب وإنّما تمثل أقوامهم أيضا فقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ نوح - الآية 1، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ الأحقاف - الآية 21، وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ محمد - الآية 2، وقوله تعالى على سبيل المثال لا الحصر: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ الأعراف - الآية 65... فهذه الآيات بلاغ من الله دال على رسله وأنبيائه ويدخل في عمومه جميع الأمم.

5) ورود العديد من الآيات بصيغ الماضي والمضارع والأمر كقوله عز وجلّ: ﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ الذاريات - الآية 30، وقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ الأحزاب - الآية 4، وقوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ النساء - الآية 63، وقوله كذلك: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ البقرة - الآية 131، وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ المائدة - الآية 119... وهي صيغ دالة على أنّ فعل التواصل حدث يعمل على تحيين البلاغ وتفعيله؛ وذلك بدمج آفاق الماضي بآفاق الحاضر، مما يجعل العمل المقروء وفيا لتاريخه، ومسهما في الحاضر، ومضيئا للمستقبل؛[1] وهذا يعني أنّ القرآن بلاغ متفرّد، تمكّن من مخاطبة الناس فرادى وجماعات في أزمنة عديدة، وبالتالي فكلّ مبلّغ - مهما نأى أو قرب من زمن نزول البلاغ - يعد حاضرا ومعنيا، يقع عليه من أحكام وشرائع ما وقع على غيره من السابقين.

6) ترتيب أوامره ونواهيه من الأدنى إلى الأعلى، مراعاة لطابعه العام القائم على بث التعاليم ونشرها، وفق تباين استعدادات الناس وتفاوتها؛ ولأنّ «القارئ هو الهدف المختار بوعي من طرف المؤلف، فالإجراء الأسلوبي مؤلف بطريقة لا يمكن معها للقارئ أن يمر بجانبه، ولا أن يقرأ أيضا دون أن يسوقه إلى ما هو جوهري»،[2] ولا أدل على ذلك من أنه سبحانه وتعالى أمر بالقراءة أولا، فالاستماع والإنصات فقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ

(1) ينظر محمد مفتاح: النص - من القراءة إلى التنظير - شركة النشر والتوزيع - المدارس - الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2000 ص 57.

(2) ميكائيل ريفاتير: معايير تحليل الأسلوب، تر/ حميد الحمداني - دار سال - المغرب، ط1 - 1993 ص 35 .

فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الأعراف ـ الآية 204، ثم أمر بالتدبر والتفكر فقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ محمد ـ الآية 24، وقال: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ص ـ الآية 29. كما حرّم الخمر تدريجيا فقال: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 219، ثم قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ المائدة ـ الآيتان 90 – 91. وقدّم الترغيب على الترهيب، والتبشير على الإنذار، والوعد قبل الوعيد، واللين قبل الغلظة فقال: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ المائدة ـ الآية 19، لما في ذلك من وقع في النفوس، وحتى لا ينفضّ الناس من حول البلاغ، ولما في هذه التراتبية من تهيئة للمبلِّغين، ثم شدٌّ لا يقدرون بعده على ترك الآية أو السورة إلا بعد استكمال مدلولها، فالذي يقرأ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا (٦٤) وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا (٧٢) وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ الفرقان ـ الآيات من 64 إلى 74، يعزم على المضي في القراءة ليعرف، بعد ذلك كلّه، ما جزاء من اتّصف من عباد الله المؤمنين بمثل هذه الصفات الجميلة، والأقوال الطيّبة الحسنة والأفعال الجليلة، ليصل إلى ما يطمئن به قلبه، وتستبشر له نفسه؛ إنّه الأجر المرجو الذي نجده في قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا (٧٥) خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ الفرقان ـ الآيتان 75 – 76.

7) أنّ آيات كثيرة خاطبت أشخاصا لم يذكروا بصريح الاسم وإنما كأعلام مبهمة، لم تتضح معالمها إلا عند العارفين بأسباب النزول، والوقّافين عند كلام الله، فكانت بمنزلة الآيات الموجّهة إلى كل مبلَّغ بوصفه قارئا أو سامعا أو متلقيا... مؤمنا كان كقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ غافر ـ الآية 30، وقد تكلمت الآية عن مؤمن صالح من آل فرعون، أو منافقا كان، كعبد الله بن أبي سلول مثل قوله تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ

﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾ التوبة ـ الآيتان 67 ـ 68، أو كافرا كان كقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ الكافرون ـ الآية 1، الذي نزل في العاص بن وائل، والوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، والأسود بن عبد المطلب، كما نزل في غيرهم ممن عاصرهم أو جاء بعدهم وسار على دربهم.

إذا على كل مبلَّغ أن يعي أنّه المستهدف الرئيس، سواء تلقى البلاغ بصورة مباشرة أم غير مباشرة، إذ لابد له «أن يقدّر أنّه المقصود بكل خطاب في القرآن، فإن سمع أمرا أو نهيا قدّر أنّه المنهي والمأمور، وإن سمع وعدا أو وعيدا فكمثل ذلك، وإن سمع قصص الأولين والأنبياء علم أنّ السمر غير مقصود، وإنّما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج إليه، فما من قصة في القرآن إلا وسياقها لفائدة في حق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمته»،[1] إذ لكلّ فئة من هذه الفئات خطاب واحد ولكن بنياته ووظائفه متنوعة، ومن ثمة فإذا كان البلاغ للناس كافة فإنّ المبلَّغ ـ أيا كان متلقيا أو قارئا أو مستمعا أو مخاطبا... ـ مستهدف بالدرجة الأولى.

8) أنّ البلاغ القرآني مكتمل تام، غير أنّ التواصل فيه لن يتحقق ولن يكتمل ما لم يتوفر على مبلِّغ، وما يؤكّد هذا قوله ـ عز من قائل ـ ﴿ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ الدخان ـ الآية 18، والمعنى أدّوا إليّ سمعكم حتى أبلّغكم رسالة ربي، ممّا يستوجب طرفا آخر يتلقى الخطاب، وبناء عليه فإنّ التواصل غير ممكن إلا انطلاقا من الاستعمال الإنساني للخطاب.[2]

المبلَّغ الفطري:

قد يكون المبلَّغ ـ أولا ـ قارئا فطريا، ذا سريرة نقية ونفس سوية، قادرا على تلقي البلاغ وقبوله قبولا حسنا، وهذا شأن الأنبياء والرسل ـ عليهم السلام ـ ومن سار على هديهم كما جاء في قوله عز وجل: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ الفتح ـ الآية 4، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ البقرة ـ الآية 285، أو يكون من الأعراب الذين لم تفسد ألسنتهم، بل حافظوا على نقائهم وصفائهم، ونخص بالذكر هنا المؤمنين بالله واليوم الآخر من منطلق قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ التوبة ـ الآية 99.

وقد يكون ـ ثانيا ـ قارئا فطريا، غير أنّ فطرته شوهت بما اكتسبت من جحود، وتعنّت، وعناد، واستكبار في الأرض، ومكر السيء، ليس غير، ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ فاطر ـ الآية 43، وما يؤيّد هذا قول ربّ العزّة في

---

(1) أبوحامد الغزالي: إحياء علوم الدين ج 3 ص 127.

(2) حسن مصدق: النظرية النقدية التواصلية ص 16 .

محكم تنزيله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 170، لأنّ الناس ملزمون باتباع دين الله* الذي خلقوا له. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20) ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23) فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (24) إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (25) ﴾ المدثر ـ الآيات من 18 إلى 25. في هذه الحال تتكدر سريرته، وتسوء نفسه، وبالتالي يكون غير قادر على تلقي البلاغ، وإدراك كنهه كما يبدوظاهريا، غير أنّه كان يخفي وراء عناده وعيا كبيرا بما ورد في البلاغ فيزداد الأول؛ أي القارئ الفطري المؤمن، قربا من البلاغ، ويزداد الآخر؛ أي القارئ الفطري الكافر، بعدا عنه. وهذا حال الوليد بن المغيرة** الذي لم يفسده التحيز الأدبي المكتسب بالمهارات الرفيعة والتعصب العلمي؛ فمثله وغيره ممن أقرّوا بإعجازه، واعترفوا بعجزهم فقالوا: ﴿ مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ المؤمنون ـ الآية 24، وقالوا: ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾ ص ـ الآية 7، يجب أن يكونوا هم أصحاب القول الفصل الذين يقررون أسس التفوق؛[1] لأنّهم كانوا متمرسين بفنون القول إلى أبعد حد، عارفين بالفروق الدقيقة بين نص إبداعي وآخر، بناء على ما تراكم لديهم من معارف تزودوا بها في وقت سابق، فأكسبتهم خبرة. ولأنّهم كانوا عرب الألسن، فقد استغنوا عن السؤال عن معاني البلاغ، كما استغنوا بعلمهم به عمّا فيه ممّا في كلام العرب مثله من الوجوه والتلخيص،[2] فكان منهم من سُحِر وفُتِن وأقبل وآمن وازداد إيمانا ويقينا، وكان منهم من سُحر ففُتن وأعرض وكفر وازداد جحودا ونفورا، ولا أدلّ على ذلك من خروج أبي سفيان بن حرب وأبي جهل بن هشام والأخنس بن شريق بن عمروبن وهب الثقفي ليلة، ليستمعوا من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كلّ منهم مجلسا يستمع فيه، وكلّ منهم لا يعلم بمكان صاحبه. وكان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقوم الليل إلا قليلا، يرتل القرآن في هدوء وسكينة، ويردّد بصوته العذب آياته القدسية على أوتار سمعه وقلبه وفؤاده، حتى إذا طلع الفجر تفرّق المستمعون عائدين إلى منازلهم، فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلورآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا، ولأضعف ذلك من أمركم، ونصر محمدا عليكم، ثم انصرفوا، فلما كانت الليلة الثانية، عاد كلّ واحد منهم إلى مجلسه، في مثل الموعد الذي ذهب فيه أمس، كانت رجلاه تحملانه من غير أن يستطيع امتناعا؛ ليقضي ليله حيث قضاه أمس، وليستمع إلى الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتلوكتاب ربه، وتلاقوا عند عودتهم مطلع الفجر وتلاوموا من جديد، فلم يحل تلاومهم دون الذهاب في الليلة الثالثة فلما أدركوا ما بهم لدعوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من

(*) وقد سمي الدين فطرة، لأنّ الناس خلقوا له وعلى مبدأ التوحيد.

(**) وهذا بغض النظر عن الطريق الذي سلكه.

(1) ينظر فرجينيا وولف: القارئ العادي ـ مقالات في النقد الأدبي ـ تر/ عقيلة رمضان، مراجعة / سهير القلماوي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر 1971 ص 7.

(2) ينظر أبوعبيدة: مجاز القرآن ج 1 ص 8.

ضعف تعاهدوا ألا يعودوا لمثل فعلتهم،[1] ولأنهم يتأثرون فقد كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم خاصة وأنهم يدركون أثر الإيقاع السليم في نفوسهم وقيمة الكلام الصريح والفهم الصحيح وهؤلاء من الصنف الذين ذكرهم التوحيدي في إمتاعه قائلا «وصنف هم الهمج الرعاع الذين إن قلت: لا عقول لهم كنت صادقا، وإن قلت: لهم أشياء شبيهة بالعقول كنت صادقا».[2]

ولكن كيف نفسر أنّ بعض المبلَّغين يجمعون بين الإعجاب بالبلاغ والذهول وبين الرفض والإدبار في آن واحد أو بين إظهار الإيمان وإضمار الكفر؟.

إنّ الذي يحاول أن يتقصّى ما ورد في البلاغ في هذه النقطة تحديدا يجد أنّ المسألة متعلقة بنوع من اللا تمازج الناشئ عن اجتماع جلّ عوامل الرفض؛ من تعنت ونكران وجحود وجبلة فاسدة ... وقد حصلت كلّها في نظامه الفكري المختل، والأمر هنا متعلق بالمبلَّغ الذي بموجبه حكَم على البلاغ وقيّمه، حيث إنّه فكّر ثمّ قدّر، وحينما يفعل ذلك يكون قد ربط التواصل بأرقى مستوياته، ثم بتَره في مستوى آخر، وفي هذا دلالة على كبره وعتوه وخوفه على العادات والتقاليد وضياع دين آبائه المزعوم، لقد غلّق باب الهداية عليه؛ لأنه غير مقتنع بأنّ القرآن جاء من الرسول محمّد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثمّ إنه نسي الفطرة التي كان عليها.

غير أن جميع هؤلاء ـ سواء المبلَّغ سليم الفطرة أو مشوه الفطرة ـ عانوا توترا رهيبا، خيّب توقّعهم وخلق مسافة جمالية حددت ردود فعل المبلَّغين إزاء البلاغ، ومن بين هذه الردود أن يناله البلاغ بنصيب من الرضا والارتياح؛ ويحدث هذا عندما يلج المبلَّغ عالم البلاغ، فيجد فيه انسجاما مع أفق انتظاره. وأفق الانتظار يتجلّى هنا في تماشي أحكام الشريعة مثلا مع النفس السوية، فلا يعقل أن نجد شخصا سويا يرغب في النصوص التي تخالف الطبيعة البشرية وتدعوه إلى التهلكة. وهنا تتحقق فاعلية الآية في قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ الجن ـ الآية 13، وقوله: ﴿ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الأحقاف ـ الآية 30، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ النور ـ الآية 51، وقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ المائدة ـ الآية 7، وقوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ آل عمران ـ الآية 193... وغيرها من الآيات التي هي صميمة في الموضوع.

---

(1) ينظر ابن هشام (أبومحمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري البصري): السيرة النبوية، تحق/ طه عبد الرؤوف سعد ـ دار الجيل ـ بيروت ـ المجلد الأول ج2 ص ص 156ـ157.

(2) التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج 1 ص 205.

وقد يحسّ بالخيبة؛ لأنه يحاول عبثا أن يبني قراءته للبلاغ من خلال شروط مرسومة سلفا، فيحاول أن يسقطها عليه غير أنّها تعود عليه بالخسران المبين، فلا يبقى له إلا أن يتأقلم مع البلاغ الجديد الوافد إليه، فتكون النتيجة أن يغيّر من نفسه وقراءته ورؤيته بما يتناسب والبلاغ، ليجد أنّ المسافة الجمالية التي سطرها أو حددها أخذت في الاتساع الجميل الذي وإن باعد بين الكلام الذي اعتاد عليه والكلام الجديد، فإنّه أكّد قيمته الفنية وكشف عن مزيد من أبعاده الجمالية؛ ذلك أنّ «ذاتية القارئ بقدر ما هي من إنتاج القراءة وملكة النص، فإنّها حاملة للتوقعات التي من خلالها يدنو القارئ من النص ويتلقاه».(1)

وحتى لا ننقض ما حاولنا أن نؤصل له ولا نتجاوز ما حددنا، فإنّ هذه الدراسة متعلقة هنا بالبلاغ من حيث قيمته الفنية والجمالية اللتان لا تكتملان من دون البعد الدلالي المحدد لدور البلاغ وقد نجم في المبلِّغ؛ ممّا يعني أن المبلَّغ، أيا كان صنفه، هو على استعداد مسبق لأي نوع من التلقي، عن طريق بعض الملامح الصريحة والضمنية التي تقتضيها طبيعته وحالته، على اعتبار أنّ إدراك البعد الوظيفي للجمالية يتمّ إمّا بالتلفظ وبالسمع وبالبصر خاصة، وبذلك يكون ظاهرا صريحا. وإمّا يتمّ إدراكه بالعقول والقلوب التي تبصر، فيكون ضمنيا خفيا. ونحن هنا نؤكّد ما ذهب إليه آ. أي. ريتشاردز «إنّ العمل الذي يعجب كل الناس من كل الدرجات يعدّ بسبب ذلك أعظم وأكثر قيمة من العمل الذي يروق للبعض فقط... العمل واسع الجاذبية ينبغي أن يكون بالضرورة أعظم وأكثر إعجابا بحد ذاته من عمل يروق فقط للقادرين على التمييز بدقة... وهكذا يبدو أنّه يلمس أمرا جوهريا وأساسيا في الطبيعة البشرية».(2) ويبقى البلاغ القرآني الخطاب الوحيد الذي تمثّل فنّ التواصل الراقي، إذ تمكّن في نفوس الكافرين والمنافقين كما تمكّن في نفوس المؤمنين، غير أنّ أولئك رفضوا وجحدوا، وهؤلاء أقبلوا وأذعنوا.

المبلّغ النموذجي:

نحسب أنّ هذا الصنف من المبلَّغ من أبرز الأصناف لتحديد مفهوم للمبلّغ وضبط دوره؛ ذلك أنّ طبيعته ـ من حيث هو عضو مشارك في البلاغ ومتمثل له ـ تتطلب منه تفاعلا على قدر الأمانة التي أهلّه الله بها ليحمل مسؤوليتها، فقال: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ النور ـ الآية 54. وعن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: "يا معاشر قراء القرآن اتقوا الله ـ جلّ جلاله ـ في ما حمّلكم من كتابه، فإنّي مسؤول وإنّكم مسؤولون، إنّي مسؤول عن تبليغ الرسالة، وأمّا أنتم فمسؤولون عمّا حمّلتم من كتاب الله وسنتي".(3) فما إن يقوم هذا الصنف من المبلَّغ بتمثّل البلاغ حتى يتحول الاتصال إلى تواصل، وهكذا يتجاوز المبلَّغ البحث عن مدلول البلاغ إلى البحث عن الكيفية التي بها يدلّ، من منطلق أنّ الإسلام منهج إلهي وضعه

---

(1)Paul Ricœur: Du texte à l'action p 36

(2) آ.أي.ريتشاردز: مبادئ النقد الأدبي ـ دراسة أدبية ـ تر/ إبراهيم الشهابي ـ منشورات وزارة الثقافة ـ سورية 2002 ص 206.

(3) البخاري: صحيح البخاري .

ربّ الناس للناس، وبهذا فهو لا يلغي دور الإنسان أمام هذا المنهج، ولا ينحّيه من طريقه، ولا يحكم عليه بالسلبية المطلقة اتجاهه،[1] بل إنّ الأمر هنا يتطلب إفساح المجال أمام الفكر ليَفهم ويُفهم، فيصبح دوره المحور الرئيس الذي يدور حوله البلاغ، وفق شروط يجب أن لا يتعداها؛ أي أن يحرص على تهذيب دوره، حسب العناصر المتاحة في البلاغ، ويمثل لما جاء فيه. فهو القائل سبحانه وتعالى: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ آل عمران ـ الآية 7، والقائل عزّ وجلّ: ﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ النساء ـ الآية 162، فلكي يكون التواصل بين المبلِّغ وبين البلاغ ناجحا يجب أن يضبط نشاط المبلِّغ النموذجي بطريقة ما من قبل البلاغ، ويجب عليه؛ أي المبلِّغ النموذجي، أن يَقبل على البلاغ من دون تعصب أو انغلاق بشكل يتيح للبلاغ أن يتواصل معه بإيجابية،[2] وبذلك تكون استراتيجية التواصل الجهاز المستقطب أو اللاقط الذي يوجّه نوعا مخصوصا من المبلِّغ، ويقوده إلى تمثل البلاغ وتمثل ما فيه، وما يوضح هذا ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم ـ الآية 4، وقوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (11) ﴾ المؤمنون ـ الآيات من 1 إلى 11.

والذي يستقرئ هذه الآيات يجد أنّ هذا النوع من المبلِّغ خاصة يصل إلى درجة عالية جدا من الوعي في استيعاب كنه البلاغ ومراده قولا وعملا، على أن يتمّ هذا التواصل بطرق متنوعة تجلّي أساليبه، وتساعد على ترسيخ أبعاد الرسالة السامية ـ كما سنفصل ذلك لاحقا في الآليات والأهداف ـ

إنّ الوضوح البيّن عند الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكذا عند المؤمنين الراسخين في العلم في فهم محتوى البلاغ، وإنّ هذا العمل المنجز بعد التلقي سماعا أو قراءة من خلال قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ آل عمران ـ الآية 193، وقوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ القيامة ـ الآية 18، وكذا قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الحج ـ الآية 77، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ التوبة ـ الآية 105، إلى أن جعل هؤلاء

---

(1) ينظر يوسف القرضاوي: الخصائص العامة للإسلام، شركة الشهاب، الجزائر ص 55.

(2) للاستزادة ينظر جيلالي الكدية: تأويل النص الأدبي ـ نظريات ومناقشات ضمن "من قضايا التلقي والتأويل" سلسلة ندوات ومناظرات رقم 36، 1995 منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس ـ الرباط ـ المغرب، مطبعة النجاح الجديدة ـ الدار البيضاء ط 1، 1994 ص 42.

يقرون ويقولـون: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ البقرة ـ الآية 285، أقول فهذا الوضوح وهـذا العمـل المنجز كان نتيجة حتمية للتواصل الناجح بين البلاغ والمبلِّغ؛ مّما يؤكّد أنّ المبلِّغ النموذجي طرف فاعل، يسهم في تفعيل التواصل، بتحقيق البلاغ قولا وعملا، بوساطة الفهم والإفهام، وبالتالي فالأعمال المنجزة هي نتيجة تفاعل وتجاوب تمّ بين معطيات الاتصال وإجراءاته المستخرجة من البلاغ من معان وتأويلات وتوضيحات.

إذا فالبلاغ أمر إلهي يجب تطبيقه، على أساس أنّ كلّ بلاغ يتطلّب مبلِّغا، وكلّ مبلِّـغ لا يمكنه إلا أن يتواصل، وأيضا على أساس أنّ كلّ تواصل يتطلب تبادلا في شكل تناظر واستكمال؛[1] أي انجاز بعض أنماط الأفعال التي هي جزء من العمل، فحينما نقرأ قول الله عـزّ وجـلّ: ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ الأنعام ـ الآية 72، وقوله: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ البقرة ـ الآية 43... وغيرها من الآيات التي يـأمر من خلالها الله ـ عزّ وجلّ ـ عباده تأدية الصلاة، فإنا نجده يسكت عن كيفية تأديتها بحقّها وإقامتها، والحقّ أنه سبحانه أمر بالسعي إليها في خشوع والحفاظ عليها في وقتها بعـد التهيـؤ لها فقـال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ المائدة ـ الآية 6، على اعتبار أنّ الطهارة هي مفتـاح الـصلاة، بـل لا تقبـل صـلاة بغيرهـا؛ لذلك شرّع الله الوضوء، وحدّد فرائضه، ورخّص التيمم للمعذور، ثمّ أمـر بـأداء هـذه الفريـضة وذكـر عظـيم شـأنها والغرض من إقامتها، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ العنكبـوت ـ الآيـة 45، وقـال: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ طه ـ الآية 14، أيضا فقـد أمـر قـائلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ الجمعة ـ الآية 9، مثلمـا أمـر قـائلا: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الأنعام ـ الآية 162، وفي هذا عظـة للمـتعظين وإرشـاد للمـسترشدين، وحث على الخشوع فيها فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ النور ـ الآية 2؛ لـذلك أمـر بتأديتهـا بحقهـا وإقامتهـا بتمامها وكمالها فقال: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ النساء ـ الآية 103، كما قال: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء ـ الآية 110، وحرص على تأديتها باجتناب ما يُذهب الخشوع فيها والخضوع فقـال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

(1) ينظر فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، تر / سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع ـ الدار البيضاء ـ المغـرب، ط 1، 1987 ص 102.

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ النساء ـ الآية 43، وأكّد المحافظة عليها ـ كذلك ـ أكثر من مرة في القرآن الكريم، فقال تبارك وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ المؤمنون ـ الآية 9 وقال: ﴿ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ الأنعام ـ الآية 92، وقال: ﴿ حَٰفِظُوا عَلَى الصَّلَوَٰتِ وَالصَّلَوٰةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ البقرة ـ الآية 238، وحدّد أوقاتها فقال: ﴿ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ الَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ الإسراء ـ الآية 78، وقال: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ الَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ هود ـ الآية 114.

فإذا ما نظرنا إلى قوله تعالى وجدنا أنّ تفاعل المبلَّغ مع البلاغ كان تفاعلا إيجابيا، يعزز من أهميّة التواصل من خلال عملية ملء الفجوات التي سكت عنها التشريع الرباني، وأوكل مهمتها لمبلِّغ خبير يسعى باستمرار، بما يمتلك من معطيات، إلى إخصاب مضامين النصوص، وتوسيع دائرة المعلومات التي تنطوي عليها،[1] هادفا إلى اعتبار البلاغ وثيقة للأوامر والنواهي التي تلامس شغاف القلوب وصميم العقول وتهدي إلى الرشد، وقد نقلتها اللغة بصدق خالص وتوقيع بديع، «فالكلمات هي التي تحرّك اليد بخدمة الفكر»[2] بتعبير ابن خلدون، وبهذا أمر الله في القرآن الكريم بالصلاة ولم يبيّن كيفياتها، ولا عدد ركعاتها، وإنّما رسم الخطوط العامة، وترك تفصيل ذلك للسنة النبوية، ولا أدل على ذلك من أنّه لمّا نزل قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ الواقعة ـ الآية 74 ، قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: اجعلوها في ركوعكم، ولمّا نزل قوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ الأعلى ـ الآية 1 قال: اجعلوها في سجودكم. لذلك لم تنته مهمة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند التبليغ بل تعاضدت مع مهمة باقي المبلِّغين يقول تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝ ﴾ الشرح ـ الآيتان 7 ـ 8، ليكمل مع الآخرين رحلة التواصل المنفتح على الجماليات المتجددة، لا بتجدّد نوعية القراءات والقراء فحسب، بل بتجدّد رموز البلاغ وأنساقه وبنياته ومجموع ردود الأفعال المثارة فيه ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَٰفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ النور ـ الآية 41.

ولمّا كان الأمر كذلك أصبح المبلَّغ يستشرف مثل هذه الجماليات المتتالية التي تعرض له وفق مذهب إعجازي يكتمل فيه التواصل ويعظم، فقد سئل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما الإحسان؟ الذي جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَٰنِ وَإِيتَايِٕ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ النحل ـ الآية 90، وقوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَٰبُ

---

(1) ينظر إدريس بلمليح: القراءة التفاعلية ـ دراسات لنصوص شعرية حديثة ـ ص 7.

(2) ابن خلدون: المقدمة ص 70.

ٱلْجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ يونس ـ الآية 26، وقوله: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ الرحمن ـ الآية 60، قال: أن تخشى الله كأنك تراه، فإنك إن لم تكن تراه فإنه يراك.[1]

إننا حينما نتحدث عن مبلِّغ يسعى إلى تحقيق حدث جلّيل، يمتد عبر الزمن من خلال أقوال تترجمها الأفعال وتجلّوالغموض الذي يعتري مجموع المبلِّغين الخاضعين على الأقل للوقع الجمالي الكامن في البلاغ، نكون قد تحدثنا عن مبلِّغ مخبَر مقتدر عارف باللغة مستوعب لمكنوناتها ودلالاتها، ومتمرس لديه تراكم معرفي سابق، فيدرك عن علم ويقين الفروق الدقيقة بين التراكيب البليغة والأساليب البديعة التي تشكل جمالية البلاغ الذي تلّقاه، وبالتالي فنحن أمام مبلِّغ مخصوص بلغ مستواه الذروة العليا في تحقيق الغرض الأساسي من التواصل مع بلاغ حسبه أنه معجز، ومثل هذا البلاغ لا يعرف معناه ولا درجة تفوقه وتميّزه، ولا يقدر أن يخوض فيه إلا إن كان مثاليا نموذجيا، يتكئ على الاستنباط والقياس في دقة وحذر، لئلا ينحرف عمّا ورد في البلاغ؛ أي يعطيه تأويلات وأبعادًا لا تتجاوز حدود ما فيه، فيضيف إلى البلاغ صحة وإيضاحا ينمّان عن مقدرته على «تلقي مراد الله تعالى من كلامه»،[2] بناء على أنّ البلاغ بجميع دلالاته وأسراره لن ينكشف إلا لذوي العلم المكين من أولي الألباب، الذين يرون أنّ مستوى التلقي الواعي لا بد أن يكون بنفس مستوى البلاغ، وإن كان هذا مطمحا محال الوصول إليه، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴾ الكهف ـ الآية 109.

وجدير بالذكر أنّ الوصول إلى المعنى النهائي أمر مستحيل بالنسبة إلى جميع هؤلاء المبلِّغين مهما كان نوعهم؛ لأنه «يظل نسبيا لاعتماده على خصوصية أفق القارئ الفرد وزمانيته ومكانيته».[3] وإذا كان دور المبلِّغ النموذجي ـ كما أشرنا آنفا ـ يتجلّى في قراءة القرآن وتدبره وكشف أسراره من خلال بنائه وأنساقه والعمل به في غير ما زيادة أو نقصان أو تحريف وتبديل، يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ يونس ـ الآية 15، فإنّ هذا يشير إلى أنه مقيّد بما يفرضه عليه البلاغ من أعراف لا يجوز له تخطيها، إذ «ما أمر الله عزّ وجلّ بالاعتبار، ولا حث على التدبر، ولا حرّك القلوب إلى الاستنباط، ولا حبّب إلى القلوب البحث في طلب المكنونات، إلا ليكون عباده حكماء ألبّاء أتقياء أذكياء، ولا أمر بالتسليم، ولا حظر الغلووالإفراط في التعمق، إلا ليكون عباده لاجئين إليه متوكلين عليه، معتصمين به، خائفين منه، راجين له، يدعونه خوفا وطمعا، ويعبدونه رغبا ورهبا، فبيّن ما بيّن حرصا على معرفته وعبادته، وطاعته وخدمته، وأخفى ما أخفى لتدوم حاجتهم إليه، ولا يقع الغنى عنه،

---

(1) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، ص 26.

(2) السكاكي: مفتاح العلوم، تحق / نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ 1983 ص 7 .

(3) ميجان الرويلي ـ سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي ـ إضاءة لأكثر من خمسين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا ـ ص 52.

وبالحاجة يقع الخضوع والتجرد، وبالاستغناء يَعْرِضُ التجبر والتمرّد»،[1] من أجلّ ذلك ملأ الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذه الفجوة[*] المسكوت عنها في القرآن بقول صدّقه عمل، فقال «صلوا كما رأيتموني أصلي».[2] ومن هنا يستعين المبلَّغ العادي حين يعجز عن فهم البلاغ بالمبلِّغ المثالي من أهل الذكر مصداقا لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحل - الآية 43، فيتدخل ليعينه على إيجاد الألفة مع غير المألوف؛[3] وذلك بطرح التساؤلات أولا لفك ألغازه، وتفسير آيات وقفوا عندها حائرين يتوسلون حكمتها، ثم يعمل على إثبات قيمة البلاغ من حيث معناه وما يحدثه من تأثير جمالي، ليتحول من مبلَّغ عادي مستهلك إلى مبلَّغ متمثل للبلاغ، إيجابي ومنتج، يسهم بدوره في استحضار المفاهيم الضمنية وإيضاحها، على أن تكون له قابلية للتلقي والاكتساب، فيكون سببا في أن ينصهر داخل البلاغ ويستحكم فيه؛ ممّا يعني أنّه قد لا يحصر دوره في التلقي والفهم «والاستجابة المباشرة لمكونات وقعه، بل يتعدى ذلك خلق طاقة تفاعلية متطورة تكرّس قيمة العمل الفني من جهة وتبلور أجهزة مفسرة ومؤولة لهذا العمل من جهة ثانية».[4]

وقد يبقى على حاله؛ أي قارئا عاديا لا يتجاوز حدود المبلَّغ الممتثل لأوامره عزّ وجلّ، فإن تلقى أمرا نفذه والتزم به، وإن تلقى نهيا انتهى كأن يؤمر بمعروف أو ينهى عن منكر أو يؤمر بصلاة أو صيام أو صدقة... ونحو ذلك كقوله تبارك وتعالى: ﴿تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة - الآية 280، أو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ النساء - الآية 136، أو يجيء في عبارة (سَمِعْنَا وأَطَعْنَا) ما أمرنا الله وآمنا بكل ما جاء في كتابه العزيز، أو يجيء في صورة غير مباشرة ولكن فيها من دلالة الامتثال ما فيها، ومثالها قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ التوبة - الآية 112.

ولئن كان البلاغ القرآني قريبا من الأفهام وموجّها إلى العام والخاص، فإنّه يظل في شقه التفسيري والتأويلي خاصة محصورا في نوع مميز من المبلَّغين؛ إذ «لو كان القرآن ظاهرا مكشوفا حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل، لبطل

(1) التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة ج 2 ص 21 .

(*) الفجوة هنا لا تعني وجود نقص أو خلل وإنما هي مساحة واسعة تولى الذي لا ينطق عن الهوى الإفصاح عن المسكوت عنه وتفسيره وبيانه وتفصيله للقاصي والداني كما ينبغي أن يكون؛ لأن القرآن نزل كاملا تاما.

(2) البخاري: صحيح البخاري - ص 159.

(3) ينظر فولفجانج إيسر: فعل القراءة - نظرية في الاستجابة الجمالية - ص 47.

(4) إدريس بلمليح: القراءة التفاعلية - دراسات لنصوص شعرية حديثة - ص 55.

التفاضل بين الناس، وسقطت المحنة، وماتت الخواطر».[1] ومع ذلك يظل القرآن، وهو كلام الله المقدس، محافظا على حقّ المبلِّغ أيا كان نوعه، حيث أولاه عناية منقطعة النظير، فكان يحضّه دوما على تحقيق وجوده بتفعيل دوره عن طريق القراءة والتلاوة والتدبر والمداومة على الذكر، بالغدو والآصال أو طرفي النهار وزلفا من الليل...

المبلِّغ المستروح:

لم تتلق النفس الإنسانية البلاغ الرباني وهي مجرد جسد بمعزل عن الروح، ولا بوصفها عقلا من دون مشاعر، وإنّما بوصفها كلا مكتملا لا يمكن فصم عراه، فلا الروح تستطيع أن تحلّ محل الجسد، ولا العقل يستطيع أن يستغني عن المشاعر. وقد وجد المبلِّغ المستروح نفسه مسوقا إلى بلاغ ربه، راغبا في الاستماع والإنصات، فتشدّه الآيات شدّا وكأنّما شيء ما يدعوه إلى أن يفتح دفتي المصحف لتعانق روحُه سرا خفيا، لا يستمل مع كثرة الرد، بناء على أنّ هذا النوع من المبلِّغ يبحث عن راحة لنفسه وصفاء لقلبه وأنس في خلوته، ولأنّ القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد وإنّ الذكر جلّاؤها، كما قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكذلك «النفس تملّ، كما أنّ البدن يَكِلُّ؛ وكما أنّ البدن إذا كلّ طلب الراحة، كذلك النفس إذا ملّت طلبت الرّوح»،[2] وراحت تنشده في الجمال الذي يتوارى فيه حب التواصل مع الله، لتجد متعة متجددة يستحيل ضبطها؛ ذلك أنّ النفس تقبل ما يشاكلها ويوائمها، ولهذا فهي تزداد سموا وطيبة كلما كانت أصفى وأنقى، وتزداد انحدارا واضمحلالا كلما كانت مكدرة خبيثة ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ إبراهيم ـ الآيات من 24 إلى 27.

إنّ المبلِّغ بوصفه قارئا أو سامعا أو متلقيا أو مخاطبا أو مرسلا إليه أو مقولا له... بحاجة إلى أن يعايش القرآن الكريم؛ لأنّه بعوز إلى أن يجعل حياته على فسحة من الجمال والسموِّ والروحانية، إنّه دوما يبحث عن مأوى يلوذ إليه لا في حالات انقباضه وأحزانه وإطباق الهموم عليه فقط، بل في ساعات الرخاء أيضا، ومثل ذلك ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ الرعد ـ الآية 28، أو من أتسم بقلب لين منشرح غير قاس كقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ الزمر ـ الآية 22. والحقّ أنّه يفرّ من هموم الدنيا إلى الله مطيعا لأوامره (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ) الذاريات ـ الآية 50، راغبا في ذلك من تلقاء نفسه ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ (طه ـ الآية 84، أو قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ الصافات ـ الآية 99 في راحة لا أسمى ولا أصفى منها.

---

(1) ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم): تأويل مشكل القرآن ص 62.

(2) التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة ج 1 ص 27.

هكذا سادت وظيفة النزوع إلى الآخر؛ إن تحيا أو أمرا أو جهدا للوصل والتواصل،[1] والصحيح أنـه بتواصـله مع الله في كلّ أحواله؛ إن قائما وإن قاعدا وإن مستلقيا وإن ماشيا وإن راكبا و... كما يتجلّى هذا في قوله عزّ وجـلّ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ السجدة ـ الآية 16، وقـوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ آل عمران ـ الآية 191، قاصدا الإصغاء إلى سورة بعينها أو كلام بعينه، يريد من وراء هذا خلق جو من التواصل، قد يدعوه إلى البحث عن التجديد والتغيير، فيفضي به إلى البكاء والخوف والرهبة في مواطن بعينها، أو إلى البسط والانشراح والأمان والرغبة في مواطن أخرى، فيرقّ قلبه وتذوب خشونته، ومن ثمة يقبل على العمل ويخلص النية... وما يعزز هذا قول ـ ربّ العزّة ـ ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ الزمر ـ الآية 23.

وقد يكون مقتنعا أو منفعلا أو قلقا أو خجلا كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ الحج ـ الآية 35، وقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الأنفال ـ الآية 2، وقد يشعره البلاغ بالجمود فلا تهزه السورة أو الآية لخلل فيه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ الزمر ـ الآية 22، وقوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ النمل ـ الآية 80، وقوله: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 171، وقد يزيد هذا المبلّغ من تعنته وجحوده وكفره ونكرانه، ومن يتدبر هذه الآية ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ الأنفال ـ الآية 31، يستشف ذلك جليّا.
وفي هذه الأثناء يكون المبلّغ محمولا على الاسترسال، ويكون فيها المبلّغ مكرها على الاستماع فقوله تعالى: ﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴾ نوح ـ الآية 7، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ المائدة ـ الآية 67، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ الأنفال ـ الآية 24، كلّها آيات تشير إلى ذلك، على اعتبار أنّ الظاهرة الاتصالية عملية إخبار وإعلام تهتمّ بنقل الخبر من مبلّغ إلى مبلّغ، وتهتمّ بتوضيح الخبر المنقول والإبداع في التبليغ، وأحيانا حتى في الإلزام المادي والمعنوي مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ

(1) للاستزادة ينظر ميجان الرويلي ـ سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي ـ إضاءة لأكثر من خمسين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا ـ ص 39 .

ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ طه ـ الآية 124، فإذا كانت الظاهرة الاتصالية على هذا النحو، فإنّه والحال هذه تظهر سيطرة الرسالة وهيمنة المبلِّغ ودونية المتلقي،[1] الذي يقع تحت سلطة المبلِّغ وبلاغه، وهي سلطة لا تعني إلغاء أهميته في العملية التواصلية في البلاغ القرآني؛ إذ لا شك أنّ افتتاحه بكلمة <اقرأ> يعني التأكيد على حضوره، بل على صلته الوثيقة بالتواصل، فلا أحد يكتب أو يتكلم من دون حضور أو استحضار طرف آخر بدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ القمر ـ الآية 17، بالإضافة إلى «أنّ ما علا يؤثر ولا يقبل التأثير، وما سفل يتأثر»،[2] كذلك فإنّ هذا التواصل قد يدعوه إلى البحث عن جمالية خاضعة لنظام معين يتماشى والمبلِّغ، إنها أفعال إنجازية تصاحب القراءة أو بتعبير أوستن أفعال إخبارية.[3]

إنّ المبلِّغ بتواصله مع هذا النوع المميز من الخطابات يشير إلى حنينه إلى التواصل مع الله، ويعرض إخلاصه التام له، فيحصل على اللذة السرمدية، والصفاء المطلق، والجمالية العليا التي تلازمه حتى وهو يرتقي في السموات العلا، تاليا آيات الذكر الحكيم، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإنّ منزلتك عند آخر آية تقرؤها»،[4] وعليه فبدايته تواصل ونهايته تواصل.

نعم.. إنّ هذا المبلِّغ يحسّ بخلوة حميمية بينه وبين من يقرأ له أو يناجيه ويدعوه، خاصة إذا كان المبلِّغ المتكلم هو الخالق العظيم، والمبلَّغ المتلقي هو المخلوق الضعيف وشتان بينهما؛ بين عظيم جليل وذليل متذلل، فكأنّ هذا المبلَّغ يشعر بعناية عظمى، فكيف لإله ذي الجبروت لا يحتاج إليه وهو [المبلَّغ] يحتاج إليه في كلّ أحواله وحركاته وسكناته لا يستغني عنه في صغائر أموره طرفة عين وهو يستغني، يخاطبه ويعبره اهتماما فسبحانه القائل: ﴿ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ العنكبوت ـ الآية 56، والقائل: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الزمر ـ الآية 53، وهو القادر على أن يرزق مريم وغيرها ويتقبلهم قبولا حسنا كما تقبلها ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ آل عمران ـ الآية 37، وهو الله الرحمن القادر على أن يبشّر عباده الصالحين بالذرية الصالحة، كما كان الشأن مع نبيّه زكرياء ـ عليه السلام ـ حين وهبه يحيى ـ عليه السلام ـ فقال: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا

---

(1) ينظر الملاخ: مفاهيم في التواصل ص 1.

(2) التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة ج 1 ص 213 .

(3) أرمينكو(فرانسواز): المقاربة التداولية ص 80 .

(4) النووي (محي الدين يحي بن شرف): منهل الواردين شرح رياض الصالحين، ضبط ووضع صبحي الصالح دار العلم للملايين ـ بيروت ط 1 ـ 1970 ص 598.

﴿ وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ آل عمران ـ الآية 39، فهؤلاء وأمثالهم ممن كانوا يلجؤون إلى الله ويتضرعون إليه، ويعبدونه حق عبادة، ويتواصلون معه في السر والعلن، متقين الله شاكرين إحسانه وإنعامه، وما يؤيد هذا قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ الطور ـ الآية 28، وهذا قول أهل الجنة الذين فهموا كنه قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ فاطر ـ الآية 15، فاستجابوا لأمره تعالى، فهو سبحانه محمود في ذاته، مستحق للحمد، أهل للثناء، غير محتاج إلى شكر من شكر أو كفر من كفر؛ لأنه غني مستغن عن العباد كلّهم أجمعين فهو جلّ جلاله القائل: ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ لقمان ـ الآية 12.

ثمة إذا تواصل يقوم بين العبد وربه، وهو الذي حدا بالمبلَّغ إلى التوجّه نحو البلاغ القرآني ليبلغ منه غايته، وهكذا تصير جمالية التلقي نظرية توفيقية تجمع بين جمالية النص وجمالية تلقيه، استنادا إلى تجاوبات المتلقي وردود فعله، باعتباره عنصرا فاعلا وحيا، يقوم بينه وبين النص الجمالي تواصل وتفاعل فني، ينتج عنهما تأثر نفسي ودهشة انفعالية، ثم تفسير وتأويل، فحكم جمالي استنادا إلى موضوع جمالي ذي علاقة بالوعي الجمعي؛[1] لأنّ المبلِّغ كان يهدف إلى إيصال كلام غاية في الإنسانية، من أجلّ الإعراب عن جملة من القيم الجمالية العليا، مستندا في ذلك إلى شروط معينة يجب توافرها كالعقل المجرد في الإبلاغ والإيصال والتفهيم والإقناع، وكالقلب في التأثير بأساليب فنية وجمالية خاصة، تحكمها أصول مشتركة بين قطبي التواصل المبلّغ والمبلَّغ.

وفي حال إذا ما تلقّف المبلَّغ هذا البلاغ وفقا لهذه الشروط، تتحول القيم الجمالية التي أودعت في البلاغ إلى جماليات يصعب حصرها وقد يستحيل، وبالتالي فإنّ هذا التواصل تحقق؛ لأنه قام على نظام لغوي مشترك تمّت فيه مراعاة ظروف الاتصال والتواصل، مع العلم بأن التواصل مع الغير يجيء على شكل إثبات أو تساؤل أو طلب أو أمر من دون أن يتوقف ليكون تواصلا.[2]

وإن نعجب فعجب أن نجد التواصل على هذا النحو من الشمولية والتمام، وخصوصا عندما يتنوع البلاغ وتتنوع أحكامه تبعا لتنوعه، فهو يجعل جميع صنوف هؤلاء المبلَّغين قلوبا متوحدة في أجساد متفرقة، وأرواحا متعالقة في عقول متباينة، فهو يشدّ المبلَّغ فلا يزيغ عن البلاغ محتوى أو شكلا، أو محتوى وشكلا في آن معا. وإن رغب عنه فلعيب أو خلل موجود في المبلَّغ ناتج عن جحوده وتعنته، مع شدة إعجابه به وانبهاره في ذات الوقت، «فترى غير المتعلم يطرب للقرآن، ويجد فيه ما يرضيه، ونصف المتعلم يجد في القرآن ما يرضيه، والمتبحر في العلم يجد في القرآن إعجازا يرضيه»،[3] فكلّ فئة من هذه الفئات قد وجدت لنفسها موضعا داخل البلاغ في أوضاع متراوحة بين الإقبال والإدبار

---

(1) حميد سمير: النص وتفاعل المتلقي في الخطاب الأدبي عند المعري ـ دراسة ـ اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ 2005 ص 17.

(2) André Martinet: La linguistique synchronique – presses universitaire de France -1974 p 9

(3) الشعراوي محمد متولي: معجزة القرآن الكريم، ص 24.

والتصديق والتكذيب و... ومن خلالها ـ أي الفئات ـ كان الفعل التواصلي خاضعا لنمطين من المبلِّغين؛ المؤمن والكافر.

4. المبلِّغ المؤمن:

فأما المبلِّغ المؤمن فهو يتصف بما يلي:

أ) محدد معين، غير مذكور باسمه، كقوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة ـ الآية 40، والصاحب هنا أبوبكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ أو كقوله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ يونس ـ الآية 2، وهو هنا الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو أيضا محدد معين غير مذكور باسمه، ولكنّه خاص جنسي ونوعي. وغير بعيد عن هذا قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ آل عمران ـ الآية 35، وقوله: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ العنكبوت ـ الآية 8، وقد نزلت في سعد بن أبي وقاص لما أسلم.

ب) محدد معين مذكور باسمه كقوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ آل عمران ـ الآية 144، وكقوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧) ﴾ الأحزاب ـ الآية 37، فهو هنا خاص شخصي.

ج) غير محدد، غير مذكور باسمه، مثل قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾ الفجر ـ الآية 15، وهو هنا خاص جنسي وقوله: ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ النساء ـ الآية 12، هو هنا خاص نوعي. وقد يكون مطلقا، كما هو الحال في هذه الآية. وقد يكون مقيدا مثلما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ سبأ ـ الآية 9، وكقوله

سبحانه وتعالى: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ الفتح ـ الآية 25.

1. المبلّغ الكافر:

وأمّا المبلّغ الكافر فيتصف بالآتي:

1. محدد معين، مذكور باسمه، كقوله تبارك وتعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ المسد ـ الآية 1، وكقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ القصص ـ الآية 38، فهو هنا خاص شخصي.
2. محدد معين، غير مذكور باسمه، مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ المسد ـ الآية 4؛ وهي أم جميل زوج أبي لهب، وكذلك قوله: ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ العنكبوت ـ الآية 32، فهذا الصنف من المبلّغ محدد معين غير مذكور باسمه، ولكنّه خاص جنسي، ونوعي.
3. غير محدد غير مذكور باسمه كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴾ النبأ ـ الآية 40، وكقوله عزّ من قائل: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ الجن ـ الآية 6، ففي هذه الآية ورد مطلقا غير مقيّد، مثلما ورد مقيّدا في قوله: ﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ ﴾البقرة ـ الآية 221.

وما يؤكّد هذا أنّ النفس «جوهر لا عرض، وحد الجوهر أنّه قابل للأضداد من غير تغيّر، وهذا لازم للنفس؛ لأنها تقبل العلم والجهل، والبر والفجور، والشجاعة والجبن، والعفة وضدّها».[1] وقد بسط ابن الدباغ الحديث عن النفوس وأنواعها، وقسّمها إلى ثلاثة أقسام، ليدلل على أصناف من المبلّغين جمعهم في قوله: «واعلم أنّ النفوس ثلاثة أقسام، نفوسٌ خُلِقت متيقّظة من ذاتها، مقبلة على بارئها بالفطرة، معرضة عن ما سواه؛ وهذه هي نفوس الأنبياء وخواص الأصفياء، أشرق عليها نور الحق فجذبها إليه، وتسمى مطمئنة. والقسم الثاني نفوس أعرضت بالكلية على الحق تعالى، وغلب عليها حبّ المحسوسات وشهوات الأجسام لاستيلاء الوهم عليها، فأنكرت اللذّات الروحانية والمدارك العقلية، وهذه هي نفوس الأشقياء، فهي محجوبة عن الله تعالى، مطرودة عن جنابه، ولا مطمع في نجاتها

---

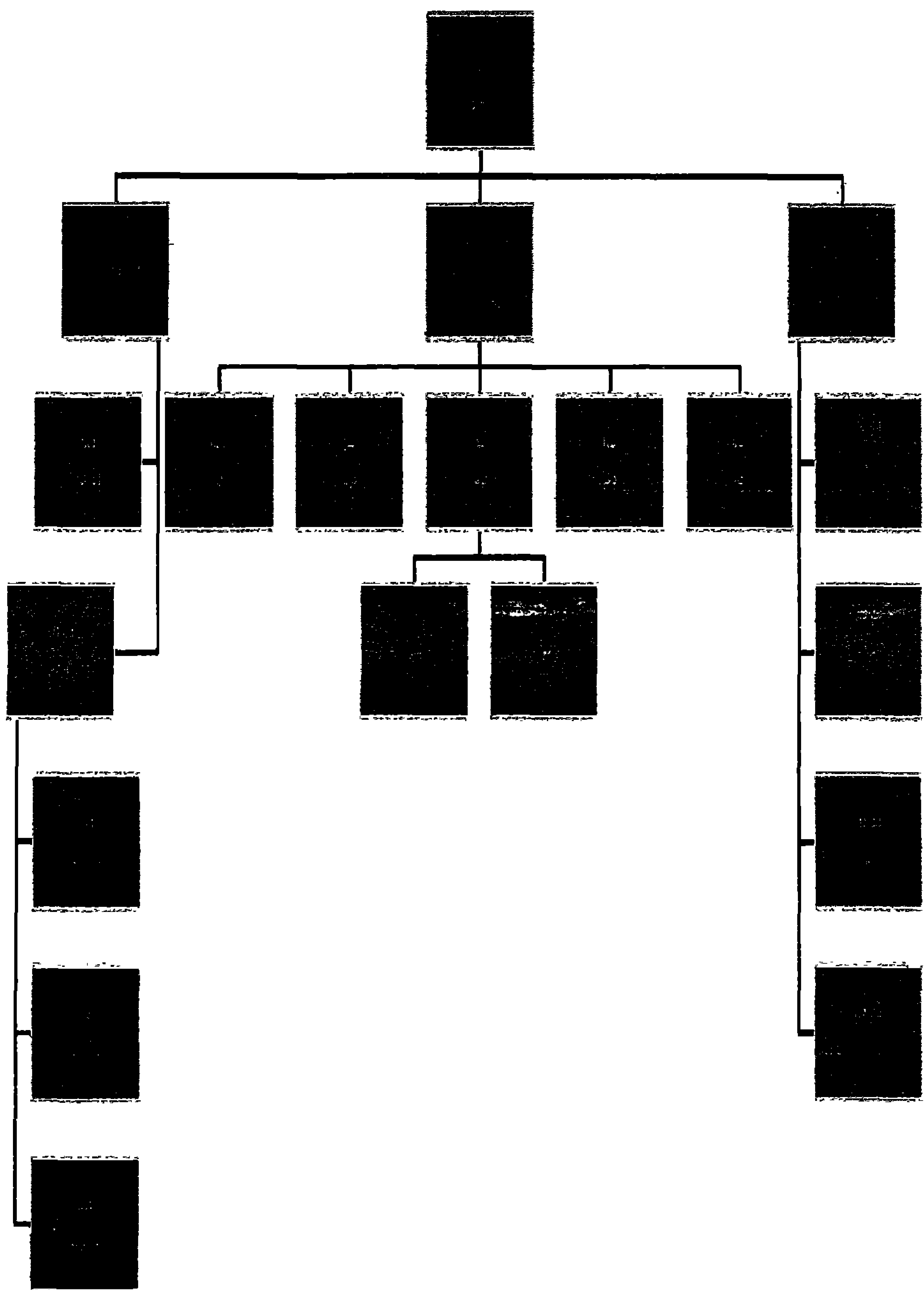
(1) التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة ج1 ص ص 200 – 201.

وتسمى الأمّارة. والقسم الثالث نفوس أقبلت على حبّ المحسوسات إقبالاً متوسطاً، ولم تستغرق فيها قوتها بالكلية، بل بقي في قوتها من اليقظة والفطنة ما تُدرِك به لذّة المعاني العقلية، وتطلب الفضائل، وتنفر عن الرذائل، فكان لها نظر إلى الجانب الأعلى بقدر ما فيها من اليقظة ونظر إلى الجنبة السفلى بقدر ميلها إلى حب الشهوات الطبيعية، وتسمى اللوامة.

فهذه وإن كانت محجوبةً عن الحقائق الربانية يمكن أن تتذكّى بالرياضة، وتلحق برتبة السعداء، وهذا الصنف هم الذين وضعت لهم مراتب السلوك، وإليهم قصدنا بهذا التنبيه، إذ الصنف الأول لا يحتاجون إلى سلوك، فإنّ الحق تعالى أرادهم، فاختصهم لعنايته، والصنف الثاني طُبعوا على الشقاء في أم الكتاب ولا تبديل لخلق الله، والصنف الثالث هم أصحاب الرياضة؛ لأنّ الأصل طهارة النفس وخلوصها من آثار الظلمة».[1] وهذا ما يعني أنّ مفهوم المبلِّغ بتعدده واختلافه عرف مفاهيم متنوعة ومتشعبة، إذن فهو أكثر استيعابا وأوفر تحصيلا لمفاهيم أكسبته تضخما دلاليا، لذلك يبدو تناوله كاملا أمرا مستحيلا.

وقصارى القول: إنّ هذا البلاغ الرباني في طرحه الإعجازي، لم يكن في مستوى تصور هؤلاء المبلّغين جميعا، بالرغم من تباينهم، وتمايزهم، أو تفوقهم وتمكّنهم من فنون القول، أو إخلاصهم وتمثلهم للبلاغ الذي قال عنه تبارك وتعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ الزمر ـ الآية 28، إذ لما كان تفاعل المبلِّغ بالمبلَّغ تواصلا، وتفاعل المبلَّغ بالبلاغ تأويلا، كان لابد من أن يكون البلاغ دالا على مبلِّغه وفي مستواه حتى يستقيم التواصل ويتمكن في النفوس.

(1) ابن الدباغ (أبوزيد عبد الرحمن بن محمد): مشارق أنوار القلوب ومفتاح أسرار الغيوب، دار صادر ـ بيروت ـ 1959، ص 10.



الفصل الرابع
آليات التواصل ومراتبه

1. آليات التواصل
   1) الآلية الاتصالية
   2) الآلية الإخبارية
   3) الآلية التخاطبية
   4) الآلية الحسية
   5) الآلية الإنجازية
   6) الآلية المقامية
   7) الآلية الفنية
2. مراتب التواصل
   1) المرتبة الأولى ـ الله ـ عز وجل ـ
   2) المرتبة الثانية ـ الأنبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ
   3) المرتبة الثالثة ـ الناس كافة
   4) المرتبة الرابعة ـ الخلق كافة

الفصل الرابع
آليات التواصل ومراتبه

آليات التواصل:

لقد مرّ بنا أنّ التواصل عملية تبادل كلامي، تقوم على مرتكزات أساسية ثلاثة، المبلّغ والبلاغ والمبلَّغ، ولمّا كان أمر التبليغ والتلقي لا يحصل إلا بتناسب السنن وتوافقها بين الأطراف المشاركة في هذه العملية، حتى يصل البلاغ إلى مستواه الدلالي، ويتم الفهم والإفهام بشكل عملي، من دون عدول عن الحقيقة، وخاصة لمن عجز عن إدراك المجرد، كان لابد لها؛ أي عملية التواصل، أن تتوسل إلى ذلك بجملة من الآليات المتنوعة، التي لا يمكن حصرها في عدد معين، كما أنّه ليس بوسعنا أن نستعرضها كلّها، وإنّما نكتفي بعرض بعضها، وسنحاول جهدنا ضبطها في مجالات مخصوصة؛ فهي ليست آليات جاهزة تطّرد مع كلّ موقف، بحكم تنوع أساليب النظم في القرآن وصياغاته، وإن كانت تشترك جميعها في تحقيق التواصل وتفعيله؛ ولأنّها ـ أيضا ـ ليست آليات عادية، كما عهدناها في الخطابات البشرية على مر العصور، والتي وإن وظّفت في هذا الخطاب، فإنّه يستحيل توظيفها في خطاب آخر، بحكم بنائه وتكوينه وسياقه.* ولكنّها جاءت ـ كما سيتضح ذلك لاحقا ـ مجتمعة متشابكة، ذات مستوى واحد، وكونت مزيجا معقدا أريجيا. وكانت كلّها آليات فنية، مستخدمة استخداما تعبيريا راقيا، عبر تمازج وتداخل تركيبي عجيب، يوحي بدلالات كثيرة، وكأني بعملية التواصل غير مسوغة إلا إذا شفعت بالقصص، والأمثال، والحوار والجدال، والسؤال، والحجاج، والبرهان، والإخبار عن الغيب،أو الإخبار عن الماضي وعن الحاضر وعن المستقبل... وفنون أخرى من القول؛ كالتكرار، والتقديم والتأخير، والفصل والوصل، والإظهار والإضمار، والإفراد والتثنية والجمع... وتعدد أساليب النداء والأمر والنهي والتمني والتوكيد والنفي... وغيرها من لطائف التشكيل اللغوي التي تجيء دوما صادقة كاملة تامة لإثارة الانتباه حولها؛ من أجلّ أن تستقر معانيها في القلوب قبل العقول، فتحدث هزّة تنشط مدركات للمبلَّغ وتضاعف تأثره؛ ممّا يعني أنّ مثل هذه الصور تبعث على التواصل بين البلاغ والمبلَّغ، لما تحمله من معان إضافية يلاحظها المبلَّغ في تراكيب العبارات وصياغتها وخصائص نظمها وسياقها.(1)

إنّ استعمال الخطاب لمثل هذه الآليات ـ أو المذاهب أو طرق القول أو مآخذه أو صنوفه أو الأساليب أو الصيغ أو الفنون أو الأشكال أو الصور أو غيرها من المصطلحات التي أطلقها عليها الدارسون القدامى والمحدثون ـ يشير إلى أنّ «حدث الكلام هو حدث (أو نشاط) تحكمه قواعد، يتمّ التعبير عنها بطرق الكلام».(2) ولمّا كان الإنسان مع

(*)إنّ الإنسان إن نجح في توظيف هذه الآليات في موضع ما من خطابه، فإنّه يفشل في كثير من الحالات في توظيفها في مواضع اخرى، وإن تمكّن من ذلك فإنّه لا يستطيع أن يوائم بينها وبين غيرها، وكل الخطابات البشرية شاهدة على ذلك ودليل.

(1) ينظر أحمد جاسم الحسين: مفهوم الصورة في النقد الأدبي، البيان العدد 323 يونيو 1997 ص 30.

(2) ينظر Dell H . Hymes : Vers la compétence de communication p 99

اتساع المكان وامتداد الزمان يعيش ضمن ثوابت إنسانية متعارف عليها تكونه وتميّزه، ولكنّها تجمعه في حالات الجوع والعطش والسخط والرضا والحب والكره... أقول لمّا كان الإنسان يعيش في علاقاته بغيره تباينا، كان لابد أن تتنوع آليات التواصل التي تتطلب أساليب مخصوصة.

وقبل أن نفصّل في هذه الآليات نتساءل: لماذا كلّما حاول الإنسان أن يتواصل أكثر، عقد المسائل وأحدث شروخا في العلاقات وكلّما حاول أن يسهّل صعّب، وكلّما حاول ان يجمع فرّق، وكلّما حاول أن يقرّب بعّد، برغم التقدم الحضاري الذي بلغ أوجه وخاصة في مجال الأجهزة الإلكترونية؟

ولهذا فإن ادعاءات الحضارة الإنسانية بأنّها بلغت شأوا بعيدا في مجال التواصل إدعاءات واهية؛ فهي قاصرة عن بلوغ الهدف المرجو، ما دامت تدور في حقل الفشل التواصلي أو التيه أو الانسداد أو الفقدان أو الضياع... سمه ما شئت، المهم أنّ صيَغ التواصل تغدوروتينية،لا تتجاوز في الواقع حدود الاتصال، ومرد هذا إلى سلوك الأفراد والأدوار التي أسندت إليهم من جهة، ثم إلى وسيلة الاتصال الناقصة من جهة أخرى.[1] وقبل هذا وذاك ان القرآن أتى بطريقة مفردة خارجة عن العادة، لها منزلة في الحسن تفوق به كلّ طريقة، كما يذهب إلى ذلك الرماني.[2] والسؤال البارز الذي يشغلنا في هذا السياق هو هل الآليات الموجودة في البلاغ القرآني وحدها كفيلة بتحقيق نجاعة التواصل فتغني عن غيرها من الإجراءات والأدوات أم هي جزء متمم للتواصل؟

يحمل البلاغ القرآني الآليات نفسها التي عرفت في خطابات العرب وبلاغاتهم، غير أنها اتسمت بالجدة والتطور مع كلّ قراءة، مما أفضى إلى ارتفاع البلاغ إلى مستوى القمة، فما السر في ذلك؟

الآلية الاتصالية:

يقول مصطفى ناصف:« إنّ القراءة العملية مجال رحب لبيان قدرتنا المحدودة أحيانا على التواصل والنمو»؛[3] لذلك كان من الضروري أن تكون الآلية الاتصالية المنطلق الأساسي للتواصل، خاصة وأنّ القرآن الكريم خطاب تكرر فيه الحث على القراءة، كما كان من الضروري أن تستند إلى مجموعة من الممارسات التي تشفّعها وتؤكّد حضورها، ومن بين هذه الممارسات نجد التلقي والتلاوة والترتيل والقول والتفكر والتدبر والذكر والإنباء والإخبار والتفسير والتأويل... ذلك أنّ غائية أو مقصدية الخطاب القرآني كبلاغ تحتاج إلى مثل هذه الممارسات لتخرجها من حيز القول إلى حيز الفعل.

---

(1) ينظر فيلي ساندريس: نحونظرية أسلوبية لسانية ص 186.

(2) الرماني (أبوالحسن علي بن عيسى): النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص 111.

(3) مصطفى ناصف: اللغة والتفسير والتواصل ص 259.

ولئن تكرر الحديث عنها ـ أي الممارسات ـ في إشارات مفصلة وموجزة، فإنها أبقت على مفاهيمها وألفاظها، في تعبيرات ربانية بالغة الدقة، معطوف بعضها على بعضها، في تركيب متميز، وترتيب في النزول؛ للتدليل على أنّ عملية التواصل مرت بمراحل متابعة، وقد فصّلها الغزالي في إحيائه فجاءت على الشكل التالي:

التواصل مع القرآن

فهم أصل الكلام | التعظيم | حضور | التدبر | التفهم | التخلي عن موانع الفهم | التخصص | التأثر | الترقي | التبري القلب

(1) (2) (3) (4) (5) (6) (7) (8) (9) (10)

↓ ↓ ↓

اللسان العقل القلب

↓ ↓ ↓

تصحيح الحروف باللسان تفسير المعاني الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار

(يرتل) (يترجم) (يتعظ)

بيّن الله سبحانه وتعالى لعباده كيف هي عملية الاتصال في آيات كثيرة من كتابه فقال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 186، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ الحزاب ـ الآية 41، وقال: ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ العنكبوت ـ الآية 45، وقال عزّ من قائل: ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ مريم ـ الآية 13، كما أمر فقال: ﴿ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ النمل ـ الآية 28، وقال: ﴿ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ النساء ـ الآية 63، وقال: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ فصلت ـ الآية 34... وغيرها كثير من الآيات الدالة.

والذي يتمعّن في أوامره ونواهيه ـ عزّ وجلّ ـ بخصوص هذه الألفاظ الدالة على الاتصال، يرى أنّها تأتي على الدوام مصاحبة للوعي، وهي ـ أيضا ـ سمة ملازمة للمبلَّغ في جميع أحواله؛ أي أنّه يستغرق في عبادة الله والامتثال لأوامره وزواجره ونواهيه بكل جوارحه ومشاعره، لفهم عظمة الكلام وعلّوه، وفضله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه في نزوله ـ جلّ في علاه ـ إلى درجة أفهام خلقه، بتيسير القرآن للمدكرين، حتى يتم إيصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته إلى أفهام خلقه،[1] وعليه فإنّ الاتصال كما ورد في القرآن هو سرّ بناء الكون؛ لأنّه اتصال يربط هذا الكون بخالقه سبحانه و تعالى.[2]

إن شرط بقاء هذا الاتصال هو تضافر هذه الآلية مع الآليات الأخرى ثم حسن استغلالها بالشكل الذي يكفي لكي تتوطد العلاقة بينها؛ أي بين الآليات، ويتعمق الاتصال ليتحول إلى تواصل «يشترك فيه اللسان والعقل والقلب، فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، وحظ العقل تفسير المعاني، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار، فاللسان يرتل، والعقل يترجم، والقلب يتعظ».[3]

وبهذا يمكن القول إنّ التواصل من حيث هو قراءة وتلاوة وترتيل... بوعي، هو طاقة موزّعة بين المبلَّغ، كلّ وفق قدرته على معانقة البلاغ، وإدراك قصده، وتذوقه جماليا، بوصفه خطابا موجها إليهم، ولأنّ إمكانات التعبير متعددة فإننا نجد الأسماء والضمائر والنداءات... وغيرها ذات صلة مكينة بهذه الآلية، فهي أشبه بالإشارة التي ترسل لتربط الاتصال أو تدخل في تواصل، فتجد لها موضعا بحكم أنّها تثير نشاطا يُقذف إلى المبلَّغ مباشرة فيدرك أنّه المقصود المخصوص بالبلاغ.

الآلية الإخبارية:

استعملت هذه الآلية في أرفع أشكالها، وأروع ظلالها بشكل بارز ولافت للنظر، وقد جاءت لتسهم في الإرشاد، والتربية، والعظة، وأيضا لتثبيت الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومواساته لأداء البلاغ على أكمل وجه. جاءت هذه الآلية على شكل قصة قصيرة، لا تتجاوز حدود الآية الواحدة أو بضع آيات، ولكنّها حية شاخصة، فيها من الحركة والأحاسيس ما جعلها ذات طابع إعجازي كقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾القصص ـ الآية 07، فهذه الآية قد سردت قصة موسى ـ عليه السلام ـ وأمه وأحاطت بحياتهما بأوجز الألفاظ وأدق المعاني؛ فقد تضمنت ـ كما قال الأصمعي ـ

(1) - ينظر أبوحامد الغزالي: إحياء علوم الدين ج 3 ص ص 119 ـ 120.

(2) ينظر الشنقيطي (سيد محمد ساداتي): وظيفة الإخبار فيالأنعام، دار عالم الكتب ـ الرياض ط 3 ـ 1990 ص 57 .

(3) - أبوحامد الغزالي: إحياء علوم الدين ج 3 ص 131.

أمرين ونهيين وبشارتين،[1] مما يعني أنّ هذا النوع من القصص لا يرد بتمامه دفعة واحدة بل يقتصر على الجزء الذي يناسب الغرض الذي تساق القصة لأجله. وكذلك الأمر بالنسبة إلى قصة كلّ من لوط ونوح وإسماعيل وإدريس وذي الكفل وأيوب وزكرياء ـ عليهم السلام ـ فقد ذكرت حياتهم جميعا في سورة الأنبياء، وأفرد كل واحد من هؤلاء بآيتين اثنتين روتا قصته بشكل تام كامل وموجز، وحتى إذا ما نظرنا إلى قصة داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ فقد خصهما الله بخمس آيات وقد توزعت مناصفة بينهما، وعندما نصل إلى مريم ـ عليها السلام ـ نجد أنّه خصّها بآية واحدة وكأن التقسيم الرباني للميراث ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ النساء ـ الآية 11 غير مخصوص بالجوانب المادية وإنّما يتعداها إلى ما هو أثمن.

كما جاءت آلية الإخبار هذه على شكل قصة طويلة مكتملة، مثل قصة يوسف ـ عليه السلام ـ التي وردت في سورة يوسف؛ ففيها حديث عن يوسف وعن أبيه وعن إخوته، وكيف اتفقوا على إلقائه في غياهب الجب، ومن ثمة انتقاله إلى مصر وما لاقاه فيها ـ عليه السلام ـ من أنواع البلاء ومن ضروب المحن والشدائد في بيت عزيز مصر، وعلاقته بالعزيز وزوجه، وتآمرها وبعض النسوة عليه، ودخوله السجن حتى نجاه الله من الضيق والأذى الذي لاقاه من القريب والبعيد بأن منّ الله عليه بالمنزلة المشرفة، فشغل منصب وزير للمالية والاقتصاد... وبالجملة فقد صور القرآن الكريم حياته تصويرا دقيقا، وذكر جميع حلقاتها من دون تكرار في تتابع يؤكّد إعجاز القرآن في المجمل والمفصل، وأبرز الأدوار التي أسندت إلى شخصيات القصة بشكل دقيق وبديع.

وكل أولئك من الرسل والأنبياء، عدا قصة يوسف ـ عليه السلام ـ نلتقي بهم في مواطن أخرى من القرآن الكريم، تسرد لنا موقف كل طرف من الآخر؛ أي موقف الأقوام من الرسل والرسالات وعلاقة الرسل بأقوامهم وما اتسمت به دعوتهم من أسلوب اللين والوداعة والرفق، كما تعرب عن السبل التي سلكوها من أجلّ الدعوة إلى الله عبر الرسالات التي كلّفوا بتبليغها.

تهدف هذه الآلية ـ إذن ـ إلى توصيل حقيقة أنّ الدّين القيّم كلّه من الله من عهد نوح ـ عليه السلام ـ إلى عهد محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنّهم جميعا رسل إله واحد، يعيشون هدفا واحدا مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ النساء ـ الآيات 163 ـ 164 ـ 165، وغيرها من القصص التي حفلت بزخم هائل من فنون التبليغ بالنسبة إلى طريقة عرضها وإدارة حوادثها، ويكفي أن نشير إلى بعضها لكثرتها؛ كقصة خلق آدم التي ذكرت في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ

---

(1) أبوعبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ـ تفسير القرطبي ـ تحق / أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب ـ مصر ط 2، 1372 هـ ج 6 ص 49 -68.

لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ
إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31)
قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ
إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33) ﴾ البقرة ـ الآيات من 30 إلى 33، كما ذكرت في
سورة الحجر ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ الحجر ـ الآية 29 / ص ـ الآية 72، أو قصة عصيان
آدم وزوجه التي وردت كذلك في سورة البقرة ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ
الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ
إِلَى حِينٍ (36) فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38) ﴾ البقرة ـ الآية 35، مثلما وردت في قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ
وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (19) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا
وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا
ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا
عَدُوٌّ مُبِينٌ (22) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ
مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (24) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (25) يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ
التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (26) يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا
لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف ـ الآيات
من 19 إلى 27. وكذلك ما جاء في سورة طه ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (115) وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى
(117) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (119) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى
شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121)
ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا
يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) ﴾ طه ـ الآيات من 115
إلى 124. وقصة فرعون وهامان، وقصة بني إسرائيل وإذلالهم وإهلاكهم... وغيرها من القصص التي اتسمت بخاصية التكرار اللافت للنظر، من غير أن تنال هذه الخاصية من سمو إعجاز القرآن؛ لأنها تكررت بمعنى واحد في وجوه مختلفة وبألفاظ على درجات البلاغة والبيان.

ولئن وجدنا أنّ مثل هذه القصص تكررت أكثر من مرة في أكثر من موضع، فإنّ هذا دليل على استشهاد القرآن بالقصة التي جاءت للذكرى والموعظة، من منطلق قوله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الذاريات ـ

الآية 55. هذه القصة التي هي بدورها تضمنت الأمثال، وهي متضمنة فيها وفي غيرها من الحكم المثلية التي هي مثال لواقع ما، تحدثت عنه؛ فلا تسير إلا إذا كانت مطابقة لهذا الواقع، وصورة صادقة له.

والأمثال كما نصّ عليها اللغويون والمفسرون لها أكثر من مدلول كالشبه والنظير والحجة والآية والعبرة والعظة والقصة ذات الشأن؛[1] وهي جملة من الأقوال التي تبرز المعقول في صورة المحسوس، وتكشف عن الحقائق، وتقرّب المعاني إلى الأفهام، وتعرض الغائب في صورة الحاضر، وتجمع المعاني الرائعة في العبارة الموجزة السهلة، وتثبت المعنى في الذهن، وتدفع إلى الاقتناع بأوجز سبيل. وهي وسيلة من وسائل الوعظ والهداية.[2] وهي خطاب موجّه من الله ـ عز وجلّ ـ للناس كلّهم، فهي تعد وسيلة التوصل إلى ما لا يتوصل إليه بغيرها،[3] وهي من منظور المرزوقي «جملة من القول، مقتضبة من أصلها، أو مرسلة بذاتها، تتسم بالقبول، وتشتهر بالتداول، فتنقل عما وردت فيه، إلى كل ما قصده بها، من غير تغيير يلحقها في لفظها، وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني، فلذلك تُضرب، وإن جُهلت أسبابها التي خرجت عليها».[4] وعليه فإنّ الهدف من ضرب الأمثال هو تصوير المشاهد والحوداث ونقلها من باب الترغيب والترهيب، أو التوجيه والتأديب، أو تبيان طريقة السلوك بأسلوب موجز وعميق وجميل، مباشرأو غير مباشر، وبالتالي فإنّ فاعليتها لا تقلّ قيمة عن القصة وما جرى مجراها.

وللمثل مضرب ومورد، فضرب المثل يعني إطلاقه أو استخدامه في الحالات اليومية المتجددة التي تشبه الحالة الأولى، ويشبه مورد المثل الحالة الأصلية التي قيل فيها ابتداءً. وقد ضرب ﴿ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ إبراهيم ـ الآية 25، وحث على الاستماع لها بإعمال العقل فقال:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ الحج ـ الآية 73؛ لأنّ حجج الله تعالى على الناس بضرب المثل أقرب إلى أفهامهم، ولما لها من أهمية جلّيلة في الصنع والاعتماد، والوضع والجعل، والتمثيل والتبيين، والوصف والذكر، والاتخاذ والإيراد والاعتمال. وانتقى لها من الألفاظ الضرب «لأنه يأتي عند إرادة التأثير، وهيج الانفعال، كأنّ ضارب المثل يقرع به أذن السامع قرعاً، ينفذ أثره إلى قلبه، وينتهي إلى أعماق نفسه»،[5] فإذا قال الله عز وجلّ: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا

---

(1) ينظر ابن منظور: لسان العرب وابن فارس: مقاييس اللغة، والجوهري: الصحاح مادة مثل.

(2) ينظر نخبة من العلماء والباحثين: قاموس القرآن الكريم، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ـ الكويت ـ الطبعة الأولى 1992 ص 157.

(3) محمد جابر فياض: الأمثال في الحديث النبوي الشريف، مكتبة المؤيد ـ المعهد العالمي للفكر الإسلامي ط 1 ـ 1993 ص 26 .

(4) السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر): المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة (د. ت) ج 1 ص 487

(5) محمد عبده ومحمد رشيد رضا: تفسير المنار ـ تفسير القرآن الكريم ـ مطبعة المنار ط 1 القاهرة، 1346هـ ج 1 ص 236.

﴿ يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ الرعد ـ الآية 17 ، فهذا المثل احتكم إلى العقل خاصة. وإذا قال: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾النور ـ الآية 35 فإنّ هذا المثل احتكم إلى النفس خاصة. وإذا قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ النحل ـ 112، فإنّ هذا المثل احتكم إلى القلب خاصة. وهذه الأمثال هنا لا يعني أنّها تحتكم إلى خصيصة واحدة دون الأخرى، وإنما تحظى كلّ واحدة منها بقصب السبق في تلقيها وفي وجود خصيصة واحدة تميّزها أكثر دون سواها، ولكنّها تجتمع جميعها لتؤثر في النفس البشرية؛ لأنّ تأثيرها يتجه مباشرة صوب العقل مثلا أو القلب، إذ من خلال ضرب الأمثال تتذكر العقول وتخشع القلوب لما ورد في البلاغ القرآني من الوعد الحق والوعيد الأكيد، وتتصدع عند سماعه فيتعظ الناس ويؤمنون يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ (26) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (27) ﴾ إبراهيم ـ الآيات من 24 إلى 27، ويقول: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الحشر ـ الآية 21.

وقد جاء المثل على شكل قصة قصيرة جدا مثل قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (10) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (11) ﴾ التحريم ـ الآيتان 10 ـ 11، أو متوسطة الطول كقصة صاحب الجنتين في قوله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (32) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (33) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (34) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (36) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37) لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (39) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (40) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (41) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (42) وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (43) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (44) ﴾ الكهف ـ الآيات من 32 إلى 44، فجلّ هذه الأمثال قياسية ذات سرد وصفي، تستهدف توضيح

فكرة أو البرهنة عليها عن طريق التشبيه أو التمثيل؛ إذ تراوح ضرب المثل في القرآن بين ضربين اثنين: أحدهما يصل فيه المبلّغ إلى المعنى بيسر وسهولة، خاصة وأنّ البلاغ القرآني أشار إليه بصريح اللفظ كاستعماله حرف التشبيه أو لفظة مثل، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ النور - الآية 35. وضرب آخر يصل فيه المبلّغ إلى المعنى من خلال تتبع للمعاني الكامنة فيه، حيث لم يصرّح فيه الخطاب بلفظ المثل أو حرف التشبيه كقوله عز وجل: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ الأعراف - الآية 58. فقد ضرب الله هذا المثل للتميز بين نوعين من القلوب: قلب مؤمن يقبل الوعظ والذكرى فيعمل بمقتضى ذلك محتسبا، هو طيّب وعمله طيّب كما البلد الطيب ثمرها طيب. وقلب فاسق ينبو عن ذلك ويعمل غير محتسب فهو خبيث وعمله خبيث.

الآلية التخاطبية:

آلية التخاطب هي إحدى وسائل القرآن لتحقيق التواصل وتأكيده، شأنها في ذلك شأن الآليات الأخرى؛ إذ تعدّ المنشط الأساس للعقول والمحرّك الأمثل للقلوب. فأمّا الأولى فتتمّ بإقامة الحجة الواضحة وإتمامها على الناس بالإقناع، «عن طريق المقارنة والمقابلة، ليؤكّد أنّ الشيء الذي حدث في الوجود يمكن حدوثه على نفس الصورة مرة أخرى»[1] فالأخلاق والمعتقدات والعبادات والمعاملات هي سلسلة من الأوامر والنواهي والمحظورات التي تشمل الناس جميعهم، والتي لابد أن تخضع للإقناع بالآيات الدالة ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ فصلت - الآية 53، والمجادلة بالتي هي أحسن. وقد جاء هذا في قوله عز من قائل: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ النحل - الآية 125.

وأمّا الثانية فتتمّ بالتأثير بالحكمة والموعظة الحسنة والتواضع؛ كما أمر الله بذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ النحل - الآية 125، وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ آل عمران - الآية 159، وتتمّ - أيضا - بالأداء الفني الجميل، وما فيه من ظلال، والتأثير بسحر البيان من غير إكراه، إذ ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ البقرة - الآية 256؛ لأنّ «ما يهمّ معياريتها هو عقلنة الإرادة الإنسانية بدون عنف أو إكراه»[2].. وهذا ما نجده في كتاب الله «القادر على أن يخاطب العقل والقلب معا بلسان، وأن يمزج الحق والجمال معا يلتقيان ولا يبغيان».[3]

---

(1) محمد علي الجوزو: مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة ص 71.

(2) جان مارك فيري: فلسفة التواصل ص12 .

(3) صلاح الدين عبد التواب: الصورة الأدبية في القرآن الكريم ص 182.

يقول عزّ وجلّ: ﴿ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ النساء ـ الآية 63، فهذه الآية الكريمة التي تبيّن بجلاء تام مقصدنا، تشير إلى الأهمية الجليلة لهذه الآلية، وتكشف إمكاناتها داخل البلاغ وجدواها، وبناء عليه فآلية التخاطب هي جزء من البلاغ بوصفه خطابا عقلانيا موجها إلى الناس كافة؛ لذلك كان من الطبيعي أن يقوم على الحوار، والحجاج، والاستدلال المنطقي، وتقديم البراهين، والجدال... وغيرها من الآليات التي رُصدت لإظهار الحق، وإثبات صدق الرسالة، وعرض الأحكام الشرعية وتوضيحها، وكذلك حتى تفتح مغاليق العقول، وتطمئن القلوب، ويتحقق التأثير في النفوس.

وقد جاءت هذه الآليات جميعها موزّعة في الكتاب كلّه؛ ردا على الأسئلة التي كانت تخصّ البلاغ وتحتاج إلى توضيح ما أشكل فيه على الفهم، كما هو حال من سأل عن الأهلّة، وعن الحيض، وعن الميراث، وعن الزكاة، وعن اليتامى، وعن الحلال والحرام كقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ البقرة ـ الآية 215، وقوله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ المائدة ـ الآية 4، فمثل هذه التساؤلات تدخل تحت إطار السؤال المرغوب فيه، الذي طُرح من أجل تطبيق ما جاء في البلاغ. كما كانت هناك أسئلة ترد على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تباعا لإرهاقه وتعجيزه، فيوحي إليه الله إجاباتها دون تحامل على السائل أو ترذيل له، وإن كان سفيها، بل كان ردّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حكيما منطقيا، لا تعتريه مخاصمة، ممتثلا لأمر ربّه باتخاذ الصبر منطلقا ومنتهى، فهو القائل عزّ وجلّ: ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ يونس ـ الآية 109؛ ذلك أنّ تحلي الرسول الكريم بالصبر يفضي به إلى الرّد من غير فظاظة أو غلظة، وهو بهذا قد بلغ ذروة التحضر السامي في تواصله مع غيره أيا كان، والشواهد على هذا كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (9) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ (10) ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ (11) فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ (12) ﴾ فصلت ـ الآيات من 9 إلى 12، فقد خاطب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الكافرين في هذه الآية بأسلوب لفت به أنظارهم، للتدبّر والتفكّر، وكان ردّه هذا يجيء على شكل حوار تتجلّى فيه قدرة الله وعظمته، كما ورد هذا في الآية الآنفة الذكر، أو يجيء على شكل حجاج؛ كذلك الذي جرى بين الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ والمتجبر النمرود الذي آتاه الله الملك فطغى، لمّا قال له إبراهيم: (رَبِّي الَّذِي يُحْيِي ويُمِيتُ) فقال المتجبر: (أَنَا أُحْيِي وأُمِيتُ) ثم دعا من وجب عليه القتل فأعتقه، ومن لا يجب عليه فقتله، فعلم الخليل أنّه لم يفهم معنى الإحياء والإماتة، أو علم ذلك وغالط بهذا الفعل، فانتقل ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى استدلال آخر أشدّ إفحاما، فلا يجد المتجبّر له وجها يتخلص منه فقال: (فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ) فانقطع المتجبّر، وكان منه ما أخبر الله سبحانه وتعالى به عنه حيث

قال: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ البقرة ـ الآية 258، فالملاحظ هنا أنّ هذا النوع من التواصل العقلاني استلزم موقفا خطابيا نموذجيا ذا بنية لغوية متناسقة ونسبة مساوية في الحديث للأفراد، تؤهلهم لبسط حججهم وتفسيراتهم كما تحدياتهم واعتراضاتهم، وكلّ هذا يستند إلى أخلاقيات المناقشة والبرهنة التي لا تخلو من معايير منطق الخطاب وصفاته؛ كالصدق والصحة والصلاحية والدقة والمسؤولية والمعقولية... مما يؤكّد أنّ الحجاج ما هو «سوى دراسة لطبيعة العقول، ثمّ اختيار أحسن السّبل لمحاورتها، والإصغاء إليها، ومحاولة حيازة انسجامها الإيجابي»؛[1] ممّا يعني أنّ رفض مبدأ البرهنة يعني الانسحاب على الفور من جماعة الكائنات العاقلة،[2] ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ آل عمران ـ الآية 11 من قوم لوط وهود وشعيب وصالح، برغم أنّهم رأوا آيات ربهم ماثلة أمام أعينهم من غير أن يعتريها شك كذّبوا بها ﴿فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ المائدة ـ الآية 71، فهؤلاء وغيرهم ممن سار على خطاهم ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ المدثر ـ الآية 50؛ لأنّ ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ الأعراف ـ الآية 179.

ونجد في القرآن الكريم حوارات أخرى غير بعيدة عن الحوار الذي دار بين الخليل والنمرود، ولا تخلو من حجاج عقلاني سليم وصادق كالذي دار بين موسى وهارون وبين فرعون ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42) ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (43) فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (44) قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ (45) قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ (46) فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ (47) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (48) قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ (49) قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ (50) قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ (51) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى (52) ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (53) كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ (54) ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ (55) وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ (56) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ (57) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى (58) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى (59) فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ (60) قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ (61) فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ (62) قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ (63) فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ (64)﴾ طه ـ الآيات من 42 إلى 64، فمثل هذه الحوارات تشكل اللبنة الأولى للتواصل الصحيح؛ لأنه يلعب دورا مركزيا في بلورة العملية التواصلية، «فبقدر ما يصل المتحاورون إلى الإتفاق يمكن للحوارات عندئذ أن تتواصل وتقترب من الحقيقة، إذ يتخطى الحوار الحقيقي

---

(1) محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، عالم الفكر، العدد الثاني، يناير/ مارس،2000، ص68.

(2) للاستزادة ينظر حسن مصدق: النظرية النقدية التواصلية ص 142 وما بعدها .

الذاتانية والرأي الذاتي للمشاركين. فاللوغوس لا يمكن أن يكون ملكك أو ملكي، بل يبقى مشتركا بين ذاتية المتحاورين، ورهينا بالتذاوت ـ Intersubjectivité، وهو ما يجعل للحوار فاعلية كبرى، تمكّن كلّ متحاور أن يصل إلى رؤية الحقيقة ومن موقعه الخاص به».[1]

وقد يجيء الرّد على شكل حجاج ينقل فيه المبلَّغ من حال التردد إلى حال القبول والانصياع، كما ينقل من حال اليقين فيما يزعم ويدعي إلى الشك فيه، إلى غاية أن يتحول عنه إلى اليقين؛ أي يرجع إلى فطرته من خلال «إنتاج متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها»،[2] مثل قوله تعالى:
﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ (60) قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ (61)
فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ (62) قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ
(63) فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ (64) قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ (65) قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا
حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (66) فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ (67) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ (68) وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ
تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (69) ﴾ طه ـ الآيات من 60 إلى 69، وفي ذات السياق ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟
قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ (81) وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ (82) ﴾
يونس ـ الآيتان 81 ـ 82، فاجتمعت الحجّة القولية الداحضة التي تلفظ بها موسى مع الحجّة المادية التي أيّده الله بها، وأسفرت عن رجوع السحرة إلى الفطرة التي خلقوا من اجلّها ﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ (70) قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ
قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ
عَذَابًا وَأَبْقَىٰ (71) قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ (72) إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا
لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ (73) ﴾ طه ـ الآيات من 70 إلى 73، فهذه الآيات هي نتيجة لما سبقها من آيات بوصفها حججا تخدم النتيجة وتؤدي إليها؛ ذلك أنّ «قوتها ضمن سياق معين تقاس بأهمية التفسيرات المقدمة، ومتانة الأسس التي استندت إليها هذه الأهمية، وتلك المتانة تتجلى أكثر ما تتجلى في قدرة الإنسان الذي ينشر التواصل على إقناع الطرف ـ أو الأطراف ـ المحاور الأخر وكسبه في النهاية»؛[3] مما يعني أنّ القرآن الكريم ليس خلوا من البراهين التي تسمح بتحقيق التوافق بين المشاركين في بناء مشروع تواصلي ما، وفيه يمكن للأطراف الفاعلة في المشروع التواصلي تجاوز ذاتيتهم الأولية المتضمنة في تصوراتهم، والتأكد في الوقت ذاته من وحدة العالم الموضوعي.[4]

---

(1) حسن مصدق: النظرية النقدية التواصلية ص 121.

(2) العزاوي (أبوبكر): البنية الحجاجية للخطاب القرآني ـ الأعلى نموذجا ـ المشكاة، المغرب ـ العدد التاسع عشر السنة الخامسة 1994 ص 125.

(3) عمر مهيبل: إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة ص 355.

(4) ينظر المرجع نفسه ص 354.

إذا فللقرآن مزاجه الخاص في التواصل، فهو حينا يصل طريق الحوار والجدال والحجاج بالرّد على المخاطبين المخاطَبين ومسايرتهم، كالذي جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ (51) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ (52) قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (54) قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ (55) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ (56)﴾ الأنبياء - الآيات من 51 إلى 56، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15)﴾ يونس - الآية 15، وحينا آخر بإقناعهم بما لا يترك مجالا للشك فيما وصلهم كقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ البقرة - الآية 23، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ النساء - الآية 82، أو بقطعه عليهم بتخويفهم كقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ البقرة- الآية 24، وكقوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ الرعد - الآية 13.

ومثلما جاء الحجاج على شكل كلام، موجّه إلى السائل أو المحاجج أو المحاور فقد جاء على شكل سلوك غير لفظي؛[1] كأن يجيء على شكل مكر وكيد؛ كما فعل إبراهيم - عليه السلام - الذي أقسم بالله أن يمكر بآلهة قومه ويحتال في وصول الضر إليها بعد ذهابهم عنها إلى عيدهم، فكسّر الأصنام حتى جعلها فتاتا وحطاما، وترك الصنم الكبير، وعلّق الفأس الذي كسّر به الأصنام في عنقه ليحتج به عليهم، حيث قال جلّ جلاله: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ (57) فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58) قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (59) قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ (60) قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (61) قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ (63) فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (64) ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ (65) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ (66) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (67)﴾ الأنبياء - الآيات من 57 إلى 67، أو يجيء على شكل صبر وهجران جميل، مثلما جاء في قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ المعارج - الآية 5، وقوله: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ المزمل - الآية 10، أو على شكل دلائل وعلامات كالرجلّ الصالح الذي أماته الله مائة عام ثم أحياه، وأبقى على شرابه وطعامه على حالهما وكيف صار حماره هيكلا من البلى، فقد قال تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل

---

(1) ينظر العزاوي أبوبكر: البنية الحجاجية للخطاب القرآني -الأعلى نموذجا - المشكاة، المغرب - العدد التاسع عشر السنة الخامسة 1994 ص 125.

لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ البقرة ـ الآية 259...

إنّ البحث عن الحقيقة واطمئنان القلب لها مثلا يفترض وجود حلقة كاملة من الأحكام والبراهين والحوارات والمجادلات والحجاج، إذ من الضروري بمكان بالنسبة إلى بعض المبلّغين الإطلاع عليها، ومعرفة الصائب منها من المزيف، من دون إقصاء لأحدها أو هروب من مواجهتها أو تسفيهها؛ إما جهلا أو تجاهلا لها، بالاستعلاء عليها كما هو الشأن بالنسبة إلى قوم هود ـ عليه السلام ـ ومن سار على دربهم، إذ يقول عز وجلّ: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ الأعراف ـ الآية 66، وكان ردّه ـ عليه السلام ـ أن ﴿ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ الأحقاف ـ الآية 23، وهم لا يختلفون عن قوم نوح وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات... فهم مثلما ذكرهم القرآن الكريم في توصيف دقيق فقال: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ النمل ـ الآية 14.

إذن فقد استند دفع الناس إلى الاعتراف بالحقيقة التي وردت في البلاغ واستمالتهم نحوها، وإقناعهم بها، إلى هذه الآلية التي هي لب التواصل، وقد وردت بكثرة، مرغوب فيها، لتعني أنّ التعبير أيا كان نوعه، لفظيا أو سلوكيا، يشير إلى قدرة الخطاب على توجيه المبلّغ فكرا وعاطفة وسلوكا، من دون قسر أو إجبار، عبر مسارات استدلالية قضت على طعون المكذبين، وهو الأمر الذي عرف عند بعض الدارسين بـ "العقلانية التواصلية" التي تسعى إلى ضبط علاقة الفرد بالآخر ضمن إطار أخلاقيات المناقشة والحوار القائم على المساواة، وهي في الوقت ذاته تكفل شروط التفاعل السليم والحوار المتبادل... وتحدد الشروط السليمة والكفيلة بامتحان مصداقية ومعيارية أي خطاب يدّعي لنفسه الصلاحية على ما عداه من الخطابات.[1] وبالتالي تشعّب مفهوم الحجاج تبعا لتشعُّب مجالاته، «وتعدّد استعمالاته، وتباين مرجعيّاته: الخطابة، الخطاب، القضاء، الفلسفة، [...] ويستمد معناه وحدوده ووظائفه من مرجعيّة خطابية محدّدة، ومن خصوصية الحقل التواصلّي الذي يندمج مع استراتيجياته [...] ولا غرابة والحالة هذه أن هناك حجاجًا خطابيا (لسانيا)، وحجاجًا خطابياً (بلاغيا)، وآخر قضائيا أو سياسيا أو فلسفيًا...».[2]

وبلاغ الله ـ عزّ وجلّ ـ لم يكن ادعاء أو اختلاقا أو افتراء، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ الزمر ـ الآية 23، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ النساء ـ الآية 82، وقوله تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ الطور ـ الآية 34، وقوله تعالى:

---

(1) للاستزادة ينظر حسن مصدق: النظرية النقدية التواصلية ص ص 119 ـ 120.

(2) أعراب (حبيب): الحجاج والاستدلال الحجاجي ـ عناصر استقصاء نظري ـ عالم الفكر، الكويت، العدد الأول سبتمبر 2001، ص ص97 ـ 98.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ الأحقاف ـ الآية 4.

ومثلما أنصف القرآن الكريم نفسه بالحجج البالغة والبراهين الساطعة والآيات الواضحة، فإنه في المقابل أنصف كلّ متكلّم مبلّغ وأشار إلى خطاباته التي تراوحت بين صدق قوله أو بطلانه، من ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ يس ـ الآية 20، وقوله: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ المائدة ـ الآية 83، وقوله: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ القصص ـ الآية 20، وقوله: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة ـ الآية 40... فهذه الآيات فيها إنصاف من لله وعدل لمن كان لهم يد في الدعوة إلى الله، فهو جلّ جلاله لا يُغفل من قول الإنسان وعمله مثقال ذرة، ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فـ ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ لقمان ـ الآية 16.

ومثلما شارك هؤلاء بالكلمة الطيّبة في تصحيح المفاهيم، وتوجيهها نحو الرشاد والهدى لتحقيق صلة الوصل، بالاستجابة للرسل وعبادة الله وحده، فإنه في المقابل عمل بعض مرضى النفوس من الكفار والظالمين على نشر الأباطيل وتزييف الحقائق ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ البقرة ـ الآية 111، ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 80، و ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ آل عمران ـ الآية 183، ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ المائدة ـ الآية 18، وقوله: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ النور ـ الآية 15، فمثل هذه الآيات جاءت مصحّحة مؤدّبة لأفكار العصاة، ومكذّبة لكلام المضلّلين من الكفار.

هو ذا الأسلوب الحضاري التواصلي الذي كان يديره الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أرقى صوره، حتى لا يحاسب الله أحدا من خلقه إلا بعد أن تقوم عليه الحجة، وهذا ما وسّع نطاق التواصل، وكثّف طرقه ونوعها؛ بين تواصل عقلاني ذاتي فردي كالذي نستشفه في هذه الآية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ (77) فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ (78) إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ (79)﴾ الأنعام - الآيات من 75 إلى 79، إلى تواصل عقلاني ثنائي كما جاء في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا (32) كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا (33) وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا (34) وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا (35) وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا (36) قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا (37) لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا (38) وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا (39) فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا (40) أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا (41) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا (42)﴾ الكهف - الآيات من 32 إلى 42، فالملاحظ هنا أنّ التواصل ورد على شكل حوار، وهو لم يتجاوز طرفين اثنين لا أكثر، وآخر متعدد تغلّب عليه طابع الجدال بنوعيه وصنفيه؛ فأما الأول فهو الصنف الحسن المرغوب فيه، ويكون فرديا، كقوله: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ المجادلة - الآية 1، وجماعيا كقوله: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ النحل - الآية 125. وأما الثاني فهو الصنف المرغوب عنه وقد ورد في المفرد كقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ لقمان - الآية 20، وفي الجمع كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ غافر - الآية 35. وكلّها تقوم على «الحوار المتبادل في مظهره العقلاني، المقرون بسياق لغوي تداولي، يعتمد البرهان وأسلوب المحاججة»،[1] ويحافظ كلّ أسلوب على خصوصيته؛ فلا الجدال قادر على أن يحلّ محل الحوار، ولا الحوار بدوره قادر على أن يقوم مقام الحجاج.

الآلية الحسية:*

هذه الآلية لا تقل نهوضا بمقتضيات التواصل عن الآليات السابق ذكرها، إن لم تجاوزها في ذلك درجات، فهي تسهم بشكل مباشر في ضبط مفهوم التواصل، بل على أساسها يقوم التواصل؛ ذلك أنّ تلقي الخطاب يستند أولا إلى السمع ثم البصر، متخطيا منطقة الحواس إلى العقل، ليصل مباشرة إلى القلب، وكلّ هذا من أجل الانتهاء إلى المتلقي المبلَّغ؛ العبد المؤمن بما أُنزل الله عليه من ربّه أو العبد الكافر الذي رفض هدي ربه؛ لأنّ النفوس على اختلافها ترتاح إلى

(1) حسن مصدق: النظرية النقدية التواصلية ص 126.

(*) الإحساس إدراك الشيء بإحدى الحواس، فإن كان الإحساس للحس الظاهر فهوالمشاهدات، وإن كان للحس الباطن فهوالوجدانيات، وهذه كلها مجتمعة في القرآن الكريم. ينظر الجرجاني (أبوالحسن علي): التعريفات ص17 .

مخاطبتها بالحسّ، فهو أول وسائل المعرفة وأهمها لديها.[1] لكن هل من علاقة بين حاستي السمع والبصر وبين العقل والقلب؟

إنّ القرآن الكريم في كلّ آية يطرح قضية السمع، ولا أدل على ذلك من أنّ أول سورة أنزلت سورة اقرأ التي اقتضت إعارة السمع للوحي كي يتلقى الخطاب بالصورة المطلوبة وما يزيد هذا تأكيدا ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ طه - الآية 114، حين ذاك يتمكن المتلقي المبلّغ من قراءة ما استمع إليه.

ولم يكتف السمع بنقل البلاغ من مبلِّغ إلى مبلَّغ فحسب، وإنّما اختص - أيضا - بنقله من الأذن إلى القلب ومن ثمة إلى العقل، ولذلك قدّم السمع على البصر. كذلك فقد أثبت علم الأجنة أنّ جهاز السمع يتطور جنينيا قبل جهاز البصر، ويتكامل وينضج حتى يصل حجمه في الشهر الخامس من حياة الجنين إلى الحجم الطبيعي له عند البالغين، في حين لا يتكامل نضج العينين إلا بعد ولادة الجنين، ولذلك يبدأ الجنين بسماع الأصوات وهو في رحم أمه وبالتحديد في الشهر الخامس من حياته الجنينية، ولكن لا يبصر النور والصور إلا بعد ولادته،[2] ويكفينا بيانا قوله تعالى:﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ الزمر - الآية 6.

ثم إنّ الذي يتمعن في آيات القرآن يجد ترادفا عجيبا بين السمع والبصر، وبين العقل والقلب، وممّا يؤكّد هذا قوله تعالى على سبيل المثال: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ الملك - الآية 10، حيث ذكر حرف العطف أوْ الذي يأتي بمعنى الشك أو الإباحة أو التخيير أو الإبهام أو بمعنى الواو العاطفة المقتضية للتشريك... وهو هنا يدل على أنّ السمع يعمل عمل القلب والعكس، أو أنّ إعمال السمع يقتضي إعمال العقل لفهم مقاصد الدعوة والعمل بها، كما تظهر أهمية عمل القلب والعقل وعمل حاستي السمع والبصر عندما يورد ذكرها مجتمعة في آن معا في أكثر من آية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ق - الآية 37، وقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ الإسراء - الآية 36.

والذي يدقق النظر في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ الأنعام - الآية 46، يجد أن هذه الأجهزة كلها من سمع وبصر وقلب تذكر في صيغة واحدة بهْ ولم يقل بها، وفي هذا إشارة صريحة إلى أنّها تمثل شيئا واحدا. وكذا قوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الأعراف - الآية 100، فقد أوكل مهمة السمع إلى القلوب، وأيضا قوله سبحانه: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ الحج - الآية 46، فقد أوكل مهمة البصر للقلوب... وغيرها كثير من الآيات التي تصبّ في هذا الغرض، ولا يسعنا

(1) محمد زغلول سلام: النقد العربي الحديث - أصوله، قضاياه ومناهجه - مطبعة المعرفة - القاهرة 1964 ص 62.

(2) عاطف المليجي: من روائع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم الطبعة الرابعة 2004 ص 118 .

ذكرها كلّها في هذا المقام، مما يستوجب تضاما بين هذه المدركات الكلّية التي اندرجت تحتها جزئيات رئيسة عملت على تحديد قدرات التواصل.

أ- إعمال السمع والبصر:

تعد هاتان الجزئيتان أولى مداخل الإدراك لتلقي البلاغ، فهما حاستان ذهنيتان مرتبطتان بمجال الوعي، على اعتبار أنّ القرآن استعملهما في نطاق التواصل، كما استعمل البصر رديفا للسمع، فما أن ذكر السمع حتى اصطحب معه البصر؛ لأننا «نعلم أنّ المشاهدة تؤثر في النفوس مع العلم بصدق الخبر»،(1) «ولوكان استماع الأذن مغنيا عن مقابلة العين مجزئا عنه لما تكلّف القائل ولا كلّف صاحبه الإقبال عليه والإصغاء إليه»،(2) كما هو الشأن بالنسبة إلى الرسل الذين أمروا بالذهاب إلى أقوامهم ومخاطبتهم وملوكهم ومحاورتهم مثل قوله ـ سبحانه ـ ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾ طه ـ الآية 42 ـ 43، وقوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴾ الفرقان ـ الآية 36. وتجاوز السمع ذلك بأن صار مرادفا للحياة؛ فالذي يقرأ قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾ فاطر ـ الآية 22، وقوله: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ الأنعام ـ الآية 36، يتجلّى له ذلك، وتظهر له أهمية إعمال سمعه وبصره.

إنّ مفهوم السمع والبصر ليس مجرد صوت ينقل إلى الأذن، وصورة تتجلّى للنظر على التوالي، وإنّما يحيل كلّ منهما إلى أعمال ملموسة، يدركها العقل ويحركها القلب، ولا يتأتى هذا إلا إذا كان النظم سويا والتأليف مستقيما، فيكون وصول المعنى إلى القلب تِلْوَوصول اللفظ إلى السمع.(3) ومن هذا المنطلق فإنّ كلا من السمع والبصر يمهدان بحق لتهيئة الجو النفسي الانفعالي الذي يثار بين أطراف التواصل، ويمثلان نقطة الانطلاق لتحديد الأدوار والأعمال التي أسندت إلى المبلّغ؛ ذلك أنّ المزية «ليست لك حيث تسمع بأذنك، بل حيث تنظر بقلبك وتستعين بفكرك، وتُعمل رويتك، وتراجع عقلك، وتستنجد في الجملة فهمك».(4) وحسبنا في هذا المقام أن نورد ما روي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنّه قال: «أعطوا أعينكم حظها في العبادة» قالوا: وما حظها في العبادة؟ قال: «النظر في المصحف والتفكّر فيه والاعتبار عند عجائبه».

---

(1) الجرجاني: أسرار البلاغة، تحق / محمد عبد المنعم خفاجي، عبد العزيز شرف، دار الجيل ـ بيروت ـ ط1، 1991 ص 105.

(2) ابن جني: الخصائص ج 1 ص ص 146 ـ 147 .

(3) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ص 271 .

(4) المصدر نفسه ص 51.

ب- إعمال العقل والقلب:

يرتفع القرآن بهاتين الجزئيتين أيما ارتفاع حتى يجعلهما جوهر الإنسان؛ لأنهما «مركز الإيمان ومحل الكفر»،[1] فقد احتكم القرآن إليهما لتأكيد حقيقة البلاغ من خلال توزيع الأدوار عليهما ، فحث القلب على التبصر والنظر والتدبر، وكذا أمر العقل، على اعتبار أن البصيرة قوة للقلب المستنير بنور القدس. يرى فيها حقائق الأشياء وبواطنها بمنزلة البصر للنفس، يرى به صور الأشياء وظواهرها، وهي التي يسميها الحكماء العاقلة النظرية والقوة القدسية؛[2] إذ تزداد بصيرة القلب كلّما أعمل الإنسان عقله ليدرك فاسد الأشياء من صالحها، وعاش يتأمل البلاغ ويتفكر، ويذكر لله قائما وقاعدا وراقدا على جنبه، فاقترن دورهما، أي العقل والقلب، بعضهما ببعض، وفاق بقية الجزئيات. ويجوز لنا أن نعتبرهما حياة الإنسان؛ لأنه بإمكان الإنسان أن يستغني عن السمع والبصر، ولكنّه يستحيل عليه التخلي عن عقله أو قلبه، حيث إنه إذا فقد عقله سقط عنه التكليف، وإذا حرم قلبه قطع عنه التواصل وأقفل، كما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ محمد - الآية 24، لذلك كان لصوت العقل والقلب قدرة خارقة على ولوج عالم البلاغ.

ولا يفوتنا هنا أن نؤكّد مرة أخرى على التعالق الوشيج بين القلب والعقل، إذ يرجع استحسان البصير لجواهر الكلام إلى أمر يقع من المرء في فؤاده، وفضل يقتدحه العقل من زناده،[3] مثلما أخبر تعالى عن ذلك بقوله: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾ الحج - الآية 46، وكلّ هذا موقوف على أن يكون قليل المعنى يغني عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه.. فإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا، وكان صحيح الطبع، بعيدا من الاستكراه، ومنزها عن الاختلال صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة.[4]

إنّ القرآن بلاغ يتوجه إلى العقل والقلب؛ لأنّهما وسيلتا التفكير والتدبر للوصول إلى النتائج، والعقل كما ورد ذكره في القرآن هو أسمى ما في الإنسان، لأنّه به يفرق عن الحيوان ويتميز، وبه يعقل ويكشف أسرار المعرفة ليؤمن إيمانا يقينيا، «فالعقل ميزان صحيح وأحكامه يقينية لا كذب فيها، كلّ ما في الأمر هو أن لا نستعمل هذا الميزان لنزن به ما ليس من موزوناته كالتوحيد والآخرة والنبوة».[5]

(1) محمد علي الجوزو: مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة ص 203 .

(2) الجرجاني (أبوالحسن علي): التعريفات، ص 50.

(3) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة ص 3.

(4) ينظر الجاحظ: البيان والتبيين ج 1 ص 83.

(5) ابن خلدون: المقدمة ص 825.

أما القلب فهو وعاء الرسالة؛ مما يعني أنّه أُعطي من الثروة العلمية الربانية ما يفوق علم البشر؛ ألا وهو كتاب الله[1] الذي يقول فيه: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾ التكوير ـ الآية 23، والأفق المبين، تفسيرا، مطلع الشمس من قبل المشرق، وقيل: أقطار السماء ونواحيها. أما تأويلا؛ فهو نهاية مقام القلب.[2]

ولئن كان كلّ من السمع والبصر والعقل والقلب يسهم في إيجاد صيغة للتواصل، فإنّ هذه الآليات الحسية قد تصاب بالفساد، فلا يتم التواصل ولا يصل. ونحن هنا لا نعني إصابة هذه الأجهزة على المستوى الفيزيولوجي وتعطلها، ولكنّ الأمر متعلق بصمم الآذان وختمها، وعمى الأبصار وغشاوتها، والطبع على القلوب وإقفالها من قبل الإنسان نفسه، فلا يقبل تلقي الرسالة، ويعمل على تعطيل أجهزته، التي منّ الله بها عليه في نسق فريد دقيق يجعل منه إنسانا بحق، فهو ممن يسارعون في الكفر بعد أن اضطربت نفسه، وضاق صدره، ونفر من صوت الحق جحودا ونكرانا، فكان كالدواب والأنعام والكلب والحمار والحجر... إنّه ممن قال عنهم جلّ جلاله: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ الأعراف ـ الآية 179، وقال: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ الأنفال ـ الآية 22، وقال: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 74، وقال ـ أيضا ـ: ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾ المدثر ـ الآية 50، كما قال: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الأعراف ـ الآية 176، فهو يتخذ كلّ هذه الصفات ومثيلاتها، عدا أن يكون إنسانا؛ لأنّه غلّق على قلبه وعقله وسمعه وبصره، فكان من الغافلين الخالدين في جهنم.

وفي المقابل نجد إنسانا سويا يؤمن بأنّ كلّ ما في الكون سُخّر له بما فيه هذه الأجهزة، إذ سبحانه ما خلقها باطلا، لقد سمع نداء ربّ العالمين فكان من الذين يسارعون إلى الإيمان، بعد أن اطمأن قلبه وانشرح صدره، وبهذا كان إنسانا عاقلا أعمل كل جزئية فيه قبل أن تشهد عليه، وكانت له عقبى الدار فهو ممن قال عنهم جلّ جلاله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ آل عمران ـ الآية 191، وقال: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ الزمر ـ الآية 22، وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ الرعد ـ الآية 28، ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الأنفال ـ الآية 2، فهذه الحالات التي تنتاب الإنسان يصورها القرآن تصويرا دقيقا بارعا.

---

(1) ينظر محمد علي الجوزو: مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة ص 210.

(2) ينظر الجرجاني (أبوالحسن علي): التعريفات ص 36 .

تأسيسا على ما سبق ذكره، يتضح لنا أنّ الاستجابة تتم من قبل الذين يسمعون كلام، ويبصرون آياته، ويتدبرونها بقلوبهم، ويتفكرون فيها بعقولهم، يستعينون بهذه المداخل التي زودهم الله بها، وجميعها؛ أي السمع والبصر والعقل والقلب، يمثل نسقا متكاملا يشكّل الأداة التواصلية التي تبحث عن جمالية تهادن القلب، وتضبط العقل، وتحرّك الحواس لتكون أليق بهذا الخطاب العقلاني، فليس عبثا أن يذكّرنا الله تعالى بالعقل ومكانته، والسمع وضرورته، والبصر ونفعه، والقلب وقيمته؛ لأنّ النفس تزداد خشوعا بالذكر الذي دعا إليه الله، والروح تزداد غنى بالنظر، والعقل يزداد إدراكا بالتدبر والتفكر، وهي الأمور التي دعا الله إليها وحثّ عليها كثيرا.

آلية الإنجازية:

تستكمل هذه الآلية الآلية الحسية، حيث لا يتوقف دورها عند حد التلقي وتحديد الأدوار المنوطة بكل جزئية ـ كما سبق ذكره ـ؛ بل تتعدى ذلك إلى أن تجعل منها (الآلية الحسية) آلية لها حيزها الخاص بها، على اعتبار جدوى إعمال السمع والبصر، وإعمال العقل والقلب من دون فاعلية لا تكاد تمثل شيئا في تحقيق التواصل الفعلي ما لم تكن في المقابل آلية الإنجاز التي تمدّ الآلية الحسية بمسحة إعجازية. وعليه تصير آلية الإنجاز رديفة لسابقتها، أي الآلية الحسية، وفي الوقت ذاته الإجراء اللغوي الأخير.

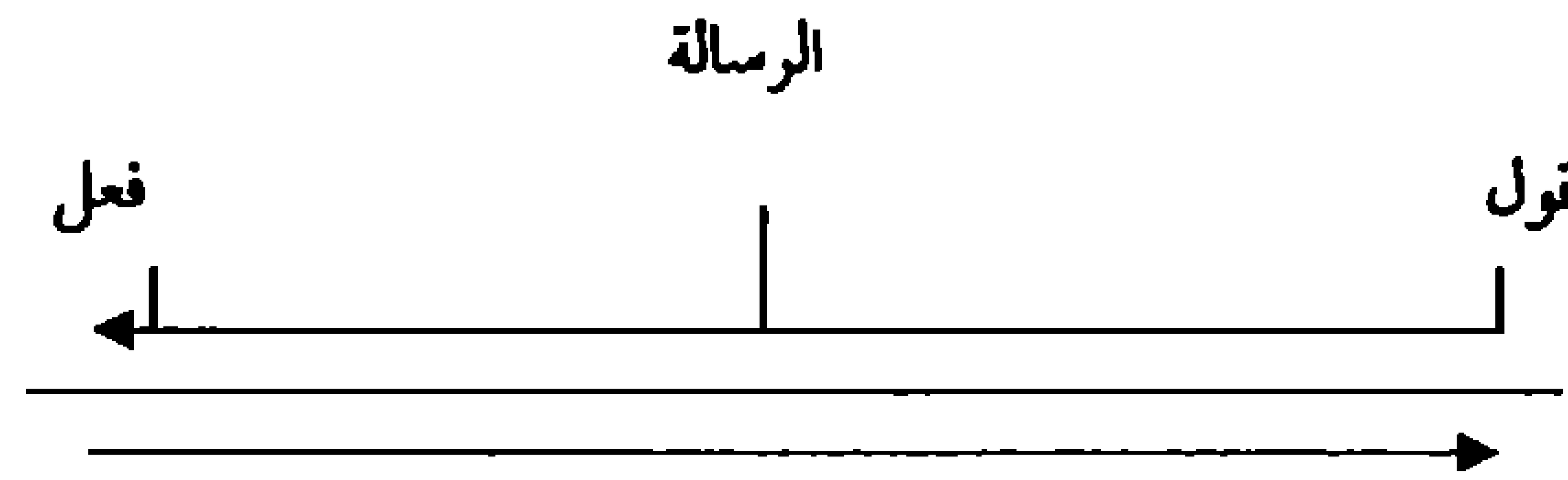
تمثل ثنائية القول/ الفعل مبدأ رئيسا في هذه الآلية، لما تبرزه من انسجام كبير مع استراتيجية التواصل، ومن حيث إنّها تتكامل بعضها مع بعض مشكّلة انسجاما ألح عليه البلاغ في أكثر من موضع، فلا يقتصر على مجرد التلقي بل لابد له من أن يكون مشفوعا بالفعل الذي تتمظهر فيه أعمق صور التواصل وأجلّها؛ إذ «كما يكون البيان بالقول يكون بالفعل»،[1] فالفعل متمّم للقول مكمّل له. كما أنّه «لم يضيّع امرؤ صواب القول حتى يضيّع صواب العمل»؛[2] أي أنّ صواب القول يفضي حتما إلى صواب العمل.

وتجدر الإشارة إلى أن الفعل هو جزء من العمل؛ حيث اقترن الفعل بتحديد نوعه كقوله تعالى: ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ البقرة ـ الآية 68، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ الأنبياء ـ الآية 73، وقوله عزّ من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الحج ـ الآية 77، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ المنافقون ـ الآية 9، وقوله جلّ جلاله: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ الشعراء ـ الآية 19، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ الفرقان ـ الآية 68. أمّا العمل فقد ورد في المطلق العام، ويتضح هذا في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

(1) عمر سليمان الأشقر: الرسل والرسالات ص 44.

(2) الجاحظ: البيان والتبيين ج 2 ص 197.

الأنعام ـ الآية 108، وقوله: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ الأنعام ـ الآية 132، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ التوبة ـ الآية 105، هذا فضلا عن صيغ الأمر المباشرة التي ورد ذكرها في البلاغ كالأمر بالصلاة والزكاة والصيام والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا قولا فحسب وإنما عملا أيضا... وغيرها من الألفاظ والعبارات والآيات التي تندرج ضمن الأحكام والأوامر والنواهي، وبهذا يكون التواصل قائما على القصدية؛ إذ لم يخلق الإنسان عبثا وإنّما من أجلّ عبادة الله الواحد مصداقا لقوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ المؤمنون ـ الآية 115، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 21، وقد تجلّت هذه القصدية في الفعل الذي يتبع القول لتبدو العملية على النحو التالي:



وبالتالي تمارس هذه العملية على شكل منبه ورد فعل، تتعاظم فيها التفاعلات وتؤدى الوظائف على الوجه المطلوب ليس من أجلّ الامتثال فقط، ولكن من أجلّ التقييم والتقويم أيضا، فتتغير السلوكات وتتغير المعاملات أو تتعمق؛ لذلك كان الوحي ينزل على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيئا فشيئا، ثم يبيّنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من غير نقصان ولا زيادة ولا تبديل، بمقتضى ما جاء في البلاغ من محاور تحمل صفة الأسس العامة «التي تحتاج إلى تبيين ما أجمل منها، أو توضيح ما أشكل فيها على الفهم، أو تخصيص ما هو عام، أو تقييد ما هو مطلق، أو شرح ما هو موجز، أو بسط ما هو مختصر».[1] ولا يعرض هذا شفويا على المنابر أو المقابلات أو ردا على الاستفسارات والتساؤلات فقط، وإنما يتخطى الأمر هنا إلى اللجوء إلى وسائل أخرى، أهمّها التطبيق الحرفي مثلا للرسول الكريم لما ورد في البلاغ، ودعوته إلى الامتثال للأوامر الإلهية بالأخذ عنه وجعله قدوة مع عدم إجبار من يدعوهم على العمل، بقطع النظر عن وسائل كثيرة لجأ إليها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لتبليغ دعوته كـ «عرض نفسه على القبائل العربية الوافدة إلى مكة، للحج أو العمرة أو التجارة، كما كان يحرص على حضور الأسواق، خاصة في المواسم والأعياد»[2] .. وبصورة مجملة فقد كانت أعماله تعكس ما جاء في البلاغ من تعاليم وأوامر ونواه، وحسبنا قول عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ في وصفها لشخص الرسول الكريم كان قرآنا يمشي على الأرض.

(1) إحسان عسكر: وظائف التبليغ القرآني ص 528.

(2) عبد العزيز شرف: الأدب الإسلامي ـ المفهوم والقضية ـ دار الجيل بيروت ط 1، 1992 ص 233.

وعلى هذا الأساس تخطى البلاغ الخطاب بالقول إلى الخطاب بالفعل، لكن هذا التخطي لا يعني التخلي عن القول، ولا أدل على ذلك من أنّ الأمر بالقراءة والتلاوة والترتيل والقول والإبلاغ والبيان والتفسير... وغيرها، وكلها تدل على الخطاب بالقول، لم تحدد لها صلاحية، وإنّما هي مستمرة دائمة، بل هي من مستلزمات العبادة التي لا غنى عنها في تحقيق الإتصال بين العبد وربه، فلا يمكن العمل من دون الرجوع إليها. وفي الوقت ذاته لا تخرج هذه الألفاظ الدالة على الخطاب بالقول عن إطار الخطاب بالفعل، خصوصا وأنّ البلاغ القرآني أبان أنّ التواصل مع الله ومع الأطراف الأخرى من العملية التواصلية يكون بأكثر من طريقة، فقد يكون بالدعاء والقراءة والتلاوة والصدق والسمع والحوار والصبر والحمد والشكر والموعظة والتدبر والتفكر والقص والإنباء والدعوة والتبليغ والسؤال والجدال والعهد والوصية... كما يكون التواصل بالركوع والسجود والنحر له والرفق والرحمة والإحسان والصدقة والإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... وغيرها من الطرق القولية والفعلية بما فيها من السعة والثراء، ولذلك بدل أنّ نقول مثل الحكماء: إنّ الإنسان مدني بالطبع، يمكن القول: إنّ الإنسان تواصلي بالطبع؛ لأنّه في كلّ حركة من حركاته، وفي كلّ سكنة من سكناته لا يكف عن التواصل مع نفسه ومع غيره، إذ التواصل هو الأصل في التعايش.

إنّ مقاربة بسيطة لبعض الألفاظ على كثرتها وتنوعها، أفضت إلى أنّه يستحيل الفصل بين لفظ وآخر حينما يتعلق الأمر بمحاولة تحديد مساره، أيندرج في الخطاب القولي أم الخطاب الفعلي؟ وكشفت أنّه ذوقيمة مزدوجة أو ذوطبيعة ثنائية، فالقراءة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾القيامة ـ الآية 18 أمر يستوجب الفعل وهذا بالاتباع، وبالتالي فهي عبارة عن جملة إخبارية إنجازية؛ لأنّها، من خلال مدلولاتها، متعلقة بالقول [أي التلفظ] والفعل [أي الأداء]. وكذا الشأن بالنسبة إلى السمع والبصر والتفكر والتلاوة والترتيل... كلّها أمور تستدعي إنجازا فعليا يحققها، يضاف إليها الحوار والحجاج والتفصيل والبيان فهي مواد مرتبطة بالإقناع والتأثير والتوجيه بالوسائل العملية.

ولوتتبعنا ما جاء في القرآن في هذا السياق من ألفاظ ورحنا نتلمس فيها هذا الجانب القولي الفعلي لرأيناها تنطلق من جانب إلى آخر لترتد إليه مرة أخرى، فننتهي إلى القول: إن اللفظ القولي منقاد إلى اللفظ الفعلي، ثم يخالجنا شعور أنّ المسألة عكسية حيث ينقاد اللفظ الفعلي إلى لفظ قولي... وهكذا. وعليه فإنّ "بنية اللغة إذا نظرنا إليها من الوجهة اللسانية التداولية فإنها تصبح عبارة عن نظام من السلوك".(1) وهذا التميّز نراه في الصلاة مثلا؛ لأنّها تعدّ خطابا قوليا فعليا، فألفاظ القرآن الدالة على التواصل كلّها خطاب قول وفعل لأنّها سبيل إلى تجسيد التواصل الذي دعا إليه الله عز وجلّ من الفاتحة إلى الناس.

كما تستمد هذه البنية الخطابية حضورَها من مجموع الخطابات المشكّلة من ألفاظ دالة على دواعي البلاغ وجدواه. وبتعبير أكثر دقة الأمر بطاعة الله ورسوله أمر بطريق التكليف العملي، فإذا قال الله عز وجل: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ

---

(1) فويدر شنان: التداولية في الفكر الأنجلوسكسوني ـ المنشأ الفلسفي والمآل اللساني، مجلة اللغة والأدب، العدد 17 جانفي 2006 ص 12 .

﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾ النور ـ الآية 54، فإنّها تشمل هذا الكلّ المتكامل من الأمر والنهي على حد سواء، وبالتالي فإنّ دور المبلّغ لا يقف عند حدود الإعجاب والدهشة، أو القراءة والسماع، ولكن يتعدى إلى ما هو أجلّ: الفعل؛ مما يعني أنّ التواصل مرصود للانتهاء إلى المبلّغ بقناة تجمع بين القول، سواء أكان شفويا أم كتابيا، وبين الفعل العملي، لذلك كان من الضروري تجهيز هذه القناة بكل ما هو مناسب كاللسان السليم والتعبير المثالي والمستوى الفكري الراقي، كما أنه من الضروري بمكان إمدادها بكثير من الأخلاقيات والسلوكيات والأعمال والإيماءات التي تصاحب التلفظ أو تعقبه، مما يفضي إلى القول «لا وجود لتواصل لساني صرف أبدا».[1]

وتتسع هذه الإشكالية لتمس بشكل مباشر كلّ الآليات الآنفة الذكر واللاحقة؛ إذ نظرة بسيطة على بعض آيات الذكر الحكيم تظهر أنّ آلية الإنجاز موصولة بآلية العقل متوقفة عليها باعتبار أنّ «العقل منوط بمسؤولية العمل.. فإذا وجد العقل وجد التكليف، وإذا فقد العقل سقط التكليف»،[2] وأيضا فإنّها موصولة بآلية السمع والبصر، ومن ثمة بآلية التخاطب والاتصال، وما يؤكّد هذا قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ص ـ الآية 29، ففي هذه الآية إيصال واتصال باستعمال جميع الآليات؛ إذ فيها إيصال البلاغ الذي أنزله الله، ثم اتصال به عن طريق التدبّر باستعمال السمع والأبصار والعقول والقلوب، وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ البقرة ـ الآية 197، دعوة صريحة لذوي الألباب إلى العمل وفعل الخيرات. وأما قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ الزمر ـ الآية 18، ففيه تجتمع الآليات جميعها وتشترك، لتؤكد حضورها ودورها الفاعل في أكثر من آية، مثل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ يوسف ـ الآية 109، وقوله: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ الحج ـ الآية 46، وقوله: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ الإسراء ـ الآية 36. وإذا جئنا إلى قوله جلّ جلاله: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ المطففين ـ الآية 14، وجدنا أنّ التغطية على القلب هنا مرتبطة بالأعمال السيئة المنجزة. وأما الصمم والبكم والعمى في قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 171، فمرتبط بعدم إعمال العقل وكذلك قوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا

---

(1) امبرتوإيكو: القارئ في الحكاية ـ التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، تر / أنطوان أبوزيد ـ المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى 1996 ص 65.

(2) محمد علي الجوزو: مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة ص 131 .

يعقلون ﴾ يونس: 42،[1] وقوله: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ الأعراف ـ الآية 179، وقوله: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾ الحديد ـ الآية 16... إلى غير ذلك من الآيات الدالة.

إذن لا تقوم لآلية الإنجاز قائمة من دون هذه الآليات، والشأن نفسه بالنسبة إلى كل الآليات، فهي متشابكة يصعب فك عراها بل يستحيل.

الآلية المقامية(*):

حدد موكاروفسكي معايير القيمة المهيمنة في شيئين اثنين:

أ- أن تكون القيمة الجمالية كونية، عندما تنتشر إلى أقصى الحدود الممكنة، وداخل الأوساط الاجتماعية المختلفة.

ب- عندما تقاوم عامل الزمن بنجاح.[2]

وقد حمل البلاغ القرآني هذه القيمة، إذ هو غير مقيّد بزمان أو مكان محددين، بل يتجاوزهما لما فيه من خصوصيات ثابتة لا نجدها في نصوص عداه، ولعل من أهمها أنه كلّما ابتعدنا زمنيا تضاعفت أسرار هذا البلاغ من حيث كلّ المستويات، للدلالة على أنّ الذي يتغيّر هو وعي المبلّغ الذي يتأثر بطبيعته ومزاجه حين يتداول هذا الخطاب ضمن إطاره الثقافي والاجتماعي والحضاري، «وأنّ وجه الإعجاز فيه لا يتغيّر على الأيام».[3] كذلك فإنّ هذا الخطاب لم ينقض أثره بانقضاء الزمن كما كان حال الرسالات السابقة له من جهة، كما أنّه ليس شبيها بالنصوص البشرية التي قد تختلف فيها «المقامات والأزمنة والبلاد، فيحسن في وقت ما لا يحسن في آخر، ويستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن عند أهل غيره»[4] من جهة أخرى.

إنّ احتلال المبلّغ موقع المتلفظ، بوصفه قارئا أو مرتلا أو تاليا أو ذاكرا أو قائلا أو ممارسا، بحوكل زمان ومكان، إنّه ـ من خلال بعض الأساليب اللسانية التي استعملها البلاغ القرآني ـ قادر على تحيين البلاغ باستعمال الجمل الاسمية والجمل الفعلية، بصيغة الماضي والحاضر والمستقبل، أو الضمائر بصيغها، فالذي يقرأ ما جاء في آيات الذكر

(*) أسميناها كذلك على اعتبار أن المقام هوزمان الحدث التواصلي ومكانه. ينظر محمد خطابي: لسانيات النص ـ مدخل إلى انسجام الخطاب ـ المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب ـ ط 1، 1991 ص 53.

(2) ينظر أنور المرتجي: سيميائية النص الأدبي ص 29 .

(3) القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل ج 16 ص 206.

(4) ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ج 1 ص 93.

الحكيم يجدها مفتوحة الزمان، ممتدة المكان، غير محدودة، ليس من علامة تدل على مجرى القولية فيها وزمانها؛ ذلك أنّ كل قارئ سيجد نفسه معنيا بالبلاغ؛ فهذا الأمر مثلا، والنهي، والوعد، والوعيد الذي جاء في قوله تعالى: ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ لقمان ـ الآية 33، أو قوله تعالى على سبيل المثال لا الحصر: ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ آل عمران ـ الآية 105 مقصود به كل قارئ مخصوص به، وهذا الدعاء الممثل بواسطة ضمير المتكلم بصيغة المفرد كقوله تعالى: ﴿ هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء ﴾ آل عمران ـ الآية 38، وقوله: ﴿ رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا ﴾ نوح ـ الآية 28، أو بواسطة ضمير المتكلم بصيغة الجمع كقوله تعالى: ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ﴾ الفرقان ـ الآية 74، وقوله: ﴿ والذين جاءو من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم ﴾ الحشر ـ الآية 10، وتلك الآيات الدالة على مآل فرعون وهامان أو قوم عاد وثمود حيث يقول جلّ جلاله: ﴿ كذبت ثمود وعاد بالقارعة (4) فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية (5) وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية (6) سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية (7) فهل ترى لهم من باقية (8) وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة (9) فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية (10) إنا لما طغا الماء حملناكم في الجارية (11) لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية (12) ﴾ الحاقة ـ الآيات من 4 إلى 12 ، أو الدالة على الظالمين كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال (44) وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال (45) وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال (46) فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام (47) ﴾ إبراهيم ـ الآيات من 44 إلى 47، أو الدالة على المكذبين المستكبرين الضالين مثل قوله: ﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين (40) لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين (41) ﴾ الأعراف ـ الآيتان 40 ـ 41، أو الدالة على المؤمنين كقوله: ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون (42) ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون (43) ﴾ الأعراف ـ الآيتان 42 ـ 43... أقول: هذه الآيات وغيرها كثير مما جرى مجراها، وإن بدا أنها تختص بموقف معين في حادثة معينة، وبأفراد بعينهم في بقاع بعينها فإنها ليست مرهونة بها موقوفة عليها، وإنما تمتد في الزمان والمكان لتشمل كلّ الناس، خاصة إذا نظرنا إلى البلاغ من زاوية أنه تشريع رباني، لتحقيق

الخلافة في الأرض و«إنّ استمرار هذه الشريعة، يتوقف على استمرار الخطاب، إن على مستوى الخطاب أو على مستوى الاستثمار».[1]

إنّ توفر هذه الآلية بشكل لافت للنظر أكّد أنّ التواصل مسألة تتّسم بالديمومة واللا محدودية، إن على نطاق الزمان، وإن على نطاق الفضاء على التوالي ، حيث يبرز هذان العنصران بصورة معجزة، «فخبر الماضي أخذ نسق خبر الحاضر، وخبر المستقبل أخذ نسق خبر الماضي»،[2] «وصار كل أمر نهي وخبر، وكل نهي أمر، وكل خبر أمر ونهي».[3] وكلّ هذه الأساليب تحيل على ثنائية الزمان والمكان، فالخبر والأمر والنهي - كما سبقت الإشارة إليها - أساليب تخص كافة الناس حيثما وجدوا زمانا ومكانا؛ فإذا قال تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ التوبة - الآية 67، وقال: ﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ المائدة - الآية 79، وقال: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ الأنعام - الآية 10، فهذا يعني أنّ هذه الآيات هي دعوة غير صريحة لتجنّب ما كان يفعل هؤلاء من المنافقين والكافرين والظالمين، وبالموازاة نجد آيات أخرى فيها دعوة غير صريحة أيضا إلى الاقتداء بمن كانوا يفعلون الخيرات، ويسارعون في فعل الطاعات، وعمل الصالحات، ويلجأون إلى الله طمعا في رحمته، وخوفا من عذابه، خاضعين له في السر والعلن، أو كانوا ممن اقترفوا الخطايا والذنوب، وأقروا بها، أو فرطوا في واجب عبادته وطاعته وقصّروا، ثم تابوا إلى الله واستغفروه فتاب عليهم وغفر لهم فقال: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ الأنبياء - الآية 90، وقال: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ التوبة - الآية 102، وقال: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ آل عمران - الآية 147.

وبناء عليه تتنوع الآيات وتتعدد من أجلّ الامتثال لهذا الأمر غير المباشر، الذي فيه نهي عن فعل ما، أو أمر به وقع سابقا أو هو واقع حاليا أو سيقع لاحقا. وقد «يحلّ التزامن محل التتابع ويصير الزمان فضاء»،[4] فالذي يقرأ مثلا قوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ آل عمران - الآية 193، سيضم نفسه إلى مجموع الناس الذين سمعوا، ولبّوا، وقالوا، وعبدوا، سواء في الزمن

---

(1) إدريس حمادي: الخطاب الشرعي وطرق استثماره ص 44.

(2) إحسان عسكر: وظائف التبليغ القرآني ص 174.

(3) المرجع السابق ص ص 21 - 22.

(4) سعيد بناني: ترميز الفضاء في القرآن الكريم، تر / عبد الحق ميسط، مراجعة أبوبكر العزاوي - المشكاة، وجدة - المغرب - العدد 25 السنة 1997 ص 34 .

الماضي أم في الزمن الحاضر أم في الزمن المستقبل؛ أي يستجيبون في أي زمن دون تحديد للمكان، ولكونهما [الزمن والمكان] يجسدان الآلية الأبرز، فهما مركز الثقل الذي يزيد من إمكانات التواصل ويقويها.

إنّ التواصل في بلاغ كالقرآن الكريم مسألة فوق الزمان والمكان، وإن كانا يمثلان جزءا من البنية الجمالية له [أي البلاغ] إذا ما نظرنا إليه من جهة فترات التنزيل المتباعدة التي استغرقت ثلاثة وعشرين عاما، ومن جهة مكانه الذي تراوح بين مكة والمدينة،* إذ الصحيح أنه نزل منجما على مُكث، ولم يتنزل جملة واحدة؛ لتثبيت فؤاد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ الفرقان ـ الآية 32، ولشدّ أزره ومواساته، ثم مراعاة لمقتضى الحال، ومواجهة كلّ ملمة أو طارئ، أو إجابة عن سؤال، أو إزالة أي شبهة حول صحة البلاغ، وكلّها مسائل أثارها المبطلون اعتراضا على البلاغ والمبلِّغ. ولكن كتاب الله كان أحق وأحسن تفسيرا، فلم يترك مجالا للشك، وما يوضح هذا قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴾ الفرقان ـ الآية 33.

وفي المقابل نجد أسئلة أخرى متعلقة بأمور الدين، طرحها المسلمون على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أجلّ العمل بها، جاءت في عبارة يسألونك وقُل... مثل قوله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 219، وقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ الفرقان ـ الآية 32.

وقد اقتضت حكمة الله أن يكون نزول القرآن منجما، مراعاة للمناسبات، ومتابعة للأحداث والوقائع التي جرت في أوقات متفرقة مختلفة، كما اقتضت رحمته مجاراة الناس ومسايرة عقولهم ونفوسهم، حتى يتمكنوا من إتقان تعلّمه، وفهمه، واستيعاب هديه، وتيسير حفظه على مهل، وبالخصوص أنّ ذاكرتهم في أول العهد كانت عمدتهم ومتكأهم، ثم إنّ في ذلك تجديدا في الاتصال والتواصل بين طرفين أو أكثر، فضلا عن أنّ النفوس، وإن كانت متمسكة بقديمها، من عادات موروثة خالطها الرذيل، وعقائد راسخة شابها الباطل، وأخلاق مأثورة، فهي مُحبة للجديد، مقبلة عليه من دون أن يُضغط عليها، وبمنطق لا يخالف إرثها أو عقلها بما يثبت مكارم الأخلاق مثلا ويتمّها كالصدق والبر والإحسان، ويمحو ما لا يطمئن به قلب كالكفر والقتل والظلم، ولكن بشيء من «التدرج في التشريع من حكم إلى

(*) نستثني بعض الآيات من بعض السور التي لم تنزل بمكة أو المدينة كالآيتين 45 ـ 46 منالفرقان اللتين نزلتا في الطائف، والآية 85 منالقصص التي نزلت بالجُحفة في أثناء الهجرة؛ والجحفة موضع بالحجاز بين مكة والمدينة، والآية 45 منالزخرف التي نزلت في بيت المقدس ليلة الإسراء، والآية الأولى منالحج نزلت في غزوة بني المصطلق أما الآيات 52 ـ 53 ـ 54 من السورة نفسها نزلت بين مكة والمدينة، والآية 67 منالمائدة نزلت ليلا في بعض غزوات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والآية 13 منمحمد نزلت في أثناء الهجرة، والآية 30 منالرعد نزلت حين عقد صلح الحديبية.

حكم، والتأني في نقلهم من حال إلى حال، ومن خُلُقٍ إلى خلق»،[1] حتى يستقر هذا الجديد في عقولهم ويتمكّن في نفوسهم.

وكان من الطبيعي ـ بعد أن طالت مدة تنزيل القرآن ـ أن يتنوع مكان نزوله بين مكة والمدينة، إشارة إلى تمايزه من حيث مقاصده الموضوعية، فالخطاب في مكة يمثل «مرحلة تأسيس "مجتمع" جديد نقيض للمجتمع السائد المسيطر في "مكة"، وفي هذه المرحلة كان تركيز النص على تكوين "الفكر" الجديد للمجتمع الجديد متمثلا في عقيدة التوحيد ونفي الشرك»؛[2] بمعنى أنّ البلاغ شمل الناس كافة، فاهتم بتقرير أصول العقائد الإيمانية، وركّز على عبادة التوحيد، ودعا إليها، وأردفها بالإيمان بالملائكة والرسل والكتاب والبعث والحساب، ثم كشف ضلال الشرك وبيّن إثم الكفر، ونفاهما، وذكر ما لحق بالمشركين وحاق بالكافرين، وصور عاقبة المكذبين وعرض أشكال العذاب المهين، ورواها ضمن قصص الأنبياء والمرسلين، وخبّر عن مآل الأمم السابقين وبهم ضرب الأمثال في أسلوب مبين، ثم حذر من المحرمات.

وأما البلاغ في المدينة فيمثل «مرحلة "البناء الاجتماعي" وتقنين هذا البناء، وهي مرحلة لم تبدأ إلا مع استقرار المجتمع الجديد في مكان يمكن أن يكون أساسا لدولة واضحة المعالم، محددة الحدود والأطراف»؛[3] أي أنه بلاغ تشريع شمل ـ أيضا ـ الناس كلهم، وقد جاء شاملا مفصلا، لم يغادر صغيرة ولا كبيرة، من أجلّ إخراج خير أمة للناس، إن على مستوى العبادات كأحكام الصلاة والزكاة والصوم والحج، وإن على مستوى المعاملات كالبيوع والحدود والقصاص أو التعامل في الحروب والسلم، وإن على مستوى العلاقات كالزواج والطلاق والتكافل...

وإذا جئنا إلى أسلوب القرآن المكي والمدني نجد تمايزا بينهما، والحق أنّ هذا ما هو إلا انعكاس لتمايزهما من حيث الموضوع؛ فالمكي يغلب عليه قِصَر الآيات والسور، وقوة التعبير والتناغم الموسيقي، وتكثر فيه الفواصل القرآنية وتقصر، وتتنوع بما يتناسب مع المعاني والمواقف والصور، كما يكثر فيه أسلوب التأكيد، ويُعتنى فيه بوسائل التقرير؛ أي ترسيخ المعاني وتثبيتها؛ فكثر في المكي القَسَمُ، وضرب الأمثال والتشبيه وتكرار بعض الجمل أو الكلمات، وكثر أيضا التجسيم الحسي، وإضفاء الحركة وخواص الحياة على الأشياء، ولا سيما في مشاهد القيامة، وأهوال النار، وبيان أحوال أهل الجنة والنار، وكذلك القصص،[4] وخير بيان على هذا سورة المدثر وهي مكية، وقد تجلّت فيها كل هذه السمات مجتمعة.

---

(1) نور الدين عتر: علوم القرآن الكريم، طبعة مزيدة ومنقحة ـ مطبعة الصبّاح، دمشق 1996 ص 33 .

(2) نصر حامد أبوزيد: مفهوم النص ـ دراسة في علوم القرآن ـ ص 15 .

(3) نصر حامد أبوزيد: مفهوم النص ـ دراسة في علوم القرآن ـ ص 15.

(4) للاستزادة ينظر نور الدين عتر: علوم القرآن الكريم ص 67 .

وإذا التفتنا قليلا إلى المدني ألفيناه يتّسم بطول أكثر السور والآيات* التي غالبا ما تسلك سبيل الهدوء، واللين في أسلوبها، واسترسال فواصلها كسورتي النور والنساء.

لا يشكل هذا التنوع في الأسلوب كما في الموضوع والمكان اختلافا ولا يفضي إليه، إنّه حكمة الله وقدرته في بسط شريعته بما يتناسب والمبلّغين لتحقيق التواصل الفاعل. وتظل لفظتا زمان ومكان آليتين منفتحتين، قابلتين لاحتواء مفردات كثيرة هي على صلة بتواصل طرفين فأكثر، ومن هذه المفردات نجد القَدَر كما جاء في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ طه ـ الآية 40، أي جئت على وفق الوقت الذي قدّرته وعيّنته لتكليمك واستنبائك، بلا تقدّم ولا تأخر عنه.. وبتعبير أكثر دقة جئت على مقدار من الزمن يوحي فيه الله إلى الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وهو رأس أربعين سنة،[1] أو قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ المرسلات ـ الآية 22، أي إلى مقدار من الزمن، محدد معين، معلوم عند الله تعالى وهو وقت الولادة.

تشير الألفاظ الدالة على الأزمنة والأمكنة في البلاغ القرآني إلى أنّ التواصل مطلق ومستمر، فالذي يتمعن في بعضها سيجدها ألفاظا دالة على الزمن دلالة مباشرة كميقات وميعاد، والليل والنهار، والعشي والغدو، والآصال وبكرة، وسنين وعام، والشهر واليوم، والساعة وبعض يوم، ورمضان وليلة القدر، والحج، والقمر والشمس والهلال والكوكب، وجنون الليل والأفول، والضياء والظلام، والغروب والبزوغ، وطلوع الشمس والفجر، والإشراق والإصباح، والضحى والظهيرة، والعصر والمغرب والعشاء، والطامة والقيامة والقارعة... كقوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ يس ـ الآيات من 37 إلى 40، وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ البقرة ـ الآية 189، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾ الكهف ـ الآية 28، أو دالة على الزمن دلالة غير مباشرة كالخلق وأطواره، والرميم، والشيب والكبر، والعتو والصغر، والحياة والموت، والبعث والإنبات، والميراث والقرء والعدة و... مثل ذلك قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ الحج ـ الآية 5، وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى

(*) لكن هذا لا يعني أن المكي خلو من السور والآيات الطوال وأن المدني غائب عنه التخويف والشدة بشكل نهائي.

(1) الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج 16 ص 193.

غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿١١﴾ ﴾ مريم _ الآيات من 4 إلى 11، ناهيك عن وجود ألفاظ تدخل في نطاق الزمن وتشير من خلال دلالتها إلى زمنين قبلي وبعدي، كقوم نوح وعاد وثمود وهامان وفرعون وأبي لهب... من الكافرين والمنافقين كمثل قوله جلّ جلاله: ﴿ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ الأنفال _ الآية 54، فالزمن القبلي يشير إلى أنّهم كانوا ظالمين بتكذيبهم بآيات ربهم، وأما الزمن البعدي فيتجلّى في إهلاك بعضهم بسبب ذنوبهم بالرجفة، وبعضهم بالخسف، وبعضهم بالحجارة، وبعضهم بالغرق لقوله تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ العنكبوت _ الآية 40. وكذلك الأمر بالنسبة إلى أبي لهب وامرأة نوح وامرأة لوط وغيرهم من الذين كفروا فإنّ أفعالهم السيّئة وأعمالهم الشنيعة التي جرت في الزمن الماضي أفضت بهم إلى جهنم وبئس المصير، إذ يقول تعالى: ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ﴿٣﴾ ﴾ المسد _ الآيات 1 _ 2 _ 3، ويقول: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ التحريم _ الآية 10، أو كالرجلِ الصالح 'عزير'، وذي القرنين، وامرأة فرعون، والمخلفين الثلاثة من المؤمنين الصالحين؛ فبين ثنايا هذه الألفاظ قصص تشير إلى ما كانوا وصاروا، وإلى ما فعلوا وما مآلهم كقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ التوبة _ الآية 118. وإذا تأملنا قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأعراف _ الآية 44، وجدنا أنّ الزمن القبلي تمظهر في الوعد بالنسبة إلى المؤمنين والوعيد بالنسبة إلى الكافرين، والزمن البَعدي تحقيق الوعد والوعيد على التوالي، وكانت النتيجة أن صار المؤمنون هم أصحاب الجنة، والكافرون هم أصحاب النار.

وألفاظ أخرى دالة على المكان بصورة مباشرة كالمسجد، والقرية، والسماء والأرض، والجبل والغار، والجودي، والأعراف، والمشعر الحرام، وعرافات، ومكة، والكعبة، البيت الحرام، والحافرة أرض الدنيا، ويثرب، والبحر، والواد المقدس طوى، والنهر، وطور سنين، وسدرة المنتهى، والجنة [الحديقة]، والساحة، ومقام إبراهيم، والوصيد، وواد غير ذي زرع ، ومرصد، ومصانع، ومساكن، وبيوت والطود... وألفاظ مكانية أخرى غير دالة على المكان بصورة مباشرة مثل انشق، وانقسم، والسائحون أي المهاجرون، والمجاوزة في 'وجاوزنا ببني إسرائيل البحرَ' تريحون وتسرحون، وقطع متجاورات، والمشرب التي تعني موضع الشرب في 'قد علم كل أناس مشربهم، والهبوط في اهبطوا منها جميعاً،واهبطوا مصراً، وحفرة من النارِ، والسير في 'وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي' نضيف إليها حيث، إلى...

كما أنّ هناك ألفاظا جمعت بين الزمان والمكان كالجنة والنار؛ فالجنة هي دار المقامة للمـؤمنين الفـائزين، والنـار هي دار عذاب للمجرمين الكافرين، وكلاهما يحتويان زمانا خاصا هو الزمن الآتي، وكـذا الـشأن بالنـسبة إلى الإسـراء والمعراج فقد أسرى الله تعالى بالرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة إلى بيت المقدس، من المـسجد الحـرام إلى المسجد الأقصى، في جزء من الليل؛ إذ كانت مدة قطع هذه المـسافة البعيـدة مـسيرة أربعـين ليلـة، وقـد أراد الله تعـالى للمسجدين الحرام والأقصى أن يتواصلا في خط كل الرسالات، كما أراد للعروج أيـضا أن يكـون آيـة مـن آيـات الله العجيبة التي أطلعه عبرها على ملكوت السموات والأرض، فرأى ـ صلى الله عليه وسـلم ـ الـسموات العلـى والجنـة والنار وسدرة المنتهى والملائكة، وهي أشياء تمثل زمنا لاحقا، والتقى بالأنبياء الذين أمّهـم، وهـم يمثلـون زمنـا سـابقا في ظرف يمثل بالنسبة إليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ الزمن الحاضر، فاجتمعت له كـل الأزمنـة في زمـن واحـد هـو الـزمن الرباني، ونضيف صلاة الجمعة التي لا بد أن تؤدى في المسجد فهي زمانية مكانية والصفا والمروة فهما مكانـان مرتبطـان بشعائر الله في الحج والعمرة، والطواف... وقس على هذا عددا كبيرا من الألفاظ والعبارات التي تتطلـب حيـزا مكانيـا وزمانيا، حيث تصف حال كل من المؤمن والكافر وحياته ومماته وبعثـه يـوم الحـشر، وقبلـه، وبعـده كـالرزق والأكـل والشرب، وكالنوم والسعي والمشي... فهي أمور تتطلب أوقاتا مخصوصة وأمكنة معلومة في آن معا، وكالعقاب والجـزاء والحساب، وكالمثوى والمأوى والمـصير، وكـالنزل، والمقـام، والـصراط، وكالحـسرة والنـدم والعـذاب، وكيـصطرخون ويستغيثون، وكيفرحون ويستبشرون... فهي ألفاظ ذات مدلول زماني ومكاني تدل على أنّ هذه الحالات الـتي تتـابعهم والمآل الذي آلوا إليها متعلق بدنياهم وأخراهم.

وغير بعيد عنها هذه التوصيفات الربانية، التي تصف المؤمن والكافر على حد سواء في زمـان ومكـان خـاص بكل واحد منهما، منهـا مـا جـاء في قولـه تعـالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ آل عمران ـ الآية 13، وما جاء في قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾ الفرقان ـ الآيـة 75، وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ التوبة ـ الاية 35، فكل هذه الآيات تشير إلى مكان وزمن قبلي، أو إلى مكان وزمن بعدي يخص المؤمنين و/ أو الكافرين. ثم إنّ مثل هذه الأمكنة والأزمنة تفرض إطارا خاصا للتواصل، الشيء الذي من شأنه أن يعقد علاقة دائمة بين المتواصلين.

وحري بنا قبل أن نغادر هذه الجزئية من البحث أن نلمّح في عجالة إلى إشكالية الزمن في شـقها المتعلـق بتلقـي البلاغ القرآني، حيث شهدت عملية تلقيه تطورا زمنيا بدءا من أول لقاء مع الـوحي وظـل ممتـدا مفتوحـا مـع أطـراف أخرى عدا الوحي. وللإحاطة أكثر بالمجال الزمني للتلقي فإنه من الضروري الرجوع إلى بعض الآيات التي تقدم تـصورا دقيقا لهذا الزمن:

1) الزمن المفاجئ:

يبدأ هذا الزمن من لحظة حدوث أول تواصل بين الله ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد تجلّى في اقرأ التي كان وقعها شديدا عليه، حيث صاحبه ذهول ناتج عن ظهور الوحي، قبل أن يتلوه إعجاب. وفي ثنايا عبارات "زملوني ودثروني" نلمس زمنا آخر يعقب زمن الروع والفزع، حيث تبدأ هذه الحالة بالتلاشي ويظهر زمن المراجعة والتثبت، وفيه يستعيد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما جرى له، ويسرّ في حديث لزوجه خديجة ـ رضي الله عنها ـ ومن ثمة لورقة بن نوفل حتى يتيقن من صحة ما هو فيه. وينتهي هذا الزمن عند "يا أيها المزمّل" و"يا أيها المدثر" لينشأ زمن جديد هو:

2) الزمن التحضيري:

يتجدد الاتصال أو التواصل فيه بالمعاناة نفسها؛ إذ كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكابد مشقة شديدة في التلقي من الملك* فيتفصد جبينه عرقا، ويثقل جسمه حتى يكاد يرض** فخذُه فخذَ الجالس إلى جنبه، ولكن هذه المرة يهيأ لتلقي القول الثقيل، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾ المزمل ـ الآيات من 1 إلى 8، ويقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾ المدثر ـ الآيات من 1 إلى 7. ولحرصه ـ صلى الله عليه وسلم ـ على حفظ القرآن، ومخافة نسيانه كان يجهد نفسه إذا أقرأه جبريل ـ عليه السلام ـ القرآن، يبادره قبل أن يفرغ من الوحي، اهتماما بضبط القرآن عند تلاوته له، فأمره ـ تبارك وتعالى ـ أن لا يتعجلَ بالقراءة معه بل يصبر ويستمع إليه، فهو سبحانه سيتولى جمعه في صدره، وسيتكفل بيانه له وتوضيحه يقول تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ القيامة ـ الآيات من 16 إلى 19، ويقول تعالى: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ طه ـ الآية 114.

(*) قالت عائشة ـ رضي الله عنها: إن الحارث بن هشام سأل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليَّ، فيفصمُ عني وقد وعيتُ عنه ما قال، وأحيانا يَتَمَثَّلُ ليَ المَلَكُ رجلا فيكلمني فأعي ما يقولُ. قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: "ولقد رأيتُه ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فَيَفْصِمُ عنه، وإنَّ جبينه ليتفصد عرقا" البخاري: صحيح البخاري ص ص 2 ـ 3 وللاستزادة ينظر صحيح مسلم فقد فصل في ذكر هذه الجزئية المهمة من حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في باب نزول الوحي.

(**) رض: دقه وجرشه ورضه رضا كسره ،ابن منظور: لسان العرب، مادة رضض

3) الزمن المتوقع:

يلي هذا الزمن ـ مباشرة ـ الزمن التحضيري؛ إذ فيه تنتظم الأمور، وتتضح الأهداف، وتتبين السبل من خلال قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (8) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (9) وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (10) ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (19) ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (20) ﴾ المزمل ـ الآيات 8 ـ 9 ـ 10 ـ 19 ـ 20، وقوله : ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (54) فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ (55) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (56) ﴾ المدثر ـ الآيات 54 ـ 55 ـ 56.

ويدخل ضمن الزمن المتوقع هذا زمنان، الزمن الذي ينجز فيه القول مباشرة، وهذا ردا على التساؤلات والاستفسارات التي كانت تطرح على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إمّا من باب العلم بالشيء وتطبيقه على أرض الواقع، مثل ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ البقرة ـ الآية 215، ومثل ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾البقرة ـ الآية 217، فأعقب السؤال بجواب مباشر تجلّى في قُلْ، أو من باب امتحانه والتأكد من صحة ما جاء به ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد سأله أهل الكتاب بواسطة أهل مكة عن قصة أهل الكهف والروح وعن ذي القرنين، فتأخر الوحي عنه خمسة عشرة يوما؛ لأنه قال: غدا أجيبكم وكان لابد أن لا يقول لأمر عزم عليه سأفعله غدا إلا إذا قرنه بمشيئة الله، لذلك قال له الله: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا (23) إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا (24) ﴾ الكهف ـ الآيتان 23 ـ 24، ومع هذا فقد كفاه الله الإجابة عنها كلّها بدقة وتفصيل.

وغير بعيد عن هذا حديث الإفك الذي اتهمت فيه أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ وقذفت بالفاحشة، وهي زوج الرسول الأكرم، الذي ما وصلته تبرئتها إلا بعد مضي قريب من شهر فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11) ﴾النور ـ الآية 11، فهاتان وغيرهما كثير تدخلان ضمن الزمن الذي ينجز فيه القول ولو بعد حين. وزمن آخر موكل أمره لله تعالى كقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ لقمان ـ الآية 24، وهذه هي مفاتح الغيب الخمس التي اختص الله بعلمها.

4) الزمن التداولي:

هو زمن تلقي البلاغ القرآني من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن غيره ممن أخذوا عنه، وفيه تتجلى شتى حالات الانبهار والإعجاب والقبول والرفض والتقصي والتأكد والجحود والنكران والتصديق والتكذيب...

وفي هذا أعظم دليل على أنّ البلاغ يتخطى حدود الزمان والمكان عبر اتساع محاوره وعمقها التي كلّف عبرها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالتلقي والفهم ثم الإيصال أو الإبلاغ للناس كافة.

وبعد، فإنه ينبغي في النهاية أن نتحدث عن الحدث بوصفه صانعا لزمانه ومكانه وليس مصنوعا بها أو محتوى فيها؛ ذلك أنّ الزمان هو أزمنة والمكان هو أمكنة.

وخلاصة القول: إنّ هذه الآليات التواصلية وغيرها هي عامل مكون للفعل التواصلي، الذي لا يمكن قراءته من زاوية واحدة، لتحديد طابع التفاعلات الموجودة بين مجموع ألفاظه وأنساقها؛ «لأنّ أدوات الخطاب تسهّل إعادة تكوين الممارسات الإنسانية جزئيا، عبر الروابط والانقسامات التي تشجعها، والتحديدات التي تصاغ بخصوص الأهداف ووسائل تحقيقها».[1] وبالتالي لا يمكن لهذه الآليات أن تؤدي مهماتها إلا باعتبارها أنساقا متشاكلة متداخلة، فلا يحق من هذا المنطلق أن تستفرد إحداها بمنح البلاغ القرآني جماليته دون الأخرى، الأمر الذي من شأنه أن يحافظ على دور الآليات كلّها مناصفة، ويكفل تحقيق التواصل الصحيح بشروطه، وبصفة عامة يمكن إجمالا قبول هذه الآليات ضمن جملة من المعايير التي تنظم ممارسة التواصل وتفعّله، إذ يصبح شرط وجودها قرينا بالعمل على بلورة قوانين التواصل بين أطراف العملية التواصلية.

الآلية الفنية :

تحتل هذه الآلية موقعا مميزا؛ إذ تتفرد بتقريب مدلول التواصل من خلال مسح شامل لكل الآليات الآنفة الذكر، بمعنى أنه لا يمكن للآلية الاتصالية أو الإخبارية أو الحسية... أن تستغني عنها؛ ذلك أنّ صناعة البلاغ القرآني اتخذت صورا شتى، فأحيانا تكون بالأسلوب المباشر والصريح كقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ المائدة ـ الآية 110، ففي هذه الآية يخاطب الله تعالى عبده ورسوله عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ ويذكّره بما منّ به عليه من نعم، وما أجراه على يده من المعجزات والخوارق. وأحيانا تكون بالأسلوب غير المباشر غير الصريح كقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ المائدة ـ الآية 116، فالخطاب في هذه الآية خارج مخرج التقرير، يشير

(1) حسن مصدق: النظرية النقدية التواصلية ص 90 .

إلى أنّه موجّه إلى عيسى ـ عليه السلام ـ ولكن باطنه يشكّل لنا خطابا غير مباشر، عن طريقه يـوبّخ الله الكـافرين يومئـذ بسؤال الرسل عن إجابتهم، وبتعديد نعمه وما أظهر على أيديهم من الآيات العظام، فكـذبوهم وسمّـوهم سـحرة، أو جاوزوا حد التصديق إلى أن اتّخذوهم آلهة، كما قال بعض بني إسرائيل فيما أظهر الله على يد عيسى ـ عليه السلام ـ من البينات المعجزات.[1] وقد يأتي بأسلوب ظاهر عند أهل العلم خفي عن بعض الناس لذلك لابـد مـن الرجـوع إلى المؤمنين العالمين من أهل القرآن لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحـل ـ الآيـة 43. وأحيانـا تجـيء هذه الصور على سبيل المجاز كقوله تعـالى: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ المزمـل ـ الآيـة 20، فالمجـاز هنـا مرسـل أراد بـه الصلاة، فأطلق اسم الجزء على الكل؛ لأنّ القراءة أحد أجزاء الصلاة، أو على سبيل الاستعارة لما لهـا مـن سـرّ جمـالي بديع في القرآن الكريم يتمثل في حسن تصويرها، وإيضاحها للمعنى وإيجازها في أدائه واختيار ألفاظهـا ليـأتلف بعـضها مع بعض من ناحية، ولتأتلف هي مع معانيها من ناحية أخرى كقوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ الأنبياء ـ الآية 18 ، فالاستعارة هنا تمثيلية حيث شبّه الحقّ بـشيء صـلب والباطـل بـشيء رخو، واستعير لفظ القذف والدمغ لغلبة الحق على الباطل بطريق التمثيل، فكأنّه رمي بجـرم صـلب علـى رأس دمـاغ الباطل فشقّه، وفي هذا الأسلوب مبالغة بديعة في إزهاق الباطل، إذا فهذا النوع من الاستعارة يحقق المبالغة من جانب أنّ القذف أبلغ من الإيراد أو الرمي؛ لأنّ فيه شدة الوقع، والدمغ أبلغ من الإذهاب أو القمع أو الإبطال... وأشـد، لأنّ في الدمغ من شدة التأثير وقوة النكاية ما ليس في الإذهاب أو غيره من الألفاظ. هذا بالإضافة إلى مـا في الـدمغ مـن معنـى إصابة الدماغ. وأحيانا أخرى تجيء هذه الصور على سبيل التشبيه لتقريب الصورة وشدة إيضاحها، وتيسير إدراك جمالها على كل مبلّغ كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الأعـراف ـ الآيـة 176، فالتشبيه في هذه الآية تمثيلي، أي حاله التي هي مثلٌ في السوء كحال أخس الحيوانات وأسفلها، وهي حالة الكلب في دوام لهثه في حالتي التعب والراحـة، فالـصورة منتزعـة مـن متعـدد، وكقولـه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ الأعراف ـ الآية 179، فالتشبيه في هذه الآية مرسل مجمل، حيث شبّه كلّ من له قلب لا يفهم بـه الحـق، و لـه عـين لا يبصر بها دلائل قدرة الله بصر اعتبار، وله أذن لا يسمع بها الآيات والمواعظ سماع تدبّر واتّعاظ كالحيوان في عدم التفقه والتبصر والاستماع، بل هو أسوأ حالا منها.[2] أو على سبيل الكناية، لما لها من موقع حسن في الأسماع والقلوب، ولمـا لها من قوة مشهدية كقوله تعالى: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ غافر ـ الآية 15، فالروح هنا كناية عن الوحي؛ لأنـه كـالروح للجسد، وقد جاءت الكناية في هذا المقام من أجلّ إيجاد إدراك خاص للموضوع، حيث ينزّل الله الوحي على مـن شـاء

(1) الزمخشري: الكشاف ج 1 ص 653.

(2) للاستزادة ينظر الصابوني: صفوة التفاسير ج 1 ص ص 473 ـ 474.

من خلقه، ويختص بالرسالة والنبوة من أراد من عباده عن طريق أمين السماء جبريل ـ عليه السلام ـ كما أنّ الغرض من قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ مريم ـ الآية 50 الثناء على إبراهيم الخليل وآله الأطهار أولاده إسحاق ويعقوب لما لهم من الخصال المرضية من قبل جميع أهل الملل والأديان، فمثل هذه الصورة تهدف إلى تقريب دلالة الآية من الأفهام ثم تكثيف أثرها الجمالي، حيث كنّى تبارك وتعالى عن الذكر الحسن والثناء الجميل باللسان؛ لأنّ الثناء يكون به (أي اللسان). أو تأتي على سبيل الالتفات الذي يتمّ فيه الانتقال من ضمير المخاطب إلى ضمير الغيبة، ثم العودة إلى ضمير المخاطب مرة أخرى، بإفضاء طبيعي وبانسياب لطيف، لا يحس معه المتلقي فجأة النقلة، ويمكن التمثيل لهذا بما جاء في قوله عز من قائل: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ يونس ـ الآية 22، ففي هذا الالتفات تنشيط للمبلَّغ في الاستماع، واستمالة له في الإصغاء، ولو تتبعنا نهاية القصة لوقفنا على طريقة القرآن في الانتهاء من الموضوع، وجعل آخره مرتكزا للحديث عن غيره، وهذا شأن القرآن كله.

وغير بعيد عن هذه الفكرة نجد حسن البدء الذي يعدّ من أهمّ متطلبات العملية التواصلية؛ لأنه أول ما يصل إلى المبلَّغ، ويلامس أذنه، فإما استعداد لما سيأتي بعد شدّ انتباه وإدراك لما فيه، وإما عزوف ونأي. ولا يختلف اثنان في أنّ القرآن الكريم كلّه جاء في أروع الافتتاحات وأجلّها، كأن تفتتح السورة بالتحميد مثلما جاء في سورة الفاتحة والأنعام والكهف وسبأ وفاطر مثل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ سبأ ـ الآية 1، أو بالتسبيح كالإسراء والحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى وقد جاءت في صيغ متنوعة مثل قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الإسراء ـ الآية 1، وقوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الحديد ـ الاية 1، وقوله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ التغابن ـ الآية 1، والتحميد والتسبيح قسمان من الثناء على الله تعالى .أو بالقسم كالطور والنجم والشمس والضحى والعصر والطارق والفجر مثل قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ النجم ـ الآية 1، أو بالنداء كالنساء والمائدة والحج والطلاق والتحريم مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء ـ الآية 1، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ المائدة ـ الاية 1، ومثل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ التحريم ـ الآية 1، أو الأمر كالجن والأعلى والعلق مثل قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ العلق ـ الآية 1، أو بالاستفهام كالإنسان والنبأ والغاشية والشرح مثل قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ الإنسان ـ الآية 1، أو بالتعليل كقريش مثل قوله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ قريش ـ الآية 1، أو بجملة الشرط كسورة

الواقعة والتكوير والزلزلة والنصر مثل قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ النصر ـ الآية 1، أو بالجملة الخبرية كالتوبة والنور مثل قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ النور ـ الآية 1، أو بالحروف المقطعة كالبقرة ومريم والحواميم مثل قوله تعالى: (الم) البقرة ـ الآية 1، (كهيعص) مريم ـ الآية 1، ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ يونس ـ الآية 1 ، وحسن الختم لا يختلف عن حسن البدء.

كما تأتي هذه الصور متعددة الأساليب من نداء وأمر ونهي وتوكيد ونفي وتمن ورجاء وحذف كما جاء في قوله سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ﴾ الرعد ـ الآية 31، يقول الرماني في تخريج هذه الآية وتفسير فاعلية الحذف عامة: «كأنه قيل (أي في تقدير جواب لو): لكان هذا القرآن... وإنما صار الحذف، في مثل هذا، أبلغ من الذكر؛ لأنّ النفس تذهب فيه كل مذهب».[1] وتأتي في أسلوب تكرار كتكرار حرف الفاء في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ۝١٥﴾ الشمس ـ الآيات 13 ـ 14 ـ 15، فقد تتابعت فيه ست فاءات أعطت للتعبير معنى الاطراد والوقار الدال على التفسير، ولكنها لو تكررت في قصيدة رومانتيكية فإنها قد تعطي مشاعر تعويق وإبطاء في وجه مشاعر ساخنة متدفقة،[2] وتخطى التكرار الحروف وشمل الألفاظ والجمل مثل ﴿هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ المؤمنون ـ الآية 36، وكان غرض الكفار من هذا التكرار استبعاد عودتهم إلى الحياة بعد أن تصير العظام رميما وأما قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾ (القدر ـ الآيات 1 ـ 2 ـ 3، فقد ذكر تعالى ليلة القدر ثلاث مرات، تفخيما لشأنها وتعظيما لها وزيادة في الاعتناء بها، لما اختصت به من إنزال القرآن العظيم فيها. وأما قوله: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ البقرة ـ الآية 111 والنمل ـ الآية 64 التي ورد ذكرها مرتين في القرآن، فقد جاءت في سورة البقرة بقصد تبكيت اليهود والنصارى الذين﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ﴾ البقرة ـ الآية 111، وجاءت في سورة النمل بقصد تبكيت المشركين وتقريعهم، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ المائدة ـ الآية 13 و ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾ المائدة ـ الآية 41 فالأولى ليست كالثانية؛ لأنّ الأولى في أوائل اليهود والثانية فيمن كانوا في زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذين حرفوا الكلمات بعد أن وضعها الله مواضعها، وبعد أن عرفوها وعملوا بها زمانا.

---

(1) الرماني: النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ص 76 ـ 77 .

(2) ينظر أحمد درويش: الأسلوب والأسلوبية ـ مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه، فصول ـ الأسلوبية ـ المجلد الخامس، العدد الأول، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر 1984 ص 64 .

ومن الضروري بمكان في هذا المقام أن نشير إلى تكرار آية (فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) إحدى وثلاثين مرة، لإثارة الانتباه حولها، وترسيخ معانيها في الذهن، وقد ذكر ابن قتيبة أن هذا التكرار إنما هو لاختلاف النعم، فكلما ذكر الله نعمة أتى على تكرار هذه الآية.

كما وردت هذه الأساليب على شكل استفهام، ردا على الاستفسارات التي كانت ترد على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاصة من المؤمنين من أجلّ التعلّم والتفقّه في الدين، وإجابة على تساؤلات الكفار من أجلّ إتعابه واستفزازه. كما تتراوح مظاهر هذه الصور اللغوية بين التعريف والتنكير كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ الأحزاب ـ الآية 45، غير قوله: ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴾ الزخرف ـ الآية 6، فالأولى تختص بالرسول النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والثانية تعمّ أنبياء كُثرًا، والتقديم والتأخير كقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ الفاتحة ـ الآية 5، حيث قدّم المفعول على الفعل للاهتمام والحصر؛ فلا يتقدم ذكر العبد والعبادة عن المعبود. والفصل والوصل كقوله: ﴿وَلَلْآَخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) ﴾ الأضحى ـ الآيتان 4 ـ 5، فالأولى مع الآخرة، والرضا مع العطية في نهاية الجودة، وغاية حسن الموقع، والإفراد والتثنية والجمع، فنحن وإنا غالبا ما تستعملان بغرض تفخيم المتكلم وتعظيمه كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر ـ الآية 9، كما تستعملان للتثنية كقوله: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الشعراء ـ الآية 16. والتعدد كقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ النمل ـ الآية 68، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آَمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ القصص ـ الآية 53، وتختلف صيغ أفعالها بين الماضي والمضارع والأمر وصيغ القسم، وفي الوقت ذاته تكثر الأسماء فيها وتتنوع مواقعها الإعرابية، وكذا الحركات الإعرابية ودلالاتها، وجرس الحروف وأصواتها، والطول والقصر وحسن استعماله الضمائر؛ كالعدول عن صيغة الماضي إلى صيغة الاستقبال في قوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 87، والأصل قتلتم.

ولئن لمسنا كثرة وتنوعا في هذه الأساليب، فإنّ البلاغ القرآني استعملها بحكمة ودقة، ذلك أنّ «الخطاب التواصلي الإقناعي، وإن كان يستعمل الوسائل الشعرية من تجنيس واستعارة ومطابقات.. إلخ، فإنّ ذلك في حدود خدمة وضوح الدلالة، ونفاذ الخطاب»،[1] وبناء على هذا اكتفينا بالوقوف عند بعضها من خلال مثال واحد أو اثنين؛ لأنّ المقام لا يتّسع لاكتشاف ملامح جمالها كلّها وتبيّن أسرارها، وحسبنا أنّ البلاغ القرآني في تواصله مع متلقيه نمط فريد من الفن القولي الراقي من حيث تمكّنه من التوفيق بين ذوقين مختلفين أو مزاجين متناقضين؛ أي يسير وفق خطين متوازيين، والعجيب أنهما يلتقيان عند نقطة البدء والمنتهى، عبادة الله ـ عزّ وجلّ ـ وحده والإيمان به. الحقيقة العظمى التي فطر عليها الإنسان منذ آدم ـ عليه السلام ـ كاستعمال الترغيب والترهيب، والبشارة والإنذار، والوعد والوعيد،

(1) محمد العمري: البلاغة العربية ـ أصولها وامتداداتها ـ ص 203.

والدنيا والآخرة، والجنة والنار، والموت والحياة، والإيمان والكفر، والعلم والعمل، والإقناع والتأثير، وجمع بين السلاسة والجزالة، والقوة والعذوبة كي يشعر المتلقي برهبة المعاني القرآنية وقدسيتها، ومن أجلَ أن يظل ـ مهما كان نوعه ـ على خشية من الله.(1)

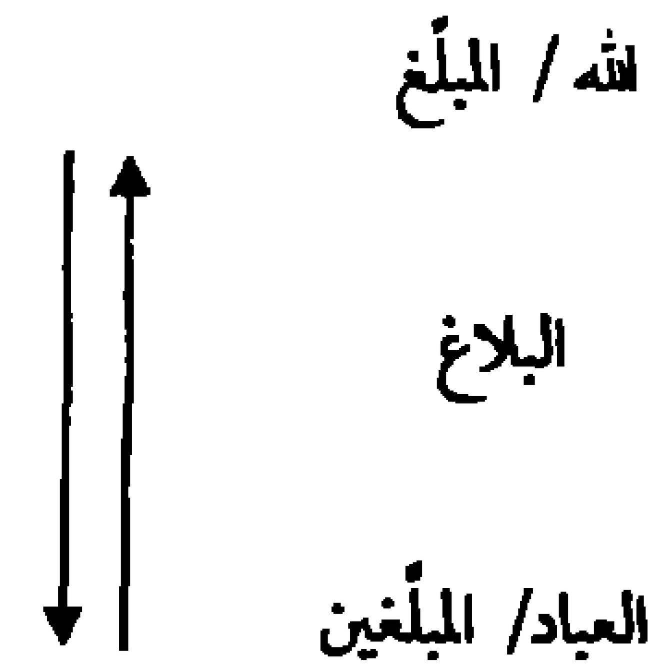
إنّ من يحاول أن يتلّمس هذه الخواص الفنية في البلاغ القرآني سيجدها تتّسم بالدقة التي تصور المعنى، وتنقله إلى متلقيه نقلا أمينا، مشحونا بالمشاهد الملموسة، وحافلا بالمشاعر المحسوسة التي تنسجم مع بعضها، وتلتقي مع قلب المتلقي وعقله. وما إكثار القرآن لمثل هذه الصور إلا لما تحمله من سمات التجاوب التواصلي، إذ إن آلية واحدة من هذه الآليات تكفي لتمثل صورة من صور الاستيفاء والكمال في استخدام الألفاظ والمعاني، استخداما إبداعيا يدل على القدرة الباهرة في التحكم في كل الخصوصيات التأليفية التي أسهمت في تشاكل اللفظ مع المعنى، وفي تناسق الحروف مع الكلمات، وفي تسلسل الآيات مع السور، وفي تعاقب الأحداث مع الصور، وفي إحكام القصص مع الأخبار، وفي اتصال الحوار مع الحجاج، وفي تتابع الأمر مع النهي، وفي ارتباط المحاور المطروحة بالتعابير الفنية، وإليك هذه الآية التي يقول فيها سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ آل عمران ـ الآية 156، لتبين كيف أنّها جمعت عددا وافرا من الخصوصيات يمكن أن تركن إلى دلالات مختلفة؛ فاستعمال أسلوب كهذا يقصد من ورائه إثارة شيء بعينه، في مخاطَب مبلَّغ بعينه، من أجلَ أن يؤدي البلاغ دوره. فتنشأ علاقة من الاتصال المتبادل بين الأطراف كلّها، وهو في الوقت ذاته يعكس خصوصية التعبير القرآني للوصول إلى حقائق تواصلية.(2) كل هذا ورد في توليفة متفردة لتحقيق التواصل الناجع؛ لأنه لوكان كله في صورة واحدة لنجم عنه ملل ونفور، ولما شقّ إلى النفوس طريقا وإلى العقول سبيلا، وهذا ما أعطى هذه الآلية فسحة ومتسعا لاستمرارها وتجددها، حتى إنه يمكن القول: إنّ أهمّ لطيفة في البلاغ القرآني مودعة في تواصل تواصله ودوامه.

لقد ارتسم التواصل طبقا لأشكال هندسية، متى طلبناها أتت طائعة خاضعة للبلاغ الرباني، فآياته تسير وفق خط عمودي شاقولي مستقيم من الأعلى إلى الأسفل، من السماء إلى الأرض والعكس، دلالة على تألّقه نزولا وصعودا. فهو سبحانه يقول: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ آل عمران ـ الآية 181، وقد نزلت هذه الآية بعد المقالة الشنيعة التي قالها اليهود في الله؛ الذين زعموا أنّ الله فقير حين أنزل قوله تبارك وتعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 245، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: دخل أبو بكر الصديق ذات يوم بيت مدارس اليهود، فوجد ناسا من اليهود قد اجتمعوا إلى رجلَ منهم يقال له فُنحاص بن عازوراء،

(1) ينظر محمد علي الجوزو: مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة ص 117.

(2) ينظر محمد تحريشي: أدوات النص ـ أبحاث لغوية، اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ 2000 ص 70.

وكان من علمائهم وأحبارهم، فقال أبو بكر لفنحاص: ويحك اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أنّ محمدا رسول من عند الله قد جاءكم بالحق من عنده، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل، فقال فنحاص: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من فقر وإنّه إلينا لفقير، ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا وإنا عنه لأغنياء، ولوكان غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطينا ولوكان غنيا ما أعطانا الربا، فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة، وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدوالله. فذهب فنحاص إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: يا محمد انظر إلى ما صنع بي صاحبك. فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ما حملك على ما صنعت يا أبا بكر؟ فقال: يا رسول الله إنّ عدوالله قال قولا عظيما، زعم أنّ الله فقير وأنهم أغنياء، فغضبت لله وضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص، فأنزل الله ردا على فنحاص وتصديقا لأبي بكر[1] الآية، التي يسير فيها القول صعودا ونزولا. ومثلما جاء هذا النوع من الأسلوب التواصلي في الكافرين، فقد جاء في المؤمنين حيث يقول جلّ جلاله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ المجادلة ـ الآية 1، وقد نزلت في خولة بنت ثعلبة التي ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت، على عادة أهل الجاهلية في تحريم الزوجة بالظهار، وقد جاءت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تشكوظلم زوجها لها وقالت يا رسول الله: أكل مالي، وأبلى شبابي، ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني ورق عظمي، وانقطع ولدي ظاهر مني، وإنّ لي منه صبية صغارا، إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إلي جاعوا فما ترى؟ فقال لها: ما أراك إلا قد حرمت عليه، فقالت: يا رسول الله والله ما ذكر طلاقا وهو أبوولدي وأحب الناس إلي، فجعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعيد قوله: ما أراك إلا قد حرمت عليه، وهي تكرر قولها، فما زالت تراجعه ويراجعها حتى نزل جبريل بسورة المجادلة بعد أن لجأت إلى الله وقالت: اللهم إني أشكوإليك، فاستجاب الله دعاءها وفرّج كربتها وشكواها. وما يوضح هذه المسألة المخطط التالي:



ووجدنا آياته ـ أيضا ـ تسير وفق خط أفقي مستقيم دلالة على توجهه إلى المخاطب بلا اعوجاج أو انحراف أو انكسار أو تقطع كقوله: ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ البقرة ـ الآية 93، وقوله:

---

(1) ينظر كتب التفاسير التي فسرت الآية وأشارت إلى أسباب النزول كتفسير ابن كثير وتفسير الرازي وتفسير الصابوني.

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ البقرة ـ الآية 285، وقوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 186، فهذه الآيات ومثيلاتها تؤكد أن البلاغ موجه من الله إلى جميع عباده، ولو بواسطة الملك جبريل ـ عليه السلام ـ ثم بواسطة الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فـ ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴾ الكهف ـ الآية 1.

الرسالة

الله / المرسلالعباد / المرسل إليهم

وفي كلتا الحالتين يتجاذب هذان الخطان ذهابا وإيابا، نزولا وصعودا تبعا لظروف البلاغ وصيغه كالإلقاء والتلقي، وكالجدال والحوار والحجاج، وكالأمر والطاعة والكفران، وكالنهي والانتهاء والعصيان، وكالسؤال والجواب...، وإذا ما نظرنا إلى هذه الآيات والسور من زاوية نسقها الفني ألفيناها دائرة محكمة الغلق انصهرت فيها كل العناصر اللغوية التي تشكّله، وهكذا فقد بلغ الأداء الفني ذروة النضج الكامل والحسن التام لذا فهُو متعالق الآليات مترابطها.

1. مراتب التواصل :

تمثل شمولية البلاغ من خلال قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ إبراهيم ـ الآية 52 وجها من وجوه الإعجاز، كما أنّ أقرأ لم تكن خطابا محصورا في علاقته بين الله ورسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإنّما امتدت العلاقة لتشمل «كلّ إنسان يفهم الخطاب من بعده»،[1] وبذلك فهُو يمثل ظاهرة متعدّية تحيط بكلّ الفئات بمستوياتها المعرفية المتنوعة والمختلفة، وبتفاوت استعدادها لتلقي البلاغ؛ لأنّ «الإعجاز كحجة لا بد أن يكون في مستوى إدراك الجميع وإلا فاتت فائدته، إذ لا قيمة منطقية لحجة تكون فوق إدراك الخصم، ومن حيث كونه وسيلة لتبليغ دين أن يكون فوق طاقة الجميع».[2] ولعل هذا ما يخول لنا أن نضع كل فئة ونوعية في مرتبة بعينها؛ ذلك أن البلاغ القرآني يقوم بها من منطلق قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ "نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نُنْزِلَ الناس منازلهم، ونكلمَهم على قَدْرِ عقولهم".[3]

(1) يوسف القرضاوي: الخصائص العامة للإسلام ص 60 .

(2) مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، تر / عبد الصبور شاهين، تقديم محمد عبد الله دراز ومحمود محمد شاكر، دار الفكر ـ دمشق ـ 1981 ص 64 .

(3) صحيح مسلم ـ المقدمة ص 5.

والحق أن هذا البلاغ الرباني على قداسته وعلوه استوجب النزول إلى كل الفئات من النـاس، أنبيـاء ورسـل، وعلماء راسخين في العلم وجاهلين، وحكام ومحكومين، وعرب وأعاجم، وفقراء وأغنياء، ومؤمنين وكافرين ومنافقين، وأتقياء وعصاة، وسعداء وأشقياء، ذكور وإناث... لذلك «ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعـاني، ويـوازن بينهـا وبـين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسّم أقـدار الكلام إلى أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني إلى أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلـك الحـالات»؛[1] لأنّـه بكل بساطة يتكلم ليفهم ويقول ليبين.

سيقت آيات الذكر المعجز في إطار واحد موجه للخاصة والعامة علـى حـد سـواء، فحافظـت علـى مـستواها الرفيع البيّن، ولم تمل إلى الخاصة لتترفع في مخاطبتهم ولم تركن إلى العامة لتتبذل في مخاطبتهم، كـلا.. مـا لمسناه فيهـا أنّهـا جمعت صفتي النبووالقرب في آن معا، وهُو الشيء الذي لا نعثر عليه في كلام بني البشر كلهم، وقـد سـئل أبوتمـام ذات مرة: لِم لا تقول ما نفهم؟ فأجاب: لم لا تفهمون ما أقول! وكان من المنتظـر أن يكـون ردّه النـزول إلى مـستوى النـاس حتى يستقطب فكره وإبداعه أكبر قدر من المتلقين، ويشد انتباه أفهام أكبر عدد منهم، والشواهد مـن هـذا القبيـل كـثيرة منذ أن بدأ الإنسـان يبدع إلى يومنا هذا.

إننا في هذه المحاولة من التصنيف سنحاول تبين أدب الخطاب والتخاطب؛ أي السلوك الذي هُـو علامـة علـى المبلّغ والمبلَّغين أي القائل والمقول لهم، خاصة وأنّ البلاغ يحتويهم مهما كانت مكانتهم أو أمزجتهم ونفوسهم، فحـديث الرضا والقبول غير حديث السخط والرفض، وحديث الإهانة والتهكم غـير حـديث التـشريف والتعظـيم، وحـديث الأمر والنهي غير حديث الدعاء والامتثال... مما يفضي إلى القول: لهذا البلاغ بنيته الخاصة وأهدافه، ومن ثمة أنماطا من المبلَّغين يتوفرون على درجة معينة من كفاءة التلقي. كما ستبين لنا هذه المحاولة قيمة هذا الـبلاغ ومكانتـه داخـل نطـاق التواصل على أساس أنّ «العلاقة التفاعلية بين الأثر والمتلقي علاقة متميزة بمظهرين اثنين: الأول مظهر جمـالي يعكـس أحكام قيمة تستند إلى المرجعية المشتركة بين الباث والمتلقي... والثاني مظهـر تـاريخي يتمثـل في أنّ الاسـتيعاب المبـدئي للنص لا يفتر عن أن يغتني ويتطور ليكشف خلال سيرورته التعاقبية عن أنواع من التلقي التي لابد من أن تعكس قيمـة الأثر ومكانته».[2]

إنه ليس من السهل الوقوف على هذه المراتب من دون معرفة الصياغات المختلفة التي وردت فيها، على اعتبار أنّ كلّ مرتبة تمثل عاملا أسّا في تحديد المعاني والألفاظ والأساليب التي وظفها المبلّغ، والأصعب أنّهـا صـيغت في مرتبـة واحدة بالجودة نفسها؛ فأمّا المرتبة الأولى فهي لله عزّ وجلّ، فهُو سبحانه من أرسـل الملـك جبريـل ـ عليـه الـسلام ـ إلى النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فألقى إليه ما أمره الله تعالى به، ثم منه ـ صلى الله عليه وسـلم ـ لعـشيرته الأقـربين،

(1) الجاحظ: البيان والتبيين ج 1 ص ص 138 ـ 139.

(2) إدريس بلمليح: القراءة التفاعلية ـ دراسات لنصوص شعرية حديثة ـ ص 56.

ثم لكلّ الصحابة والتابعين، ومنهم لعامة الخلق على تفاوتهم، ليس في قوة الإدراك والفهم فحسبن وإنّما في التصديق والتكذيب، والإيمان والكفر، وما يدل على هذا قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ الحجرات ـ الآية 14، وقوله: (ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا والآخِرَةَ ذَلِكَ هُو الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) الحج ـ الآية 11، وقوله: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ فصلت ـ الآية 44، فهذه الآيات على سبيل المثال لا الحصر تبيّن أنّ مرتبة المؤمنين أعلى درجة من المسلمين، وأشرف مكانة وقدرا بالنسبة إلى الكافرين الأذلاء؛ إذ إنّ لفظة "لمّا" في الآية الرابعة عشرة (14) من سورة الحجرات تفيد التوقع؛ بمعنى أنّ الإيمان سيحصل، ولكن ليس قبل أن يصل الأعراب إلى حقيقة الإسلام، ويطّلعوا على محاسنه، ويذوقوا حلاوة الإيمان فيستحكم في قلوبهم، وبذلك ينالون مرتبة من هم في أرقى الدرجات وأعلاها، بحكم تصديقهم لكلّ ما جاء به القرآن بكل ثقة واطمئنان قلب من دون منّ لقوله تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ الحجرات ـ الآية 17، فأولئك لهم الدرجات العلى في الدنيا والآخرة؛ لأنهم أدركوا حقا أنّ في القرآن هداية من الضلال، وشفاء لما في الصدور من الشك والجهل، فكانوا موقنين. بعكس الكافرين الذين صمّوا آذانهم، وغطّوا على أبصارهم، فهم لن يرقوا إلى درجة هؤلاء أبدا، يقول عزّ من قائل: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ آل عمران ـ الآية 163، ويقول: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾ الأنعام ـ الآية 165، ليدل هذا على أنّ التفاوت حدث بين الناس بمقدار استعدادهم وإنجازهم لما ابتلوا واختبروا فيه من نعم وغيرها فتظهر غايتهم، كما أنّ التفاوت "وقع في الشيء الذي حصل به الإظهار والبيان"،[1] مراعاة لدرجة كلّ واحد على حدة.

ولئن كان هذا البلاغ بمنزلة خطاب كان من الضروري أن يتضمن علامات خاصة متفاوتة بتفاوت درجة صاحب البلاغ والمبلّغ والمبلَّغين، الأول فالثاني... وهكذا.

لقد احتوى القرآن الكريم على المحكم والمتشابه، فكان من الطبيعي أن يحتوي صنوفا من المراتب التي لها مواصفاتها وخصائصها، على اعتبار أنّ المحكم هو واضح الدلالة ظاهر المعنى الذي لا يحتمل إلا وجها واحدا من المعنى، فيفهمه الخاص والعام، أما المتشابه فإنّه يضم أنواعا من المتلقين، بوصفه أسلوبا خفي المعنى لا يصل إلى دلالاته وأوجهه التفسيرية والتأويلية إلا الخاصة من العلماء، فضلا عن وجود آيات يغيب تأويلها عن كل العقول مهما بلغت درجتها أو مرتبتها، وهي مخصوصة به عزّ وجلّ فقط دون سواه.

(1) محمد فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت 1983 ج 7 ص 204 .

المرتبة الأولى: الله - عزّ وجلّ -

فأما هذه المرتبة فهي لله - عزّ وجلّ - وحده الذي يقول: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي ﴾ طه - الآية 14، ويقول: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء - الآية 25، وتدل أنا اللهُ ولا إله إلا أنا على ذات محددة بدقة، فرضت سلطانها على من وجّه إليهم الأمر، ذات تلقي قولا لعدد غير محدود أو محدد من الناس، وقد تولت هذه الذات الإلهية مسؤولية التبيين وتنظيم الكفاءة وفق معايير وقيم تحدد نوع المبلّغين في البلاغ ودورهم وقصورهم أيضا إلى حد ما خطر على بال بشر.

ولّما كانت كلّ سيرورة تواصلية تستلزم نقل بلاغ بين مبلّغ ومبلَّغ يمتلكان بشكل مشترك، جزئيا على الأقل، الشفرة الضرورية لتداول البلاغ، كان من الطبيعي أن يصوغ أسلوب التفكير، «لقد صاغ له نهجا واضحا للتفكير والتأمل والتدبر، ونهجا واضحا للعمل والممارسة، ولم يكن النهج والأسلوب محصورا في الفرد وحده، ولكنّه بنى على ذلك نهجا للأمة كلّها، نهجا للرأي العام، نهجا للإنسانية كلّها».[1]

إنّ القرآن الكريم هُو كلام الله الذي كلّف رسوله - صلى الله عليه وسلم - بتبليغه كاملا، وهُو مبلَّغ عنه مؤدى عنه، حيث إنّه إذا أرسل الله تعالى رسولا كان ذلك مما يكلّم به عباده، فيتلوه عليهم وينبئهم به.[2] كذلك فإنّ بلاغه سبحانه وتعالى بوصفه ربًّا مبلّغا متوقف على علاقته بمن وجّه إليه البلاغ، فيتحدث على نحو مختلف كربٍّ راض مقابل مؤمن مثل قوله: ﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾ البينة - الآية 8، وقوله: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ البقرة - الآية 157، وكربٍّ ساخط مقابل كافر مثل قوله: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ المائدة - الآية 80، وقوله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِيَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ التوبة - الآية 68. وتمتد العلاقة لتشمل السياق، فيتحدث على نحو مغاير في حديث عام وخاص، أو مباشر وغير مباشر، أو يتحدث في المبهم والواضح والمتشابه والمحكم وهذا في إطار مناسبة بعينها.

إذن لما كان البلاغ من العليم القدير للناس جميعا قوبل كل فرد بخطاب يناسبه؛ فقد قوبل الرسول - صلى الله عليه وسلم - بخطاب التشريف والتعظيم والمدح كقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان - الآية 1، وقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم - الآية 4. وقد خاطبه بـ يا أيُّها النّبيُّ ويا أيُّها الرّسُولُ في الوقت الذي رفض المكذّبون مناداته بهما، وقالوا على جهة الاستهزاء والتهكم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ الحجر - الآية 6. وقوبل المؤمنون بمن فيهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بخطاب الكرامة والتحبيب

(1) عدنان علي رضا النحوي: الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام ص 73 .

(2) ينظر ابن تيمية: كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ج 12 ص 315.

والتشجيع والتحريض والتخويف كقوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ الفتح ـ الآية 29، وكقوله: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 25، وقوبل الكافرون والمنافقون بخطاب التكذيب والتعجيز والذم والإهانة والتهكم مثل قوله: ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ يونس ـ الآية 52، وقوله تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ النساء ـ الآية 138. وقوبل هؤلاء جميعا بخطاب الترغيب والترهيب مثل قوله: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ النساء ـ الآية 173، كما قوبلوا بخطاب العام المراد به العموم لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 21، أو خطاب الخاص المراد به العموم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ الأحزاب ـ الآية 1، أو خطاب العام المراد به الخصوص ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾ النساء ـ الآية 43، أو بخطاب الجنس ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ الأحزاب ـ الآية 32، أو النوع أو الجمع بلفظ الواحد أو العكس أو بخطاب الجمع بعد الواحد... وغيرها من أنواع الخطابات بتنوع المخاطبين.

وحري بنا أن نشير إلى أنّ كلّ طبقة كانت سببا رئيسا في تحديد المعاني والألفاظ وأساليب التكرار والإيجاز والمجاز... وهي في الوقت ذاته تشير إلى أنّ المبلِّغ لله يقرر طبيعة كلامه باختياره لنوع محدد من المبلَّغين الذين يتباين واقعهم النفسي المزاجي والمعيشي الاجتماعي والتاريخي الزمني وخبرتهم و... وبالتالي يقوم هذا النوع من التواصل بتشكيل النموذج الأمثل لتحديد أساليب الوعي لأشكال التعبير المتفردة.

تمثل العلامات الصادرة عن المبلِّغ أو المبلَّغ ملمحا من ملامح ردود الفعل الناتجة عن التواصل، كأن يتّسم المبلِّغ بالرحمة والعفووالعزة والكبرياء والجبروت... كما هو شأنه ـ عز وجلّ ـ وكأن يتحلى المبلَّغ بالتقوى والرحمة والتسامح والانشراح... إن كان مؤمنا، أو بالقسوة والانقباض والتجهم، إن كان كافرا أو منافقا. وهذه كلّها سلوكات تعكس أدب التخاطب. فلقد خاطب الله ملائكته ورسله وكل عباده الصالحين وغير الصالحين، وخاطب الجن وإبليس، وكل واحد من هؤلاء له محوره الخطابي الخاص به.

فأما خطابه للملائكة كان من أجلّ إخبارهم عن خلق آدم وذريته وخلافتهم في الأرض لإجراء أحكامه وتنفيذ أوامره الربانية لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 30، وفي هذا تعليم لعباده المشاورة في

أمورهم قبل أن يقدموا عليها كما ذهب إلى ذلك بعض العلماء،[1] كما كان خطابه لهم من أجلّ إثبات أنّ أمر الله نافذ وأنّهم لا يعصون له أمرا مصداقا لقوله عز وجلّ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ ﴾ البقرة ـ الآية 34، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ التحريم ـ الآية 6، كما أتى خطابه لهم على سبيل تقريع الكافرين وتبكيتهم ومثل ذلك قوله: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴾ سبأ ـ الآية 40.

إنّ دور الملائكة في مجال التخاطب متراوح بين إيصال كلام الله وبين التسبيح والصلاة على عباد الله ورسوله بالدعاء والاستغفار وطلب الرحمة، وبين مخاطبتهم حين يتوفونهم أو عندما يدخلون الجنة أو النار، وما يؤيّد هذا ما جاء في قوله تعالى عندما راح جبريل يبشر زكرياء، بأمر من ربه ، بولادة يحيى ثم نبوته ـ عليهم السلام ـ ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ آل عمران ـ 39، مثلما راح يبشّر مريم باصطفائها وتشريفها بالكرامات، وتطهيرها من الأدناس وممّا اتهمت به من قبل اليهود من الفاحشة. واختارها على نساء العالمين لتكون أمًّا لولد من دون أب، فبشرها بالمسيح عيسى عليه السلام سيدا ومعظما في الدنيا والآخرة، ومقربا عند ربه فقال: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ (42) يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ (43) ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (44) إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ (45) ﴾ آل عمران ـ الآيتان 42 ـ 45، وأيضا عندما أنزل الله ملائكته مددا مردفين، وأوحى إليهم أنّه معهم بالعون، ومن ثمة أمرهم بأن يبشّروا المؤمنين بالنصر والغلبة ويحثونهم على الثبات ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ الأنفال ـ الآية 12، كما تحتل الملائكة موقع الوسيط الذي ينقل رسالة ربه، إذ ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ النحل ـ الآية 2، وقد لزمت الملائكة التسبيح لله خوفا من عذابه، تسبيحا مقترنا بحمده والثناء عليه وتنزيهه عن كل نقص وسوء، وتمجيده سبحانه وتعالى بناء على قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾ الرعد ـ الآية 13. ولم يخل كلامها من الدعاء للناس والاستغفار لهم وللرسول الأكرم خاصة. ويذكر الصابوني نقلا عن الصاوي في حاشيته أن حكمة صلاة الملائكة والمؤمنين على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ تشريفهم بذلك، حيث اقتدوا بالله ـ جلّ وعلا ـ في الصلاة عليه وتعظيمه، ومكافأة لبعض حقوقه على الخلق، لأنّه الواسطة العظمى في أعظم نعمة وصلت إليهم. وحق على من وصل له نعمة من شخص أن يكافئه. ولمّا كان الخلق عاجزين عن مكافأته ـ صلى الله عليه وسلم ـ طلبوا من القادر الملك أن يكافئه بتمجيده ورفع

---

(1) الصابوني: صفوة التفاسير ج 1 ص 49.

مقامه، وجعله في الدرجات العلى؛[1] فالله جلّت قدرته ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ الأحزاب ـ الآيتان 43 ـ 56، وامتد خطاب الملائكة للناس ليشمل لحظة وفاتهم، فإمّا أن يكونوا من أولياء الله عزّ وجلّ فيقال لهم: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ (27) ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ (28) ﴾ الفجر ـ الآيتان 27 ـ 28، وإمّا أن يكونوا من أعداء الله فيقال لهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ النساء ـ الآية 97.

ويتواصل تواصلهم مع الناس ويمتد، لحظة الحساب والجزاء، فيقولون لأهل الجنة: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ الزمر ـ الآية 73، ويقولون لأهل النار: ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ الزمر ـ الآية 71. وهم بهذا ينقسمون إلى قسمين: ملائكة الرحمة وملائكة العذاب.

وأمّا خطابه لعباده الصالحين من المؤمنين فجاء على النحو التالي ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 186، و﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الحجر ـ الآية 49، و﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الزمر ـ الآية 53، إذ لطالما شرّفهم بأن أضافهم إليه إضافة تشريف، بعد أن أقبل عليهم، ودعاهم بـ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وأَيُّهَا الْمُؤْمِنُونْ وناداهم بها. ووصفهم بالمتقين، والأبرار، والمحسنين، والصالحين، والمخلصين، والصدّيقين، والطيبين، والمؤمنين، والمسلمين، و... غيرها من النعوت والصفات جزاء بما كانوا يعملون، ولهم الحسنى وزيادة من كريم رحيم لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴾ الانفطار ـ الآية 13، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴾ الحجر ـ الآية 45، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ الأحزاب ـ الآية 35، ووسم نفوسهم بالطيبة والمطمئنة واللوامة فقال: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴾ الفجر ـ الآية 27، وقال: ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ القيامة ـ الآية 2، وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ النحل ـ الآية 32.

وأمّا خطابه لعباده غير الصالحين من الكافرين والمنافقين فجاء على النحو التالي ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ (1) ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ﴾ إبراهيم ـ الآيتان 1 ـ 2، و ﴿ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ﴾ التوبة ـ الآية 64، وقال: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ

---

(1) ينظر الصابوني: صفوة التفاسير، ج 2 ص 536.

يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 79 وقال: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ الزمر ـ الآية 22، كما قال: ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ التوبة ـ الآية 24، وأيضا قال تبارك وتعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ الكهف ـ الآية 49، وقال: صـض ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ آل عمران ـ الآية 61... إذ لطالما حذرهم مما نهاهم عنه، ونصح لهم، ورهّبهم، ورغّبهم، بعد أن أقبل عليهم والمؤمنين، فأخبر عن كتابه القرآن الكريم الذي نزّله على عبده محمد رسوله الكريم، وفيه عرّف بدين الحق الذي يحتويه، وأوضح ما جاء به نبيه، وهو دين يخرج الناس من الظلمات إلى النور، وينقلهم من شرور منزلة الكفر وظلامها إلى خيرات منزلة الإيمان بالله ونورها، ثم أعرب عن نفسه ـ من حلمه وكرمه ـ وطرح عليهم ما حرّم وما أحلّ، بعد حجاج وعناد كبيرين، ودعاهم أكثر من مرة فقال: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران ـ الآية 64، وقال: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ المنافقون ـ الآية 5، وقال: ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ النور ـ الآية 48... وعندما استيأس منهم الرسل، وظهر أن لا خير يرجى منهم دعاهم بـ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا ويَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وناداهم بها، كما وصفهم بالضالين، والمكذبين، والمجرمين، والظالمين، والكافرين، والمنافقين، والفاسقين، والمفسدين، والخبيثين، والمشركين، والمسرفين، والمطففين... وغيرها من الصفات والنعوت جزاء بما كانوا يعملون ولهم ﴿ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ﴾ فقال: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴾ الواقعة ـ الآية 51، وقال: ﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ يس ـ الآية 59، وقال: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ البلد ـ الآية 19، كما قال: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 99. وكان قد خاطبهم بأسلوب فيه من الإنسانية والتشريف ما فيه، فقال مخاطبا جميع البشر مؤمنين وكافرين: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ الحج ـ الآية 1، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ الانفطار ـ الآية 6، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ الانشقاق ـ الآية 6. فهذه الآيات فيها تذكير للإنسان الغافل وعتاب له، وتوبيخ للعاصي المتمرّد، إذ يحذّره من أنّه ملاق جزاء كدحه، من ثواب وعقاب. كما خاطبه بصيغة ولا أروع بني آدم بوصف البنوة لآدم ـ عليه السلام ـ حيث كرمهم، وجعل لهم شرفا وفضلا كبيرين بالعلم والعقل والنطق واعتدال الخلق بتسويته لآدم بيده ـ جلّت قدرته ـ في أحسن تقويم، ونفخه له من روحه. وقد تكررت هذه الصيغة في القرآن أكثر من مرة، لما لها من

أهمية جلّيلة في التأثير في القلوب والعقول معا، وبالخصوص وأنّها استعملت في مواطن النصح والإرشاد، ليتذكر بنوآدم أنّهم عرضة لمكائد الشيطان ومفاسده، فحذّرهم من إبليس وقبيله، مبينا لهم عداوته القديمة لأبي البشر آدم ـ عليه السلام ـ وزوجه في سعيه في إخراجهما من الجنة، ثم أردف هذا النداء بجملة أخرى من النداءات المتالية لذات الهدف. كما وجه نداء آخر لهم وهُو أنّه تبارك وتعالى سيبعث رسلا يقصّون عليهم آياته، ثم تلاه نداء جديد لا يخلو من توبيخ وتقريع جاء على شكل استفهام مع تعليل للأمر الذي نهاهم عنه فقال: ﴿ قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون (٢٥) يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون (٢٦) يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ﴾ إلى أن قال: ﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ ، وقال: ﴿ يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ الأعراف ـ الآيات 26 ـ 27 ـ 31 ـ 35، وقال: ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ يس ـ الآية 60.

وأما خطابه للجن فجاء على سبيل التقريع والتوبيخ في شكل نداء أتبعه باستفهام بالنسبة إلى الكافرين يقول تعالى: ﴿ ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم (١٢٨) ﴾ إلى ان قال: ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين (١٣٠) ﴾ الأنعام ـ الآيتان 128 ـ 130، ويقول: ﴿ قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ﴾ الأعراف ـ الآية 38، مثلما جاء خطابه في شكل نداء رحمة وتشريف في عبارة يا أيها الذين آمنوا وأيها المؤمنون من دون تحديد لجنس المؤمن، فيندرج تحتها الإنس والجن، ليدل على أنّ الجن مثل الإنس في انقسامهم إلى فريقين: فريق مهتد، وفريق ضال. وأنّ كلّ فريق سيناله إما رضا وجنة وإما سخط ونار، فهم مخاطبون مكلّفون، مأمورون منهيون، مثابون معاقبون كالإنس، ولا أدل على ذلك من أنّ الله توعّدهم بالحساب والجزاء في الآية التي جمع فيها لفظ الثقلان بين الإنس والجن يقول تعالى: ﴿ سنفرغ لكم أيه الثقلان ﴾ الرحمن ـ الآية 31، أيضا فقد قرن الله بينهما، عندما أمرهم بالهروب منه والفرار من قضائه يوم القيامة ومن باب تعجيزهم وترهيبهم فقال: ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ الرحمن ـ الآية 33، وقد جاء بأسلوب الترغيب بالنسبة إلى من استمع من الجن، فكانت أحسن جوابا لربها من الإنس عندما قرأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سورة الرحمن على أصحابه فكان كلما يأتي على قوله تعالى: ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ قالت الجن: لا

بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد"[1] كذلك قال نفر منهم عندما استمعوا لتلاوة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ في صلاة الفجر: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (2) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (3) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (4) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (5) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (6) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (7) وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (8) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (9) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (10) وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (11) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا (12) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (13) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (14) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (15) ﴾ الجن ـ الآيات من 1 إلى 15، وقد جاءت هذه الآيات لتدل على سبق الجن إلى الإسلام، ومسارعتهم إلى الإيمان، ودعوة قومهم بإجابة داعي الله، ونصحهم لهم ترغيبا وترهيبا، بعد أن حضروا وأنصتوا و ﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (30) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (31) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (32) ﴾ الأحقاف ـ الآيات 30 ـ 31 ـ 32.

وأما خطابه لإبليس فقد توجّه به إليه عندما أمره والملائكة بالسجود لآدم سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة، ففسق عن أمر ربّه وأبى واستكبر وكان من الكافرين، ثم عندما استفهم منه دواعي الإباء والامتناع على سبيل التبكيت والتوبيخ، ثم عندما خاصم ربّه فيه فطرده من رحمته وحلت عليه لعنته إلى يوم الدين، ثم توجّه إليه بخطابه عندما سأله أن يرجئه إلى يوم البعث، ثم عندما ردّ على إبليس الذي أقسم أن يغوي ذرية آدم ويضلهم عن الطريق ويزيّنه لهم بالآثام والمعاصي، وهذا ما نستشفه في هذا الخطاب ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (76) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (77) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (78) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (79) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (80) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (81) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (83) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (84) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ص ـ الآيات من 71 إلى 85.

ولذلك كان خطاب إبليس لعباد الله يجيء على شكل وسوسة وتزيين، يتلوها تبرؤ من الإنسان ومن عصيانه أو من كفره الذي أغراه به، كوسوسته لآدم وزوجه خداعا ـ باليمين ـ وإغراء بالخلود في الجنة وبالملك الذي لا يزول؛ ومثل هذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾ طه ـ الآية 120، وقوله: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ الأعراف ـ الآية 20. وكقسمه باتخاذه من عباد الله حظا معلوما، يدعوهم إلى الكفر والعصيان ويضلهم بوعود باطلة

(1) ينظر البخاري (أبوعبد الله محمد بن إسماعيل): صحيح البخاري ـ كتاب بدء الخلق، باب صفة الجنة ص 1062.

وأماني زائفة، فيحلّ لهم ما حرّم الله ويحرّم عليهم ما أحلّ لهم ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ النساء - الآيات 118 - 119 - 120،

وقوله: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الحشر - الآية 16، ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ الأنفال - الآية 48.

ويمتد خطاب إبليس من مرحلة خلق آدم إلى مرحلة الجزاء، ليخطب في لائميه من أهل النار خطبته البتراء، حيث يذهب المفسرون إلى القول: إنّ إبليس يقف يوم القيامة خطيبا في جهنم، على منبر من نار، يسمعه الخلائق جميعا، وقد استقر منهم أصحاب الجنة في الجنة وأصحاب النار في النار ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ إبراهيم - الآية 22.

كذلك رتّب - جلّت قدرته - التواصل ترتيبا تنازليا حتى يقع كلامه في نفوس الجميع على تفاوت قدرتهم في التلقي؛ ذلك أنّ خطابه - عزّ وجلّ - دليل آخر من الأدلة الكثيرة الدالة على وجوده، فما اندكّ الجبل عندما تجلّى له ربّه إلا ليؤكّد عظمة الله وقدرته، وما خرّ موسى - عليه السلام - صعقا، وولى مدبرا ولم يعقّب، وما ارتعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وارتجف إلا لأنّ كلام الله بما فيه من أوامر كان أقوى منهما وأعظم. يقول سيد قطب في ظلاله: «إنّ القلب ليجفّ، وإنّ الكيان ليرتجف، وهُو يتصور ذلك المشهد.. موسى فريد في تلك الفلاة، والليل دامس، والظلام شامل، والصمت مخيم، وهُو ذاهب يلتمس النار التي آنسها من جانب الطور، ثم إذ الوجود كلّه من حوله يتجاوب بذلك النداء العلوي ﴿ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ طه - الآية 12».[1] والمشهد نفسه يتكرر مع الرسول محمد الأكرم، ولكن هذه المرة في غار حراء وهُو يتعبّد في خلوة محببة إليه، يقضيها في أروع ساعات العبادة والصفاء، في ليلة القدر، إذ ينزل الوحي جبريل - عليه السلام - بـ"اقرأ"، فيرجع بها رسول الله إلى خديجة يرجف فؤاده، مما يؤكد أنّ لكلام الله سلطانه ومكانته؛ لأنه صادر من مليك لعباده ؛ لذلك نراه - عزّ وجلّ - يستأثر بعلم المتشابه الذي لا يستطيع البشر أن يصلوا إليه، ولوكانوا علماء راسخين في العلم، فظلّ خفيا لا يدرك معناه عقلا ولا نقلا، وقد تفرّد سبحانه بتأويله ومعرفة أسراره؛ لأنه أعلم وأجلّ وقد قال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ آل عمران - الآية 7.

---

(1) سيد قطب : في ظلال القرآن ، م 4 ج 16 ص ص 2330 – 2331.

المرتبة الثانية : الرسل والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -

وتختص برسل الله - صلى الله عليهم وسلم - وهم من الخيرة المصطفين من عباده، يفارقون الناس وهم منهم بخصيصة الوحي لما اتصفوا به، فقد أثنى الله عليهم جميعا فقال عنهم: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ ص - الآيات من 45 إلى 48، وبيّن أنهم كانوا صادقي الوعد في قوله: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾ مريم - الآية 54، صابرين أوابين فقال: ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ إلى أن قال: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ ص - الآيات 17 - 18 - 19 - 20 - 30، وقال: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ الأحقاف - الآية 35، أواهين منيبين إلى الله ومتوكلين عليه فقال: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ هود - الآية 75، وقال: ﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ ص - الآية 24، وقال على لسان نبيه محمد الأكرم: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ الشورى - الآية 10، وكذلك قال على لسان شعيب - عليه السلام - ﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ هود - الآية 88، كما دل على أنهم رحماء، شديدو الشفقة، كثير العفو فقال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ آل عمران - الآية 159، وقال: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ الأنبياء - الآية 107، وقال: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ التوبة - الآية 128، وأفصح أنهم كانوا مخلصين صالحين في قوله: ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ يوسف - الآية 24، وقوله: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ مريم - الآية 51، وقوله: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ آل عمران - الآية 39. ولعل أهمّ ما يميّزهم هو التلقي من رب عظيم، وهو أمر مقصور عليهم دون غيرهم من الناس، فيتلقون آيات الله وتعاليمه منه إما وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ الشورى - الآية 51؛ مما يعني أنّ جمالية التواصل تجلّت أكثر في هذين الطرفين اللذين «لا ينتميان إلى نفس المرتبة الوجودية».[1]

يجسد خطاب الرسل - عليهم السلام - لله تعالى منتهى الأدب، كما يمثل علامة أخرى من العلامات الأخلاقية التي تسمح لنا بإدراجهم في مرتبة سامية كقوله تعالى حكاية عن إبراهيم الخليل - عليه السلام -: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ الشعراء - الآيات من 78 إلى 82، فإنّ النكتة التي أوجبت على الخليل - عليه السلام - إسناد فعل المرض

(1) نصر حامد أبوزيد: مفهوم النص - دراسة في علوم القرآن - ص 33 .

إلى نفسه دون بقية الأفعال حسن الأدب مع ربّه عزّ وجلّ، وأسند فعل الشر إلى نفسه، وإن كان المرض قدرا من الله وقضائه. وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨ ﴾ طه ـ الآيتان ـ 17 ـ 18، وهذا جواب عن سؤال، ثم قال موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴾ طه ـ الآية 18، فأجاب عن سؤال مقدّر، كأنه خمّن أن يقال له: وما الغاية من وجودها عندك؟ فقال معددا منافعها وحاجاتها. ولم يقع ذلك عن موسى ـ عليه السلام ـ إلا بقصد شكر الله تعالى الذي رزقه تلك العصا التي وجد فيها من المآرب ما لا يوجد في مثلها. وابتدر بالجواب عن السؤال المقدّر قبل وقوعه تأدبا مع ربّه سبحانه، ولتعظيم مساءلة ربّه له، فرفعها بالجواب عنها،[1] وكان من الممكن أن يرد: هي عصاي وكفى، ثم رغبة منه في إطالة العملية التواصلية مع ربه قدر الإمكان، ليحقق تواصلا متواصلا، وإن كنا نجد من يرى أنّ «كلّ ما بعد عصاي إطناب سخر لغاية بلاغية اقتضاها مقام التعجيز».[2]

ويحظى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأعلى المنازل وأسماها، حيث فضّله الله على كلّ النبيين والمرسلين بأن جعله سيّد الأولين والآخرين في الدنيا والآخرة، فقال: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ الإسراء ـ الآية 55، وقال: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ البقرة ـ الآية 253. وخصّه بأشرف الرتب، لشرف ما حمّله الله تعالى وكلّفه به، لأداء البلاغ الحق، آخر البلاغات التي لا يأتيها الباطل وليس له إليها سبيل، وقد حظيت بشرف العناية الربانية لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الحجر ـ الآية 9.

وقد كان خطاب الله لرسوله محمد غير خطابه لرسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ في القرآن الكريم كله؛ إذ إنه تبارك وتعالى من دون كلّ الرسل أفرد ذكر رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالرسالة والنبوة، وشرّفه بمناداته بـ"يا أيّها الرّسُولُ" و"يا أيّها النّبيّ" على سبيل التشريف والتكرمة؛ لأنّ لفظ الرسالة والنبوة مشعر بالتعظيم والتكريم، وفي ندائه بهما، اعتناء بشأنه، وتنويه بمقامه، وتنبيه على سموّ مكانه.

وكان سبحانه قد خاطب أنبياءه بأسمائهم، فقال: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ مريم ـ الآية 7، و﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ مريم ـ الآية 12، و﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ هود ـ الآية 48، ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٠٥ ﴾ الصافات ـ الآيتان 104 ـ 105، و ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ آل عمران ـ الآية 55، و﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن

---

(1) ينظر ابن أبي الأصبع: بديع القرآن ص 126.

(2) محمد صغير بناني: البلاغة العربية وأصولها النظرية ـ دراسة تحليلية للمبادئ اللسانية والبلاغية والعقيدية التي قامت عليها منذ نشأتها إلى بداية القرن السابع الهجري ـ ص 498.

﴿ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ الأعراف ـ الآية 144، و﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ﴾ يوسف ـ الآية 29. فضلا عن أنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ خصّه بالذكر في قوله: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران ـ الآية 68 تعظيما له، وللدلالة على أنّ رسالته موافقة لما جاء به إبراهيم ـ عليه السلام ـ في أكثر شرعه دينا قيّما ملة إبراهيم حنيفا، وإن كان ذكر لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ قد عمّه وشمله.

كذلك هذه النداءات التي وجهت للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم تخل من تسلية وشد أزر، إذ أمره الله ألا يهلك نفسه أسفا إن أعرض بعض الناس عن القرآن ولم يؤمنوا به، وألا يحزن لما يناله من أذى من أعدائه، فهو سبحانه سيكفيه شرّهم ويعصمه منهم ، فقال مناديا إياه بأشرف الأوصاف: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ۚ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (41) ﴾ المائدة ـ الآية 41، وناداه أيضا في موضع آخر بالرسالة الربانية فقال له: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۖ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ المائدة ـ الآية 67. مثلما شرّفه بمناداته بالنبوة أكثر من مرة، في وقت كان فيه في أمس الحاجة إلى من ينصره بالقول والفعل فقال له: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأنفال ـ الآية 64. كما أبرز اسمه في مواضع معينة في القرآن مقرونا في أغلب الأحوال بالرسالة والإنزال فقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ آل عمران ـ الآية 144، وقال: ﴿ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ محمد ـ الآية 2، وقال: ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ الصف ـ الآية 6. وقد جمع له بين الرتبتين العظيمتين الرسالة والنبوة ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَٰكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ الأحزاب ـ الآية 40، وقال: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾ الأعراف ـ الآية 157؛ لأنّ مقام الرسالة أخصّ من مقام النبوة، فإنّ كلّ رسول نبي ولا ينعكس الأمر، حيث إنهما يشتركان في أمر أعمّ وهو النبأ، ويفترقان في أمر أخص وهو الرسالة. وذكره الله بلفظ العبودية تعظيما لشأنه وتخصيصا له فقال: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ البقرة ـ الآية 23، وأضافه إليه زيادة في التشريف والتكريم في مواضع أخرى فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﴾ النساء ـ الآية 136، وقال: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ التغابن ـ الآية 12، وقال: ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ النجم ـ الآية 10.

ولمّا كان خطاب الله للرسول غير خطابه للرسل كان من الطبيعي أن يكون خطاب الرسول لربه مميزا متفردا، وحسبنا قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ فصلت ـ الآية 33. وكان هذا شأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقد كان الحسن البصري ـ رحمه الله ـ إذا تلا هذه الآية يقول: هذا رسول الله، هذا

حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله هـذا والله أحـب أهـل الأرض إلى الله؛ أجـاب الله في دعوتـه، ودعا الناس إلى ما أجاب فيه من دعوته، وعمل صالحا في إجابته، وقال إنني من المسلمين، هذا خليفة الله "الـذي أوحـى إليه ربّه ما أوحى وعلّمه ما لم يعلم، فدعا بالطريقة نفسها التي دعا الله بها الناس إلى الجنة والمغفرة بإذنه، وبيّن آيـات ربّـه لهم لعلهم يتذكرون، وعلّمهم كيف يكون خطابهم لربهم مثلما تعلّمه منه مراعاة للأدب معه وتحقيقا للتواصل الجيـد في قوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ آل عمران ـ الآية 26.

ولئن كان الرسول الكريم قد سأل الله عزّ وجلّ أن يجعل ملك فارس والروم في أمته ـ كما روى ذلـك قتـادة ومقاتل[1] فإنّه ـ تعالى ـ علّمه هذا الدعاء من دون التصريح بالسؤال. وقد اقتصر على ذكر الخير دون ذكر الـشر "بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُ" وإن كان كلّ شيء من عنده سبحانه وتعالى، والتقدير بيدك الخير والشر، فمـا نـسبه إلى ربـه أدبـا معـه وفي هـذا تعظيم لله وشكر له وتفويض إليه و توكل عليه.

ويخرج الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد التلقي من عهدة التكليف بـالتبليغ ليـدخل إلى عهـدة التواصـل، وينضم إلى جموع المتلقين الذين انشطروا إلى قسمين: قسم يقبل ويذعن، وقسم يرفض ويتولى، فمهمة الرسـول ـ صـلى الله عليه وسلم ـ لا تقف عند حدود التبليغ فقط بل تستوجب النزول إلى كل الفئات من الناس والوصول إلـيهم قـولا وعملا، لذلك ألفيناه ومن اتبعه من المؤمنين ممّن علّمهم يقولـون: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ البقـرة ـ الآيتـان 285 ـ 286، ويقولـون: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾ ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ آل عمران ـ الآيات 8 ـ 9 ـ 191، ويقولون: ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ النساء ـ الآية 75.

وفي دعاء الله بأسمائه الحسنى واستمطار إحسانه وفضله وإنعامه بـذكر صـفاته العليـا الجليلـة امتثـال لأمـره، وتعليم لعباده أدب الـسؤال ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾ الأعراف ـ الآية 180، وهو حال كلّ الرسل والأنبياء الذين أحسنوا التواصل مع ربّهم قولا وعملا، فهذا إبراهيم يرفع القواعـد مـن البيـت وولـده إسماعيـل ـ عليهمـا الـسلام ـ ويدعوان الله بخضوع وإجلال ويقـولان: ﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا

(1) ينظر كتب التفاسير فأغلبها أشارت إلى ذلك في تفسيرها للآية السادسة والعشرين منآل عمران.

﴿ مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ البقرة ـ الآيات 127 ـ 128 ـ 129.

وهذا موسى طلب المغفرة من ربّه له ولأخيه هارون ـ عليهما السلام ـ لما تحققت له براءته من التقصير في النصح لقومه، حيث استضعفوه وكادوا يقتلونه حين نهاهم عن اتخاذ العجل إلها يعبدونه، من بعد ذهاب موسى إلى الطور لمناجاة ربه، فـ ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ الأعراف ـ الآية 151، والتجأ إلى ربّه في دقائق أموره وجلّيلها بأسلوب الاستعطاف والترحم الذي يليق بمقام من يتذلل له، بعد أن قام بعمل صالح؛ حيث سقى ـ عليه السلام ـ غنم امرأتين كانتا تكفانها عن الماء حتى ينصرف الرعاة رحمة بهما، ثم تولى إلى ظل شجرة ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ القصص ـ الآية 24، فعرض بالدعاء ولم يصرح بالسؤال. كما قدّم فضل الله وغناه على فقره ـ عليه السلام ـ فوصف ربه بالغني ووصف نفسه بالفقير المحتاج إلى ربه، وكان قبل هذا قد التجأ إلى ربه بدعاء صريح لما أحسّ من فرعون ومَلَئِهِ المكيدة، فخرج من مصر خائفا يترقب و ﴿ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ القصص ـ الآية 21.

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ الأنبياء ـ الآية 83، فهُو ـ عليه السلام ـ دعا ربه بتلطف أن يكشف الضر الذي مسه، ولكنّه لم يصرح بالدعاء بل نادى ربّه، ثم نفى عنه ـ جلّ جلاله ـ الضر ولم يسنده إليه، ونسبه إلى الشيطان تأدبا مع ربّه، مع علمه بأنّ النافع هُو الله والضار هُو الله، وأنّ الشيطان ليس بضار أحدا شيئا إلا بإذن الله فقال: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ ص ـ الآية 41. ووصف نفسه بالعجز والضعف والمشقة والتعب، ووصف ربّه بأرحم الراحمين ليستجيب له ويصيبه من رحمته ويدخله فيها. وكذلك زكريا الذي ناجى ربّه في إخلاص، وناداه نداء خفيا، ودعاه متضرعا وقد أيقن استجابة ربّه له؛ لأنّه عوده الإحسان والجميل، وبالخصوص عندما رأى كرامة الله ـ الذي يرزق من يشاء بغير حساب ـ لمريم فـ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴾ مريم ـ الآيات 4 ـ 5 ـ 6، و ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ آل عمران ـ الآية 38...

والقرآن الكريم يحفل بكثير من الآيات التي تصب في هذا الإطار، هكذا فقد كان الرسل ـ عليهم السلام ـ يعدلون عن بعض الصيغ، ويستعملون أساليب مخصوصة ليكون كلامهم مع ربهم موصوفا بحسن الأدب، ولأنهم القدوة فإنّ هذا النوع من الأدب في الخطاب هُو تأديب لغيرهم من جهة وحسبهم ذلك فـ ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ الأنعام ـ الآية 90، وليكون المعنى أبلغ وأكمل من جهة أخرى.

وانتقل أدب الرسل في خطابهم لربهم إلى أدب شمل جميع الأمم التي أرسلوا إليها من أجل أن يقرّبوا الفهم منهم، ولا سيما الخصوم والمجادلين والمعاندين، عن طريق ذكر حقائق تؤكّد وحدانية الله عزّ وجلّ، ودلائل تجزم بمطلق قدرته، وبأسلوب اللين حتى مع الطغاة والمعاندين، طاعة لأمر ربّهم ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ

﴿إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ البقرة ـ الآية 275؛ ذلك أنّ الموعظة تستلزم جملة من الشروط لعل من أهمها: الحلم، واللين، ودرجة الألفة، والسن والمكانة أو ما يعرف بالمسافة الاجتماعية، والقوة النسبية وحجم السيطرة[1] اللتين تظهران بكثافة في صواب فكر المتكلم وحكمته ورجاحة عقله... وكلّها مواصفات نجدها عند إبراهيم الخليل على سبيل المثال عندما نادى أباه متلطفا، وهو الفتى، بخطاب تواصل فيه معه ليدعوه إلى عبادة الله وترك الشرك ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ مريم ـ الآيات من 42 إلى 45، فقد كرر لفظة أبت أربع (4) مرات، مّما يعني أنّ إبراهيم الحليم خاطب أباه أكثر من مرة باللطف ذاته الذي استمده من ربّه الذي كان به حفيا*؛ فأمّا المرّة الأولى فهي استفهام إنكاري غرضه التنبيه والنهي، وأمّا المرّة الثانية فهي أمر غرضه الدعاء والإرشاد، وأمّا المرّة الثالثة فهي نهي غرضه التذكير، وأمّا المرّة الرابعة فهي وعظ ووعيد، وجميعها لا تخلو من نداء فيه رفق كبير، وهذا أعظم دليل على فرط حبّه لأبيه وصبره على كفره، ولم يتبرأ منه إلا بعد أن تبيّن له أنّه عدولله مصر على الكفر. وكان قد أمّنه بسلام لحرمة الأبوة، واستغفر له الله رحمة به، ولكنه تبرأ أيضا عن الاستغفار له؛ لأنّه لا يصح للنبي ولا للذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ التوبة ـ الآية 114. وظل إبراهيم الأواه مراعيا الأدب مع أبيه في كل مراحل دعوته، ولا أدل على ذلك من قول الرسل يوم الحساب والجزاء ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ آل عمران ـ الآية 194.

ولم تنحصر دعوة إبراهيم ـ عليه السلام ـ في أبيه فقط من الأفراد، ولكنّها* طالت الذي حاجه في ربه، وهو من غير أهله، وجادله في وحدانيته، ومع إعطائه الأدلة الساطعة والحجج البالغة ظل الطغيان يتحكّم في نفسه الكافرة المعاندة. وكما طالت دعوته الأفراد فقد طالت قومه المشركين المكابرين بالأسلوبين: القولي والعملي، ليقيم عليهم الحجة، فتكون النتيجة أن لا مناص لهم من الإقرار بالهزيمة في خنوع واستسلام إذ قال لهم: ﴿ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت ـ الآية 16، وكان قد دعاهم إلى عبادة الله بالموعظة الحسنة واللين والتواضع والتلطف في المناظرة والحجة الدامغة التي آتاه الله إياها ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا

---

(1) ينظر قويدر شنان: التداولية في الفكر الأنجلوسكسوني ـ المنشأ الفلسفي والمآل اللساني ـ مجلة اللغة والأدب ـ قسم اللغة العربية وآدابها ـ جامعة الجزائر، العدد 17 ص 31.

(*) الحفي: المبالغ في البر واللطف به.

(*) بدأ إبراهيم ـ عليه السلام ـ دعوته بالأقرب فالأقرب إذ إنّه أنذر أباه أولا ثم أتبعه بإنذار النمرود الذي ملك الدنيا مشارقها ومغاربها ثم انتقل إلى إنذار قومه، لتكون دعوته لهم أنفع وكلامه أنجع، وليدل على أن النسب لا ينفع وكذلك المحاباة ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ الزخرف الآية 26.

وَجَدْنَا ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (54) قَالُوٓا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّٰعِبِينَ (55) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّٰهِدِينَ (56) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (57) فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58) قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ الظَّٰلِمِينَ (59) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ (60) قَالُوا فَأْتُوا بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (61) قَالُوٓا ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ (63) فَرَجَعُوٓا إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّٰلِمُونَ (64) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ (65) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ (66) ﴾ الأنبياء - الآيات من 52 إلى 66. وكل هذا يشير إلى أخلاق رفيعة ويؤكّد وجود علاقات تواصلية سامية، ولكنّه لما ضجر منهم عنّفهم فقال: ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ الأنبياء - الآية 67، وحين بلغ الاستيئاس مبلغه منه تبرأ منهم، وقال: ﴿ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ الزخرف - الآية 26، وقال: ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَٰوَةُ وَالْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ الممتحنة - الآية 4، وبعد أن مُني قومه بهزيمة عقلية نكراء وبهتوا لم يجدوا من سبيل للخلاص منه خوفا من أن يتمكّن كلامه في قلوبهم وفعله في عقولهم إلاّ أن ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوٓا ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ الأنبياء - الآية 68، فنجاه الله من قومه الظالمين وقال: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ الأنبياء - الآية 69.

كذلك من شروط الموعظة الحسنة اللين الذي نصح به الله كلا من موسى وهارون في مخاطبتهما فرعون رغم بلوغه النهاية في العتو والتجبر ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (44) قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ (45) قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ (46) فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰٓ (47) ﴾ طه - الآيتان 44 - 47، ليكون هذا النوع من القول أوقع في نفسه وأنجع، فيرجع عمّا هو فيه من الغيّ والطغيان والضلال، واللين في القول هنا لا يدل على الضعف، فهما يمتلكان قوة لا نظير لها استمداها من ربّهما حين قال لهما: ﴿ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ طه - الآية 46 وهو يريد بهذا أنه - جلّ جلاله - معهما بالنصر والمعونة والقدرة على فرعون.

ولطالما تكررت عبارة يا قومِ على لسان كلّ الرسل في دعوتهم إلى عبادة الله وحده، وكانت دعوة أول رسول أرسل إلى قومه دعوة سيدنا نوح - عليه السلام - شيخ المرسلين الذي نادى قومه بهذه العبارة طيلة فترة مكوثه بينهم، حيث لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما، التزاما بما أمره الله قُلْ يَا قَومِ، ثم لعلمه بقيمة هذه اللفظة من الناحيتين: الحسية والعقلية؛ إذ في إيراد الكلام بلفظ يا قومِ إشارة إلى القرب والانتساب، لما فيها من حنو ورفق، ورغبة في صون قومه من العذاب وإرشادهم إلى الحق، إذ ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (2) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (3) يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (4) ﴾ نوح - الآيات 2 - 3 - 4، وقال: ﴿ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوٓا إِلَيَّ وَلَا

تُنظِرُونِ ﴾ يونس ـ الآية 71، وكذلك قال إبراهيم وموسى وهارون وهود وصالح ولوط وشعيب ومحمد... وغيرهم من الأنبياء والرسل عدا عيسى ابن مريم ـ عليهم السلام ـ جميعا الذي قال: "يا بني إسرائيل"؛ لأنه لا نسب له فيهم، فيكونون قومه، كما ذهب إلى ذلك القرطبي في تفسيره، وقد نصح هؤلاء الرسل أقوامهم باستعمال عبارة "يا قوم"؛ فهم نادوا بلفظة "يا" وعينوا بلفظة "قوم"، ثم نصحوا لهم، ونبّهوهم، وأمروهم، وحذروهم، وخوفوهم كما أمرهم ربهم، فهذا إبراهيم الخليل قد هداه الله إلى الحق، وأراه ملكوت السموات والأرض، وناظر قومه لإقامة الحجة عليهم في بطلان عبادة الكواكب والقمر والشمس فقال: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾الأنعام ـ الآية 78. وهذا موسى نصح قومه مذكّرا إياهم بما منّ الله عليهم من أنواع الإنعام والإكرام، كإنجائهم من عدوهم فرعون وآله الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب، وكبعثهم إلى الحياة بعدما أخذتهم الصاعقة، وتظليلهم بالغمام وقاية لهم من حر الشمس، وإنزال المنّ والسلوى عليهم يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ (20) يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ (21) ﴾المائدة ـ الآيتان 20 ـ 21، و ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾البقرة ـ الآية 54. وهذا خطيب الأنبياء شعيب ـ عليه السلام ـ دعا قومه من أهل مدين إلى ثلاثة أشياء: عبادة الله وحده وترك الشرك ، استيفاء الكيل والميزان وترك البخس، والحفاظ على صلاح الأرض وترك العثيّ فقال: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ الأعراف ـ الآية 85، فلم يقل لهم: لم لا تعبدون الله وحده ؟ ولم يقل لهم: لم لا توفون الكيل والميزان؟ ولم يقل لهم: لم تفسدون في الأرض؟ حتى لا تكتسي دعوته طابعا عدائيا فينفروا من الحق، وإن كانوا قد نفروا وأنكروا عليه ما أمرهم به، فلأنهم كانوا قوما ظالمين. كما لم يقل لهم ذلك حتى لا يكون كلامه اتهاما مباشرا لهم، مع أنّهم كانوا أهل كفر بالله، وبخس للمكيال والميزان، وأهل فساد في الأرض يقطعون الطريق. ولأنّ شعيبا عرف بحسن مراجعته لقومه، فقد اشتمل كلامه معهم على أسلوب الاستدراج اللطيف الذي ضمّنه الأسباب وشفعه بها، حيث إنه دعا إلى التوحيد وأبرز لهم أنّ ما من إله يستحق العبادة غيره؛ ذلك أنّ الشرك بالله يفضي إلى عذاب يوم أليم، ثمّ أمرهم باستيفاء الكيل والميزان، والاحتراز من ظلم الناس حقوقهم أو إنقاصهم إياها بغير وجه حق، وأقام عليهم الحجة فهم في نعمة تغنيهم عن مثل هذه الأفعال، ونهاهم عن الإفساد في الأرض وعن ارتكاب المعاصي بعد إصلاحها ببعثة الرسل ومواعظ كثيرة تتماشى مع النفس السوية وتتطابق مع العقل المتدبر فقال: ﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبًاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٍ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ مُّحِيطٍ (84) وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ (85) بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٌ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم

بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ
الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ
أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ
نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا
يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ
عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ سَوْفَ
تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ۖ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ هود ـ الآيات 84 ـ 86 ـ 88 ـ 89 ـ 90 ـ 92 ـ 93.

وهذا سيد العالمين الرحمة المهداة يأمره ربه بالدعوة إلى سبيله بالعبارة نفسها ﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ الأنعام ـ الآية 135، إذ في هذه الآية أمر يراد منه التهديد للمبالغة في الوعيد؛ أي اثبتوا على طريقتكم التي ليس فيها إلا الكفر والعناد والمكر والكيد والظلم، واعملوا ما شئتم فإني عامل ما أمرني ربي به، سائر بثبات على هديه إلى الطيب من القول وصراطه المستقيم؛ لأنّ ﴿ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ الإسراء ـ الآية 15. وهذا ما دفع الزمخشري إلى القول: "في الآية طريق من الإنذار لطيف المسلك، فيه إنصاف في المقال وأدب حسن، مع تضمن شدة الوعيد، والوثوق بأن المنذِر محق، والمنذَر مبطل."[1]

ولعلمه تعالى بما في نفوس هؤلاء القوم والناس جميعا، حثّ نبيه على الصبر على أذاهم والإعراض عنهم قائلا: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ النساء ـ الآية 63، ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ المزمل ـ الآية 10، ﴿ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ الأحزاب ـ الآية 48، ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ الأنعام ـ الآية 68... إذ يمثل كلّ من الهجر والإعراض والترك والاعتزال في مثل هذه السياقات التي وردت في القرآن الكريم أسلوبا من أساليب التواصل الحضارية، التي وإن كانت تدل على القطع والانفصال في اللغة، فإنها في الوقت ذاته تشير إلى طريقة خاصة في تجديد الاتصال، وكأنّ لله عزّ وجلّ يمهل كلا من العصاة والكفار والمنافقين فسحة من الوقت ليراجعوا أنفسهم رحمة بعباده، إذ ما يفعل الله بعذابهم إن شكروا وآمنوا. فالذي يتمعّن في هذه الآيات يجده سبحانه قد سبّق الفصل ثم تلاه بوصل، فذكر عبارات مثل أعرض التي وردت في الآية الثالثة والستين من سورة النساء، وهي تعني هنا الابتعاد عن المنافقين والكافرين والصفح عن أذاهم وعدم تعنيفهم*، ثم أعقبها بتجديد التواصل عن طريق الوعظ والقول البليغ. ومثلها

(1) ينظر الزمخشري: الكشاف ـ ج 2 ص52 .

(*) كان هذا قبل أن يأمر الله بالقتال ن فنسخت هذه الآية بآية السيف.

أعرض' التي جاءت في الآية الثامنة والستين من سورة الأنعام، والتي يكون فيها الإعراض دالا على إنكار منكر من غير امتناع عن أداء الدعوة أو انقطاع تام عنها وإنما توقفٌ تتلوه رجعةٌ تؤكدها لفظة 'حتى'. وإذا ما جئنا إلى مفهومي الصبر والهجران الواردين في الآية العاشرة من سورة المزمّل وجدنا الصبر يتضمن وعدا، وهذا الوعد قد يكون نصرا، وقد يكون إنابة وتوبة، وقد يكون جزاء بما كسبت الأنفس، ثم إنّ في الصبر دلالة على امتداد التواصل وتجدّده، فهُو ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينصح ويقول فيلقى ردا قد يكون مثوبة وإيمانا، وقد يكون استهزاء وكفرانا، ومثلما يتجدّد النصح والرّد يتجدّد الصبر. أمّا الهجر الذي دعا إليه الله فهُو الهجر الذي يتبعه لقاء، لأنّ الهجر أنواع وأصناف؛ كأن يكون هجرانا أبديا مطلقا كقوله تعالى: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ المدثر ـ الآية 5، ففي الآية أمر بترك المعاصي والآثام والمداومة على هذا الهجران، ويندرج تحته ما قاله آزر لإبراهيم ـ عليه السلام ـ إذ قال له: ﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾ مريم ـ الآية 46؛ حيث طلب منه اجتنابه ومفارقته أو بتعبيره هجرانه. ولم يكتف بالهجران وحده بل حدّده بلفظة 'مليا' التي تعني دهرا طويلا، أو كأن يكون هجرانا مقيدا بمقدار من الزمن، وهُو هذا الذي نستشفه في قوله: (واهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا)، عسى أن يرجعوا عن كفرهم، والهجر الجميل هُو الذي قال عنه المفسرون الذي لا عتاب معه ولا يشوبه أذى ولا شتم.

إذن فإذا كان بعض قوم رسول الله كفرة، وقد عاملهم بأدب حسن دال على خلقه العظيم، فأولى به ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يعامل قومه ممن آمنوا بأدب أرفع وأروع، وقد تحقّق هذا عندما نفذ أمر ربّه، وبسط لهم من رحمته وعفوه، واستغفر لهم، وشاورهم، وأكرمهم... وغيرها من الخلال المرضية التي جمعها الله فيه فما ضنّ بها على أحد، وحسبه ما قال عنه ربّه: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾ آل عمران ـ الآية 159، ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾الشعراء ـ الآية 215.

وقصارى القول: إنّ الرسل ـ عليهم السلام ـ استعملوا كلّ أساليب الدعوة، فخاطبوا العباد بما يستحقّونه من الكلام، سواء في دعوتهم لمن آمن بما جاءوا به ودعائهم لهم بالمغفرة والرحمة أم في دعوتهم لمن كفر بما جاءوا به ودعائهم عليهم دعاء غير منفر. وهم ـ عليهم السلام ـ لا يُقبلون على الدعاء عليهم إلا إذا وصلوا إلى مرحلة الاستيئاس؛ أي لمّا أدرك الرسل أنّ هؤلاء المعاندين المصممين على العصيان والكفر لا يرجى فلاحهم، بعد ما تواصلوا معهم بشتى السبل لفترات طويلة ومرات عديدة، خول الله لهم الدعاء عليهم بما يستحقون من الهلاك والدمار والعذاب المهين كدعاء نوح على قومه قائلا: ﴿ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ٢٧ ﴾ نوح ـ الآيتان 26 ـ 27، وقد أعقبه من رحمته بالدعاء للمؤمنين فقال: ﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ﴾ نوح ـ الآية 28، ثم ختمه بالرجوع إلى الدعاء على الظالمين فقال: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ﴾ نوح ـ الآية 28. ولأنّ عدل الله يأبى أن يأمر أنبياءه بالدعاء على أقوامهم إلا بما يستحقّون، أدمج سبحانه في أمر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالدعاء عليهم هجاءهم، بمقتضى ما تضمّنه الكلام من استحقاق الملام

فامره ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ الأنبياء ـ الآية 112، ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ المؤمنون ـ الآية 118. في حين كان دعاء الأنبياء والرسل قبله، لمّا تمادى أقوامهم في كفرهم وغيهم ويئسوا من صلاحهم ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ الأعراف ـ الآية 89، فاستجاب الله لهم دعاءهم، وأرسل على قوم لوط حاصبا،* وأخذت ثمود وأهل مدين صيحة العذاب والرجفة وعذاب الظلة،** وخسف بقارون وبأملاكه الأرض، وأهلك قوم نوح وفرعون وهامان وجنودهما بالغرق. وفي الوقت ذاته كانت جملة أدعيتهم لا تخلو من طلب الرحمة والمغفرة.. فقالوا: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف ـ الآيتان 155 ـ 156، ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ البقرة ـ الآية 201، ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ آل عمران ـ الآية 147. وكلّ هذه الأدعية جاءت بأسلوب بديع وأدب رفيع، دال على أخلاق فاضلة تمتع بها أصفياء الله وأخياره الذين اصطنعهم لنفسه.

المرتبة الثالثة: الناس كافة

تعنى هذه المرتبة بالناس كافة، حيث تدل كلمات الناس والخلق والبشر والإنسان والعباد والإنس وبني آدم في القرآن عامة على سلسلة غير منتهية من الناس زمانا ومكانا، فهي غير محدّدة بدقة ولكنّ الله ـ جلّ وعلا ـ على علم دقيق ومعرفة شاملة بها وبأحوالها وبأعمالها، وبالتالي فحضورها دائم مستمر في البلاغ كله؛ لأنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما يقول الأصوليون، خاصة وأنّ أكثر العمومات وردت على أسباب خاصة، لذلك جاز تعدية الآيات إلى غير أسبابها. يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ المجادلة ـ الآية 2، فآية الظهار هذه عامة وردت في سلمة بن صخر الأنصاري، وآية اللعان التي يقول فيها الله: ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ النور ـ الآية 7، نزلت في شأن هلال بن أمية وهي عام، وكذلك آية الكلالة التي يقول فيها: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ النساء ـ الآية 176، نزلت في جابر بن عبد الله. وحد القذف الذي جاء في رماة عائشة هو أيضا عام، إذ يقول سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ النور ـ الآية 4، و﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ

(*) الحاصب: ريحا عاصفة مدمرة فيها حصباء "حصى وحجارة".

(**) الصيحة: صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وزلزلة شديدة من الأرض والظلة سحابة أظلتهم ثم أمطرتهم نارا.

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ النور ـ الآية 13، ويضاف إليه حديث الإفك الذي جاء في عائشة يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ النور ـ الآية 11... وأما قوله: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ الأحزاب ـ الآية 4، فقد نزل في رجلٍ من قريش كان يدعى"ذا القلبين" من دهائه، وكان يقول: إنّ في جوفي قلبين، أعقل بكلّ واحد منهما أفضل من عقل محمد. وروي أنه نزل في رجلٍ من قريش يدعى"جميل بن معمر" كان لبيبا حافظا لما يسمع، فقالت قريش: ما حفظ هذه الأشياء إلا وله قلبان في جوفه. وحتى وإن جاءت الآيات والسور باسم الشخص كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ الأحزاب ـ الآية 37، أو نزلت في قوم بعينهم كقوله: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ المائدة ـ الآية 49، وقد نزلت في بني قريظة وبني النضير فهي عامة، ومنه قوله تعالى مخاطبا مشركي قريش يوم بدر: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ الأنفال ـ الآية 19، فإنهم كانوا قد تعلقوا بأستار الكعبة عندما عزموا على الخروج وقالوا:"اللهم انصر أقرانا للضيف وأوصلنا للرحم وأفكنا للعاني، إن كان محمد على حق فانصره، وإن كنّا على حق فانصرنا". وروي أنهم قالوا: "اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين" فقال تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ موجها هذا الخطاب إلى فئة مخصوصة: هي فئة الكفار المشركين ومن سار على دربهم، فهذه الآيات ومثلها من الآيات التي نزلت في قوم من المؤمنين أو من المشركين أو من المنافقين أو من اليهود أو من النصارى... في بقاع مخصوصة وفي أزمان مخصوصة، فإنها مختصة بهم وبغيرهم، وهي ـ أيضا ـ لا تختص بأشخاص بعينهم أو أقوام بعينهم وإنّما غاية ما يقال أنها تختص بنوع أولئك الأشخاص والأقوام فيعم ما يشبههم، والآية التي لها سبب معين إن كانت أمرا أو نهيا فهي متناولة لأولئك الأشخاص والأقوام ولغيرهم ممّن كان بمنزلتهم، وإن كانت خبرا بمدح أو ذم، فهي متناولة لأولئك الأشخاص والأقوام ولمن كان بمنزلتهم.(1)

إذا فالآيات جميعها وإن جاءت بأسباب مخصوصة وأسماء معروفة فإنها تشمل جميع من فعل مثل فعل صاحب السبب، فيجزى الجنة أو النار؛ لذلك نجد آيات الذكر الحكيم قد فرضت سلطتها على الإنسان ولكن بشيء من التفاوت الجمالي في قراءة البلاغ واستيعابه تبعا لتفاوت قدرات الإنسان، فهناك آيات تكثف فيها الخصوصيات

---

(1) ينظر السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ص 88، وكذلك نخبة من العلماء والباحثين: قاموس القرآن الكريم ص 197.

الجمالية وتعقدت عملية بنائها فيصعب على القارئ تفكيكها لثرائها،[1] حيث عرضت في تعابير خاضعة لمعايير اللغة العربية الرفيعة، ولكن الوصول إلى مدلولها غير سهل، ومع رصانتها وجزالتها تحتاج إلى إعمال النظر، لتُفهم وتؤول من قبل العلماء الراسخين في العلم، وهناك آيات صيغت في تمثيل مبسوط بين يدي القارئ، فتدرك معانيها الظاهرة من قبل أي قارئ أو سامع من غير أن يبذل جهدا أو يكد في طلب معانيها بحكم قربها وسهولتها، وهي في الوقت ذاته خاضعة لمعايير اللغة العربية الرفيعة، ولأنها كذلك فهذا الأمر غير كاف للوصول إلى المقصدية بحكم غنى الآيات بالتأويلات وثرائها، وهناك آيات صيغت بأسلوب متشابه رسم حدودا للناس جميعا علماء وغير علماء لا يجوز لهم تخطيها.

وبناء عليه يمكن القول إنّ القرآن بوصفه بلاغا للناس يسعهم كلهم لا يتمظهر على نمط واحد وإنّما في طرق متنوعة «وكيفيات مختلفة وراءها مقصدية المرسِل، ومراعاة مقصدية المخاطَب، والظروف التي يروج فيها النص، وجنس النص، وهذه الماورائيات نفسها تؤدي إلى اختلاف استراتيجية التأويل من عصر إلى عصر، ومن مجموعة إلى مجموعة، ومن شخص إلى شخص».[2] إنّه على الرغم من احتواء القرآن على أنواع من الخطاب إلا أنّها تظل متماسكة لا اختلاف فيها، تؤكّد أنّها كلام الله عز وجلّ، ولئن تراوحت آيات الذكر الحكيم بين الصعوبة والسهولة فإنّ هذا لا يعني بالضرورة فشل عملية التواصل لأنّ الصعوبة والسهولة متعلقة بالمتلقي محصورة في عدد محدود، فسوء الفهم وغياب الوعي لا يدلان أبدا على عدم إلقاء الخطاب القرآني بالصورة السليمة؛ كأن يكون منافيا للمنطق أو مخالفا للعقل أو بعيدا عن الثوابت المتعارف عليها والمشتركة بين طرفي التخاطب كاللغة مثلا.

إنّ التواصل مع الله مخصوص بالرسل موقوف عليهم ـ صلوات الله عليهم ـ لحظة إرسالهم وإنزال كتبه، أما التواصل مع كتبه* ورسله فهماً وتفسيرا وتبليغا فتختص به طبقة خاصة: هي طبقة العلماء الراسخين في العلم الذين يخشون ربهم، وأما بالنسبة إلى التواصل مع كتابه ورسله فهمًا وتبليغا وأداء فليس حكرا على طبقة بعينها، وإنّما يضم كلّ من آمن بالبلاغ، وعلى هذا الأساس اتّسم التواصل بالانتشار والاتساع. وحديثنا عن سعة التواصل وانتشاره يفرض علينا أن لا نغيّب وجوه المخاطبات في الخطاب، ممّا يسوقنا إلى الحديث عنها باقتضاب، وخاصة أن هذه المسألة قد سبق إليها الزركشي في البرهان في علوم القرآن، غير أنّ تصنيفنا قد لا يضيف شيئا إلى هذه الوجوه ولكنه قد يحدد كل فئة أو فرد تحديدا دقيقا ويضعهما ضمن إطارهما الخاص بهما؛ أي يبرز خصائص كل مرتبة ومنزلتها، ولا سيما إذا انطلقنا من مسلمة أنّ القرآن «رسالة غير محدودة بعصر ولا جيل، فهي كذلك غير محدودة بمكان ولا بأمة، ولا بشعب

---

(1) ينظر عدنان حسين قاسم: الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، مؤسسة علوم القرآن عجمان ـ الإمارات العربية المتحدة، دار ابن كثير دمشق، بيروت ط 1، 1992 ص 232 .

(2) محمد مفتاح: مجهول البيان، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ـ المغرب ط 1، 1990 ص 89.

(*) ونخص بالذكر هنا القرآن الكريم لأنه الكتاب الوحيد الذي سلم من التحريف وتعهد الله بحفظه.

ولا بطبقة، إنها الرسالة الشاملة، التي تخاطب كل الأمم، وكل الأجناس، وكل الشعوب وكل الطبقات»،[1] وفي كل هؤلاء نجد العام والخاص، يقول تبارك وتعالى: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ الأعراف ـ الآية 3، إذ إنّ اتبعوا ما أنزل إليكم كلام مستأنف خوطب به المكلفون كافة بطريق التلوين، وأمروا باتباع ما أُمر النبي قبلهم بتبليغه بطريق الإنذار والتذكير، وجعله منزلا إليهم بواسطة إنزاله إليه عليه الصلاة والسلام،[2] وغير بعيد عن هذا الفهم قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ المائدة ـ الآية 67، فهذه ليست تأديبا للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقدر ما هي تأديب لحملة الرسالة من بعده؛ لأنه عزّ وجلّ على يقين مطلق بأمر نبيه وخلقه، ويكفيه أنّه كان منعوتا من قبل قومه بالصادق الأمين، وأنّ خلُقه العظيم لا يخول له أن يكتم شيئا من وحي ربه، وهُو المعصوم عن الخطأ والمعصوم من الناس، ولعل لهذه الآية صلة كبيرة بقوله تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 85؛ لأنّ الإيمان ببعض الآيات والسور لا يغني عن الآخر؛ أي لا يبيح ترك بعض الآيات على اعتبار القرآن كلا متكاملا، إذ تركُ شيء من التبليغ أو الإيمان ببعض الآيات فقط يدلان دوما على انعدام التبليغ والإيمان. وكثيرة هي الآيات التي يتحول فيها الخطاب من الإفراد إلى الجمع للدلالة على أنّ التبليغ مطلق عام غير محدد بشخص بعينه فقوله تعالى: ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ هود ـ الآية 14، لا يشير فيه الجمع إلى التعظيم والتفخيم فحسب وإنما لكمْ هذه جاءت للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولسائر المؤمنين الذين شرفوا بشرف الرسالة.

سبقت الإشارة إلى أنّ عملية التواصل تتطلب وجود طرفين أو أكثر، ولكي يتحقق التواصل لابد أن يخاطب أحدهما الآخر، فيتواصل الربّ مع عبده والعبد مع ربه، والمؤمن مع المؤمن، والكافر مع الكافر، والمنافق مع المنافق، والمؤمن يتواصل مع الكافر والمنافق، والكافر يتواصل مع المؤمن والمنافق، والمنافق يتواصل مع المؤمن والكافر، لكن متى يتم الالتقاء بينهم ومتى ينفصلون خاصة إذا علمنا «أن العاقل إذا خاطب العاقل فهم، وإن اختلفت مرتبتاهما في العقل، فإنهما يرجعان إلى مِنْخ (أصل) العقل، وليس كذلك العاقل إذا خاطب الأحمق، فإنهما ضدان، والضد يهرب من الضد»؟[3] فمن الطبيعي إذن أن يتفق المؤمن مع المؤمن، والكافر مع الكافر والمنافق باتفاقهما في المنطلق أو المبدأ، ولكن ما هُو وضع التواصل مع هذه الأضداد أي المؤمن والكافر والمنافق؟ بل كيف لعملية التواصل أن تجمع بين ذات الله العلية وبين العبد مهما كان نوعه؟

(1) يوسف القرضاوي: الخصائص العامة للإسلام ص 97 .

(2) ينظر أبوالسعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ـ تفسير أبي السعود ـ ج 3 ص 210.

(3) أبوحيان التوحيدي: كتاب الإمتاع والمؤانسة ج 2 ص 90.

إنّ حلّ إشكال كهذا متوقف على معرفة قيمة الرسالة والدور الذي يقوم به الأسلوب ليولد التواصل ويتمو، ولكن قبل أن نتعمق في المسألة لابد أن نشير إلى وجود نقاط مشتركة أو مختلفة قائمة على التقاء الإيمان بالكفر، فإمّا انمحاء للكفر بالدعوة إلى التوحيد والإيمان عن طريق الدخول إلى القلوب والعقول بتكاثف التأثير والإقناع معا فهو سبحانه يقول: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الأنفال ـ الآية 2، وإما انغماس في الكفر بإقفالهما؛ أي العقول والقلوب مثلما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾ فصلت ـ الآية 5، وقوله: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (124) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (125) ﴾ التوبة ـ الآيتان 124 ـ 125.

مما لا شك فيه أنّ مراتب التواصل مختلفة، متنوعة حسب اختلاف الاستعدادات، وتنوع الأمزجة؛ «فتبليغ بالعبارة وتبليغ بالإشارة وتبليغ بالهمة... إلى غير ذلك»،[1] ومثلما رتّب الله خلق الإنسان ترتيبا مرحليا فعرّفه بنفسه، ثم بيّن له كيف خُلق، ثم أوضح له ضعفه أمام خالقه، رتّب الأوامر والنواهي ترتيبا تنازليا حتى لا تثقل على النفس فتقنع بتعاليمها على الجميع على تفاوت استعدادهم، ومن هذا المنطلق أمر الله نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمخاطبة الناس جميعا مؤمنين وكافرين. وقد أوجد التواصل السليم نقاطا للاتفاق رغم فقدان نقاط الالتقاء بين قطبي التوحيد والشرك، وقد بدا ذلك متجلّيا أكثر في كل العرب الذين وإن أعلنت فئة منهم رفضها للرسالة كدعوة واستسلام لله الواحد وخضوع لفكر نير وإذعان لأوامره ونواهيه ـ جلّ وعلا ـ فإنّهم في المقابل أعلنوا كلهم وبإجماع، مؤمنين وكافرين، تفوقها [الرسالة] على كل فنون القول، بحكم خبرتهم ودرايتهم بأسرار اللغة وما تحويه من بلاغة وفصاحة، ومن هنا يمكن القول: إنّ هذا النوع من التواصل جعل منهم أمناء على لغتهم، خبراء بالقرآن الذي نزل بلسان عربي مبين.

تكشف لنا آيات القرآن عن كثير من الصيغ التي تحدد لنا أصناف المخاطبين والمخاطَبين ومراتبهم، وتحدد سلوك كل واحد اتجاه الآخر بإيحاءات متنوعة ومختلفة؛ فلونظرنا إلى قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ الكهف ـ الآية 10، فإنّ فعل الأمر هنا مغيّب كليا عن فكر المؤمن وأسلوبه؛ لأنّ حالات الاتصال هذه لا تصلح لمثل هذه المواقف، لذلك فهي تندرج ضمن نطاق الدعاء والرجاء والتوسل إلى الله، وهذا ما يجعل المؤمن يتمتع بعقل مضيء ودرجة عُلى رفيعة في الإيمان.

وتسير المسألة بشكل تراتبي حيث يتمظهر هذا الاتصال الأخلاقي في الاحترام الذي يبديه المؤمن الذي يخاطب نبيه من خلال قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ

(1) الألوسي (محمد أبوالفضل): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج 7 ص 6.

أَلِيمٌ ﴾ البقرة - الآية 104، وقد نهى الله عباده المؤمنين من مخاطبة نبيه بلفظة "راعنا" التي كان يستعملها اليهود بمعنى المسبة والشتيمة، ناهيك أنها تحوي مدلولا يوحي بالتنقيص والجفاء، وأمرهم أن يتخيروا من الألفاظ أحسنها ومن المعاني أرقاها كـ "انظرنا" بديلا لها، إبرازا لأدب جميل واحترام كبير يكنّه المؤمنون لنبيهم، وكذا قوله عز وجلّ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣ ﴾ الحجرات - الآيات 1 - 2 - 3، وهو ما يوحي بالإجلال والتعظيم لله ورسوله، وبالخصوص وأنّ أغلب الآيات التي أمر فيها الله بطاعته قرنها بطاعة رسوله،(1) ويعتبر هذا الأدب في مقام الله جلّ جلاله ونبيه المعصوم نتيجة حتمية لتواصل سابق، فيه من الرحمة والتقدير الخير الكثير كقوله: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ الزمر - الآية 53، ففي هذه الآية تلطّف الله في مخاطبة عباده بعد أن أقبل عليهم وناداهم بـ "يا عبادي"، وقد دعاهم كذلك إشارة إلى عظيم رحمته، وأضافهم إليه إضافة تشريف، مثلما أضاف الرحمة للفظ الجلالة "من رحمة الله"، ولم يحصر عباده في المؤمنين فلم يقل "يا عبادي الذين آمنوا وأسرفوا" وإنما خاطب جميع عباده من غير تحديد، مؤمنين وكافرين ومنافقين وعصاة؛ لأنهم جميعا يقعون تحت اسم الخطائين. يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «والذي نفس محمد بيده لولم تخطئوا لجاء الله عزّ وجلّ بقوم يخطئون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم» هذا من جهة معاملة ربّ الناس للناس، أما من جهة معاملة الرسول الكريم للناس فقد تجلت في قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ آل عمران - الآية 159، وقوله: ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي

(*) راعنا: من المراعاة وهي الإنظار والإمهال، وأصلها من الرعاية وهي النظر في مصالح الإنسان، وقد حرفها اليهود فجعلوها كلمة مسبة مشتقة من الرعونة وهي الحمق، ولذلك نهي عنها المؤمنون.

(**) انظرنا: من النظر والانتظار، تقول: نظرت الرجل إذا انتظرته وارتقبته أي انتظرنا وتأنّ بنا. ينظر الصابوني: صفوة التفاسير ج 1 ص 85 وكذا لسان العرب: مادة رعي ونظر.

(*) كقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ آل عمران الآية 32.

وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ النساء الآية 59.

وقوله: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ النساء الآية 80 .

وكقوله: ﴿ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة الآية 71.

وكقوله: ﴿ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ الأحزاب الآية 33...

﴿ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ هود ـ الآيتان 2 ـ 3، فمن رحمة الله أن أودع في قلب نبيه الرحمة، وأمره أن يستغفر لهم وأن يستغفروا هم أيضا ربهم بالرجوع إليه بالطاعة والعبادة، مظهرا في ذات الوقت ثمرة الاستغفار والتوبة، وفضله تبارك وتعالى على عباده، وخوفه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس ترهيبا بقدر ما هو ترغيب؛ إذ يشقّ عليه أن يرى الناس في العذاب، ويحزنه ذلك من فرط محبته لهم، وإن لم تتجاوز صلاحيته حدود التبليغ بقول تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ آل عمران ـ الآية 31، فقد جعل اتباع الرسول وإطاعة أوامره دلالة على حبّ الله وثوابا منه ومغفرة منه ورحمة، وبالتالي دلالة على محبة رسوله وما جاء به من صدق الرسالة وعظمة ما فيها، ومثل هذا قوله تعالى موجها جميع عباده إلى الطريقة التي ينبغي أن ينتهجوها في مخاطبتهم ربهم: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ النجم ـ الآية 31، فإنّ صحة المقابلة في هذا النظم أن يقال: ليجزي الذين أساءوا بالإساءة حتى تصحّ مقابلته بقوله: 'وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى'، ولكن منع ذلك التزام الأدب مع الله سبحانه في إسناد فعل الإساءة إليه، فعدل عن لفظ الإساءة الخاص إلى لفظ عام يدخل فيه ذلك الخاص، فيحصل المعنى المراد مع لزوم الأدب فيه، ويكون معناه أبلغ من الأول،[1] وبالموازاة قد تغيب الأخلاقيات الاتصالية والتواصلية، وقد تغيّب تبعا لأخلاق المخاطِب أو المخاطَب أو نوعية الخطاب الموجه إليه؛ حيث إنه قد يخرج الكافر والمنافق والعاصي عن حدود الأدب مع الله ومع رسوله كقولهم عندما تتلى عليهم آيات الله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ۙ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ الأنفال ـ الآية 31، ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ الصافات ـ الآية 36، و﴿ ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ يونس ـ الآية 15، أو عندما لا يستنكف الله عن أن يضرب مثلا ما بأي شيء ولو بلغت حقارته درجة البعوضة أو بما هو دونها في الصغر، فيقول الذين كفروا ﴿ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ البقرة ـ الآية 26؛ لأنهم فاسقون ضالون لا يرجون لقاء الله فيستهزئون ويسخرون، فيأتيهم الرّد في شكل تعجيز وتحقير وإهانة وشماتة كقوله: ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ التوبة ـ الآية 35، أو "كالإتيان بلفظ البشارة في موضع النذارة، والوعد في مكان الوعيد تهاونا من القائل بالمقول له واستهزاء به"،[2] كقوله تعالى: ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ النساء ـ الآية 138، فقد جاء بلفظة بشّر مكان أخبر أو أنذر أو قل أو أنبئ تهكما بهم، وقوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ الدخان ـ الآية 49، وتقدير الآية إنك أنت العزيز الكريم بزعمك، فجاءت على معنى الاستخفاف والتنقيص؛ وكانت قد نزلت في أبي جهل، وكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد

(1) ينظر ابن أبي الأصبع: بديع القرآن ص 162.

(2) ابن أبي الأصبع: بديع القرآن ص 283.

التقى به فقال له: إنّ الله أمرني أن أقول لك: أولى لك فأولى.* فقال: بأي شيء تهددني، والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئا، إني لمن أعز أهل هذا الوادي وأكرمهم، فقتله الله يوم بدر شر قتلة وأذله. أو يخرج الخطاب مخرج الإنكار كقوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ التوبة ـ الآية 19، وهذا إنكار على من جعل حرمة الجهاد كحرمة من آمن بالله واليوم الآخر، وفي ذلك أوفى دلالة على تعظيم حال المؤمن بالإيمان، وأنه لا يساوى به مخلوق ليس على صفته بالقياس،[1] إذا فالخطاب هنا للمشركين، والاستفهام للإنكار والتوبيخ.

وقد جاءت هذه الخطابات على هذا النحولتدل على أنّ «كل اتصال يتبعه استجابة، وكل استجابة يتبعها اتصال، وتدور الاتصالات الصاعدة إلى الربّ والهابطة إلى العبد في حلقة دائرية مغلقة لا تكف حركتها ولا يعرف بدايتها أو نهايتها إلا الله»،[2] وهذه الاتصالات غير محصورة في حزب بعينه؛ مؤمنا كان أو كافرا، فقد خاطب المؤمن ربه ودعاه وسأله امتثالا لأمره ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ البقرة ـ الآية 186، واتصل به جهارا كما اتصل به سرا عبر ندائه الخفي مثلما أمره وعلمه ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ الأعراف ـ الآية 205، كما اتصل به بين الجهر والمخافتة، فهو سبحانه يستوي لديه ﴿مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ الرعد ـ الآية 10، فأجابه واستجاب له. ونحن هنا إذ نشير إلى المؤمن لا نقصد فردا واحدا ولكن ـ أيضا ـ كل المؤمنين الذين يتجهون وجهة واحدة في وقت واحد* وفي أوقات متفرقة يناجون إلها واحدا، ويدعونه أدعية متباينة ومتنوعة، فيتلقاها الله ـ جلّت قدرته ـ في لقاء واحد فيستجيب لمن يشاء بما يشاء.

أعطى الله من خلال بلاغه اهتماما لكل اتصال، وردّ عليه بصيغ تعكس عنايته بتوضيح حقيقة خطابه، ومراعاته للأمزجة والاختيارات العقائدية، وبالتالي كان لكل متخاطب أمارات أو دوال تشير إليه، وهي أمارات لها طبيعتها وخصوصيتها تبعا لطبيعة كل متخاطب وخصوصيته، حيث إن كل واحد ينتمي إلى مرتبة مغايرة لمرتبة الآخر،

(*) تهديد ووعيد أي فاحذر وانتبه لأمرك والقصة واردة في كل كتب التفاسير في أثناء شرحهم للآيتين الرابعة والثلاثين والخامسة والثلاثين منالقيامة.

(1) ينظر ابن أبي الأصبع: بديع القرآن ص 59.

(2) إحسان عسكر: وظائف التبليغ القرآني ص 215.

(*) الأمر هنا غير متعلق بموقع وزمن معينين وإنما من أي موقع وفي أي زمان يحدث التواصل بين الطرفين، وقد أردنا أن نومئ إلى قدرة الله عز وجل على استقبال الرسائل مهما كان نوعها وعددها أوما يعرف بفاعلية الاتصال مهما تعددت صوره وتشابكت أبعاده للاستزادة ينظر إحسان عسكر: وظائف التبليغ القرآني ص 211 أما الأوقات المتفرقة فهي التقرب إلى الله بالنوافل والرواتب والدعاء و...

فالله سواء في خطابه للمؤمن أو الكافر، كان اتصاله بالإنسانية جمعاء، بكلمات ذات كفاءة اتصالية راقية جدا؛ ذلك «أن أروع ما حوته الرسالة القرآنية هو هذا الانتقال الإعلامي الكفء بين مختلف صيغ الخطاب، من حوار فذ بين جبهات الكفر وجبهات الإيمان، إلى حديث فطن بين أهل الجنة وأهل النار»[1] وقبلهما تبليغ دقيق في مساره من الله إلى كل عباده.

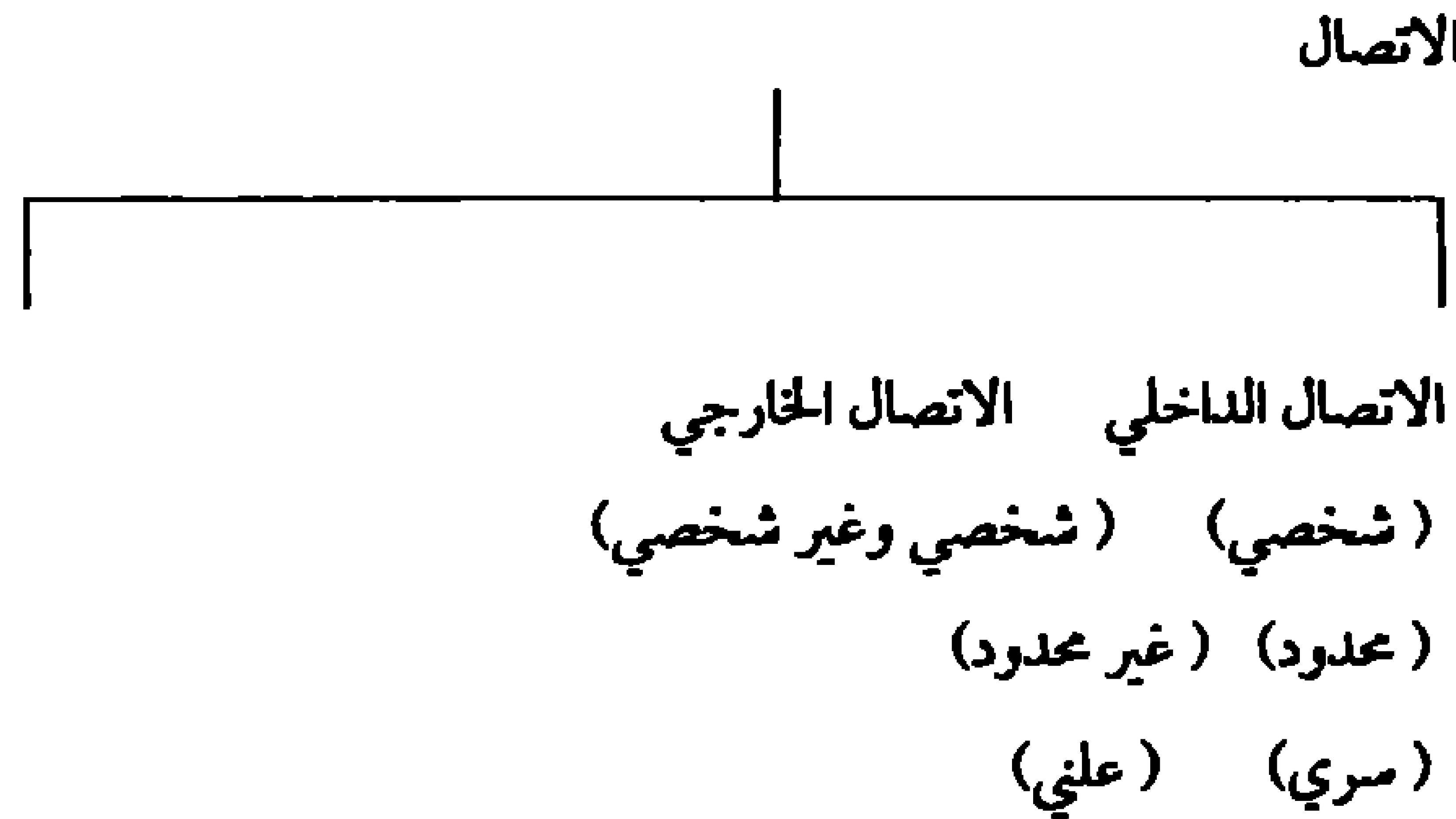
وهكذا شاءت قدرة الله أن يعلم كيف يخاطب أمة صارت أشتاتا، فقد خاطب المؤمن ليزداد إيمانا، وليواصل على طريقه السوي؛ ذلك أنه سبحانه ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ الفتح ـ الآية 4، ولذلك قال عن هذا الصنف من الناس: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ المجادلة ـ الآية 11، وخاطب الكافر ليدعوه للإيمان ويظهر له نور الحق ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ (38) ﴾ الأنفال ـ الآية 38، ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (22) ﴾ لقمان ـ الآية 22، وخاطب المنافق ليكشف له زيفه ويدعوه للتوبة فقال: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (61) ﴾ النساء ـ الآية 61، ولكنهما ازدادا إثما؛ لأجل ذلك لعن الله الكافرين في الدنيا والآخرة، وضربت عليهم الذلة والمسكنة، وباءوا بغضب على غضب من الله و ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (40) ﴾ التوبة ـ الآية 40، وجعل المنافقين في الدرك الأسفل من النار، خالدين في العذاب المهين. وكان خطابه للمؤمن عاما غير محدد كقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (208) ﴾ البقرة ـ الآية 208، كما كان خاصا محددا كقوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (62) ﴾ النور ـ الآية 62، وكان ـ أيضا ـ خطابه للكافر عاما غير محدد كقوله: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (39) ﴾ البقرة ـ الآية 39، وخاصا محددا كقوله: ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (9) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (10) أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (11) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ (12) أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (13) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (14) كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (15) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (16) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (17) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (18) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾ العلق ـ الآيات من 9 إلى 19، وكان خطابه للمنافق عاما غير محدد كقوله: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ التوبة ـ الآية 67، وخاصا محددا كقوله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ المنافقون ـ الآية 4، وبالجملة فقد ضرب الله لكل هذه الوجوه مثلا.

---

(1) إحسان عسكر: وظائف التبليغ القرآني ص 173.

وتبقى هذه الخطابات ـ التي تدل على أنها ذات صبغة خاصة موجهة إلى متلقين مخصوصين أو تدل على زمن ومكان معينين ـ ذات جوهر عام تحقيقا لهدفها العالمي كقوله تعالى: ﴿ يَٰإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ﴾هود ـ الآية 76، و ﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴾ يوسف ـ الآية 29، ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ الأعراف ـ الآية 205، فكلنا يعلم أنّ الأنبياء والرسل معصومون، وما كان لهم ليكونوا كذلك إلا لأنهم يتمتعون بالتقوى والصلاح، وقد جاء هذا الخطاب ليؤدّب الناس آمرا إياهم بتقوى الله، فكل من يسمع هذه الآيات سيرى نفسه معنيا بالخطاب، مخصوصا به، كذلك الوقوع في الغفلة والاستغفار والإنابة وذكر الله... ليست تختص بـزُليخةَ وحدها ولا أدل على هذا من قوله تعالى: إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ، ولم يقل إنك كنت من الخاطئات؛ لأنّ الخطاب يشمل الجميع ذكورا وإناثا.

إنّ هذه المراتب التي تتمظهر فيها مستويات المبلِّغين تؤكّد أنّ «التلقي ليس إلا متوجا ينشئه النص في القارئ، متوج مسبوك بالمعايير والقيم التي تتحكم في تصور القارئ»،[1] ومنه يمكن القول: إنّ البلاغ القرآني يتسم بنوعين من الاتصال، فأمّا الأول فهُو الاتصال الداخلي؛ إذ حصر التبليغ في أول عهده في الأقربين من عشيرة الرسول المبلغ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأما الثاني فهُو الاتصال الخارجي الذي تميز بالعلانية والاتساع من حيث الانتشار، أو بتعبير آخر هُو الاتصال الشخصي ذوالانتشار الرأسي لا الأفقي ليتحول إلى اتصال جمعي؛ لأنه خطاب من الله إلى العبد حيثما كان، وإلا زالت الآية بزوال الحادثة أو موت أصحابها، وقد تعهد الله بحفظه كله حروفا وكلمات وآيات وسورا ومعاملات وعبادات وأحكاما وتشريعات... ويتضح هذا في الخطاطة التالية:



(1) فولفغانغ أيزر: آفاق نقد استجابة القارئ، تر / أحمد بوحسن، مراجعة / محمد مفتاح، الثقافة الأجنبية ـ دار الشؤون الثقافية العامة، العدد الأول، السنة الرابعة عشر 1994 ص 3 .

المرتبة الرابعة: الخلق كافة

من بديع ما جاء في الخطاب القرآني ضمن إطار التواصل تواصل جميع ما خلق الله من جماد وحيوان ونبات وجن... وكل شيء مع ربهم أو مع غيرهم من نظائرهم أو مع بني آدم في الحياة الدنيا أو في الآخرة. والشواهد عليها في القرآن الكريم حاضرة منها ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ فصلت ـ الآية 11؛ أي جيئا بما خلقت فيكما من المنافع والمصالح وأخرجاها لخلقي، فيا سماء أطلعي شمسك وقمرك وكواكبك، وأجري ريحك، ويا أرض شقّي أنهارك وأخرجي شجرك وثمرك طائعتين أو كارهتين، وفي مخاطبته ـ سبحانه وتعالى ـ السماء والأرض قول تكلم به وفيه ظهرت قدرته ـ عزّ وجلّ ـ وهي ذات القدرة التي نلمسها في قوله: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ هود ـ الآية 44؛ إذ أمر ـ جلّ جلّاله ـ الأرض أن تبلع ماءها الذي نبع منها واجتمع عليها، وأمر السماء أن تقلع عن المطر بعد أن اغرق أهل الأرض كلهم إلا أصحاب السفينة، وهُو أمر في الوقت ذاته للماء المنهمر من السماء بالإمساك.

ويتواصل خطاب الله ـ عزّ وجلّ ـ للأرض يوم القيامة عندما يوحي للأرض، ويأمرها بأن تقول فتستجيب وتتكلم فتشهد بما عمل الإنسان على ظهرها ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ ﴾ الزلزلة ـ الآيتان 4 ـ 5.

وأرشد الله النحل عن طريق الإلهام ولم يخاطبها صراحة، فدلّها على ما ينفعها وما يضرها وكيف تدبر معيشتها في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝٦٨ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٦٩ ﴾ النحل ـ الآيتان 68 ـ 69. والوحي هنا يحمل معنى الإعلام في خفاء.

وقد خاطب ـ جلّ جلّاله ـ النار لتصير بردا وسلاما على سيدنا إبراهيم فقال: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الأنبياء ـ الآية 69. وأيضا نجد خطابا من الله لجهنم يوم القيامة على سبيل التصديق لخبره والتحقيق لوعده والتقريع لأعدائه والتنبيه لعباده ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ ق ـ الآية 30، وإن قيل إنّ ذلك كان بتسخير من الله تعالى لا بخطاب ظاهر ورد عليهما.

وإذا تتبعنا الآيات التي جاء فيها الخطاب من كل المخلوقات لله ـ عزّ وجلّ ـ وجدناها كثيرة، وهي لا تخرج عن نطاق الخشية والتأدب مع رب العزة ـ جلّ جلّاله ـ فالسموات والأرض وما بينهما كلها مسبِّحة لربها ـ عزّ وجلّ ـ منزّهة له، وتشهد له بالوحدانية لعلمها بعظيم سلطان من خلقها وكمال قدرته، فهُو سبحانه ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ يس ـ الآية 82؛ لذلك فهي في تسبيح دائم له، وكل بطريقته ولغته التي تختلف عن لغة البشر يقول تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ الإسراء ـ الآية 44، إذا فالرعد يسبِّح بحمد ربه والطير والجبال كما الملائكة من خيفته والإنسان، في العشي والإشراق. وفي تسبيحهم إشارة إلى أنّ الله خلق في كل شيء الكلام، فتكلم كما أراد له الله أن يتكلم بوقار وأدب لمسناه أيضا عند

الجن الذين أسندوا الشر إلى غير فاعل والخير أضافوه إلى الله فقالوا: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ الجن ـ الآية 10.

ومن مخاطبات غير بني الإنسان للإنسان نجد ذلك الكلام الذي سمعه سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ من النمل، وكذا الكلام الذي دار بينه وبين الطير ثم بينه وبين الجن، وقد أتاه ربه نعمة العلم التي هي من أجلّ النعم وأجزل القسم، وسخر له الإنس والجن والطير، وعرّفه لغتها ـ أي الطير ـ ففهم من أصواتها وداود ـ عليه السلام ـ المعاني التي في نفوسها، كما سخّر له الحيوان والريح، وأعطاه من كل شيء مما يحتاج إليه المُلك، وبهذا فقد فضّله على كثير من عباده المؤمنين، وكل هذا نلمسه في قوله تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16) وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17) ﴾ النمل ـ الآيتان 16 ـ 17، حيث تكلّمت النملة التي خافت على النمل أن يحطمها جند سليمان بحوافر خيولهم من غير قصد منهم أو بغير علم، فنصحت لهم بالدخول إلى مساكنهم، وللنملة الفتاتة طيبة في عبارتها نستشفها في قولها "وهم لا يشعرون" للتدليل على أنّ سليمان وجنده هم أهل عدل وحق ورأفة، فلا يقدمون على أيّ عمل غير صالح إلا في حال لم يشعروا به، وفي هذا الكلام منتهى الأدب الذي سرّ سليمان، فحبس جنده حين أشرف على واديهم حتى دخلوا بيوتهم وشكر ربه على نعمه وسأله الهدى والرشاد برحمته أدبا منه ـ عليه السلام ـ يقول تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) ﴾ النمل ـ الآيتان 18 ـ 19.

وكذا ما قاله الهدهد لسليمان ـ عليه السلام ـ من خبر صادق قام مقام العذر عندما تفقده ولم يجده، فأعلمه ما لم يكن يعلمه، ودفع عن نفسه ما توعده سليمان من العذاب والذبح ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (21) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ (26) ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ النمل ـ الآيات من 20 إلى 27.

وكذلك ما قاله عفريت من الجن لسيدنا سليمان حينما أراد أن يختبر ملكة سبأ، فسأل الأشراف من حوله الإتيان بعرشها فـ ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ النمل ـ الآية 39.

كما كانت الريح تجري بأمره فتقلّه حيث أصاب وتضعه حيث يشاء يقول الله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾ الأنبياء ـ الآية 81.

وهكذا فإنّ الله لمّا وصف كل شيء بالقول والإجابة أو بالكلام، وذلك من صفات من يعقل أجراها في الكناية مجرى من يعقل حتى الجلّود وسائر الأعضاء والأجزاء ستنطق يوم الحق بالحق وستشهد على الإنسان وعمله ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (21)﴾ فصلت ـ الآية 21، فسبحانه جلّت قدرته التي تجاوزت الملكوت وامتدت لتشمل كل شيء.

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أ ــ الكتب:

ابن أبي الإصبع (زكي الدين المصري):

1. بديع القرآن ـ تحق/ حفني محمد شرف ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر ط 2، 1972 .

2. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحق/ حفني محمد شرف، المجلس العلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط 2، 1964.

ابن الدباغ (أبوزيد عبد الرحمن بن محمد):

3. مشارق أنوار القلوب ومفتاح أسرار الغيوب، دار صادر ـ بيروت ـ 1959

ابن تيمية (تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني):

4. كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير، تحق/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، مكتبة ابن تيمية ـ بيروت ـ ط2، 1982

ابن جني (أبو الفتح عثمان):

5. الخصائص، تحق/ محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية ـ مصر 1952

ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي بن محمد) :

6. زاد المسير في علم التفسير، تحق/ محمد السيد الجليند المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ط 3، 1404

ابن حجة الحموي (تقي الدين أبو بكر علي):

7. خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح/ عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ـ ط 1، 1987

ابن حزم (علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي):

8. الإحكام في أصول الأحكام، مطبعة الإمام ـ القاهرة ـ (د. ت)

ابن خلدون (عبد الرحمن):

9. المقدمة، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ط2، 1979

ابن رشيق (أبو علي الحسن):

10. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحق وتفصيل وتعليق/ محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان ط 5 ـ 1981

ابن طباطبا (محمد بن أحمد العلوي):

11. عيار الشعر، تحق/ طه الحاجري ـ محمد زغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة ـ مصر ـ 1956

ابن عاشور (محمد الطاهر):

12. مقاصد الشريعة الإسلامية ـ الشركة التونسية للتوزيع ـ تونس، ط 3، 1988

ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي):

13. الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها، تحق/ السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة ـ (د. ت)

ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم):

14. تأويل مشكل القرآن، شرح وتحق/ السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية ـ مصر ـ ط 1، 1954

ابن قيم (الجوزية):

15. بدائع الفوائد، تحق/ صلاح الدين محمود السعيد، دار البيان العربي، دار الوعي ـ الجزائر 2006

ابن كثير (الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر أبو الفداء الدمشقي):

16. تفسير القرآن العظيم، تحق/ أحمد يوسف الدقاق، دار الفكر ـ بيروت ـ ط 1، 1401 هـ

ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري البصري):

17. السيرة النبوية، تحق/ طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل ـ بيروت ـ (د.ت)

أبو زيد (نصر حامد):

18. مفهوم النص ـ دراسة في علوم القرآن ـ المركز الثقافي العربي، بيروت ـ لبنان، الدار البيضاء ـ المغرب ط2، 1994

أبو السعود (محمد بن محمد العمادي):

19. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ـ تفسير أبي السعود ـ تحق/ أحمد يوسف الدقاق، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ط 2، 1974

أبو عبيدة (معمر بن المثنى التميمي):

20. مجاز القرآن، عارضه بأصوله وعلّق عليه/ محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة ـ مصر ـ ط 2، 1981

أدونيس (علي أحمد سعيد):

21. زمن الشعر، دار العودة-بيروت-لبنان ط1، 1972

22. الشعرية العربية، دار الآداب-بيروت-لبنان ط1، 1985

أرمينكو (فرانسواز):

23. المقاربة التداولية، تر/ سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع-الدار البيضاء-المغرب ط 1، 1987

الأشقر (عمر سليمان):

24. الرسل والرسالات، قصر الكتاب-البليدة-الجزائر 1989

الألوسي (محمد أبو الفضل):

25. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحق/ محمد ديب البغا، دار إحياء التراث العربي-بيروت-ط 3، 1404

إيسر (فولفجانج):

26. فعل القراءة-نظرية في الاستجابة الجمالية-تر/ عبد الوهاب علوب المجلس الأعلى للثقافة 2000

إيفانكوس (خوسيه ماريا بوتويلو):

27. نظرية اللغة الأدبية- سلسلة الدّراسات النقدية (2)- تر/ حامد أبو أحمد، مكتبة غريب-الفجالة- القاهرة، ط1، 1988

إيكو (امبرتو):

28. القارئ في الحكاية-التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية- تر/ أنطوان أبو زيد-المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، بيروت-لبنان ط1، 1996

الباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيب):

29. إعجاز القرآن، تحق/ السيد أحمد صقر، دار المعارف-القاهرة-ط5، 1977

البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل):

30. صحيح البخاري، دار ابن كثير-دمشق-بيروت ط 1، 2002

بركة (عبد الغني محمد سعد):

31. أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجا، دار غريب-القاهرة-ط 1، 1983

البغوي (الحسين بن مسعود الفراء أبو محمد):

32. معالم التنزيل ـ تفسير البغوي ـ تحق/ خالد العك، مروان سوار ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط 2، 1987

بلعيد (صالح):

33. في قضايا فقه اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية ـ الجزائر ـ 1995

بلمليح (إدريس):

34. القراءة التفاعلية ـ دراسات لنصوص شعرية حديثة ـ دار توبقال للنشر ـ الدار البيضاء ـ المغرب ط 1، 2000

35. المختارات الشعرية وأجهزة تلقيها عند العرب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ـ المغرب ـ ط 1، 1955

بناني (عز العرب لحكيم):

36. الظاهرتية وفلسفة اللغة ـ تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية ـ أفريقيا الشرق ـ الدار البيضاء ـ المغرب، بيروت ـ لبنان، 2003

بن نبي (مالك):

37. الظاهرة القرآنية، تر/ عبد الصبور شاهين، تقديم/ محمد عبد الله دراز ومحمود محمد شاكر، دار الفكر ـ دمشق ـ 1981

بوبو (مسعود):

38. في فقه اللغة العربية، منشورات جامعة دمشق، ط 2، 2002

تحريشي (محمد):

39. أدوات النص ـ دراسة ـ اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ 2000

تليمة (عبد المنعم):

40. مداخل إلى علم الجمال، منشورات عين المقالات ـ الدار البيضاء ـ المغرب ـ ط 2، 1987

التوحيدي (أبو حيان):

41. كتاب الإمتاع والمؤانسة، صححه وشرح غريبه/ أحمد أمين وأحمد الزين، المكتبة العصرية ـ بيروت ـ 1953

تودوروف (تزفيتان):

42. نظرية المنهج الشكلي ـ نصوص الشكلانيين الروس ـ تر/ إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين ـ المغرب ـ مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، ط1، 1982

الجابري (محمد عابد):

43. العقل الأخلاقي العربي ـ دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية ـ سلسلة نقد العقل العربي 4، مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ـ لبنان ط2، 2006

الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر):

44. البيان والتبيين، تحق/ عبد السلام هارون، دار الجيل ـ بيروت ـ 1948

45. الحيوان، تحق وشرح/ عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ط 3، 1969

46. رسائل الجاحظ، تحق/ عبد السلام محمد هارون ـ دار الجيل ـ بيروت 1991

الجرجاني (عبد القاهر):

47. أسرار البلاغة في علم البيان، تحق/ محمد رشيد رضا، دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ط 2 (د.ت)

48. دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق/ محمود محمد شاكر ـ دار المدني ـ جدة، مطبعة المدني القاهرة ط 3، 1992

49. الرسالة الشافية ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ـ للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ـ حققها وعلق عليها/ محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ـ دار المعارف ـ مصر ـ ط2، 1968

الجرجاني (أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني):

50. التعريفات، وضع حواشيه وفهارسه/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط 2، 2003

الجزائري (أبو بكر جابر):

51. منهاج المسلم، دار الكتب السلفية ـ القاهرة ـ 1406 هـ

الجوزو (محمد علي):

52. مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ط 1، 1980

الحافظ (منير):

53. المعيار الجهلي في فن اللامعقول ـ دراسة ـ دار الفرقد دمشق، ط1، 2003

حسين (طه):

54. من حديث الشعر والنثر، دار المعارف ـ مصر ـ ط 10، 1969

حمادي (إدريس):

55. الخطاب الشرعي وطرق استثماره ـ المركز الثقافي العربي ـ بيروت ـ الدار البيضاء، ط 1، 1994

حسان (تمام):

56. الأصول، دار الثقافة ـ مصر ـ ط 1، 1981

الخطابي (أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم):

57. بيان إعجاز القرآن ـ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ـ حققها وعلق عليها/ محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ـ دار المعارف ـ مصر ـ ط2، 1968

خطابي (محمد):

58. لسانيات النص ـ مدخل إلى انسجام الخطاب ـ المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ـ المغرب ـ ط 1، 1991

دايك (فان):

59. النص والسياق ـ استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ـ تر/ عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء ـ المغرب، بيروت ـ لبنان 2000

دارز (محمد عبد الله):

60. مدخل إلى القرآن الكريم، تر/ عبد العظيم علي، دار القلم ـ الكويت ـ ط 2: 1394 هـ

دوسوسور (فرديناند):

61. دروس في الألسنية العامة، تر/ صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة، الدار العربية للكتاب ـ ليبيا، تونس 1985

الرازي (فخر الدين عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين):

62. مفاتيح الغيب ـ التفسير الكبير ـ دار الكتب العلمية، بيروت 1983

الرافعي (مصطفى صادق):

63. تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان 1974

الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى):

64. النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني - حققها وعلق عليها/ محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام - دار المعارف - مصر - ط2، 1968

رمضان (يحي):

65. القراءة في الخطاب الأصولي - الاستراتيجية والإجراء - جدارا للكتاب العالمي - عالم الكتب الحديث - الأردن ط 1، 2007

الرويلي (ميجان) - البازعي (سعد):

66. دليل الناقد الأدبي - إضاءة لأكثر من خمسين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا - المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب/ بيروت لبنان ط 2، 2000

ريفاتير (ميكائيل):

67. معايير تحليل الأسلوب، تر/ حميد الحمداني - دار سال - المغرب، ط 1، 1993

ريتشاردز (آ.أي):

68. مبادئ النقد الأدبي - دراسة أدبية - تر/ إبراهيم الشهاني - منشورات وزارة الثقافة - سورية 2002

الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله):

69. البرهان في علوم القرآن، تحق/ محمد أبو الفضل إبراهيم - دار إحياء الكتب العربية - ط1، 1957

الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي):

70. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - دار الفكر - بيروت (د.ت)

الزيدي (توفيق):

71. مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء - المغرب - ط2، 1987

سانديرس (فيلي):

72. نحو نظرية أسلوبية لسانية، تر/ خالد محمود جمعة - دار الفكر - دمشق ط1، 2003

سبيلا (محمد) - بنعبد العالي (عبد السلام):

73. اللغة - سلسلة دفاتر فلسفية - رقم 5، دار توبقال للنشر - الدار البيضاء - ط 1، 1994 - ط 2، 1998

السخاوي (أبو الحسن علم الدين علي بن محمد):

74. جمال القراء وكمال الإقراء، تحق/ عبد الكريم الزبيدي، دار البلاغة - بيروت - ط 1، 1993

السكاكي (أبويعقوب يوسف):

75. مفتاح العلوم، تحق/ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط1، 1983

76. مفتاح العلوم، تحق/ محمد كامل الأسيوطي، مطبعة التقدم ـ مصر ـ 1348 هـ

سلام (محمد زغلول):

77. النقد العربي الحديث ـ أصوله، وقضاياه ومناهجه، مطبعة المعرفة ـ القاهرة ـ 1964

سلوم (تامر):

78. نظرية اللغة والجمال في النقد العربي ـ دار الحوار ـ سورية ط 1، 1983

سمير (حميد):

79. النص وتفاعل المتلقي في الخطاب الأدبي عند المعري ـ دراسة ـ اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ 2005

السهروردي (شهاب الدين):

80. اللمحات، تحق/ أمين معلوف، دار النهار ـ بيروت ـ 1969

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر):

81. الإتقان في علوم القرآن، ضبط وتصحيح وتخريج الآيات/ محمد سالم هاشم ـ دار الكتب العلمية ـ طبعة جديدة كاملة ـ بيروت ـ ط 1، 2004

82. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة (د.ت)

الشاطبي (أبوإسحاق إبراهيم بن موسى):

83. الموافقات في أصول الشريعة، تحق/ عبد الله دراز ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت

شرف (عبد العزيز):

84. الأدب الإسلامي ـ المفهوم والقضية ـ دار الجيل، بيروت، ط 1، 1992

الشعراوي (محمد متولي):

85. معجزة القرآن الكريم، دار الخياط للطباعة والنشر والتوزيع ـ دمشق ـ ط1، 2005

الشنقيطي (سيد محمد ساداتي):

86. وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، دار عالم الكتب ـ الرياض ـ ط 3، 1990

الشوكاني (محمد بن علي بن محمد):

87. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحق/ علي محمد عمر ـ دار الفكر ـ بيروت، ط1 (د.ت)

الصابوني (محمد علي):

88. صفوة التفاسير، دار القلم العربي ـ حلب ـ دار النمير ـ دمشق ـ ط1، 1994

العبدالله (مي):

89. نظريات الاتصال، دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ط1، 2006

عبد البديع (لطفي):

90. فلسفة المجاز بين البلاغة العربية والفكر الحديث ـ الشركة المصرية العالمية للنشر ـ لونجمان ط 1، 1997

عبد التواب (صلاح الدين):

91. الصورة الأدبية في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر ـ لونجمان ـ ط 1، 1995

عبد الرحمن (طه):

92. تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ـ المغرب، بيروت ـ لبنان ط2، 2005

93. اللسان والميزان ـ أو التكوثر العقلي ـ المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ـ بيروت، ط1، 1998

عبد المعطي محمد (علي):

94. جماليات الفن ـ المناهج والمذاهب والنظريات ـ دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية، 1994

عبد المنعم مجاهد (مجاهد):

95. تاريخ علم الجمال، دار ابن زيدون للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ ط 1، 1988

عبده (محمد):

96. تفسير المنار ـ تفسير القرآن الكريم ـ مطبعة المنار ـ القاهرة ـ ط1، 1346 هـ

عتر (نور الدين):

97. علوم القرآن الكريم، مطبعة الصبّاح ـ دمشق ـ طبعة مزيدة ومنقحة، 1996

عسكر (إحسان):

98. وظائف التبليغ القرآني ـ دار الاتحاد العربي ـ مصر ـ ط 1، 1992

العسكري (أبو هلال):

99. كتاب الصناعتين، تحق/ علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة، (د.ت)

عصفور (جابر):

100. مفهوم الشعر - دراسة في التراث النقدي - دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط3، 1983

العمري (محمد):

101. البلاغة العربية - أصولها وامتداداتها - أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب - بيروت - لبنان، 1999

عياشي (منذر):

102. مقالات في الأسلوبية - دراسة - منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق - ط 1، 1990

الغزالي (أبو حامد):

103. إحياء علوم الدين - دار الكتاب العربي - (د ت)

غيرو (بيار):

104. السيمياء، تر/ أنطوان أبي زيد، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ط 1، 1984

الفاسي (علال):

105. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط 5، 1993

الفراهي (عبد الحميد):

106. مفردات القرآن - نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية، تحق/ محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط 1، 2002

فياض (محمد جابر):

107. الأمثال في الحديث النبوي الشريف، مكتبة المؤيد - المعهد العالمي للفكر الإسلامي - ط 1، 1993

فيدوح (عبد القادر):

108. الجمالية في الفكر العربي - دراسة - منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق - سوريا 1999

فيري (جان مارك):

109. فلسفة التواصل، تر/ عمر مهيبل منشورات الاختلاف - الجزائر - المركز الثقافي العربي - بيروت، الدار البيضاء، الدار العربية للعلوم - بيروت - لبنان - ط1، 2006

قاسم (عدنان حسين):

110. الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، مؤسسة علوم القرآن - عجمان - الإمارات العربية المتحدة، دار ابن كثير - دمشق، بيروت ط 1، 1992

القاضي عبد الجبار (أبو الحسن الأسد آبادي):

111. المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحق/ أمين الخولي - دار الكتب - الجمهورية العربية المتحدة - ط 1، 1960

القرضاوي (يوسف):

112. الخصائص العامة للإسلام، شركة الشهاب - الجزائر - 1977

القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري):

113. الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي - راجعة وضبطه وعلق عليه/ محمد إبراهيم الحفناوي، خرج أحاديثه/ محمود حامد عثمان، دار الحديث - القاهرة 2002

114. الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي - تحق/ أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب - مصر ط 2، 1372 هـ

القرطاجني (أبو الحـ ـن حازم):

115. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق/ محمد الحبيب بن الخوجة - دار الغرب الإسلامي - بيروت ط 2، 1981

القضماني (رضوان):

116. مدخل إلى اللسانيات، منشورات جامعة البعث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - حمص - سورية، (د. ت)

قطب (سيد):

117. في ظلال القرآن، دار الشروق - القاهرة - بيروت - طبعة جديدة مشروعة (السادسة والعشرون) 1997

القيسي (ابن أبي طالب أبو محمد مكي بن حموش):

118. العمدة في غريب القرآن، تحق/ يوسف عبد الرحمن المرعشلي - مؤسسة الرسالة - بيروت، 1984

الكدية (جيلالي):

119. تأويل النص الأدبي - نظريات ومناقشات ضمن "من قضايا التلقي والتأويل" سلسلة ندوات ومناظرات رقم 36، 1995 منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس - الرباط - المغرب، مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء ط 1، 1994

الكليب (سعد الدين):

120. البنية الجمالية في الفكر العربي الإسلامي - منشورات وزارة الثقافة - دمشق، 1997

كوهن (جان):

121. بنية اللغة الشعرية، تر/ محمد الولي ومحمد العمري، المعرفة الأدبية - دار توبقال للنشر - الدار البيضاء - المغرب ط1، 1986

لوقا (نظمي):

122. الحقيقة عند فلاسفة المسلمين - مكتبة غريب - مصر 1982

مانفرد (فرانك):

123. حدود التواصل - الإجماع والتنازع بين هابرماس وليوتار - تر/ عز العرب لحكيم بناني، أفريقيا الشّرق - المغرب - 2003

مجموعة من المؤلفين (عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي):

124. معرفة الآخر - مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة - المركز الثقافي العربي - بيروت - الدار البيضاء، ط1، 1990

المرتجي (أنور):

125. سيميائية النص الأدبي، أفريقيا الشرق - الدار البيضاء - المغرب 1987

المسدي (عبد السلام):

126. الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب - ط 2، 1982

127. قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون - الشركة التونسية للتوزيع - 1984

مسلم (بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري):

128. صحيح مسلم، دار إسلام - الرياض - دار الفيحاء - دمشق - ط 2، 2000

مصدق (حسن):

129. النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء - المغرب، بيروت - لبنان، ط1، 2005

مفتاح (محمد):

130. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) - المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء - المغرب - ط 3، 1992

131. مجهول البيان، دار توبقال للنشر - الدار البيضاء - المغرب - ط 1، 1990

132. في سيمياء الشعر القديم، دار الثقافة - الدار البيضاء - المغرب، ط 1 - 1982

133- النص-من القراءة إلى التنظير-شركة النشر والتوزيع-المدارس-الدار البيضاء، ط1، 2000

المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي):

134- إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع، تصحيح وشرح/ محمود محمد شاكر -مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر-1941

المليجي (عاطف):

135- من روائع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ط4، 2004

المناوي (محمد عبد الرءوف):

136- التوقيف على مهمة التعاريف، تحق/ محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر-بيروت/ دار الفكر-دمشق ط 1، 1410

مهيبل (عمر):

137- إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، منشورات الأختلاف-الجزائر-المركز الثقافي العربي-المغرب-لبنان، الدار العربية للعلوم-بيروت-لبنان، ط1، 2005

ناصف (مصطفى):

138- اللغة والتفسير والتواصل، المجلّس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت-1995

النحوي (عدنان علي رضا):

139- الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام-دار النحوي-الرياض-المملكة العربية السعودية ط 1، 1999

النسفي (عبد الله بن أحمد):

140- مدارك التنزيل وحقائق التأويل-تفسير النسفي-تحق/ أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب-مصر ط 2، 1372 هـ

النووي (محي الدين يحي بن شرف):

141- منهل الواردين، شرح رياض الصالحين، ضبط ووضع/ صبحي الصالح، دار العلم للملايين-بيروت، ط 1، 1970

الهيل (عبد الرحيم محمد):

142- فلسفة الجمال في البلاغة العربية-الدار العربية للنشر والتوزيع-مدينة نصر- مصر، ط 1، 2004

هوكز (ترنس):

143. البنيوية وعلم الإشارة، تر/ محمد الماشطة، دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ـ 1986

وضحى (يونس):

144. القضايا النقدية في النثر الصوفي حتى القرن السابع الهجري ـ دراسة ـ إتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ 2006

وولف (فرجينيا):

145. القارئ العادي ـ مقالات في النقد الأدبي، تر/ عقيلة رمضان، مراجعة/ سهير القلماوي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ مصر ـ 1971

ياكبسون (رومان):

146. قضايا الشعرية، تر/ محمد الولي ومازن حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ـ المغرب ـ ط1، 1988

يعقوب (ناصر):

147. اللغة الشعرية وتجلّياتها في الرواية العربية ـ 1970/ 2000 ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2004

ب ـ الدواوين:

148. ديوان أبي تمام، تحق/ محمد عبده عزام، دار المعارف ـ مصر ـ ط5

149. ديوان أبي العتاهية، قدم له وضبطه وشرحه/ صلاح الدين الهواري، دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ـ ط 1، 2004

150. ديوان أبي نواس، دار صادر ـ بيروت ـ ط 1 ـ 2001

151. ديوان الأعشى، دار بيروت ـ بيروت 1983

152. ديوان امرئ القيس، تحق/ أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ـ مصر ـ ط 4

153. ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تصحيح وشرح/ محمد عزت نصر الله، منشورات دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ د.ت

154. ديوان الحماسة، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، تحق/ عبد المنعم أحمد صالح ـ منشورات وزارة الثقافة والإعلام ـ العراق 1980

155. ديوان كعب بن زهير، شرح وتقديم/ محمد يوسف نجم، دار صادر ـ بيروت ـ ط2، 2002

ج - المعاجم:

ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي):

156. مقاييس اللغة، تحق/ عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى الحلبي - القاهرة - 1366 هـ

ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم):

157. لسان العرب، تحق/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، دار صادر - بيروت - ط 1، 1955 - 1992

الأصفهاني (الراغب):

158. مفردات ألفاظ القرآن، تحق/ صفوان عدنان داوودي، دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت ط 2، 1997

جبور (عبد النور):

159. المعجم الأدبي، دار العلم للملايين - بيروت - ط 1، 1979

الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد):

160. الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية - تحق/ أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي - القاهرة - 1956

صليبا (جميل):

161. المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني - بيروت - دار الكتاب المصري - القاهرة - 1978

مجمع اللغة العربية:

162. معجم ألفاظ القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للنشر والتأليف - مصر - ط2، 1970

نخبة من العلماء والباحثين:

163. قاموس القرآن الكريم - المدخل - مؤسسة الكويت للتقدم العلمي - الكويت - ط 1، 1992

د - الرسائل الجامعية:

بناني (محمد الصغير):

164. البلاغة العربية وأصولها النظرية - دراسة تحليلية للمبادئ اللسانية والبلاغية والعقيدية التي قامت عليها منذ نشأتها إلى بداية القرن السابع الهجري - دكتوراه دولة، إشراف عبد الله الركيبي - جامعة الجزائر - قسم اللغة العربية وآدابها، جوان 1993

165. البلاغة والعمران عند ابن خلدون - دراسة تحليلية للمبادئ اللسانية والبلاغية والعقيدية التي تحدد العلاقة بين اللغة والمجتمع، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1996

بن سديرة (عيسى):

166. الخصائص التركيبية والأسلوبية في المكي والمدني من القرآن الكريم - دكتوراه دولة - جامعة الجزائر 2003

د - المقالات:

أعراب (حبيب):

167. الحجاج والاستدلال الحجاجي - عناصر استقصاء نظري - عالم الفكر - الكويت - العدد الأول - سبتمبر 2001

أبو ديب (كمال):

168. السيميائية أحدث العلوم الإنسانية، مجلّة العربي، العدد 334 سبتمبر 1986

إيسر (فولفجانج):

169. آفاق نقد استجابة القارئ، تر/ أحمد بوحسن، مراجعة/ محمد مفتاح، الثقافة الأجنبية - دار الشؤون الثقافية العامة، العدد الأول، السنة الرابعة عشر، 1994

بناني (سعيد):

170. ترميز الفضاء في القرآن الكريم، تر/ عبد الحق ميسط، مراجعة أبو بكر العزاوي - المشكاة، وجدة - المغرب - العدد 25 السنة 1997

بوقرة (نعمان):

171. نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية - قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية - مجلّة اللغة والأدب، قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة الجزائر - العدد السابع عشر، جانفي 2006

جاسم (أحمد الحسين):

172. مفهوم الصورة في النقد الأدبي، البيان، العدد 232 يونيو 1997

حمداوي (جميل):

173. مفهوم التواصل ـ النماذج والمنظورات ـ ديوان العرب العدد 31 ديسمبر 2006 ـ المغرب [redacted]

174. التواصل اللفظي وغير اللفظي ـ الندوة العربية ـ المغرب [redacted]

درويش (أحمد):

175. الأسلوب والأسلوبية ـ مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه ـ فصول، المجلّد الخامس، العدد الأول أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر 1984

شنان (قويدر):

176. التداولية في الفكر الأنجلوسكسوني ـ المنشأ الفلسفي والمآل اللساني، مجلّة اللغة والأدب، العدد السابع عشر، جانفي 2006

العزاوي (أبو بكر):

177. البنية الحجاجية للخطاب القرآني ـ سورة الأعلى نموذجا ـ المشكاة، المغرب ـ العدد التاسع عشر السنة الخامسة، 1994

عيد (محمد رجاء):

178. التصور الجمالي في النقد العربي ـ المنهل ـ العدد 530 المجلّد 57 فبراير ـ مارس، 1996

قاسم (سيزا):

179. القارئ والنص ـ من السيميوطيقا إلى الهيرمينوطيقا ـ عالم الفكر، المجلّد الثالث والعشرون العددان الثالث والرابع ـ يناير/ مارس ـ أبريل/ يونيو الكويت 1995

الملاخ (نور الدين):

180. مفاهيم في التواصل ـ تاريخ النشر 02/ 02/ 2005 [redacted]

المنادي (أحمد):

181. التلقي والتواصل الأدبي ـ قراءة في نموذج تراثي ـ عالم الفكر، العدد الأول، المجلّد الرابع والثلاثون، يوليو ـ سبتمبر 2005

مهيبل (عمر):

182. الخطاب الفلسفي للحداثة يورغن هابرماس ـ مجلّة اللغة والأدب ـ جامعة الجزائر ـ قسم اللغة العربية وآدابها ـ العدد العاشر ديسمبر 1996

ولد محمد الأمين (محمد سالم):

183. مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، عالم الفكر، العدد الثاني، يناير/ مارس، 2000

الفصل الخامس

مقاصد التواصل وجمالياته

I. مقاصد التواصل

1. مفهوم المقاصد
2. أقسام المقاصد
3. حقيقة المقاصد في البلاغ القرآني
4. وجوه من مقاصد التواصل

II. جماليات التواصل

مظاهر التمام والكمال والجمال في البلاغ القرآني

1. التمام والكمال

أ- المفهوم

ب- الأنواع

ج- صور من التمام والكمال في البلاغ القرآني

2. الجمال

أ- المفهوم

ب- الأنواع

ج- صور من الجمال في البلاغ القرآني

الفصل الخامس

مقاصد التواصل وجمالياته

مقاصد التواصل:

1. مفهوم المقاصد:

إنّه لمن الجلّي أن آخر هذه الفصول كان هُو هدف وجود البلاغ وعماد التواصل الذي جعله بريتو مشروطا بالقصد فقال: «إنّ ما يميز الوظيفة التواصلية عن الوظيفة الدلالية حصرا هُو القصدية التي تتجلّى في الأولى لا الثانية»،(1) وحددته (أي فعل التواصل) فرانسواز أرمينقو بالهدف (أو الأهداف الخاصة) المتبعة؛ إذ ترى أنّه لا توجد وسيلة للكلام عن المعنى، دون الكلام في الوقت نفسه عن الهدف،(2) في حين جعله ديل هايمز خاصية من خصائص اللغة وليس هدفا.(3) و أما غرايس وستراوسن فقد أوليا مقصد المؤلف أهمية بالغة إذ قدموه على حساب الصورة التي تكسوالفعل اللغوي الذي ينجزه.(4) والقصد عند علماء التواصل (أو التواصلية) آلية من اثنين تتم بها عملية الاتصال بين اثنين (بين نص وقارئ مثلا)، وتعني إدراك الباث أو المتلقي الرسالة إدراكا نظريا.(5) وقيل: القصد توجّه النفس إلى الشيء أو انبعاثها نحوما تراه موافقا، وهُو مرادف للنية، وأكثر استعماله في التوجه الإرادي أو العملي.(6) وقيل هُو وجود الأسباب الغائية، والسبب الغائي هُو الذي يفسّر حادثا ما، ويحدد الباعث لوجوده أو الغاية منه. أو هُو سعي نحوغاية بتكييف الوسائل المؤدية إليها حسب المقصد. وهُو أيضا تعديل الأجزاء حسب الكل، في عدد من النظريات الجمالية.(7) ثم إنّ

---

(1) ينظر luis. Jorge. PRIETO: Messages et signaux, presses universitaires de France, Paris 1972

(2) فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية ص 99.

(3) Dell H. Hymes : Vers la compétence de communication ; traduction de France Mugler les Editions Didier, Paris p 129

(4) Dällenbach ,Lucien et Ricardou Jean: problémes actuels de la lecture,Clancier – Guinaud,Paris (1982) p 114 نقلا عن يحي رمضان: القراءة في الخطاب الأصولي ـ الاستراتيجية والإجراء ـ جدارا للكتاب العالمي ـ عالم الكتب الحديث ـ الأردن ط 1، 2007 ص 144.

(5) امبرتوإيكو: القارئ في الحكاية ـ التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية ـ ص 314 .

(6) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ دار الكتاب المصري ـ القاهرة ـ 1978 ج2 ص 193.

(7) جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دارالعلم للملايين ـ بيروت ـ ط 1 ، 1979 ص 213.

«المقصد يحدد الغرض من أي فعل لغوي، كما يحدد هدف المرسل من وراء سلسلة الأفعال اللغوية التي يتلفظ بها، وهذا ما يساعد المتلقي على فهم ما أرسل إليه».[1] ومن هذا المنطلق كانت الكتابة كغيرها من الممارسات التي قام بها الإنسان أشياء قائلة، معبرة لا تخلومن غاية الدلالة ومقصدية التبليغ، تبليغ شيء أراده القائل وقصد بثه.[2]

ولئن اختلف هذا وذاك في تحديد المفهوم وضبطه فإنهم يتفقون على أنه دائم الحضور في عملية الكلام، لكون استعمال اللغة يدعولاستعمال خاصية التواصل، وكذلك «لأن الناس إنما يكلم بعضهم بعضا ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده».[3] وقد أولت الدراسات التداولية المعاصرة أهمية بالغة للقصد خاصة عندما عمدوا إلى دراسة الأفعال اللغوية، فبحثوا في نيات المتكلم ومقاصده والوضعية السياقية التي تكشف بعض خصوصيات خطابه وأهدافه فـ «القصد أو المقصدية، إذن تحدد كيفية التعبير والغرض المتوخى، وهي البوصلة التي توجّه تلك العناصر وتجعلها تتضام وتتضافر وتتجه إلى مقصد عام، فالمقصد يحدد اختيار الوزن، والألفاظ الملائمة، وتركيبها بطرق معينة لتؤدي المعنى العام المتوخى».[4]

إذا كان علم الإعجاز يتوقف عليه المراد من كلام الله ويترتب عليه فهم حقائقه على الوجه الصحيح الأكمل،[5] فإنه يعني أنه يبحث عن مقاصد التواصل، يقول تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ النحل ـ الآية 9؛ أي على الله بيان طريقه المستقيم الموصل إليه بالرسل والرسالات وما فيها من حجج وبراهين واضحة. والقصد في اللغة استقامة الطريق، يقال: قصدت قصده؛ أي نحوت نحوه، وأقصَدَه السهمُ، إذا أصابه فقُتِل مَكانَه، يقول الأعشى:[6]

فأقْصَدها سهمي وقد كان قبلها *** لأمثالها من نِسوةِ الحيِّ قانِصًا

وقد أخذت المقاصد مفهوم البلاغ حيث سئل عمرو بن عبيد ما البلاغة ؟ فأجاب: ما بلغ بك الجنة وعدل بك عن النار،[7] وتسمى المقاصد كذلك الحكمة التي تشير إلى حكمة الله في إيجاد هذا الكون،[1]

---

(1) نعمان بوقرة: نحونظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية ـ قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية ـ مجلة اللغة والأدب ، قسم اللغة العربية وآدابها ـ جامعة الجزائر ـ العدد 17 جانفي 2006 ص 170

(2) يحي رمضان: القراءة في الخطاب الأصولي ـ الاستراتيجية والإجراء ـ ص 142.

(3) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ص 462.

(4) محمد مفتاح: في سيمياء الشعر القديم، دار الثقافة، الدار البيضاء ـ المغرب ـ ط 1 ـ 1982 ص 53

(5) محمد صغير بناني: البلاغة العربية وأصولها النظرية ـ دراسة تحليلية للمبادئ اللسانية والبلاغية والعقيدية التي قامت عليها منذ نشأتها إلى بداية القرن السابع الهجري ـ ص 426.

(6) الأعشى: ديوان الأعشى ـ دار بيروت ـ بيروت، 1983 ص 109.

(7) الجاحظ: البيان والتبين ج 2 ص 49.

وحكمته في خلق الإنسان وتعليمه البيان،[2] إذ يمكن القول: إن الغاية النهائية للقرآن الكريم بوصفه بلاغا هي غاية واحدة، عبادة الله عبادة خالصة له وحده، وتندرج تحتها مقصديات كثيرة مرتبطة بإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، ومن الضلال والشرك إلى الهداية والتوحيد، وبالجملة الارتقاء بهم إلى مستوى ما كرمهم الله به وفضلهم على كثير ممن خلق بترك ما يضرهم والإقبال على ما ينفعهم من أجل أن يحققوا إنسانيتهم لقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ الإسراء ـ الآية 39، وقوله: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 151، وقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ الجمعة ـ الآية 2، فالحكمة هنا هي الأحكام التي في كتاب الله كما يذهب إلى هذا بعض المفسرين، وكذلك الحُكم في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴾ آل عمران ـ الآية 79، والحكم بالشيء أن تقضي بأنه كذا، أو ليس بكذا، سواء ألزمت ذلك غيره أم لم تلزمه. والحكمة إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحكمة من الله تعالى العلم بالأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات. وهذا هو الذي وصف به لقمان في قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴾ لقمان ـ الآية 12، والحكم أعم من الحكمة، فكل حكمة حكم، وليس كل حكم حكمة، فإن الحكم أن يقضي بشيء على شيء، فيقول: هو كذا أو ليس بكذا، قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ الحزاب ـ الآية 34، هي علم القرآن، وناسخه، ومحكمه ومتشابهه.

وإذا كانت المقاصد مرادفة للنيات والأهداف والحكم فإنها اتسعت أيضا لتشمل معنى العلل والأغراض والمراد والمعاني والمغزى والغايات... وقد جاءت على لسان علال الفاسي بلفظ الغاية حيث قال:»والمراد من مقاصد الشريعة الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها».[3] وجاءت على لسان محمد الطاهر بن عاشور بلفظ «المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع، أو معظمها».[4]

2. أقسام المقاصد:

(1) ينظر الجاحظ: الحيوان ج 1 ص33ز

(2) الجاحظ: البيان والتبيين ج 1 ص8.

(3) علال الفاسي: مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ط 5 ، 1993 ص 7.

(4) محمد الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية ـ الشركة التونسية للتوزيع ـ تونس، ط 3، 1988 ص8.

في الوقت الذي اشتغلت فيه المدرسة الفقهية بتطبيق مقاصد الفقه وممارستها، اهتم الأصوليون بإبراز المعالم التي تقوم عليها هذه المقاصد وأركانها، اهتماما كبيرا، خاصة أن المعرفة بالمقاصد كانت شرطا أوليا لقراءة البلاغ القرآني والأداة الأساسية لمقاربته؛ لأنها تجنب الوقوع في الغلط. وقد كان الشاطبي أول من تعرض لها بالدرس بشكل مستقل في كتابه الموافقات في أصول الشريعة؛ حيث اعتنى بفهم معنى الخطاب، لأنه المراد والمقصود، وعليه يبنى الخطاب ابتداء،[1] أو كما صرّح هو نفسه على اعتبار أن آيات القرآن الكريم الدالة على المقاصد أكثر من أن تحصى، وهي من منظوره قسمان: قسم يرجع إلى قصد الشارع، وقسم يرجع إلى قصد المكلّف، وقد حظي الأول بتنويع دون الثاني.

فأما النوع الأول فمتعلق بقصد الشارع في وضع الشريعة ابتداء، وهُو يمثل الأهداف الرئيسية التي كانت سببا في التشريع الإلهي الذي أريد به إصلاح الخلق كافة. وينقسم بدوره إلى مطالب ثلاثة متراوحة بين المقاصد الضرورية التي لابد من منها في قيام مصالح الدين والدنيا، وهي عامة وسعت كل الأمم زمانا ومكانا واستهدفتها.[2] والمقاصد الحاجية التي تهتم برفع الضيق المؤدّي غالبا إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب[3] والمقاصد التحسينية التي تعنى بالنظر إلى المحاسن الزائدة على أصل المصالح الضرورية والحاجية، وهي تجري مجرى التحسين والتزيين، وبالتالي فإن فقدانها ـ حسب ما يراه الشاطبي ـ لا يرقى إلى المطلبين السابقين.[4]

وأما النوع الثاني فمتعلق بقصد الشارع في وضع الشريعة للإفهام، ويهتم بمعالجة مقصد الإفهام من خلال الأدلة الشرعية التي لا تنافي قضايا العقول.[5]

وأما النوع الثالث فمتعلق بقصد الشارع في وضع الشريعة للتكليف بمقتضاها. وأما النوع الرابع فمتعلق بقصد الشارع في دخول المكلف تحتها للامتثال، وهذا باتباع المطلوب على الوجه المطلوب بإيقاع المأمور به أو عدم إيقاع المنهي عنه.

كما كان طه عبد الرحمن سباقا إلى تحديد الفروق بين كل من المقصود والقصد والمقصد مفصلة. وقال إنّ المقصد لفظ مشترك بين معان ثلاثة، فإذا كان المقصد بمعنى المقصود الذي يحصّل فائدة فهُو

(1) أبوإسحاق الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، تحق/ عبد الله دراز ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ج 4 ص 94.

(2) ينظر أبوإسحاق الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، ج 2 ص 3 ـ 4 ـ 7 ـ 13.

(3) ينظر المصدر نفسه ج2 ص 9.

(4) ينظر المصدر نفسه ج2 ص 9.

(5) ينظر المصدر نفسه ج2 ص 19.

المضمون الدلالي للخطاب الشرعي، أو ما يعرف عنده بنظرية المقصودات التي يكون الحكم الشرعي فيها موصوفا بالتوجه المعنوي، والانبناء على الفطرة مع الوقوف على صور الأعمال ورسوم الطاعات. وإذا كان المقصد بمعنى القصد الذي يحصّل نية فهُو المضمون الشعوري أو الإرادي، أو ما يسميه بنظرية القصود التي يكون الحكم الشرعي فيها موصوفا بالتوجه التجردي والانبناء على الإرادة مع بقاء الحكم بظاهر العمل. وإذا كان المقصد بمعنى المقاصد التي تحصّل غرضا فهُو المضمون القيمي، أو ما يسميه بنظرية المقاصد التي يكون الحكم الشرعي فيها موصوفا بالتوجه المصلحي والانبناء على الحكمة مع تقديم طلب الأسباب الخفية للأحكام على طلب الأسباب الظاهرة لها.[1]

3. حقيقة المقاصد في البلاغ القرآني:

لقد أفلت العلاقة بين الناس، واختلفوا، وتفرقوا، وعمّتهم الفوضى، وساد حبّ الذات نتيجة الشعور بالفراغ والضياع، فكان من الطبيعي أن تردّ الأمور إلى سابق عهدها، أي رجوع الناس إلى الفطرة السليمة التي خلقوا عليها، وأن يمتثلوا للشروط والضوابط التي سعى التواصل إلى إرسائها وفق ميكانيزمات متصلة أولا بالوحي؛ لأنّ مهمته الأولى أن يملأ فراغا حقيقيا في الحياة، ثم باللغة الهادفة معرفيا ثانيا، والتي وإن خلت من هذا الأس فلا جدوى منها ولا مزية فيها، «فاللغة ما لم تبلّغ معرفة نافعة مستندة إلى عقيدة راسخة؛ فلا كمال فيها؛ والعقيدة ما لم تقوم حقائق مستمدة من معرفة نافعة تتوسل بلغة مبينة، فلا كمال فيها، هي الأخرى؛ والمعرفة، ما لم تحقق قيمة مستمدة من عقيدة راسخة تتوسل بلغة مبينة، فلا كمال فيها كذلك؛ فاستكمال اللغة إذن أن تكون مبلّغة، واستكمال العقيدة أن تكون مقومة، واستكمال المعرفة أن تكون محققة».[2] ولأن اللغة هي مادة التواصل فاستعمالها هُو المحرّك لها، فمن العبث إذن إبلاغ بلاغ إلى مبلَّغ من دون مقصدية يسعى المبلِّغ لإيصالها إليه، بالنظر إلى أن الخطاب لا يكتسب شرعية وجوده، ولا تتبين دلالاته إلا إذا كان محتويا على قصد ينشده صاحب البلاغ. وقد فتح البلاغ القرآني آفاقا واسعة في مجال الدراسات النصية المتكاملة، بخاصة أنه في جوهره وظاهره «حضارة نصية بيانية تقوم على مقاصد الخطاب ومغزاه في عملية الفهم والإفهام».[3] كما شكّل دافعا قويا وحقيقيا للمبلَّغ الذي يهدف إلى التقويم والتغيير عن طريق إنذار الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أول هذه الأمة وأوسطها وآخرها على حد سواء،

---

(1) ينظر طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث ـ المركز الثقافي العربي ـ ط 2 ـ 2005 ص 98 ـ 99 ـ 107

(2) طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث ص 248.

(3) نعمان بوقرة: نحونظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية ـ قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية ـ ص 175.

مثلما أمره ربه، وقد وقف وراء تحقيق أهدافه، كمال مادته شكلا ومحتوى، وتمامها، لذلك كان البلاغ القرآني بناء حضاريا قبل أن يكون بناء لغويا إعجازيا.

لكن هل في مقدور الناس الوصول إلى المقصدية بتمامها وكمالها خاصة وأن كمال القرآن وتمامه كانا مطلقين؟

إنّ اقتفاء الناس للمقصدية الرئيسية، ومن ثمة للمقاصد الكثيرة ـ التي وإن تنوعت وكثرت، فإنها تنطلق من ذات المقصد الرئيس لتعود إليه ـ يوحي بأنهم يبحثون عن حاجاتهم الضرورية، وقد دفعها إليها ذاتهم السوية بالفطرة السليمة التي خلقوا عليها. ومثلما كانت مقصدية إرسال الرسل تبليغ أوامر الله ونواهيه، بما فيهما من تبشير وإنذار لتقوم حجة الله لمن أرسل إليهم، أو عليهم، كانت مقصدية تلقي البلاغ الإقرار بالله وبوحدانيته وبسائر ما يجب الإيمان به من صفاته وأفعاله، ليلحق بها الإيمان بملائكته وكتبه ورسله، وباليوم الآخر، وبالقضاء والقدر خيره وشره، فتتحول مقصدية الإيصال إلى نتيجة حتمية لمقصدية التواصل، ذلك أن الوظيفة الأساسية للتواصل هي تكوين أناس أو إعادة تكوينهم، على نحو سليم، نام، يمنحهم درجات من الرقي الفكري والسموالروحي، فيحيي نفوسهم معنويا، وينمي شعورهم بالجمال العام الذي يحيط بهم، ويهذبهم إن على مستوى معجزة القرآن وإن على مستوى النفس أو الآفاق لقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ فصلت ـ الآية 53. وإذا اندفع المتكلم في الكلام مخبرا لزم أن يكون قصده إفادته للمخاطب،[1] ويكون بهذا قد أعطى العقول مستوى أرفع عن طريق التدبر العقلي المستبصر، على اعتبار أن الكتب السماوية كلها أنزلت بقصد أن تكون منهاجا في خدمة البشر في دنياهم، فيؤدونها في حياتهم، ثم يحاسبون عليها في أخراهم.

والقرآن الكريم نفسه لم يترك أمرا إلا وضبطه وبيّنه، فجاء تاما كاملا من غير إفراط ولا تقصير، ابتداء من إيصال البلاغ عن طريق الوحي، إلى الدعوة إلى الله والاستجابة لها وتحقيقها في النفوس، اعتقادا وقولا وعملا، بالتبشير والإنذار في الدنيا والآخرة، وبتعليمهم تعاليم ربهم وتزكية نفوسهم وتقويم ما انحرف من فكر أو مال نحوالزيف من عقائد ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ النحل ـ الآية 89، وفي هذا رعاية لمصالح الناس وكل شؤونهم،[2] فينشأون على الصورة التي أرادها الله لهم ﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ الأنفال ـ الآية 7.

---

(1) السكاكي: مفتاح العلوم ص 258.

(2) للاستزادة ينظر عمر سليمان الأشقر: الرسل والرسالات ص 43 وما بعدها .

ولئن كانت «غاية الشعر هي التأثير، والتأثير يعني تغيرا في الاتجاه وتحولا في السلوك»،[1] فكذلك شأن القرآن، غير أنّ تأثيره كان أشد تحريكا للنفوس وإنهاضا لها، كما كان أعمق تغييرا في معتقداتها وفكرها وسلوكها وكل أمورها؛ وإن كانت مزيتهما متراوحة بين «فعل شيء أو طلبه أو اعتقاده، أو التخلي عن فعله أو طلبه أو اعتقاده»،[2] وهذا ما يجلّي جملة من المقاصد التي تعد واحدة من أهم الإشكاليات الحضارية التي تواجه صيرورة الوجود الإنساني، وقد طرحها القرآن في أسلوب هُو في حقيقته موجّه إلى جهة القصد الذي لا يخلومن المعنى والدلالة والحقيقة التي تكتسي بعدا جماليا خطيرا، وهُو أمر يسعى المتلقي دوما إلى الوصول إليه مضافا له البحث عن الذات وعن الهداية، لأن المؤمن الذي يملأ قلبه الإيمان مقتنع في أعماقه قبل أن يشرع في مقاربة البلاغ بأنّ الله قد أودع الحقيقة فيه ليتعرّف عليها العباد،[3] على أساس أن البلاغ الذي يؤسسه المبلّغ يقوم «على جملة من المقاصد تحدد هدفه وغايته، وتحقيقا لذلك يطمح المخاطِب إلى أن يكون كلامه مفهوما ودالا يحسن السكوت عليه، مراعيا في ذلك تفاوت درجات المخاطَبين في الأفهام»،[4] ولأنّ القرآن منهاج وشرعة وكتاب بصائر وهدى فقد عالج جلّ المسائل التي تمسّ حياة الإنسان حيثما كان وفي أي زمان، ورسم له حدودا لا ينبغي تعدّيها، وهذه الحدود راعت المصالح الشرعية والحقوقية للدين والناس، وفيها من الفسحة والسعة بحيث لا تضيق على أحد؛ ذلك أن الدين الحق هُو الدين القائم بمصالح الناس، وتأتي تشريعاته لحفظ شؤونهم مع الأخذ بالتشريعات المستجدة ليواكبوا مسيرة التكامل انطلاقا من الشريعة ذاتها، وهذا من معاني قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ التوبة ـ الآية 36 ،يوسف ـ الآية 40، الروم ـ الآية 30 التي وردت في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع بالصيغة نفسها لأهميتها، مثلما وردت بصيغة أخرى كقوله: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ ﴾ الروم ـ الآية 43، إذ «بدون الرسالة السماوية سيبقى البشر مختلفين تائهين لا يتفقون على سبيل».[5]

(1) جابر عصفور: مفهوم الشعر ـ دراسة في التراث النقدي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان ط3، 1983 ص 46.

(2) القرطاجني (أبوالحسن حازم): منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ط 2، 1981 ص 106.

(3) ينظر سيزا قاسم: القارئ والنص، عالم الفكر مجلد 23 العددان الثالث والرابع 1995 ص 267.

(4) نعمان بوقرة: نحونظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية ـ قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية ـ ص 193 .

(5) عمر سليمان الأشقر: الرسل والرسالات ص 238.

جعلت الشريعة الإسلامية أول مقاصدها حفظ الأساسيات الخمسة الضرورية في حياة الناس وهي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ المال، وحفظ النسل. لتدل على أنها اتسمت بخصائص لا توجد في غيرها من الشرائع، فهي شاملة وصالحة لكل زمان ومكان، ومُحكمة لا تعارض بين آياتها ولا اضطراب، وهي مرنة ومتوازنة وأحكامها مُيسّرة لا حرج فيها، وتُحقق العدالة والمساواة والحرية للناس. فالذي يتدبّر القرآن سيجد أنّ مقاصد التواصل عامة قد تجلّت فيما يلي:

- العقيدة التي تعد أهم ركن يقوم عليه الدين الإسلامي، حيث تناولت آيات الذكر الحكيم القضايا الكبرى الأساسية لأصول العقيدة والإيمان وهي على التوالي:

1) قضية الألوهية والعبودية
2) قضية الوحي والرسالة
3) قضية البعث والجزاء

وعملت الآيات ـ أيضا ـ على توجيه الناس إلى هذه الأصول العقائدية وفروعها، فبيّنت أساس الصلة بين العبد وربه، وعرّفت بالله الذي ينبغي أن يفرد بالعبادة دون سواه، وأن تسلم إليه الوجوه وتعنوا، بإخلاص العمل له وحده، فذكرت صفاته العليا ونزهتها، وأبرزت أسماءه الحسنى وأثبتتها، ونطقت بآيات قدرته في الأنفس والآفاق، وتحدثت عن رحمته وجبروته في مشاهد حية تدرك بالأسماع والأبصار والقلوب والعقول؛ لأنها خاطبت كل حاسة في الإنسان، وكلّ جارحة في كيانه البشري ليتجه إلى ربه، فيتفكر في صنع الله ويتدبر في آياته وعظمة صاحبها، فهُو سبحانه وتعالى أحاط بعلم جميع ما في السموات والأرض. كما تفرّدت الآيات بتمجيد القرآن الكريم والتنويه بشأنه العظيم، فلا يتطرق إليه خلل ولا تناقض؛ لأنه تنزيل الحكيم العليم.

كذلك فقد دفعت الشبهات التي أثارها المشركون حول هذه الأصول كلها، وهدفت إلى تقريرها بالأدلة الساطعة والبراهين القاطعة؛ ذلك أن المشركين أنكروا أمر الوحي وكذّبوا به، واستبعدوا قيام الساعة واستهزءوا بها، وأكثروا حولها الجدل، فجاءت الآيات تشيد بالنعيم الأبدي الذي أعدّه الله في الآخرة لمن رضي الله عنهم ورضوا عنه من أهل الجنة والسعادة، وفي المقابل تحدثت عن العذاب الأليم الذي اكتسبه أهل النار والشقاوة بما اكتسبته أيديهم.

- التشريع الذي عالج النظم والقوانين التشريعية التي يحتاج إليها المسلمون في حياتهم الاجتماعية حتى ينظموا شؤونهم الداخلية والخارجية، فيسيروا عليها في عباداتهم ومعاملاتهم؛ مثل بيان الأحكام التي فرضها الله على عباده المؤمنين؛ والمتعلقة بالطهارة، والصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، والعمرة، والجهاد في سبيل الله، وتسمى هذه الأحكام العبادات. واهتم التشريع كذلك بشؤون الأسرة وما يتعلق بها من

الخطبة، والزواج، والطلاق، والرضاع، والنسب، والعدة، والنفقة، والظهار، والميراث، والوصايا، وحقوق الأيتام والنساء وواجباتهم وغيرها. وكذا أولى عناية فائقة لشؤون المجتمع، فوضع حدودا للسرقة، والبغي، والزنى، والقذف، واللعان، والخمر، والميسر... واهتم بأحكام العقود، والذبائح، والصيد، وكفارة اليمين وكفارة الظهار والتناجي، والديّة والصلح، وآداب المجالس، وحذّر من ارتكاب المعاصي والكبائر كالغيبة والنميمة والتجسس وظن السوء والسخرية والهمز واللمز... وكل ما له صلة بالإصلاح في الأرض أو الإفساد فيها، تطهيرا للمجتمع من الفوضى والانهيار الأخلاقي. وأعطى الدولة أهمية عظيمة بحكم أنها تضم المجتمع والأسرة وتعمل على تسيير شؤونهما والحفاظ عليهما، فحثّ على الأمر بالإحسان وما ينطوي تحته من تكافل وتراحم، وتناصح وتسامح، وأمانة وعدل، وبذل وسخاء، أيضا فقد دعا إلى الحفاظ على استقرار الأمة وقوتها بأخذ العدة، وبيّن كثيرا من التشريعات الحربية وأحكام الأسرى والغنائم، وحكم الردة ومن ترك العمل بشريعة الله، ونظّم طرق التعامل بين الدول الإسلامية وغيرها من الدول غير الإسلامية، بوضع قوانين تضمن لكل الأطراف حقوقهم من أجلّ خلق أمة مثالية فاضلة تقي نفسها من عوامل التردي في بؤرة الإباحية ودرءا للمفاسد عنها، وتسمى هذه الأحكام المعاملات. مثلما نجد الأحكام المتعلقة بالأخلاق التي ركزت على ذكر صفات المؤمنين الفاضلة، وصفات الكافرين الذميمة، وصفات المنافقين الشنيعة، من أجلّ توضيح حقيقة كل من الإيمان والكفر والنفاق، ثم المقارنة بين فريق الهدى الذي ضم المؤمنين وفريق الضلال الذي ضم الكافرين والمنافقين، إذ من خلالهما يظهر حب الله وفيه، والبغض فيه جلّ جلّاله، كما يظهر حب رسوله بعد الإيمان بما جاء به ورسله، وبالجملة فقد وضحت الآيات أسلوب الاستقامة على شريعة الله وعالجت الأسس التشريعية في المعاملات والعبادات والأخلاق والتوجيه.

وكل هذه المقاصد جاءت على شكل قصص وأمثال وحكم وأخبار... بقصد العظة والعبرة والتسلية، لما تحمله من الراحة والأنس والطمأنينة، ولإثبات وحدة الرسالة، وأن الرسل جميعا جاءوا لدعوة الناس إلى توحيد الله ونبذ الشرك، كما جاءت على شكل نداءات ودعوات لا تخلومن أمر بالمعروف ونهي عن المنكر وحظر وإباحة وتحليل وتحريم ووعظ وتقويم؛ وهي التي تعرف عند الخطابي بمنهاج العبادة الذي بيّنه الله بأصح المعاني أو الودائع الكامنة في القرآن،[1] بغرض النصح والتوجيه والتربية والتنبيه والتبيين والتوضيح، ترغيبا وترهيبا لإظهار حقيقة الدنيا والآخرة.

وهذا ما يفضي بنا إلى القول: إن التواصل هو القصد إلى إيصال البلاغ الذي يحوي شريعة الله إلى طرف أو أطراف يريد الله بهم خيرا، حيث قال تبارك وتعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ

(1) ينظر الخطابي: بيان إعجاز القرآن ـ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ـ ص 28 ص 36 .

مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٦ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨ ﴾ النساء ـ الآيات 26 ـ 27 ـ 28.

4. وجوه من مقاصد التواصل:

لقد كان التواصل السبيل الوحيد القادر على إرجاع الناس إلى أن يكونوا أمة واحدة، ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾ المائدة ـ الآية 48، وإذا كان القرآن بعيدا عن أي عامل خارجي قد أثر بصفة دائمة على عقول جد مختلفة في الحال والقول، فلابد أن يكون ذلك راجعا إلى ماله من جاذبية خاصة، بتوافقه الكامل مع أسلوب الناس الفطري في التفكير والشعور والقول والفعل، وباستجابته لما تتطلع إليه نفوسهم في شؤون العقيدة والسلوك، وبوضعه الحلول الناجعة للمشكلات الكبرى التي تقلق بالهم، وبمعنى آخر لابد أنه ينطوي على ما يشبع حاجتهم إلى الحق والخير والجمال بما يجمع إليه من صفات العمل الديني والأخلاقي والأدبي في آن واحد؛[1] لذلك حمّل الله سبحانه الناس مسؤولية تحقيق أهداف إنسانية سامية، بعد أن هيأ لهم كل أسباب تحقيقها من رسل وكتب سماوية ليبلوهم، فيرى إيمان أمة وطاعتها له، وكفران أمة وعصيانها له، ومن هذه الأهداف نذكر:

- الوحدة التي تجلّت أول ما تجلّت في دين الله، دين الوحدة بين جميع رسالات الله، وإنه دين الإيمان بما أنزل على جميع الأنبياء والرسل الذين يتبعون خطا توحيديا واحدا، وإن اختلفوا في الأزمان فإنهم متّحدون في محتوى الرسالات، لأنّ من مقاصد الدين الأساسية جمع الناس وتوحيدهم على قول واحد "لا إله إلا الله" ويترجمه عمل واحد "عبادة الله وحده" يقول تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ البينة ـ الآية 5.
- التعاون من مستلزمات تحقيق الوحدة، وما ينطوي تحتها من فعل الخيرات وترك المنكرات، يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ المائدة ـ الآية 2، وقد جاء بصيغة الجمع وبأسلوب الأمر للدلالة على مقتضى الوجوب؛ فعرف سبل التعامل من خلال التعاون لإطاعة أوامر الله وتعاليمه وتأدية واجبات العبادة والأمانة والوفاء بها والخلافة في الأرض وعمارتها.
- العمل الصالح الذي جاء هو الآخر بصيغة الجمع وبأسلوب الأمر للدلالة على مقتضى الوجوب في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ المؤمنون ـ الآية

(1) ينظر دارز (محمد عبد الله): مدخل إلى القرآن الكريم، تر/ عبد العظيم علي، دار القلم ـ الكويت ـ ط 2 ـ 1394 هـ ص 70 .

51، وبدا أنه خطاب للرسل إلا أن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين كما قال رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ رواية عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ وأمر كذلك بكل فعل فيه من الخيرات والطاعات ما يقرّب من الله للظفر برضاه ـ عزّ وجلّ ـ والفوز بالحظ العظيم فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧) ﴾ الحج ـ الآية 77، وقال: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران ـ الآية 104. والعمل والفعل متضمنان في التعاون، إذ بغيرهما لا يحصل التعاون، كما أنّ التعاون متضمن فيهما ومن دونه لا يتحققان أولا ينجزان.

- التعارف بين الناس والتلاقي لرفع الاختلاف الذي سادهم وليحصل التآلف، وهُو يعد واحدا من أهم مقاصد القرآن والشريعة الإسلامية، فقد ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ البقرة ـ الآية 213، فجعل الله بعد الاختلاف اتفاقا، وبعد الشحناء ألفة، وبعد البغضاء محبة، وجمع الشمل بعد التفرق ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الممتحنة ـ الآية 7، وعسى هنا هي وعد من الله الذي لا يخلف الميعاد وقد أنجزه عندما ذكّر عباده بما امتّن عليهم من نعمة الإسلام، وما تفضل به عليهم من إرسال الرسول، والأمر باتباعه فقال: ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ آل عمران ـ الآية 103، ثم إنه من دون التعارف كيف يتم التعاون والعمل، والله سبحانه قد حثّ على هذا الأمر وأكده فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ الحجرات ـ الآية 13، فعلى جميع الناس أن يكتشف بعضهم إمكانات بعض ليتبادلوا الخبرات والخيرات، فيكون التكامل في الأمة بتمام التواصل بين بني آدم، على اعتبار أن وجوده في الكون يعني وجود متطلبات أخرى ملازمة له وبالعكس كالعمل والفعل وكالتعارف والتآلف وكالتعاون «ولا يتم وجوده (يعني ابن آدم) إلا مع أبناء جنسه، وذلك لما هُو عليه من العجز عن استكمال وجوده وحياته، فهُو محتاج إلى المعاونة في جميع حاجاته أبدا، وتلك المعاونة لابد فيها من المفاوضة،... فالتعاون لا يمكن أن يتم إلا عن طريق المفاوضة»،[1] التي تجري بالمشافهة اللسانية

(1) ابن خلدون: المقدمة ص 841

والكتابية»،[1] لهذا السبب جعل الله الناس إخوانا، والإخوان جمع أخ، وسمي أخا لأنه يتوخى مذهب أخيه أي يقصده ويخالطه من أجلِ الإصلاح والنفع. وقد جعل سبحانه الأخوة في الدين أجلّ وأعظم من الأخوة في النسب، دلالة على أن التواصل لا يقتصر على عدد محدود في القرب والنسب، وإنّما هُو عام متسع.

ومثلما ذكر القرآن الكريم الغاية من خلق الجن والإنس فقال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات ـ الآية 56، فقد ذكر الوسيلة الأساسية لتحقيق هذه الغاية، وهي التواصل فقال: ﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ القصص ـ الآية 51، وحدّدها بجملة من الطرق كالدعوة والتبشير والإنذار، ثم جعل الهدف مختتمها، ومن هذه الأهداف التي وردت بعد لعلّ* التي جاءت في كلامه عزّ وجلّ مجردة من الشك بمعنى لام كي لتدل على التحقيق نجد:

الهداية:

يقول تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ الأعراف ـ الآية 158، والهدى والهداية في موضوع اللغة واحد، لكن الله عزّ وجلّ قد خصّ لفظة الهدى بما تولاه وأعطاه، واختص هُو به دون ما هُو إلى الإنسان نحو: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 38، والاهتداء يختص بما يتحراه الإنسان على طريق الاختيار في الأمور الدنيوية و/ أو الأخروية قال تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ البقرة ـ الاية 137، لذلك كانت أشكال الاهتداء ثلاثة وهي: طلب الهداية، والاقتداء، وتحرّيها. والهداية دلالة بلطف، ولكن كيف تكون كذلك والله تعالى يقول: ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾؟! الصافات ـ الآية 23 فاهدوهم هنا بمعنى دلّوهم إلى طريق جهنم يوم الحساب لأنهم سيحشرون ﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾

(1) ابن خلدون: المقدمة ص 1635

(*) من الضروري بمكان أن نشير هنا إلى أن أفعال الله وأوامره ـ جل شأنه ـ كلها ذات هدف مقصود، يعجز الإنسان عن استقصائها وتتبعها، خاصة أنها صيغت في أنواع متعددة من طرق القول، ومن هذه الصيغ التي رصدت لتحديد المقاصد نجد كيْ ولام التعليلْ والفاءْ ومِن اجلْ ولعلْ وأنْ،اويذكر السبب صراحة ... وغيرها من الصيغ التي تتجاوز ألف موضع كما قال ابن القيم الجوزية في مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تحق/ علي بن حسن الحلبي ـ دار ابن عفان، ط1، 1996 ج 2 ص ص 363 ـ 364 . وقد آثرنا اختيار صيغة لعلْ كعينة عساها تقرب مقصدنا للأفهام وتقترب من المقاصد بشيء من الدقة والتفصيل.

الإسراء ـ الآية 97، كما استعمل اللفظ للدلالة على التهكم مبالغة في المعنى. وقد أمر الله عباده أن يتواصلوا معه وأن يقولوا ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ الفاتحة ـ الآية 6 بألسنتهم، وإن كان قد فعل، فليعطيهم بذلك ثوابا، كما أمرهم أن يتواصلوا معه بالصلاة والسلام على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإن كان قد صلى عليه عندما قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ الأحزاب ـ الآية 56. وهداية الله تعالى للإنسان على أربعة أوجه:

يختص الوجه الأول بالهداية التي عمّ بجنسها كل مكلف من العقل، والفطنة، والمعارف الضرورية التي عمّ منها كل شيء بقدر فيه حسب احتماله مثل قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ طه ـ الآية 50.

ويختص الوجه الثاني بالهداية التي جعل الله للناس بدعائه إياهم على ألسنة الأنبياء، وإنزال القرآن ونحوذلك، وهُو المقصود بقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ الأنبياء ـ الآية 73.

ويتعلق الوجه الثالث بالتوفيق الذي يختص به من اهتدى، وهُو المعني بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ محمد ـ الآية 17.

كما يتعلق الوجه الرابع والأخير بالهداية في الآخرة إلى الجنة وهُو المقصود بقوله: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ الأعراف ـ الآية 43.

وهذه الهدايات الأربع مترتبة؛ فإن لم تحصل للناس الأولى لن تحصل لهم الثانية بل لا يصح تكليفهم، ومن لم تحصل لهم الثانية لا تحصل لهم الثالثة والرابعة، ومن حصل لهم الرابع فقد حصل لهم الثلاث التي قبلها، ومن حصل لهم الثالث فقد حصل لهم اللذان قبله،[1] ثم ينعكس، فقد تحصل الأولى ولا يحصل لهم الثاني ولا يحصل الثالث، والإنسان لا يقدر أن يهدي أحدا إلا بالدعاء وتعريف الطرق دون سائر أنواع الهدايات، وإلى الأول أشار بقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ السجدة ـ الآية 24، وقوله: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ الرعد ـ الآية 7؛ أي نبي يدعوهم إلى ربهم، وأشار إلى سائر الهدايات بقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ القصص ـ الآية 56، وكل هداية ذكر الله عز وجلّ أنه منعها الظالمين والكافرين فهي الهداية الثالثة، وهي التوفيق الذي يختص به المهتدون، والرابعة التي هي الثواب في الآخرة،

---

(1) ينظر ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد، تحق / صلاح الدين محمود السعيد، دار البيان العربي، دار الوعي ـ الجزائر ـ 2006 ج 2 ص 265 ـ 266 ـ 267

ودخول الجنة. نحو قوله عز وجلّ: ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ آل عمران ـ الآية 86.

وكل هداية نفاها الله عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعن البشر، وذكر أنهم غير قادرين عليها فهي ما عدا المختص من الدعاء وتعريف الطريق، وذلك كإعطاء العقل، والتوفيق، وإدخال الجنة، كقوله جلّ ذكره: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ البقرة ـ الآية 272، وإلى هذا المعنى أشار بقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (99) ﴾ يونس ـ الآية 99، وقوله: ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ الكهف ـ الآية 17؛ أي طالب الهدى ومتحريه هُو الذي يوفقه الله ويهديه إلى طريق الجنة، لا من يخالفه أو يُعرض عن آيات الله وينساها، فيتحرى طريق الضلال والكفر كقوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (7) ﴾ الصف ـ الآية 7. ومنه فإن الله تعالى لم يهد الكافرين والفاسقين من حيث إنه لم يحصل القبول الذي هُو تمام الهداية والتعليم.

وإذا نظرنا إلى لفظة الهداية في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ الإنسان ـ الآية 3، وقوله عز ذكره : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ البلد ـ الآية 10، وقوله جلّ ثناؤه: ﴿ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ الصافات ـ الآية 118، وجدناها تدل على بيان الله للإنسان طريق الهدى ببعث الرسل، إنها إشارة إلى ما عرف من طريق الخير والشر، وطريق الثواب والعقاب بالعقل والشرع. وكذا قوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ القصص ـ الآية 56، ففيها إشارة إلى التوفيق الملقى في الروع فيما يتحراه الإنسان، وإياه عنى بقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ محمد ـ الآية 17، وعُدِّيَ فعل الهداية في مواضع بنفسه مثل قوله: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ الفاتحة ـ الآية 6، وفي مواضع باللام في قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ النساء ـ الآية 137، وفي مواضع بـ إلىٰ في قوله: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ۚ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ يونس ـ الآية 35.

وعليه فإن لفظة الهدى تحمل أكثر من مدلول حسب السياق الذي وردت فيه، إذ جاءت بمعان مختلفة كالبيان، ودين الإسلام، والإيمان، والداعي، والمعرفةن والرسل والكتب، والرشد، وأمر النبي، والقرآن،

والتوراة، والاسترجاع عند المعصية، والتوحيد، والسنة، والإلهام... ثم إنّ في تحقيق الهداية صورة من صور التواصل.(1)

الرشد:

ولا يختلف الرشد من حيث الاستعمال عن الهداية؛ إذ يستعمل استعمال الهداية، يقول عز وجلّ: (وإذا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) البقرة ـ الآية 186، أي لعلهم يهتدون. وقد وردت لفظة الرشد في القرآن الكريم بدلالات كثيرة، ولكنها تلتقي كلها عند مفهوم واحد يجمعها وهُو الإيمان؛ إذ نظرة إلى قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾ البقرة ـ الآية 256، تشير إلى الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه. والرشد القصد والحق والصواب وخلافه الغي، يقول عز شأنه : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴾ الجن ـ الآية 14؛ أي قصدوا طريق الحق وتوخوه، وأما في قوله تبارك وتعالى: ﴿ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ النساء ـ الآية 6، فإنها تحمل معنى الصلاح في العقل والدين وحسن التصرف في الأموال. وقوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ الأنبياء ـ الآية 51؛ أي ألهمه الله الحق وأتاه الحجة قبل بلوغه. ويقال رشد إذا بلغ ما يجب، والرجلّ الرشيد الذي جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ هود ـ الآية 78، هُو الرجلّ الشديد، الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛ أي المصلح أو الرجلّ الذي يقبل ما يؤمر به من فعل الطاعات وما ينهى عنه من فعل المنكرات. وإذا تدبرنا قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ هود ـ الآية 97، وجدنا اللفظة تحمل معنى السداد فقوله برشيدٍ أي بسديد يؤدي إلى صواب. كما تعني المخرج والخير والإيمان والحياة والنعيم مثلما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ الكهف ـ الآية 10، ومثلها ما جاء في قوله: ﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ الجن ـ الآية 21، ثم إنها لأهميتها قد وردت في صيغة الدعاء المأمور به كما جاء في قوله: ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ الكهف ـ الآية 24، وكذلك يقول: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ الكهف ـ الآية 66؛ أي مما علمك الله شيئا أسترشد به في أمري من علم نافع وعمل صالح، وإن كنا نجد من يفرق بين الرُشد والرَشد فالأولى أخص من الثانية، فإن الرُشد يقال في

(1) للاستزادة ينظر : الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن ابن منظور: لسان العرب، ابن فارس: مقاييس اللغة، وينظر أيضا أبوعبيدة: مجاز القرآن ج 2 ص 299 محسن آل عصفور: القاموس الوجيز لمعاني كلمات القرآن الكريم، مادة هدي.

الأمور الدنيوية والأخروية، والرُّشد يقال في الأمور الأخروية لا غير. والراشد والرشيد يقال فيهما جميعا(1). ومن هذه المفاهيم التي تتضمنها لفظة "رشد" نتبين أنها ذات مدلول تواصلي بشكل مباشر أو غير مباشر.

التقوى:

وأما التقوى التي جاءت في قوله تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ البقرة - الآية 197، وقوله: ﴿ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ الفتح - الآية 26، وقوله: ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ المـــدثر - الآية 56، ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ طه - الآية 113، على سبيل المثال لا الحصر فتعني حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور، والتزود في الدنيا بزاد ينفع في الآخرة، وهذا الزاد هُو العمل الصالح الخالص لله مع الإيمان الذي أريد به وجهه عز وجلّ، دلالة على مخافته وخشيته أو هُو لا إله إلا الله محمد رسول الله كما يذهب إلى ذلك بعض المفسرين، وهُو الأمر الذي يسمعه الله ويقبله ويصل إليه ويثيب عليه. وإذا أنعمنا النظر في بعض الآيات التي وردت فيها هذه اللفظة ألفيناها تشمل معنى الخشية من الله والأمر بعبادته وتوحيده في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ آل عمران - الآية 102، وألفيناها في سياقات أخرى تختص بأمر الله باجتناب معصيته والامتثال لأوامره في قوله على سبيل المثال: ﴿ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ البقرة - الآية 189. أما قوله: ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ الزمر - الآية 24، ففيها تنبيه على شدة ما ينال الظالمين من العذاب، وأن أجدر شيء يتقون به منه يوم القيامة هُو وجوههم، ويقال: اتقى فلان بكذا، إذا جعله وقاية لنفسه. إذن هي التقوى التي انعدمت عند الذي ﴿ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾ البقرة - الآية 206، فقطع حبل الوصل بينه وبين ربه فسيق إلى جهنم، والتقوى التي تمكنت في نفوس المتقين الله حق تقاته فسيقوا إلى الجنة ولكن شتان بين السوقين.(2)

الخشية:

وإذا تمعنا في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ النور - الآية 52، وجدنا أن الخشية هي مرحلة سابقة للتقوى، والآية هنا تحمل معنى الخوف الذي تتبعه طاعة؛ أي يخشى اللهَ

---

(1) للاستزادة ينظر الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن ابن منظور: لسان العرب، ابن فارس: مقاييس اللغة، وينظر أيضا محسن آل عصفور: القاموس الوجيز لمعاني كلمات القرآن الكريم، مادة رشد.

(2) للاستزادة ينظر الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن ابن منظور: لسان العرب، ابن فارس: مقاييس اللغة، وينظر أيضا محسن آل عصفور: القاموس الوجيز لمعاني كلمات القرآن الكريم، مادة وقي.

في ما مضى من ذنوبه، ويتقيه فيما يستقبل، لذلك كانت الخشية خوفا يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، حيث خص الله العلماء بها في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر ـ الآية 28، ومثلما أمر الله عباده باتقائه في أكثر من مقام فقال: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ النحل ـ الآية 2، فكذلك أمر بخشيته فقال: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 150، فالذي يتدبر هذه الآية يجده سبحانه وتعالى ربط خشيته بالتواصل معه من خلال الصلاة، عندما صرف رسوله المصطفى والمؤمنين إلى قبلة إبراهيم ـ عليه السلام ـ الكعبة.

ويتجلّى التواصل أكثر في قوله: ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ الرعد ـ الآية 21، إذ في الآية تنويه بمن يصل الله بأداء جميع الطاعات بما في ذلك خشيته ومخافة عقابه، فالخشية هنا متضمنة في الطاعات؛ أي ما أمر الله به أن يوصل، ولكنه عز وجلّ خصّها والمخافة ،التي هي من الخشية، لأهميتها الجلّيلة ومكانتها في نفوس المؤمنين وعقولهم.[1]

التذكر:

ورد الذكر في القرآن الكريم بدلالات كثيرة منها: العمل الصالح الذي جاء في قوله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ البقرة ـ الآية 152؛ أي اذكروني بالطاعات أذكركم بالثواب والمغفرة، وفي هذه الآية خطاب لأصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذين حصل لهم فضل قوة بمعرفته تعالى، فأمرهم بأن يذكروه بغير وساطة، وهي تختلف عن قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ البقرة ـ الاية 40؛ إذ فيها مخاطبة لبني إسرائيل الذين لم يعرفوا الله إلا بآلائه، فأمرهم أن يتبصروا نعمته، فيتوصلوا بها إلى معرفته،[2] أي ربط سبحانه وتعالى بني إسرائيل بذكر النعمة وأسقطها عن أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليكون نظر الأمم من النعمة إلى المنعم ونظر أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المنعم إلى النعمة.

وفي الآية أيضا صورة من صور التوحيد التي تجلّت في الأمر بذكره سبحانه دون غيره يقـــــول: ﴿ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ الجمعة ـ الآية 9، ومن هذه الدلالات كذلك القرآن، والوحي، واللوح المحفوظ كقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر ـ الآية 9؛ أي القرآن، وقوله: ﴿ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ

---

(1) للاستزادة ينظر الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن ابن منظور: لسان العرب، ابن فارس: مقاييس اللغة، وينظر أيضا محسن آل عصفور: القاموس الوجيز لمعاني كلمات القرآن الكريم، مادة خشي.

(2) ينظر الرازي (فخر الدين محمد بن عمر): مفاتيح الغيب ـ التفسير الكبير ـ ج 3 ص 33.

﴿ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾ القمر ـ الآية 25؛ أي الوحي جبريل ـ عليه السلام ـ كما يذهب إلى ذلك كثير من المفسرين وأما قوله: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ الأنبياء ـ الآية 105، فيعني اللوح المحفوظ كما أفصح القرآن عن أنواع من الذكر منها الذكر باللسان مثل قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ الأحزاب ـ الآية 41، والاستحضار بالقلب مثل قوله: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾ الأعراف ـ الآية 205، وتفعيل دور كل من العين والأذن والجلد وسائر الجسد؛ حيث ترق هذه الأشياء كلها وتمتثل لأمر ربها فقال: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ الفرقان ـ الآية 73، وإنما ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ الزمر ـ الآية 15، وقال: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ الزمر ـ الآية 23؛ لأنّ الأصل في الذكر التنبه بالقلب للمذكور والتيقظ له، ولكن لما كثر إطلاق الذكر على القول اللساني صار هُو السابق للفهم، ثم إن الذكر باللسان مرحلة ممهدة للذكر بالقلب، وقد حدده عز وجلّ بالذكر الكثير دلالة على الإخلاص من القلب. ومثلما كان الذكر ذكرين: ذكرا باللسان وآخر بالقلب كان لكل واحد منهما ضربان:

ذكر عن نسيان كقوله: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ الأنعام ـ الآية 44، وذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ، أبان عن تأدية أوامره والانتهاء عن نواهيه بأشكال مختلفة وحالات متنوعة تجلّت في قوله: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ آل عمران ـ الآية 191.

وذكر الذكر في سياقات أخرى بمعنى الموعظة والزجر في قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴾ الأعلى ـ الآية 9. والذكرى كثرة الذكر، وهُو أبلغ من الذكر، وأما التذكرة فهي ما يتذكر به الشيء، وهي أعم من الدلالة والأمارة يقول تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ المدثر ـ الآية 49. جاء الذكر ـ أيضا ـ بمعنى الشرف والمنزلة في قوله: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ الأنبياء ـ الآية 10؛ أي شرفكم ومكانتكم، وبمعنى الإنباء والخبر في قوله: ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾ ص ـ الآية 45، وحمل الذكر معنى البيان والحفظ في قوله: ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ الأعراف ـ الآية 171. وعليه قيل: إن الذكر هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهُو كالحفظ إلا أنّ الحفظ يقال اعتبارا بإحرازه، والذكر يقال اعتبارا باستحضاره،[1] ويظل ذكر الله بالثواب والثناء على

(1) للاستزادة ينظر الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن ابن منظور: لسان العرب، ابن فارس: مقاييس اللغة، وينظر أيضا محسن آل عصفور: القاموس الوجيز لمعاني كلمات القرآن الكريم، مادة ذكر.

عباده أكبر من ذكر العبد لربه في صلاته وسائر عباداته لقوله تعالى: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ العنكبوت ـ الآية 45، وفي هذا حث على الإكثار من ذكر الله كما قال في أسلوب مباشر وصريح ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا ﴾ آل عمران ـ الآية 41.

التفكر:

والتفكر واحد من معاني التذكر يقول تعالى: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل ـ الآية 44، ولما كان الفكر الذي يستعمل في المعاني مقلوبا عن الفرك، والذي هُو كذلك يعني فرك الأمور وبحثها طلبا للوصول إلى حقيقتها، وكانت الفكرة هي تردد القلب في الشيء عند كثير من المفسرين، فإنّ التفكر كان يدل على جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب، وما يوضحه قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴾ الروم ـ الآية 8. وقد وردت عبارة في أنفسهم ظرفا للتفكير، وليس بمفعول تعدى إليه يتفكروا بحرف جر؛ لأنهم لم يؤمروا أن يتفكروا في خالق أنفسهم، المنزّه أن يوصف بصورة، وإنما امروا أن يستعملوا التفكر في خلق السموات والأرض وأنفسهم، حتى يعلموا أن الله لم يخلق السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق، وقد اشتملت لفظة التفكر في القرآن على أكثر من معنى، وفقا للسياقات التي وردت فيها حيث وردت بمعنى الاتعاظ في قوله تعالى: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل ـ الآية 44؛ أي يتعظون فيؤمنون. كما جاءت تحمل معنى إنصاف النظر والتأمل والتدبر، وإلطاف الفكر والفهم والعلم؛ للاستدلال على قدرة الله وحكمته ورحمته لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ آل عمران ـ الآية 191؛ أي يتأملون ويفهمون ما فيها من الحِكم الدالة على عظمة الخالق. وقد تأتي اللفظة بمعنى التحذير والتنبيه كقوله: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الأعراف ـ الآية 176؛ أي فليحذروا أن يكون مثل الكلب، وليتعظوا بمثل هذه القصص والأمثال.

كما ذكرت اللفظة بذات المعاني ـ مضافا إليها معنى الإنابة والرجوع من الغفلة كقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴾ الروم ـ الآية 8.

الرجوع:

أما الرجوع فهو العود إلى ما كان منه البدء، أو تقدير البدء مكانا كان أو فعلا، أو قولا، وبذاته كان رجوعه، أو بجزء من أجزائه، أو بفعل من أفعاله. فالرجوع العود. والرجعى الرجوع في الآخرة للجزاء لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴾ العلق - الآية 8. والرجع الإعادة ﴿ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ الواقعة - الآية 87؛ أي فهلا ترجعون هذه النفس التي بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول ومقرها من الجسد، وقد جاءت في القرآن على شكل خطاب تعظيم لله عز وجلّ مثل قوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ المؤمنون - الآية 99، أي أرجعني إلى الدنيا، وقيل: إن معنى "ارجعون" على جهة التكرير؛ أي أرجعني أرجعني أرجعني. وليس سؤال الرجعة مختصا بالكافر فقد يسألها المؤمن، مثل الشهيد الذي يتمنى الرجوع حتى يقتل لما يرى من الكرامة، والرجعة في الطلاق لقوله تعالى: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة - الآية 230، وفي العود إلى الدنيا بعد الممات، وإلى المسألة كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ الأنعام - الآية 36، وفي قوله: ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ البقرة - الآية 46 إقرار بالبعث والجزاء والعرض على الملك الأعلى، فيجزى كل بحسب عمله، إن خيرا فخير وإن شرا فشر، ورجعان الكتاب جوابه،[1] ومثاله قوله: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ طه - الآية 89، وقوله: ﴿ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ النمل - الآية 28، أي ماذا يجيبون، وماذا يردون من الجواب، أو ماذا يتراجعون بينهم من الكلام. والترجيع ترديد الصوت باللحن في القراءة وفي الغناء، وتكرير قولٍ مرتين فصاعدا. والارتجاع الاسترداد. والرجيع من الكلام المردود إلى صاحبه أو المكرر. وتعني أيضا المرد الذي ذكره في قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ البقرة - الآية 28، والرّد الذي ورد في قوله: ﴿ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ق - الآية 3، وتعني التوبة التي جاءت في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ الأعراف - الآية 174، وقوله: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ الروم - الآية 41، أي يتوبون عن المعاصي. كما تشير إلى الإقبال على النفس بالملامة كقوله: ﴿ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ الأنبياء - الآية 64؛ أي رجع بعضهم إلى بعض رجوع المنقطع عن حجته، المتفطن لصحة حجة خصمه بعد تفكر، ولاموا أنفسهم بسبب عدم احترازهم لآلهتهم وحراستهم لها، وقوله: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ

(1) ينظر ابن منظور: لسان العرب، مادة رجع.

﴿ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ سبأ ـ الآية 31؛ أي يتخاصمون ويتحاجون.[1]

التضرع:

وأما التضرع فمأخوذ من الضراعة وهي الذلة. وضرع الرجلُ ضراعة ضعف وذل، وتضرع أظهر الضراعة. والمضارعة أصلها التشارك في الضراعة، لذلك وردت بصيغة الجمع الدال على المشاركة في كل السياقات التي جاءت في القرآن الكريم باستثناء ما جاء في قوله: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ الأعراف ـ الآية 205، وإن كانت لا تختص بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحده وإنما الأمر جاء بلفظ الخصوص، ولكنه يعني العموم، والآية تحمل معنى التواضع، وأما الآيات الدالة على المشاركة فمثل قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ الأنعام ـ الآية 42؛ أي يدعون ويخشعون، كما يشمل لفظ التضرع معنى العلانية والجهر والظهور الذي جاء في قوله: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ الأنعام ـ الآية 63، وقوله : ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ الأعراف ـ الآية 55، ووردت بمعنى يخضعون ويتوبون ويبتهلون إلى الله في كشف ما نزل بهم مدغمة في قوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ الأعراف ـ الآية 94.

العلم:

العلم إدراك الشيء بحقيقته، وذلك ضربان؛ أحدهما: إدراك ذات الشيء. والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفي عنه.

والعلم من وجه ضربان: نظري وعملي؛ فالنظري ما إذا علم فقد كمل، نحو: العلم بموجودات العالم، والعملي ما لا يتم إلا بأن يعمل كالعلم بالعبادات. ومن وجه آخر ضربان: عقلي وسمعي، لذلك كان العلم تارة في الذهن، وتارة في اللسان، وتارة في الكتابة بالبنان، مما يعني أن العلم ثلاثة أنواع: ذهني، ولفظي، ورسمي يستلزمهما من غير عكس. وأعلمته وعلمته في الأصل واحد؛ إلاّ أنّ الإعلام اختص بما كان بإخبار سريع، والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم. وقال بعضهم: التعليم تنبيه النفس لتصور المعاني، والتعلم تنبه النفس لتصور ذلك، وربما استعمل في معنى الإعلام إذا كان فيه تكرير، نحو: ﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ

(1) للاستزادة ينظر الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن ابن منظور: لسان العرب، ابن فارس: مقاييس اللغة، وينظر أيضا محسن آل عصفور: القاموس الوجيز لمعاني كلمات القرآن الكريم، مادة رجع.

عَلِيمٌ ﴾ الحجرات ـ الآية 16؛ أي أتخبرونه بما في ضمائركم، والله لا يخفى عليه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك، ومن التعليم قوله: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ العلق ـ الآية 5، وأما قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ الكهف ـ الآية 66؛ أي مما علمك الله. قيل: عنى به العلم الخاص الخفي على البشر الذي يرونه ما لم يعرفهم الله منكرا، بدلالة ما رآه موسى منه لما تبعه فأنكره حتى عرفه سببه، فموسى ـ عليه السلام ـ أعطي من العلم ما لم يعطه الخضر، وعلى هذا العلم في قوله: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ النمل ـ الآية 40، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ المجادلة ـ الآية 11، فيه تنبيه منه تعالى على تفاوت منازل العلوم، وتفاوت أربابها.

وأما قوله: ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ يوسف ـ الآية 76، حتى ينتهي العلم إلى الله، منه بدأ وتعلمت العلماء وإليه يعود، فعليم يصح أن يكون إشارة إلى الإنسان الذي فوق آخر، ويكون تخصيص لفظ العليم الذي هُو للمبالغة تنبيها أنه بالإضافة إلى الأول عليم، وإن لم يكن بالإضافة إلى من فوقه كذلك، ويجوز أن يكون قوله: 'عليم' عبارة عن الله تعالى وإن جاء لفظه منكرا؛ إذ كان الموصوف في الحقيقة بالعليم هُو تبارك وتعالى، فيكون قوله: 'وفوق كل ذي علم عليم' إشارة إلى الجماعة بأسرهم لا إلى كل واحد بانفراده، وعلى الأول يكون إشارة إلى كل واحد بانفراده.

وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ سبأ ـ الاية 48، فيه إشارة إلى أنّه لا يخفى عليه خافية، فهُو عليم بما كان وما يكون وما لم يكن وما هُو كائن.

وقوله: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ الجن ـ الايات 26 ـ 27 ـ 28، فيه إشارة أن لله تعالى علما يخص به أولياءه، والعالم في وصف الله هُو الذي لا يخفى عليه شيء.

والعلم الأثر الذي يعلم به الشيء كعلم الطريق وعلم الجيش، وسمي الجبل علما لذلك، وجمعه أعلام، وقال: ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴾ الرحمان ـ الآية 24، ويدل لفظ العالمين في قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الفاتحة ـ الآية 2، كما يذهب المفسرون، على الإنس والجن فالإنس عالم، والجن عالم، وما سوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم من الملائكة، وقد يعني الإنس والجن وسائر المخلوقات كقوله : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان ـ الآية 1.

وأما جمعه جمع السلامة فلكون الناس في جملتهم، والإنسان إذا شارك غيره في اللفظ غلب حكمه، وقيل إنما جمع هذا الجمع لأنه عني به أصناف الخلائق من الملائكة والجن دون غيرها. ويتوسع مدلول العلم ليشير إلى الرؤية والتمييز مثل قوله: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ محمد ـ الآية

31؛ أي نعلم علم ظهور، كما تدل على العلم بالشيء والاطلاع عليه كقوله: ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ يس ـ الاية 76، وتضم معنى الإذن كقوله: ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ هود ـ الآية 14؛ أي بأمر الله وإذنه وليس افتراء. وإذا جئنا إلى قوله تعالى: ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾ الصافات ـ الآية 79 ألفيناها تحمل معنى من كان من الخلق من بعد نوح، وتشير كذلك إلى أهل الكتاب في قوله تعالى : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ آل عمران ـ الآية 97.

الفقه:

الفقه هُو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد، فهُو أخص من العلم. قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ التوبة ـ الآية 122، وهي هنا تشير إلى العلم بأحكام الشريعة إلى غير ذلك من الآيات. والفقه: العلم بأحكام الشريعة، وفقه أي: فهم فقها، يقول تعالى: ﴿ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ الأنعام ـ الآية 65، ويقول: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ النساء ـ الآية 78، ونفي مقاربة الفعل أشد من نفيه، كما جعل الفقه محصورا في القلب دون سواه؛ لأنّ القلب إذا انتفع بما حباه الله انتفعت سائر الجوارح التي جعلها الله سببا للهداية، يقول عزّ وجلّ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ الكهف ـ الآية 57، إذا فهم لا يفهمون ما فيه صلاح لهم فيفعلوه، وما فيه مضرة لهم فيجتنبوه، ولذلك نجد موسى ـ عليه السلام ـ يستوهب الله أن يشرح له صدره، ويَحُلَّ عقدة من لسانه، وأن يعينه بأخيه هارون يكون له ردءا، ويتكلم عنه بما يخشى ألا يفصح به لسانه، حتى يحصل لفرعون وملئه، وكذا قوم موسى من بني إسرائيل، الفهم عند تبليغ الرسالة فقال: ﴿ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ طه ـ الآية 28.

اليقين:

اليقين من صفة العلم، فوق المعرفة والدراية وأخواتها، يقال: علم يقين، ولا يقال: معرفة يقين، وهُو سكون الفهم مع ثبات الحكم، واليقين العلم دون الشك، يقول تعالى: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ التكاثر ـ الآية 5؛ فعلم اليقين كعلم العباد بدخول الجنة أو النار، فإذا رأوها فهُو عين اليقين الذي جاء في قوله: ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ التكاثر ـ الآية 7، فإذا دخلوها فهُو حق اليقين كقوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴾ الحاقة ـ الآية 51، وأصل اليقين أن يكون نعتا أضيف لـ العلمْ والعينْ والحقّ، فأضيف المنعوت إلى النعت على الاتساع والمجاز.

ولليقين دلالات كثيرة منها: التصديق الذي نجده في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ السجدة ـ الآية 24، وقوله: ﴿ هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ الجاثية ـ الآية 20، والموت الذي ورد في قوله: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ الحجر ـ الآية 99، وقوله:

﴿ حَتَّىٰ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴾ المدثر ـ الآية 47. ويقال: استيقن وأيقن للدلالة على يقين في النفس مع إفصاح أو عدم إفصاح لا يخلوان من كذب ونفاق، حيث إن الكافرين تيقنوا في أنفسهم أنّ آيات الله حق من عنده ـ جلّ جلاله ـ ولكنهم كفروا بها، وتكبّروا أن يؤمنوا برسله ومثل هذا قوله تعالى: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ النمل ـ الآية 14، إذا فقد حملهم عدم يقينهم على الجحود والكفر يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ الجاثية ـ الآية 32 ؛ أي وما نحن بمتحققين، ويقول تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ المدثر ـ الآية 31، فلفظة "ليستيقن" تعني ليعلم وليستبين، وكذلك أيقن التي اختصت بالكافرين في قوله: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ الروم ـ الآية 60، وقوله: ﴿ فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ السجدة ـ الاية 12؛ فإن إعرابهم عن يقينهم ناتج عن وقوفهم أمام ربّ العزة في ذل ومهانة، وحين عاينوا البعث، وتبينوا أن وعد الله حق، وقد علم الله منهم أنه لو أعادهم إلى الدنيا لكانوا كما كانوا فيها كفارا يكذبون بآيات الله ويخالفون رسله، وأن طلب إرجاعهم إلى الدار الدنيا كان من أجلّ تخليصهم مما شاهدوا من النار وما يؤكّده قوله: ﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ الأنعام ـ الآية 28، وأما اليقين الذي يختص بالمؤمنين في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ لقمان ـ الآية 4، وقوله: ﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ الدخان ـ الآية 7؛ أي إن كنتم متحققين، فيدل على أنّ الموقن هو الذي يريد اليقين ويطلبه، وقيل هو العارف المحقق وحدانية ربّه وصدّق نبوة نبيه لقوله تعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾ الذاريات ـ الآية 20. وقد خصّ ـ سبحانه وتعالى ـ الموقنين بالذكر لأنهم المنتفعون بتلك الآيات وتدبرها. وأما اليقين الذي جاء بمعنى العلم فيتضح في قوله عزّ وجلّ: ﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾ النساء ـ الاية 157؛ أي ما قتلوه قتلا تيقنوه، بل حكموا تخمينا ووهما، وخاصة أن الهاء في قوله "قتلوه" عائدة على الظن وجملة "ما قتلوه يقيناً" حال مؤكدة لنفي القتل.[1]

إذا فهذه الدلالات التي اشتملت عليها لفظة اليقين تؤكّد أن التواصل كإشكالية تطرحها اللفظة هو محور اليقين الذي هو جزء من التواصل.

---

(1) للاستزادة ينظر الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن ابن منظور: لسان العرب، ابن فارس: مقاييس اللغة، وينظر أيضا محسن آل عصفور: القاموس الوجيز لمعاني كلمات القرآن الكريم، مادة يقن.

العقل:

وإذا نظرنا إلى العقل، الذي هُو السبيل إلى اليقين، ألفيناه يطلق على العلم الـذي يـستفيده الإنـسان بالقوة المتهيئة لقبول العلم؛ لذلك ربط سبحانه العقل بـالعلم، فقـال: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ العنكبوت ـ الآية 43؛ أي لا يفهمها ويتدبرها إلا الراسـخون في العلـم، ولـذلك ـ أيضا ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «العالم من عقل عن الله فعمـل بطاعتـه واجتنـب سـخطه»، وأضاف العقل إلى القلب؛ لأنه محلّه فقال: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ الحج ـ الآية 46، وهذه كلّها تقتـضي الفهـم والتدبر الذي ورد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ يوسف ـ الآية 2؛ أي لكي تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه، ولتكونوا على رجاء من تدبره، والشك في لَعلّ هنـا عائـد إلى متـدبري القـرآن لا إلى الكتب ولا إلى الله، فإذا حصلت هذه الأمور كانت موعظة وحصل معها الانتهاء والمنع بالنسبة إلى المؤمنين، وإلا تحول هذا الانتهاء والمنع إلى زجر مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ البقـرة ـ الآيـة 76؛ أي أفـلا تمتنعون عن عصيان الله وتؤمنون به، وإن لم ينتهوا ويمتنعوا عن ذلك فهم بمنزلـة مـن لا عقـل لـه يمنعـه مـن القبائح والمعاصي، وينتفع به للنظر والتمييز والتفكر في كل ما أوجده الله، مثـل قولـه تعـالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 171.

ثم إن معنى العقل الكف فيقال: عقل لسانه أي كفّه، ومثله قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 44، وأما أصل العقل فهُـو الإمـساك والاستمـساك، كعقل البعير بالعقال، وبالتالي فهُو يشير إلى مظهر من مظاهر التواصل الذي نستشفه في العروة الوثقى التي لا تنفصم هي في نفسها محكمة مبرمة قوية، وقد تجلّت في ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ الأعراف ـ الآية 170، حيث جاء الفعل مـشددا، فمـنح المعنـى التكريـر والتكـثير للتمـسك بكتاب الله خاصة وأن التمسك والإمساك هُو التعلق بالسيئ وحفظـه، والاستمـساك هُـو تحـري الإمـساك الذي نجده في قوله: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الزخرف ـ الآية 43؛ أي خذ بالقرآن المنزل على قلبك، وما يهدي إليه هُو الحق المفضي إلى صراط الله المستقيم الموصل إلى جنات النعيم.(1)

(1) للاستزادة ينظر الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن ابن منظور: لسان العرب، ابن فارس: مقاييس اللغة، وينظر أيضا محسن آل عصفور: القاموس الوجيز لمعاني كلمات القرآن الكريم، مادة عقل.

الإسلام:

السلم والسلامة التعري من الآفات الظاهرة والباطنة، يقول تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ الشعراء ـ الآية 89؛ أي سلم من الدنس والشرك وتخلص من الدغل، فهذا في الباطن، ويقول تعالى: ﴿ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ﴾ البقرة ـ الآية 71، فهذا في الظاهر. والقلب السليم خاص بالمؤمن، أما القلب المريض فخاص بالكافر؛ لأنه ـ جلّ جلاله ـ يقول: ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ الأنفال ـ الآية 49، وقد خصّ القلب بالذكر؛ لأنه إذا سلم سلمت الجوارح، وإذا فسد فسدت الجوارح.

وأتت لفظة سلم بصيغ متنوعة، لتفضي في النهاية إلى السلامة الحقيقية التي ليست إلا في الجنة، إذ فيها بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وصحة بلا سقم، وسلام بلا لغو؛ إذ ﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ الواقعة ـ الآيتان 25 ـ 26، حيث يحيي بعضهم بعضا بالقول، وكذلك تحييهم الملائكة بالقول، ويحييهم السلام رب السلام بالقول والفعل جميعا بعد أن كان بالقول فقط. وقد كان سلامه في الدنيا ثناء على عباده الصالحين ودعاء لهم كما فعل ذلك مع نوح وإبراهيم وموسى وهارون وإل ياسين ـ عليهم صلوات الله وسلامه ـ[1] فسبحانه ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الحشر ـ الآية 23. والسلام هو الذي سلم من كل عيب وبرئ من كل نقص يلحق الخلق لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله وأقواله.

والإسلام الدخول في السلم، وهو أن يسلم كل واحد منهما أن يناله من ألم صاحبه، ومصدر أسلمت الشيء إلى فلان: إذا أخرجته إليه يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ آل عمران ـ الآية 19.

والإسلام في الشرع على ضربين:

أحدهما دون الإيمان، وهو الاعتراف باللسان، وبه يحقن الدم سواء حصل معه الاعتقاد أو لم يحصل، وإياه قصد بقوله: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الحجرات ـ الآية 14، وفي هذا نتبين أمرا غير مباشر من الله بالانتقال من مرحلة القول باللسان إلى الفعل بالقلب.

وثانيهما فوق الإيمان، وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب، ووفاء بالفعل، واستسلام لله في جميع ما قضى وقدر، كما ذكر عن إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ في قوله: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ

(1) ينظر الصافات ـ الآيات 79 ـ 109 ـ 120 ـ 130

﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ البقرة ـ الآية 131، وقوله: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ النمل ـ الآية 91... وغيرها من الآيات الدالة.

إذا فهذا النوع من الإسلام لا يخلومن خضوع وانقياد وإخلاص وإقرار بشريعة الله واجتماع على ملة واحدة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ البقرة ـ الآية 208، ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ الحـج ـ الآية 78. والسلم يدل أيضا على الصلح ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ الأنفال ـ الآية 61. والمسلم هو من قصد هدي الله، وتحراه، وفوض أمره إلى الله، وأحسن به الظن، وأخلص له التوحيد لقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴾ الجن ـ الآية 14.

وغير بعيد عن هذه الدلالة نجد لفظة المسلمين التي تعني الاستسلام والانقياد للحق ـ الله ـ والإذعان له في الدنيا، بتأدية الطاعات واجتناب المعاصي، بالنسبة إلى المؤمنين، فيُسلِمون ويَسْلَمون، ويكون الجزاء دار السلام لقوله تعالى: ﴿ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ الروم ـ الآية 53 و﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ الأنعام ـ الآية 127.

كما تعني الانقياد للحق ـ وهو العذاب ـ والإذعان له في الآخرة بالنسبة إلى الكافرين، وما يوضحه قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ الصافات ـ الآية 26 في عذاب الله منقادون له في ذل وصغار.

والسُلّم ما يتوصل به إلى الأمكنة العالية، فيرجى به السلامة، ثم جعل اسما لكل ما يتوصل بـه إلى شيء رفيع كالسبب، قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ الطور ـ الآية 38، ومن أجلّ هذا كلّه كان الإسلام سُلّما للارتقاء، وللتواصل مع السلام ـ عزّ وجلّ ـ ومع المسلمين.(1)

الإيمان:

ولا يختلف الإيمان عن الإسلام من حيث الضوابط والشروط، إلا أنه يمثل مرحلة لاحقة للإسلام كما أشرنا أعلاه؛ والإيمان يستعمل تارة اسما للشريعة التي جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ النساء ـ الآية 136، ويوصف به كل من دخل في شريعته مقرا بالله وبنبوته لقوله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ

(1) للاستزادة ينظر الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن ابن منظور: لسان العرب، ابن فارس: مقاييس اللغة، وينظر أيضا محسن آل عصفور: القاموس الوجيز لمعاني كلمات القرآن الكريم، مادة سلم.

عَلَىٰٓ أَمۡرٍ جَامِعٍ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ النور ـ الآية 62.

وتارة يستعمل على سبيل المدح، ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: إقرار باللسان، وتحقيق بالقلب، وعمل بحسب ذلك بالجوارح، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾ الأنفال ـ الآية 4، ويسمى كل من الصلاة والعمل الصالح إيمانا لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ البقرة ـ الآية 143، ويسمى التصديق واليقين والاعتقاد إيمانا كذلك، يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾ آل عمران ـ الآية 173، وكذلك شهادة أن لا إله إلا الله والصوم والزكاة والحج، وما يندرج ضمنها من ذكر وتدبر وتطهر وتوبة وإحسان وتواضع... إيمانا كقوله عزّ وجلّ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ الفتح ـ الآية 4، هذا لدى المؤمنين، ونقيضه ـ أي الإيمان ـ عند الكافرين الكفر، كما أنه جاء باللفظ ذاته على سبيل التوبيخ والتقريع، يقول تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ البقرة ـ الآية 93 فقد ربط اللفظ بـ بئس لتستوفي ذم هذا النوع من الإيمان المزعوم.(1)

فهذان المقصدان، وهما الإسلام والإيمان، بما فيهما من معان ودلالات يجمعان شتات المفاهيم التي تجلّي مفهوم التواصل بضوابطه بعمومها، شأنهما شأن المقاصد السابقة الذكر واللاحقة.

الحذر:

ونحن نقارب هذه المقاصد التي جاءت بعد لعلّ في البلاغ القرآني ألفينا لفظة الحذر التي وردت في قوله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴾ التوبة ـ الآية 122.

والحذر هو احتراز من مخيف والتيقظ له، وهو الخوف والتخويف الذي يجيء على شكل وعيد كقوله: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾ البقرة ـ الآية 235، فهنا نهاية التحذير من الوقوع فيما نهى عنه، ولكنه تحذير لا تفارقه رحمته ورأفته، وما يؤكّده أيضا قوله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ آل عمران ـ الآية 30، وقوله: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن

(1) للاستزادة ينظر الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن ابن منظور: لسان العرب، ابن فارس: مقاييس اللغة، وينظر أيضا محسن آل عصفور: القاموس الوجيز لمعاني كلمات القرآن الكريم، مادة أمن.

﴿ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ المائدة - الآية 92؛ أي واحذروا المعاصي، وكان من المتوقع أن يكون جواب الشرط وعيدا وتهديدا، ولكنه أنهاه بما ابتدأ ليوافق أول الآية آخرها في المعنى فيكون على النحوالتالي: الإبلاغ من الرسول للبيان والجزاء على الله، غير أنّ رحمة الله ورأفته لا تنفيان بالضرورة عذابه لقوله: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ الإسراء - الآية 57؛ أي مخوفا لا أمان لأحد منه، بل إنه عزّ وجلّ أعقب التحذير بالوعيد فقال: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ النور - الآية 63، أما لفظة حاذرون التي وردت في قوله: ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴾ الشعراء - الآية 56 فدالة على الحذر القوي الشديد، وهي هنا تعني التأهب والاستعداد واليقظة.

الامتناع الذي ذكر في قوله: ﴿ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ﴾ المائدة - الآية 41؛ أي امتنعوا أن تقبلوه، والكتمان الذي قال عنه تعالى: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ التوبة - الآية 64.

ولئن كنا نجد الكافرين والمنافقين يحذرون من فضحهم، وكشف ما في نفوسهم من حقارة ودناءة، فإننا في المقابل نجد المؤمنين يحذرون عذاب الآخرة، ويرجون رحمة ربهم لقوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ الزمر - الآية 9، وقد كان تحذيره - عزّ وجلّ - شاملا يضم الأقارب والأباعد، ويعنى بعباده المؤمنين في حالتي الحرب والسلم؛ فأما التحذير الأول فجاء حماية وحفظا لعباده من وقوع الضرر عليهم في البدن و/ أو الدين من قبل الأهل فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ التغابن - الآية 14؛ أي فاحذروا أن تطيعوهم في التخلف عن الخير كله؛ جهادا كان أو هجرة في سبيل الله أو غيرهما من الطاعات. وأما التحذير الثاني فجاء حفظا لعباده من صنفين من الناس، وهما: المنافقون الذين يفشون الأسرار للعدوفقال عنهم: ﴿ رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ المنافقون - الآية 4، والكافرون الذين تمنوا فرقة المسلمين المؤمنين وتشتتهم، وأحبوا غفلتهم عن أخذ السلاح ليصلوا إلى مقصودهم، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴾ النساء - الآية 71، وقال في ذات السياق: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ النساء - الآية 102، وفي هذه الآية ذكر الله الحذر في الطائفة الثانية دون الأولى؛ لأنها أولى بأخذ الحذر؛ لأنّ العدولا يؤخر قصده عن هذا

الوقت وهُو آخر الصلاة، وفي هذه الآية أدل دليل على تعاطي الأسباب واتخاذ كل ما ينجي ذوي الألباب ويوصل إلى السلامة ويبلغ دار الكرامة.(1)

الانتهاء:

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴾ التوبة ـ الآية 12. والانتهاء هُو الانزجار عما نهى عنه، وهُو من النهي الذي هُو الزجر عن الشيء بالقول أو بغيره، يقول سبحانه: ﴿ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ غافر ـ الآية 66، وما كان بالقول فلا فرق بين أن يكون بلفظة افعل نحو: اجتنب كذا، أو بلفظة لا تفعل. ومن حيث اللفظ هُو قولهم: لا تفعل كذا، فإذا قيل: لا تفعل كذا فنهي من حيث اللفظ والمعنى جميعا. والنهي زجر عن فعل الشر وحث على فعل الخير، ويكون باللسان و/ أو باليد وبالقلب، وهذا بالاستناد إلى العقل والشرع. وهُو يدلُّ على غايةٍ وبلوغ. والإنهاء في الأصل إبلاغ النهي، ثم صار متعارفا في كل إبلاغ، فقيل: أنهيت إلى فلان خبر كذا؛ أي بلغت إليه النهاية أو بلَّغته إياه، ونهايةُ كلِّ شيءٍ غايته، ومنه نهَيته عنه، وذلك لأمرٍ يفعله، فإذا نهَيته فانتهى عنك فتلك غايةُ ما كان وآخِره. وفلانٌ ناهيكَ من رجلٍ ونهْيُك كقولك حسبك، ومعناه أنه غاية فيما تطلبه، وينهاك عن تطلُّبِ غيره. والنهية العقل الناهي عن قبائح الأفعال وجمعها نهى يقول تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾ طه ـ الآية 54. وتنهية الوادي حيث ينتهي إليه السيل. ونهاء النهار: ارتفاعه، وطلب الحاجة حتى نَهِيَ عنها؛ أي انتهى عن طلبها، ظفر بها أو لم يظفر بها، والنِّهْي والنَّهْي: الغدير، لأنَّ الماء ينتهي إليه.

إنَّ في النهي عن الشرك والمنكر والسوء والفساد والفحشاء والبغي وغيرها من المعاصي أمرٌ بإتيان الضد؛ ذلك أن كل نهي أمر وليس كل أمر نهيا؛ فإذا قلت لأحدهم: انته. فانت تخرجه من أمر وتدخله في آخر كما يذهب إلى ذلك العلماء، مثل قول الله: ﴿ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡ ﴾ النساء ـ الآية 171، وقوله: ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ المائدة ـ الآية 91، وعيد شديد زائد على معنى انتهوا وقوله: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ لقمان ـ الآية 17. وإذا أمرت أحدهم لا يعني أنك تنهاه.

يقول تعالى: ﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ التوبة ـ الآية 67، ففي هذه الآية صورة المنافقين بصفاتهم الذميمة حين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، وهم على خلاف صورة المؤمنين بصفاتهم الحسنة، حين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لقوله تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ

---

(1) للاستزادة ينظر الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن ابن منظور: لسان العرب، ابن فارس: مقاييس اللغة، وينظر أيضا محسن آل عصفور: القاموس الوجيز لمعاني كلمات القرآن الكريم، مادة حذر.

أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة ـ الآية 71.

ثم إنّ نهي النفس عن الهوى الذي جاء في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ النازعات ـ الآية 40، هو ردّها إلى طاعة الله بقمع شهواتها وحملها على الانتهاء مما نزعت إليه من المعاصي؛ لتوقن أنّ المنتهى إلى ربها؛ إذ منه ابتداء المنة وإليه انتهاء الأمان يقول تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾ النجم ـ الآية 42؛ أي المرجع والمرد، فيعاقب أو يثيب.[1]

الشكر:

كذلك من بين الألفاظ التي جاءت بعد لعلّ لتدل على مقصد من مقاصد التواصل الشكر، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 185، وقال: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ المائدة ـ الآية 89، وأمر فقال: ﴿ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 172... وغيرها من الآيات الدالة .

والشكر أصله في اللغة الظهور، وهو تصور النعمة وإظهارها، ومعرفة الإحسان والتحدث بـه ﴿ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴾ القمر ـ الآية 35 كما قال تعالى، وأمر به في قوله: ﴿ وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ النحل 114، وقيل هو مقلوب عن الكشر؛ أي الكشف، ويضاده الكفر، وهو : نسيان النعمة، وسترها، يقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ الإنسان ـ الآية 3.

والشكر ثلاثة أضرب:

شكر القلب، وهو تصور النعمة.

وشكر اللسان، وهو الثناء على المنعم.

وشكر سائر الجوارح، وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه؛ لـذلك واجب على الإنسان أن يبادر بشكر من أحسن إليه وتفضل عليه، سواء تعلق الأمر بشكر العباد، مثل قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾لقمان ـ الآية 14، أم بشكر رب العباد كما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ الأحقاف ـ الآية 15. وشكر الربّ لعبده قبول طاعته بذكر إحسانه إليه وثناؤه عليه وإثابته إياه، وشكر العبد لربّه ثناؤه عليه بإعمال جميع أضرب الشكر والالتزام

(1) للاستزادة ينظر الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن ابن منظور: لسان العرب، ابن فارس: مقاييس اللغة، وينظر أيضا محسن آل عصفور: القاموس الوجيز لمعاني كلمات القرآن الكريم، مادة نهي.

بها كما جاء في قوله: ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ سبأ ـ الآية 13 حيث إنه ذكر اعملوا ولم يقل اشكروا، ومعنى الآية اعملوا ما تعملونه شكرا لله، وقيل اعملوا عملا هُو الشكر.

وإن كنا نجد شكرا من نوع آخر من بني آدم من غير المخلصين لإبليس الذي ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾ الأعراف ـ الآيتان 16 ـ 17، فقد أقسم أن يوقع الغي في قلوب من له سلطان عليهم، ويقعد لهم على الطريق الموصل إلى الله ورضاه ورضوانه، ثم يأتيهم من كل جهة فيمنعهم عن سلوكه، ويصدهم عنه بترغيبهم في الدنيا وتشكيكهم في الآخرة وتحبيب المعاصي إليهم وتزيينها في قلوبهم، حتى يضلوا ويخيبوا ويهلكوا كما ضل وخاب وهلك، فحُرم رحمة ربه، ولعن في الدنيا والآخرة، إلا أنه لا يستطيع أن يأتي من فوقهم، لئلا يحول بين العباد ورحمة رب العباد، ومثلما أنه لا يستطيع ذلك فإنه ـ كذلك ـ ليس له سلطان على قلوب المخلصين من عباد الله المؤمنين المتوكلين ﴿ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴾ النحل ـ الآية 100، ويؤمنون بالذي كاده لهم، فيطيعون ويظهرون الشكر، ويذكر هذا باعتراف منه بعد أن قضى الله بين عباده أمره، فيقول: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ إبراهيم ـ الآية 22.

وإذا كانت حقيقة الشكر هي الاعتراف بالنعمة للمنعم، فإن توفية شكر الشكور أمر مستحيل* بالنسبة إلى عباده، فهُو سبحانه يجازي على القليل بالكثير، ويشكر لهم اليسير من الحسنات ويضاعفها لهم ﴿ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ التغابن ـ الآية 17، وقد استثنى في خطابه نوحا؛ لأنه كان عبدا كثير الشكر لربه على نعمه، وحامدا له في جميع أحواله، ولا يرى الخير إلا من عنده فقال عن نوح: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ﴾ الإسراء ـ الآية 3، كما استثنى إبراهيم الذي وفّى بجميع ما أمره الله فقال عنه: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ النحل ـ الآيتان 120 ـ 121، أي قائما بشكر نعم الله عليه ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ﴾ النساء ـ الآية 147. والشكر يحمل معنى التوحيد الذي جاء في قوله: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴾ إبراهيم ـ الآية 7؛ أي لئن شكرتم إنعامي ووحدتم وأطعتم لأزيدنكم من فضلي وثوابي، وإذا كان الشكر هُو سبب المزيد فإنهما ـ أي الشكر والمزيد ـ سببا التواصل وبالعكس، فكلما كان هناك شكر كانت هناك زيادة، إذ إن

(*) واستحال الشيء صار محالا فهومستحيل؛ أي آخذ في أن يصير محالا.

كل من شكر الله شكر له وجزاه على ذلك أوفر الجزاء،[1] ويظل الشكر في صعود من العبد إلى ربه، ونـزول من الربّ إلى عبده ليرتسم التواصل ويتحقق بل يتمكن في النفوس.

الرضى:

يقول الله تعالى عن الرضى: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ طه ـ الآية 130؛ أي لعلك تعطى ما يرضيك وتثاب على صبرك وتسبيحك، والرضى هو الحب الذي جاء في قوله: ﴿ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ البقرة ـ الآية 144؛ أي تحبها، والرضي هو المرضي في أخلاقه وأفعاله، وهو أيضا الراضي بقضاء الله وقدره، وكذلك الرجلّ الصالح الذي يحبّه ربه، ويحبب خلقه فيه ويرضى عنه ربه ويكون مرضيا عند الناس، وعنه قال الله: ﴿ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ مريم ـ الآية 6، وقال: ﴿ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾ مريم ـ الآية 55، وهذا من الثناء الجميل والصفة الحميدة. والمرضاة الرضى الذي أشار إليه الله في قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ البقرة ـ الآية 207، والرضى ضد السخط وما يجلّيه قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ التوبة ـ الآية 58.

والرضى أمر يطلب ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ أي طلبا لرضى الله، ويتبع بإخلاص واحتساب مصداقا لقوله عزّ وجلّ: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ آل عمران ـ الآية 162؛ أي أطاعوا الله فرضًاهم ورضي عنهم. والرضوان هو الرضى الكثير كقوله: ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ التوبة ـ الآية 72، وقيل هو الرضى الذي لا يعقبه سخط أبدا. والرضوان ـ أيضا ـ الإيمان كالذي ذكر في قوله: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ المائدة ـ الآية 16. ولما كان أعظم الرضى رضى الله تعالى خصّ لفظ الرضوان في القرآن بما كان من الله تعالى مثلما أشارت إليه الآيات الآنفة الذكر.

والرضى قد يكون للأمور المستحسنة كالرزق، وقد يكون للأمور القبيحة كالقعود مع الخوالف والتخلف عن الجهاد في سبيل الله، يقول تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾ التوبة ـ الآية 83، وكالرضى بالحياة الدنيا إنكارا للآخرة وكفرانا بلقاء الله ﴿ وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ يونس ـ الآية 7. والرضى متعلق بالقول وبالفعل؛ فأما الرضى الذي يتعلق بالقول فكقوله: ﴿ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ التوبة ـ الآية 8؛ أي يرضونكم بكلامهم الحسن ومثل قوله: ﴿ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ طه ـ الآية 109؛ أي قال لا إله إلا الله. وقيل: كان له قول يرضي أو ارتضى كقوله: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ

---

(1) للاستزادة ينظر الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن ابن منظور: لسان العرب، ابن فارس: مقاييس اللغة، وينظر أيضا محسن آل عصفور: القاموس الوجيز لمعاني كلمات القرآن الكريم، مادة شكر.

﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ الأنبياء ـ الآية 28، وأما الرضى الذي يتعلق بالفعل فنحوقوله : ﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ النمل ـ الآية 19.

ورضى العبد عن الله أن لا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضى الله عن العبد هُو أن يراه مؤتمرا بأمره، ومنتهيا عن نهيه. وقرن الله بين رضى العباد له وبين رضاهم لرسوله، وجعل رضى رسوله في رضاه، وبالتالي جعل الرضاءين متلازمين فقال: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ التوبة ـ الآية 62؛ وقدّم رضاه على رضا عباده؛ لأنه أعلم بما في نفوسهم؛ لأنهم ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ التوبة ـ الآية 96؛ أي لا يقع رضى العباد مع سخط الله بل لا يجتمعان، ولأنه لا يحب من عباده الكفر ولا يأمر به، ويحب منهم الشكر وهُو الإيمان، كما أشرنا سابقا، ويزيدهم من فضله يقول: ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ الزمر ـ الآية 7، فتبارك الذي رضي انقياد عباده له بدين الإسلام الذي شرعه لهم، وهم اليوم عليه دينا باقيا بكامله ويظهره على جميع الأديان ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾ النور ـ الآية 55، والحمد لله الذي قال: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ المائدة ـ الآية 3.

وتبدأ رحلة العبد إلى ربه، بعد إكمال الدين وإتمام النعمة والرضى بالإسلام دينا، ليرضى بما أتاه الله ورسوله، فيحصل رضى الله عنه ورضاه عنه في تواصل يمثله ثواب الله وطاعة عبده له في عجلٍ مرغوب فيه، يريد من ورائه لقاء ربه وتواصلهما خاصة، ابتغاء الرضى في شوق وصدق؛ لذلك قال: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ طه ـ الاية 84. ويستمر هذا الرضى المتّجه إلى الربّ، والممتد إلى العبد في غدوورواح إلى الوقت الذي يلي اللحظة التي يقول فيها الرب ـ جلّ جلاله ـ: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (28) ﴾ الفجر ـ الآية 28، وهُو الوقت الذي رضي فيه عنهم رضا لا يغضب بعده أبدا بطاعته، ورضوا عنه بثوابه حيث قال: ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ المائدة ـ الآية 119.

الفلاح:

يقول الله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ الشمس ـ الآية 9، ويقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الحج ـ الآية 77، ويقول في ذات الموضوع: ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ القصص ـ الآية 67، فهذه الآيات وغيرها كلها دالة على الفلاح.

والفلاح الظفر وإدراك بغية. وهُو نوعان: دنيوي وأخروي؛ فأما الدنيوي فمخصوص بالظفر بالسعادات التي تطيب بها حياة الدنيا، وهُو البقاء والغنى والعز؛ لذلك عرّف بعضهم الفلاح بالسعد. وهُو

يحمل مفهوم الغلبة ـ أيضا ـ ونيل المراد بالحق دون الباطل الذي نجده عند فرعون وملئه من السحرة عندما قالوا: ﴿ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴾ طه ـ الآية 64، فيفوز فرعون بالرياسة العظيمة ويفوز السحرة بالعطاء الجزيل حسب زعمه، وقد دل الفلاح هنا على الفوز والبقاء، ولا أدل على ذلك من تخوف فرعون وكيده من ضياع ملكه وسيادته وسنتهم وما كان منهم إلا أن ﴿ قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴾ طه ـ الآية 63، غير أنه لا يفلح من كذب على الله أو كذّب بآياته وبراهينه لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ الأنعام ـ الآية 21؛ أي لا يفلح الظالمون ولا يسعدون في الدنيا ولا في الآخرة؛ فأما في الدنيا فإنهم إذا استدرجهم وأملى لهم، متعهم قليلا، ثم يضطرهم إلى عذاب غليظ، وهذا حال من أتى السحر ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ طه ـ الآية 69.

وأما الأخروي، فمخصوص بأربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وعلم بلا جهل، فمن حظي بهذه الأمور كلها فهو من المفلحين الذين اتقوا الله، وذكروه ذكرا كثيرا حينما أمرهم، فقال: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 189 وقال: ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الجمعة ـ الآية 10. ثم إنّ كلّ من تاب وآمن بالله وبرسوله وما أنزل إليه من البينات وما جاء به من قبله من الرسل، وأيقن بالبعث والحساب والجزاء واليوم الآخر، وعمل صالحا، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، ودعا إلى الخير، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ولم يأكل الربا، وتجنب المحرمات من خمر وميسر... وغيرها من الأرجاس والخبائث، فقد اتصف بصفات المؤمنين الذين بشرهم ربّهم فقال عنهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 5؛ لذلك دل لفظ المفلح على من قطع المصاعب حتى نال مطلوبه، وما يؤيّد ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران ـ الآية 200؛ أي اصبروا على الطاعات والمصائب، واصبروا ـ كذلك ـ عن المعاصي والشهوات، وجاهدوا أهواءكم وعدوكم، ولازموا ذلك في سبيل الله لعلكم تفوزون بالجنة والبقاء الدائم فيها.(1)

وقد قدّم الله فلاح المؤمنين على أعمالهم وصفاتهم على سبيل التبشير والترغيب، فقال: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ المؤمنون ـ الآية 1، حتى يتناسب بقاء أعمالهم الصالحة التي أمرهم الله بأدائها ودوامها مع بقائهم في الجنة ودوامهم فيها.

الفوز:

الفوز الظفر بالخير مع حصول السلامة، قال جلّ جلاله: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ آل عمران

(1) للاستزادة ينظر الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن ابن منظور: لسان العرب، ابن فارس: مقاييس اللغة، وينظر أيضا محسن آل عصفور: القاموس الوجيز لمعاني كلمات القرآن الكريم، مادة فلح.

ـ الآية 185؛ أي نال غاية مطلبه، كما قال: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ التوبة ـ الآية 20، وقال في الموضوع نفسه: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ الزمر ـ الآية 61، وقال: ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ النبأ ـ الآية 31.

وسميت المفازة كذلك تفاؤلا للفوز، وقيل إذا وصل بها إلى الفوز، فإن القفر كما يكون سببا للهلاك فقد يكون سببا للفوز، فيسمى بكل واحد منهما حسب ما يتصور منه ويعرض فيه، وقال بعضهم: سميت مفازة من قول العرب فوز الرجلُ: إذا هلك، فإن يكن فوز بمعنى هلك صحيحا فذلك راجع إلى الفوز، تصورا لمن مات بأنّه نجا من حبالة الدنيا، فالموت ـ وإن كان من وجه هلاكا ـ فمن وجه فوز، وقال بعضهم سميت مفازة؛ لأنها موضع تفويز ومظنة هلاك، وقيل؛ لأن من قطعها فاز، و﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ آل عمران ـ الآية 188؛ أي لا تحسبنهم بمكان بعيد من العذاب؛ لأن الفوز الابتعاد عن المكروه.

والفوز ضربان: فوز دنيوي وأخروي، فالدنيوي هُو الحصول على الشيء من دون أن يكون الغاية والمنتهى بالنسبة إلى المؤمن؛ كأن يعطى من الغنائم، وقد يكون بالنسبة إلى الكافر أكبر قصده وغاية مراده، حيث يتمنى أن يضرب له بسهم مما حصل عليه المؤمنون، وكان قد تخلف عن الجهاد في سبيل الله، يقول الله تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾ النساء ـ الآية 73؛ أي يحرصون على أغراض الدنيا، ويعدّون ما ينالونه من الغنيمة فوزا عظيما، وهذا غير الفوز الذي نستشفه في قوله تعالى: ﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب ـ الآية 71، فالأول دال على التمني، وهُو غير متحقق. والثاني دال على اليقين، وهُو متحقق غير محتمل الشك. والأخروي هُو الفوز الذي لا أعظم منه، وهُو رضوان الله الذي به ارتفعت منزلة صاحبه درجات، ويندرج تحته الظفر بالنعيم المقيم، وعليه كانت حقيقة الفوز حصول الربح ونفي الخسارة. والفوز ضد الخسران يقول تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ الحج ـ الآية 11، أي يخسر الدنيا فلا حظ له في الغنيمة ولا ثناء، وخسر الآخرة بأن لا ثواب له فيها.

ونعت الله ـ تبارك وتعالى ـ الفوز تارة بالعظيم وتارة بالمبين وتارة أخرى بالكبير على سبيل التكثير، فقال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ البروج ـ الآية 11، ﴿وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ النساء ـ الآية 13، ﴿وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾ النساء ـ الآية 16؛ لأنه لا أكبر من الفوز، فكل شيء من النعيم والجزاء دونه، ولأنه لا أعظم من هذا الثواب شرفا ومنزلة ودرجة، ولأنه ـ عزّ وجلّ ـ أظهر هذا النوع من الفوز وبيّنه في الحياة الدنيا من خلال الغنائم والنصرة.. وأكّد أنه متحقق في الآخرة لا محالة، ووظف الله عند الحديث عن الفوز اسم

الإشارة "هذا" للدلالة على القريب فقال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ الصافات - الآية 60، والآية تحمل معنى استمرار التواصل بين الله وعباده المؤمنين عندما يدخلون الجنة، ويخاطبهم مشيرا إلى ما هم فيه من النعيم. واستخدم "أولئك" للدلالة على المتوسط فقال: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ التوبة - الآية 20، الكاف للخطاب، والمعنى أولئك الذين فازوا بكل خير، وأمنوا من كل شر في الدنيا والآخرة. واستخدم "ذلك" للبعيد بمعنى "هذا" فقال: ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ التوبة - الآية 72. والعرب يستعملونه في الإشارة إلى الحاضر، وإن كان موضوعا للإشارة إلى الغائب. و"ذلك" حسب السياقات التي وردت فيها الآيات تتضمن معنى ذلك العمل الذي أمرتكم بإنجازه هو المفضي إلى الفوز، أو أنه سبحانه وتعالى بعدما عدّد أنواع الجزاء أجملها في عبارة الفوز أيا كانت صفاته، كبيرا أو مبينا أو عظيما، وقد تعني مخاطبة الله للكافرين؛ فكأنه يقول لهم: ذلك الفوز الذي استبعدتموه وكذبتم به صار حقا للمؤمنين، أما انتم فلكم الخزي، وما يؤيّده قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ المؤمنون - الآية 105، والآيات هنا هي القرآن الكريم كله، بما فيه من ترغيب وترهيب وقوله: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴾ الأنعام - الآية 130 و﴿ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ التوبة - الآية 63، وقد تعني مخاطبة أهل الجنة لأهل النار مثل قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأعراف - الآية 44، وفي كل هذه الآيات إشارة إلى دوام التواصل وبقائه في الدنيا والآخرة.[1]

التزكية:

ومن الألفاظ التي وردت بعد "لعل" في القرآن الكريم التزكية التي ذكرها في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾ عبس - الآية 3، وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ النور - الاية 32، وهي كثيرا ما تأتي مرتبطة بالنفس والمال. وأصل الزكاة النموالحاصل عن بركة الله تعالى والزيادة في كل خير، وهي تشمل الأمور الدنيوية من الذهب والفضة والأنعام والزروع والثمار... وكل ما يخرجه الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء رجاء البركة، أو لتزكية النفس؛ أي تنميتها بالخيرات والبركات، أولهما جميعا، فإن الخيرين موجودان فيها، ويكون بذلك قد طهر نفسه وزكاها، فيصير أهلا للأوصاف المحمودة في الدنيا، ومستحقا للأجر والمثوبة في الآخرة ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ طه - الآية 76، إلا أن تزكيته لعباده وهدايته إنما هي بفضله ورحمته لا بأعمالهم - أيضا - فإنه لن ينتفع العباد من تزكيتهم أنفسهم إن لم يزكهم الله. وزكّى: هو أن يتحرى الإنسان ما فيه تطهيره، وذلك ينسب تارة إلى العبد لكونه مكتسبا

---

(1) للاستزادة ينظر الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن ابن منظور: لسان العرب، ابن فارس: مقاييس اللغة، وينظر أيضا محسن آل عصفور: القاموس الوجيز لمعاني كلمات القرآن الكريم، مادة فوز.

لذلك، نحو: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ الشمس ـ الآية 9، وتارة ينسب إلى الله تعالى؛ لكونه فاعلا لذلك في الحقيقة نحو: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ النساء ـ الآية 49، وتارة إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كونه واسطة في وصول ذلك إليهم، من حيث هو يعمل على تعليمهم الطهارة والتطهر بما ألقاه ربه إليه من وحيه، نحو: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ البقرة ـ الآية 129، أي يرشدهم إلى تطهير أنفسهم من الشرك والمعاصي، أو يعمل على أن يبلغهم وينصح لهم أن يكونوا أزكياء القلوب بالإيمان؛ لأن الله أمره بالإبلاغ فقال: ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ النازعات ـ الآية 18؛ أي قل له هل لك أن تجيب إلى سبيل سوي تزكي به وتسلم وتطيع، وما أنت بمطالب به إذا لم يحصل له زكاة ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴾ عبس ـ الآية 7، ومن تطهر واهتدى وعمل صالحا فإنما نفعه يعود على نفسه ﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ فاطر ـ الآية 18، وتارة إلى العبادة التي هي آلة في ذلك، نحو: ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ مريم ـ الاية 13. وإذا كانت الزكاة تعني التطهير والبركة والتنمية في وجوه الخير والبر، فإن لفظ الزكاة، الذي جاء في هذه الآية، يقصد من ورائه أنّ الله جعله مطهرا من الآثام والذنوب، ولا يعمل إلا العمل الصالح الزكي؛ لذلك فهو مزكى بحسن الثناء عليه ومبارك للناس يرشدهم إلى الهداية، ونحو ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾ مريم ـ الآية 19؛ أي مزكى بالخلقة، وذلك على طريق ما ذكرنا من الاجتباء، وهو أن يجعل بعض عباده عالما وطاهر الخلق، لا بالتعلم والممارسة بل بتوفيق إلهي، كما يكون لجلّ الأنبياء والرسل. ويجوز أن يكون تسميته بالمزكى لما يكون عليه في الاستقبال لا في الحال، والمعنى سيتزكى، ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾ المؤمنون ـ الاية 4؛ أي يفعلون ما يفعلون من العبادة ليزكيهم الله، أو ليزكوا أنفسهم، والمعنى واحد. وتزكية الإنسان نفسه ضربان:

أحدهما بالفعل، وهو محمود وإليه قصد بقوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ الأعلى ـ الآية 14. والثاني بالقول، كتزكية العدل غيره، وذلك مذموم أن يفعله الإنسان بنفسه، وقد نهى الله تعالى عنه فقال: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ النجم ـ الآية 32، وقال: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ النور ـ الآية 21، ونهيه عن ذلك تأديب لقبح مدح الإنسان نفسه على سبيل الإعجاب عقلا وشرعا، وأما على سبيل الاعتراف بالنعمة والتحدث بها فأمر يقتضي الوجوب لقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ الضحى ـ الآية 11.

وقرن الله تعالى الزكاة بالصلاة في القرآن بقوله: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ البقرة ـ الآية 43، حيث أمر الله عزّ وجلّ أمرا يقتضي الوجوب فلا تنفع الأعمال إلا بهما. والإيتاء هو الإعطاء، وهو مسألة متبادلة بين طرفين، ففي حالة إذا ما آتى المؤمنون الزكاة التي أمر الله تعالى بها أيا ما كان

نوعها آتاهم ـ جلّ جلّاله ـ من فضله وزادهم ووفاهم أجورهم، لتدل المسألة على أن التواصل أخذ ورد يشمل المادي والمعنوي، والقولي والفعلي.(1)

التطهر:

وإذا كانت التزكية قد وردت في البلاغ القرآني تسعا وخمسين مرة بصيغ متنوعة لأهميتها، فإنها ذكرت، في ذات البلاغ وبذات السياقات بلفظ الطهارة، إحدى وثلاثين مرة، وبذات المفهوم أيضا يضاف إليه تطهير الجسم؛ لذلك كانت الطهارة ضربين:

طهارة جسم، باستعمال الماء أو ما يقوم مقامه، لأمره تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾ المائدة ـ الآية 6. وطهارة نفس وهي التي أمر الله ـ جلّ جلّاله ـ بها فقال: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ المدثر ـ الآية 4، وقيل معناه عملك فأصلح، ونفسك فنقها من المعايب، وقلبك فأخله من درن الفساد، وبدنك فاغسله من كل نجس وكذا ثوبك. ولعل أجمل نوع من الطهر هو ذاك الذي عني بصحف الله تبارك وتعالى، وقد قال عنها: ﴿ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ۝ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴾ عبس ـ الآيات 12 ـ 13 ـ 14، وقال: ﴿ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ الواقعة ـ الآية 79.

وإذا جئنا إلى قوله تعالى: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ الحج ـ الآية 26، وجدنا الأمر بالطهارة عاما، يشمل الكفر والبدع وجميع الأنجاس والدماء، وذهب بعض العلماء إلى أن المقصود من فعل الأمر الذي تعلق بالطهارة، الحث على تطهير القلب لدخول السكينة فيه، المذكورة في قوله: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ الفتح ـ الآية 4. وفي المقابل نجد الكافرين الذين رغبوا عن الطهارة ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ المائدة ـ الآية 41، ويكون تطهير الله لعباده بإنزال الماء من السماء لقوله تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ ﴾ الأنفال ـ الآية 11، وبهدايتهم بكتبه المطهرة لقوله: ﴿ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ البينة ـ الآية 2. وتكون طهارة العبد أمام ربه بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة بمفهومها الواسع، وطاعة الله ورسوله، والامتثال لأمرهما، وهو ما دل عليه قوله تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ المدثر ـ الآية 4، أو ما دل عليه قوله: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ الأحزاب ـ 33.

ويمتد هذا الطهر إلى يوم الجزاء، عندما يدخل المؤمنون الجنة، ويكون ﴿ لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ النساء ـ الآية 57،﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ الإنسان ـ الآية 21، يزيل به كل درن فيطهر بواطنهم من

(1) للاستزادة ينظر الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن ابن منظور: لسان العرب، ابن فارس: مقاييس اللغة، وينظر أيضا محسن آل عصفور: القاموس الوجيز لمعاني كلمات القرآن الكريم، مادة زكي.

الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الصفات الرديئة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ المائدة ـ الآية 6، والطهارة بهذا المفهوم نعمة يمن بها الله على عباده المؤمنين في دنياهم وأخراهم.(1)

التوبة:

ويقترن لفظ التزكية بلفظ التوبة مثلما اقترن بلفظ الطهارة التي هي بدورها مقترنة بالتوبة، والتوب جمع توبة لقوله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ غافر ـ الآية 3، فيصير معنى الآية يقبل الله التوبات، والتوب والتوبة الاعتراف بالذنب والإقلاع عنه على أجمل الوجوه، وهو الذي قصده تعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ النساء ـ الآية 17، ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة ـ الآية 102، ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ النساء ـ الآية 18، فإذا كان التوب كما أحب الله وارتضاه وحدده في أوامره فهو أبلغ وجوه الاعتذار، الذي هو على ثلاثة أوجه، إما أن يقول المعتذر: لم افعل، أو يقول: فعلت لأجلّ كذا، أو فعلت وأسأت وقد أقلعت، ولا رابع لذلك، وهذا الأخير هو التوبة، والتوبة في الشرع ترك الذنب لقبحه في الحال، والرجوع عنه، والندم بالقلب على ما فرط منه حياء من الله لا من غيره، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالأعمال بالإعادة، فمتى اجتمعت هذه الأربع فقد كملت شرائط التوبة، يقول تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة ـ الآية 160، فيردفون التوبة بكثير من الأعمال الصالحة حتى تصح توبتهم وتكتمل، وهذا ما نستشفه في قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ التوبة ـ الآية 112، فيحققون التوبة التامة، بتركهم القبيح وتحريهم الجميل، حتى تمحى ذنوبهم يقول الله: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ الفرقان ـ الآية 71، والتائب يقال لباذل التوبة، وأما قابل التوبة الذي هو الله سبحانه فلا يجوز لنا أن نطلق عليه من الصفات والأسماء إلا ما أطلقه هو على نفسه، فالعبد تائب إلى الله مثل قوله تعالى: ﴿ثَيِّبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ التحريم ـ الآية 5، والله تائب على عبده مثل قوله تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ المائدة ـ الآية 39، وقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ

---

(1) للاستزادة ينظر الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن ابن منظور: لسان العرب، ابن فارس: مقاييس اللغة، وينظر أيضا محسن آل عصفور: القاموس الوجيز لمعاني كلمات القرآن الكريم، مادة طهر.

﴿ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ التوبة ـ الآية 104. والتواب هنا يطلق على الله تعالى، لكثرة قبوله توبة العباد حالا بعد حال؛ أي رجوعهم من حال المعصية إلى حال الطاعة، كذلك فإن توبة الله على عباده التوابين سابقة لتوبة العباد إلى ربهم؛ لأنه سبحانه هو الموفّق إلى كل الأعمال الصالحة برحمته وفضله، أو كما قال: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ التوبة ـ الآية 118. ويطلق التواب كذلك على العبد الكثير التوبة، وذلك بتركه كل وقت بعض الذنوب على الترتيب حتى يصير تاركا لجميعه، كقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ البقرة ـ الآية 222، وفي حالة إذا ما ارتقى إلى هذه المرتبة صار في زمرة المؤمنين الذين تابوا توبة نصوحا، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ التحريم ـ الآية 8، ولكي يتوب الله على عباده لابد من توبة العباد إلى ربهم، فيرجعوا إليه وينيبوا، وهي توبة لمسناها من عهد آدم عليه السلام عندما عصى ربه ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ البقرة ـ الآية 37، وامتدت إلى عهد إبراهيم وولده إسماعيل ـ عليهما السلام ـ عندما سألا ربهما التوبة مع عصمتهما تواضعا وتعليما لذريتهما فقالا: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ البقرة ـ الآية 128، وكذا فعل موسى ـ عليه السلام ـ عندما ﴿ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأعراف ـ الآية 143 مع عصمته وسائر الأنبياء والرسل، ثم امتدت لتطول النبي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ومن معه من المهاجرين والأنصار ليداوموا على التوبة ويثبتوا عليها ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ التوبة ـ الآية 117، واستمرت مع الإنسان الذي يرجع عن السيئات إلى الحسنات وعن المعاصي إلى الطاعات، ويظل يجدد التوبة والإنابة إلى الله، ويعزم عليها، يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ الأحقاف ـ الآية 15.

وبالتالي فإن هذه الثلاثية المتعدية، والمتشكلة من التزكية والتطهر والتوبة تؤكد أنها جزء له أهميته في القصدية التواصلية، حيث إنها تربط بين الأولى والأخرى بل تنقل من الأولى إلى الأخرى.

التوكل:

التوكل في اللغة إظهار العجز والاعتماد على الغير. وحقيقته قطع الطمع في غير الله، أو هو الثقة بالله وحده وتفويض كل شؤون العباد إلى رب العباد امتثالا لأمره عزّ وجل: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ يوسف ـ الآية 67، وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ البقرة ـ الآية 122، ﴿ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ آل عمران ـ الآية 173، فإنه كاف عباده.

والوكيل هو القائم بتدبير الأمور، ويطلق الوكيل كذا على الشهيد على كل شيء، الذي قصده في قوله: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ يوسف - الآية 66، كما تعني الحفيظ، كقوله تعالى: ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ الأنعام - الآية 66؛ أي لست عليكم بحفيظ فأجزيكم، إنما أنا مبلّغ، ويقال: توكلت لفلان بمعنى توليت له، ويقال: وكلته فتوكل لي، وتوكلت عليه بمعنى اعتمدته، والتوكيل أن تعتمد على غيرك وتجعله نائبا عنك، ويتوكل لك، وواكل فلان إذا ضيّع أمره متكلا على غيره، وتواكل القوم إذا اتكل كل على الآخر، ورجلٌ وكلة تكلة؛ إذا اعتمد غيره في أمره. والتواكل والاتكال عاقبتهما سيئة، أما التوكل على الله فمحمود، محبب إلى الله في الدنيا، وعاقبته الحسنى، يقول تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ آل عمران - الآية 159؛ أي اكتف به ليتولى أمرك. والمتوكل الذي يعتمد على الله، ويفوض كل أموره له؛ وهذا حال الأنبياء والرسل جميعا الذين لم يمتنعوا عن التوكل على الله الذي هداهم إلى أقوم الطرق وأبينها فقالوا: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ إبراهيم - الآية 12. وتوكل المتوكلين على الوكيل يفضي بالضرورة إلى رد العذاب عنهم، على عكس الممتنعين عن التوكل على الله من الكافرين فلا يجدوا لهم وكيلا لقوله تعالى: (ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا) الإسراء - الآية 68، وقوله: ﴿ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ النساء - الآية 109، كما يفضي التوكل على الله إلى الإنابة، ليزول عجز العباد وتحل محله قدرة يستمدها العباد من رب العباد من أجلّ الرجوع إليه الله - سبحانه وتعالى -.[1]

الإنابة:

والإنابة عملية تالية للتوكل، بدليل قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ الشورى - الآية 10، وقوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ الممتحنة - الآية 4، وقوله: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ هود - الآية 88.

وتدلُ كلمة نوب على اعتياد مكان والرجوع إليه، والنوب رجوع الشيء مرة بعد أخرى، يقال: ناب نوبا ونوبة، وسمّيت النحل نوبا لرَعْيها ونوبها إلى مكانها؛ أي رجوعها، ونابته نائبة؛ أي حادثة من شأنها أن تنوب، مثل قوله - عزّ وجلّ -: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ هود - الآية 88؛ أي أرجع فيما ينزل بي من جميع النوائب، وقيل أرجع في الآخرة، وقيل الإنابة هنا هي الدعاء ومعناه: وله أدعو، والإنابة إلى الله تعالى الرجوع إليه بالتوبة وإخلاص العمل، قال تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ الزمر - الآية 54، وقد كان إبراهيم - عليه السلام - منيبا راجعا إلى الله في

---

(1) للاستزادة ينظر الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن ابن منظور: لسان العرب، ابن فارس: مقاييس اللغة، وينظر أيضا محسن آل عصفور: القاموس الوجيز لمعاني كلمات القرآن الكريم، مادة وكل.

أموره كلها، ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴾ هود - الآية 75 والإنابة سبيل الأنبياء والصالحين، كما فعل داود - عليه السلام - عندما امتحنه ربه، ﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ ص - الآية 24؛ أي تاب من خطيئته ورجع إلى الله، وهو سبيل سليمان - عليه السلام - عندما اختبره الله، وسلبه ملكه، ثم رجع إلى ملكه وسلطانه، مثلما رجع إلى الله وتاب. وهو أيضا الطريق الذي سلكه الرسول الأمين - صلى الله عليه وسلم - في جميع أموره ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ الشورى - الآية 10، وفي رجوع العباد إلى ربهم أسوة حسنة استمدت من الخليل إبراهيم - عليه السلام - والذين معه من المؤمنين الذين قالوا ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ الممتحنة - الآية 4.

وأصل الإنابة القطع فكأن الإنابة هي الانقطاع إلى الله عزّ وجلّ بالطاعة، وفلان ينتاب فلانا وينوب؛ أي يقصده مرة بعد أخرى، وإن كانت الإنابة في البلاغ القرآني خاصة به وحده - جلّ جلاله - دون غيره بدليل قوله: ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الروم - الآية 31؛ أي راجعين إلى الله، مقبلين عليه في طاعة، تائبين من الذنوب. ومن علامات الإنابة لدى العبد المنيب أن يكون عارفا لحرمته، متواضعا لجلاله، تاركا لهوى نفسه، ثم إن الرجوع إلى الله الحق يكون بالقلب في خضوع ووجل ﴿ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ ق - الآية 3، وقد خص الله القلب دون غيره لأنه موطن الإيمان وبه يحصل الانتفاع.[1]

النصر:

يدلُّ على إتيان خيرٍ وإيتائه، ونُصر اللهُ المسلمين يعني آتاهمُ الظّفرُ على عدوهم، وينصرهم نصراً، يقول تبارك وتعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ يوسف - الآية 110، ويقول: ﴿ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ الأنفال - الآية 26، ويقول: ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ البقرة - الآية 214.

والنصر والنصرة العون، يقول تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ الحج -الآية 40، ونصرة الله ظاهرة وتكون للعبد أو عليه مثل قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ المؤمنون - الآية 26؛ والآية تؤكّد أن نصره مختص بغلبة أوليائه لأعدائه بالحق، ونصرة العبد لله هو نصرته لعباده، والقيام بحفظ حدوده، ورعاية عهوده، واعتناق أحكامه، واجتناب نواهيه... وبالجملة نصرته لدينه بما مدّه الله من وسائل تعينه على النصر بتوفيق من الله حيث قال: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ

(1) للاستزادة ينظر الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن ابن منظور: لسان العرب، ابن فارس: مقاييس اللغة، وينظر أيضا محسن آل عصفور: القاموس الوجيز لمعاني كلمات القرآن الكريم، مادة نوب.

﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ الحديد ـ الآية 25.

والأنصار الأعوان ومنه قول الله: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران ـ الآية 52؛ أي من يضم نصرته إلى نصرة الله. وطلبُ النصرة تارة يكون بلفظ النصر، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ البقرة ـ الآية 250، وتارة بلفظ الانتصار مثل قوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ القمر ـ الآية 10، وفي قوله: "فانتصر" تنبيه أن ما يلحق الرسول المرسل يلحق الله من حيث إنه جاءهم بأمر من ربه، فإذا نصره الله فقد انتصر الله لنفسه، وتارة يكون بلفظ الاستنصار الذي ورد في قوله: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الأنفال ـ الآية 72؛ بمعنى: وإن طلب منكم الأعراب الذين لم يهاجروا قتالا دينيا على عدولهم فانصروهم، فإنه واجب عليكم نصرهم؛ لأنهم إخوانكم في الدين، إلا أن يستنصروكم على قوم من الكفار بينكم وبينهم عهد فلا تنقضوا أيمانكم. وكل من النصر والانتصار والاستنصار يدل على الانتقام ممن لم يطع الرسل، ورغب عن دين الله الحق، فظلم وعاث في الأرض فسادا. والتناصر التعاون، يقال: تناصر القوم، إذا نصر بعضهم بعضا، قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ الصافات ـ الآية 25، وذكر التناصر هنا على جهة التقريع والتوبيخ؛ أي ينصر بعضكم بعضا من عذاب الله.

والنصر يطلق على المنع كقوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ البقرة ـ الآية 48؛ بمعنى يمنعون من عذاب الله أو ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ البقرة ـ الآية 270، أو ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ آل عمران ـ الآية 56؛ أي مانعين ينقذونهم من عذاب الله ونقمته. والنصر ضربان: نصر دنيوي بإقامة الحجة والغلبة في القتل والجهاد كقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ آل عمران ـ الآية 123، ونصر أخروي لم يشر إلى نوعه، بل لم يحدده في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ غافر ـ الآية 51، ولكنه وصفه وصفا دقيقا، عندما نصر الله رسوله المصطفى نصرا منيعا، لا يتبعه ذل، فقال: ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ الفتح ـ الآية 3، لتدل العزة في هذه الآية على حالة مانعة للإنسان من أن يغلب، وهي عزة دائمة باقية يؤكدها جمع الله تعالى النصرين: الدنيوي والأخروي لرسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما قال: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ الحج ـ الاية 15. وهو أيضا نمطان: نصر ذونمط قولي، وآخر ذونمط فعلي، يؤيد بهما عباده المؤمنين، فأما الأول فهو نصر بالحجة ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة ـ الآية 40، وقد كان نصره القولي بالقرآن الكريم كله، وأما الثاني فهو نصر بالسيف وبالمؤمنين، وقد ذكره في قوله: ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

الأنفال ـ الآية 62، ونصر بالإمداد بالملائكة الذي جاء في قوله: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ آل عمران ـ الاية 126. وعلى هذا الأساس قيل: إن النَّصْر هُو العَطاء. ونصرت فلانا أعطيته؛ إما مستعار من نصر الأرض، أو من العون. ولا يدخل في هذا النصر الكافرين؛ لأن ما وقع لهم من غلبة إنما هُو إملاء محفوف بخذلان وسوء عاقبة وخسران.

وحقق الله النصر بالإتيان الدال على النصر؛ ذلك أن العرب تقول: نصرت بَلَدَ كذا، إذا أتيتَه، وهُو ما يفسر قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾الأنعام ـ الآية 34. والإتيان يقال للمجيء بالذات وبالأمر وبالتدبير، وقد كان إتيانه النصر بهذه الأمور كلها، لأنه هُو ـ سبحانه ـ الناصر النصير الذي لا نصر إلا نصره.(1)

الرحمة:

وصف سبحانه وتعالى نفسه في القرآن بأنه الرحمن الرحيم، وهما مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة يقول تعالى: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ فصلت ـ الآية 2، وقيل الرحمن رحمن الدنيا والآخرة، والرحيم رحيم الأخرة؛ وذلك أن رحمته إحسان منه ـ جلّ جلّاله ـ وفضل في الدنيا، تعم المؤمنين والكافرين، وفي الأخرة تختص بالمؤمنين، وعلى هذا قال: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الأنعام ـ الآية 54؛ أي تنالهم مغفرة ورحمة من الله وبها يدخلون الجنة، ثم إن بناء فعلان غير بناء فعيل، فالأول دال على المبالغة؛ أي كثير الرحمة، ويختص بها من يشاء من عباده فهُو عام، والثاني يختص بثلة خاصة من المؤمنين، فهُو خاص لذلك قال: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف ـ الآية 156، تنبيها أنها في الدنيا عامة للمؤمنين والكافرين، وفي الأخرة مختصة بالمؤمنين، يقول تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ النور ـ الآية 14، والله ستار في الدنيا لطيف بعباده فلم ينزل عذابه على من ظلم نفسه، وإنما أخره، ورحيم في الأخرة لمن تاب وآمن.

ولا يطلق الرحمن إلا على الله تعالى من حيث إن معناه لا يصح إلا له، إذ هُو الذي وسع كل شيء رحمة فهُو ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ الفرقان ـ الآية 59، والرحيم يستعمل في غيره وهُو الذي كثرت رحمته، وهي صفة ملازمة للرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث مدحه فقال عنه: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ

---

(1) للاستزادة ينظر الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن ابن منظور: لسان العرب، ابن فارس: مقاييس اللغة، وينظر أيضا محسن آل عصفور: القاموس الوجيز لمعاني كلمات القرآن الكريم، مادة نصر.

حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ التوبة ـ الآية 128. والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، نحو: رحم الله فلانا. وإذا وصف به الباري فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة، وعلى هذا روي أن الرحمة من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميين رقة وتعطف، وما يؤكده قوله تعالى: ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ البلد ـ الآية 17، والمرحمة الرحمة بالخلق، وكذا قوله: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ الفتح ـ الآية 29؛ أي يرحم بعضهم بعضا، مما يفضي إلى القول إنّ الرحمة منطوية على معنيين: الرقة والإحسان، فركز تعالى في طبائع الناس الرقة، وتفرد بالإحسان، فصار كمأن لفظ الرحم من الرحمة، فمعناه الموجود في الناس من المعنى الموجود لله تعالى، فتناسب معناهما تناسب لفظيهما.

وإذا سئل العبد المؤمن عن الرحمن أجاب امتثالا لأمر ربها ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ الرعد ـ الآية 44، أو قال: ﴿ رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ ﴾ الأنعام ـ الآية 147، وهذا إرشاد من الله لعباده إلى معرفته والتعريف به، مثلما أرشد إلى الدعاء باسمه رحمة منه فقال: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء ـ الآية 110، وأحب وقوف عباده بين يديه وترجيهم رحمته، وهذا دأب الأنبياء والمرسلين وكل عباده الصالحين؛ ومن يمثله آدم وزوجه ـ عليهما السلام ـ عندما دلاهما الشيطان بغرور ووسوس لهما الاقتراب من الشجرة التي نهاهما ربهما عنها ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (22) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ الأعراف ـ الآيتان 22 ـ 23، ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ الأنبياء ـ الآية 83، وكذا موسى الذي ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ الأعراف ـ الآية 151، ثم سائر عباده المؤمنين ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ المؤمنون ـ الآية 109، والرحمة هنا معناها أن يسددهم ويوفقهم في الأقوال والأفعال، وكانت نتيجة ذلك أن أضافهم إليه إضافة تشريف في قوله: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ الفرقان ـ الآية 63. وإذا تمعنا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ الأعراف ـ الآية 56 ألفينا رحمة الله مرصودة للمحسنين الذين يتبعون أوامره ويتركون زواجره، وقد قال قريب؛ لأنها مضافة إلى الله، وقيل: لأن الرحمة مصدر، وحق المصدر التذكير، ونظيرها من الآيات قوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ فاطر ـ الآية 2. وقيل: إن الرحمة هنا إرسال الرسل، وقال بعضهم: الدعاء، وقال آخرون: التوبة والهدى والتوفيق، كما قال بعضهم: إنها تعني الرزق والمطر، وقال غيرهم: هي شاملة لكل أنواع الرحمة ومظاهرها بحكم أنها وردت نكرة، فهي مبهمة لاتساع معناها، وعليه

فإن الرحمة تحمل أكثر من مدلول؛ فتارة يقصد بها الجنة كالذي جاء في قوله: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ آل عمران ـ الآية 107، وتارة تدل على الإسلام والإيمان مثل قوله: ﴿ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ التوبة ـ الآية 99، وتارة تعني القرآن لقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ الجاثية ـ الآية 20، وتارة أخرى النبوة مثل قوله: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ الزخرف ـ الآية 32، وقد تعني الرسول: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ التوبة ـ الآية 61، كما قد تعني الأجر الذي ورد في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الحديد ـ الآية 28، والمودة في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾الحديد ـ الآية 27، والعافية التي وردت في قوله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ هود ـ الآية 58، والنعمة التي جاءت في قوله: ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ﴾ الروم ـ الآية 36... ولأنها تضم أكثر من معنى، فهي تذكر وتؤنث، وتجيء معرفة ونكرة، وتكون اسما وفعلا، يقول تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ المؤمنون ـ الآية 118.

والرحمة ضد العذاب والضر لقوله تعالى: ﴿ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ﴾ الإسراء ـ الآية 54، وقوله: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ الزمر ـ الآية 38، وهي ضد الشدة والسوء لقوله: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ الفتح ـ الآية 29، وقوله: ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾ الأحزاب ـ الآية 17، وضد الفظاظة والغلظة لقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ آل عمران ـ الآية 159، وهي ـ أي الرحمة ـ ند للمغفرة؛ لأنهما يشتركان في الجوهر؛ إذ في حال إذا ما غفر الله لعباده فمعناه أنه رحمهم، وليس العكس صحيح، لأن رحمته كما أسلفنا تعم المؤمن والكافر منهم في الدنيا، وتختص بالمؤمن دون غيره في الآخرة وكذلك الأمر بالنسبة إلى المغفرة التي تخصه فقط، فهي تشمله في الدنيا نتيجة توبته وإنابته إلى الله كما تشمله في الآخرة، أما الكافر فيرحمه الله في الدنيا ولا يترل به العذاب وإنما يؤخره لمن لم يتب، وبالتالي فقد رحمه في الدنيا ولم يغفر له في الآخرة ﴿ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ البقرة ـ الآية 105.

المغفرة:

ورد لفظ المغفرة في القرآن الكريم مقترنا بلفظ الرحمة خمسين وثمانين مرة بصيغ متنوعة من مجموع مئتين وأربع وثلاثين مرة، وهو ليس بالعدد الهين، وإنما له دلالاته، فإذا جئنا إلى لفظ الغفر وجدناه يعني إلباس المرء ما يصونه عن الدنس. والغفران والمغفرة من الله هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب. وقد يقال: غفر له إذا تجافى عنه في الظاهر وإن لم يتجاف عنه في الباطن، نحو: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ الجاثية - الآية 14، لذلك ندب الله إلى الصفح والعفو لعلمه بأحوال عباده، ثم إنه بجلاله وقدرته عفوعن كل ظلم قولي أو فعلي، فأحرى بعباده أن يعفوا، ويصفحوا، ويغفروا حتى يشملهم عفوه وصفحه ومغفرته يقول تعالى: ﴿ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ التغابن - الآية 14، ويقول: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ الشورى - الآية 43.

والغافر والغفور والغفّار كلها جاءت في وصف الله نحو﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾غافر - الآية 3، فهذه الآية دالة على أنّ مغفرته لعباده سابقة لذنوبهم لذلك قال: ﴿ سَابِقُوٓا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ الحديد - الآية 21، وقال: ﴿ وَسَارِعُوٓا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ آل عمران - الآية 133، ومع أنه أمر العبد بالمسارعة والاستباق إلى الاستغفار، إلا أنه من رحمته أمهله حيث قال: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ النساء - الآية 110، فـ"ثم" هذه التي سبقت الاستغفار تفيد ترتيب مجيء المعطوف بتراخ بعد المعطوف عليه؛ أي تأخر ما بعده عما قبله، مما يعني أن هناك فسحة من الوقت أعطاها الله عباده كي يتوبوا ويستغفروه، في حين أن الفاء التي جاءت في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ القصص - الآية 16، تفيد ترتيب مجيء المعطوف عقب المعطوف عليه؛ إذ بمجرد ما لجأ العبد إلى ربه، وطلب عفوه طمعا في مغفرته، أعقب استغفاره بمغفرة؛ لأن سؤال المغفرة جاء امتثالا لأمر الغفور الذي وعد ووعده حق، فقال: ﴿ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة - الآية 268، وقال: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الحجر - الآية 49، والغفور هو الساتر لذنوب عباده المؤمنين في الدنيا والآخرة فلا يفضحهم بها بل يحطها وخطاياهم، ويبدلها حسنات، تكرما منه ورحمة ، وقد قال مؤكدا على أنه كذلك: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ طه - الآية 82، وقال: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ نوح - الآية 10. والغفار هو الواسع المغفرة الذي يغفر الذنوب جميعها مهما كثرت وعظمت إلا أن يشرك به فهو القائل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ النساء - الآية 116، وكل هذا بفضله ورحمته.

والاستغفار طلب المغفرة بالمقال والفعال؛ أي بالرجوع عن الذنب، والتوبة النصوح والأعمال الصالحة، وقوله: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ البقرة - الآية 199 يشير إلى أنهم لم يؤمروا بأن يسألوه ذلك باللسان فقط بل باللسان وبالفعال، وقد جعل أنبياءه ورسله والصالحين من عباده المؤمنين قدوة في استغفارهم لأنفسهم أو لغيرهم؛ فهذا الخليل إبراهيم - عليه السلام - قال: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ إبراهيم - الآية 41، وهذا سليمان ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ ص - الآية 35، وكذلك ﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ ص - الآية 24، ونوح - عليه السلام - عندما قال: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴾ نوح - الآية 28، ثم سائر المؤمنين ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ آل عمران - الآية 16. وهذه الآيات كلها وغيرها كثير يجمعها قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ النساء - الآية 64.

ولئن كان هؤلاء الرسل وغيرهم طلبوا المغفرة والرحمة لأنفسهم ولمن تبعهم من المؤمنين، فإن طلبهم هذا واستغفارهم لم يتعد إلى أقوامهم جميعها بما فيهم أهليهم بل تركوا طلب المغفرة من الله للكفار على وجه التسليم لأمره والتفويض لحكمه؛ لأنهم يعلمون أنه - عزّ وجلّ - قال القول الفصل والكلمة الحق، فلا يغفر لمن كفر وأشرك به - سبحانه وتعالى -.

وقد يقول القائل لقد استغفر إبراهيم لأبيه فـ: ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾ مريم - الآية 47، ويأتيه الرّد صريحا ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾التوبة - الآية 114. ومثلما أحب الله عباده التوابين والمتطهرين والمحسنين والمتقين والمتوكلين، أحب كذلك وقوف عباده المستغفرين بين يديه؛ إذ في وقوفهم خشية وخوف يتبعهما طمأنينة وسكينة بدتا في قبول الله توبتهم ورحمته بهم، يقول تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ الأنفال - الآية 33. كما بدت في تشريفهم بأن جعل حملة عرش الرحمن﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ غافر - الآية 7، بل زادهم تشريفا بإضافتهم إليه إضافة تشريف فقال: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الحجر - الآية 49، وأي تشريف أشرف من هذا؟! وأي قرب من الله وتواصل أحنى من الاستغفار؟! وهذا الرسول - صلى الله عليه وسلم - ظل ملازما له شاكرا لأنعم الله عليه، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يقول الله تعالى: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا

﴿مُّسْتَقِيمًا﴾ الفتح ـ الآية 2؛ لذلك دلّ الاستغفار على الصلاة والجهاد والتثبت في القتال مثلما دل على الإخلاص والتوبة وأداء الفرائض[1]..

فهذه الوجوه وغيرها من أهم مقومات قبول الرسالة، وتأدية ما جاء فيها، أو هي ما يعرف بمفتاح الجنة الذي تجلّى في لا إله إلا اللهْ. وكانت أسنانه: العلم واليقين، والقبول والانقياد، والصدق والمحبة والإخلاص، فإذا ما أطيعت أوامر الله، وأقيمت حدوده، وسارت بتدريج بليغ، فانتقلت من درجة إلى أخرى، تحققت أهداف التواصل على أرفع مستوى، وارتقت في نهاية الأمر إلى رضوان الله؛ وبتعبير آخر فإن عباد الله إذا استوهبوا الله ما يقيهم النار، وسألوه الهدى والرشاد، وساروا على الطريق المستقيم، كما أمرهم بالتفقه في الدين والعلم والتفكر والتدبر، وأيقنوا بعقولهم وقلوبهم، فهذا يعني أنهم توكلوا عليه، وأنابوا إليه، وتابوا، ورجعوا متطهرين مستغفرين متضرعين، وهم بهذا يسلمون لله فيرتقون إلى الإيمان، إن اتقوه وخشوه، وفي هذا حذر وانتهاء، وكل هذه تجعلهم من الشاكرين، المفلحين، الفائزين الذين بشرهم ربهم بالحسنى، رحمة منه تعالى ورضوانا.

كما أن هذه الوجوه تمثل في جوهرها هيئة للنفس المطمئنة، وهي وجوه ثابتة فيها؛ أي في النفس، وعنها تصدر الأفعال مقترنة أولا وأخيرا بالقصد أو النية، التي أكد عليها الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قوله: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى».[2] على أن هذه المقاصد غير مخصوصة بالنفس المطمئنة وحدها، وإنما هي عامة أحاطت بها كما بالنفس الأمارة بالسوء. ولعل عنايتها بهذه الأخيرة أشد؛ لأن النفس المطمئنة، وإن كانت بحاجة ملّحة إلى مضاعفة إسلامها وإيمانها وهداها وتقواها، فإن مقدار حاجتها لن يكون بالحدة والدرجة نفسهما التي نجدها عند النفس الأمارة بالسوء أو غير المطمئنة؛ فهي مدعوة إلى التغيير؛ ذلك أن «الله تعالى خلق الأشياء على ضربين: أحدهما بالفعل، ولم يجعل للعبد فيه عملا كالسماء والأرض والهيئة والشكل، والثاني خلقه خلقة ما، وجعل فيه قوة، ورشح الإنسان لإكماله وتغيير حاله... ولولم يكن كذلك لبطلت فائدة المواعظ والوصايا والوعد والوعيد والأمر والنهي»،[3] وما كانت

---

(1) للاستزادة ينظر الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن ابن منظور: لسان العرب، ابن فارس: مقاييس اللغة، وينظر أيضا محسن آل عصفور: القاموس الوجيز لمعاني كلمات القرآن الكريم، مادة رحم ومادة غفر.

(2) البخاري:صحيح البخاري، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله.

(3) الراغب الأصفهاني: الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحق/ أبواليزيد العجمي ـ دار الوفاء ـ مصر 1987 ص116 نقلا عن محمد عابد الجابري: العقل العربي الأخلاقي ـ دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية ـ سلسلة نقد العقل العربي 4، مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ـ لبنان ط 2، 2006 ص ص 36 ـ 37

هذه المقاصد لتصل إلى العباد لولا الطريقة المتميزة في التوصيل، إذا القرآن يوصل المقاصد كما الحقيقة توصيلا متميزا متفردا.

جماليات التواصل:

إنه لتحديد الوظيفة الجمالية في بلاغ كالقرآن الكريم كان لا بد لنا من تحديد درجته الجمالية، انطلاقا من المستوى الصوتي، فالمعجمي، فالتركيبي، فالدلالي، وبتضافر معطيات كل الوظائف بجميع عناصرها، وهي لازمة لكي يتسنى منح الخطاب دلالته الكاملة، التي فصّلها الله ـ جلّ جلّاله ـ فقال: (مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ولَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وهُدًى ورَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يوسف ـ الآية 111، وقد فصلنا المسألة في فصول سابقة.

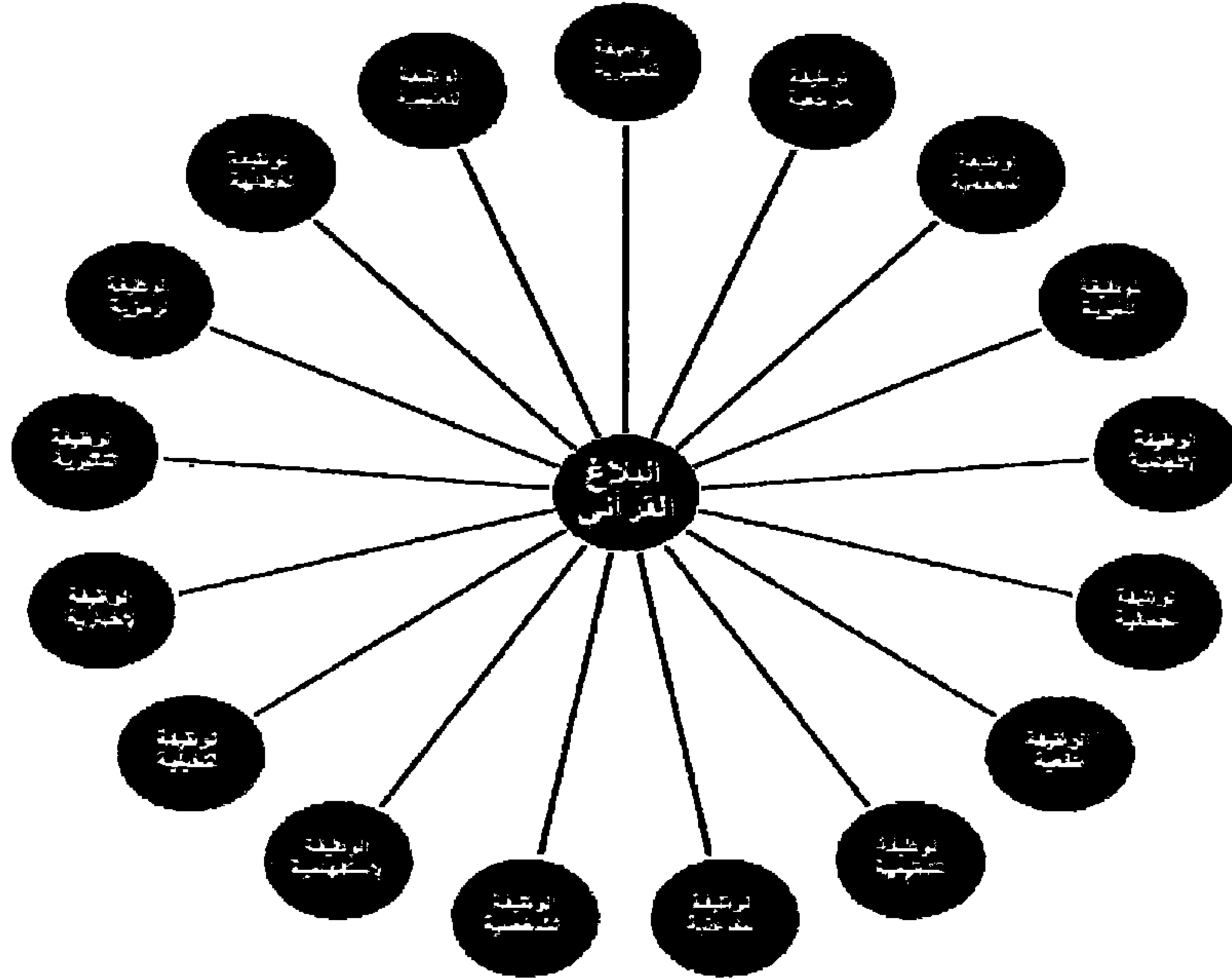
وكنا قد تناولنا وظائف اللغة عند ياكبسون، الذي ارتأى أن للغة ستة عناصر، وهي: المرسل، والرسالة، والمرسل إليه، والقناة، والمرجع، واللغة. ولكل عنصر وظيفة خاصة، فالمرسل وظيفته انفعالية تعبيرية، والمرسل إليه وظيفته تأثيرية وانتباهية، والقناة وظيفتها حفاظية، والمرجع وظيفته مرجعية أو موضوعية، واللغة أو السنن وظيفتها(ه) لغوية أو وصفية. والرسالة وظيفتها جمالية من خلال إسقاط محور الاستبدال على محور التركيب. يقول تمام حسان: «والوظيفة من وجهة نظر الرسالة الصادرة عن المرسل إلى المستقبل... هي وظيفة جمالية، إذ هنا يأتي الأسلوب وطريقة التبليغ وإرادة التأثير».[1] كما تناولناها عند هاليدي، وتبيّنا أنها متراوحة بين وظيفة نفعية ووظيفة تنظيمية، وبين وظيفة تفاعلية وأخرى شخصية، وبين وظيفة استفهامية ووظيفة تخيلية وأخرى إخبارية، وبين وظيفة تأثيرية ورمزية، ووجدناها عند غيرهما خطابية وتعليمية وسلطوية...

ويأتي التواصل ليؤكّد أن البلاغ القرآني خطاب فوق كلّ هذه الوظائف وغيرها، بما في ذلك الوظيفة الجمالية، وإن تفوقت على بقية الوظائف الإبلاغية في اللغة، وتولدت عن البلاغ الذي هُو غاية في حد ذاته، وكانت دائمة الحضور بالدرجة الأولى، وثابتة بشكل أساسي، حتى لو تعلق الأمر بطابع البلاغ التشريعي الصريح؛ مما يعني أنها ستظل قاصرة عن إدراك مستواه الفني المكين. غير أنه لا يجوز لنا أن نفهم الوظيفة الجمالية على أنها مجرد صنعة، انتظمت فيها عناصر الخطاب من أجلّ أن يكون صناعة وحسب، ولكنها صنعة هادفة إلى توصيل البلاغ بكل مقاصده ومعانيه، لكونه ـ أي البلاغ ـ لا يمضي من وظيفة إلى أخرى؛ مثلما هُو حال الدارس الذي تضطره المقاربة إلى تقديم وظيفة على أخرى حسب ما يقتضيه النص البشري، أو مثلما هُو حال النص البشري ذاته الذي ينتقل من صورة إلى أخرى ومن وظيفة إلى أخرى، وإن بدا لنا أن الكلام ينتقل «من حقيقته الأولى المدلولية المحضة إلى صورته الدلالية مرورا بصورته البيانية، كما

---

(1) تمام حسان: الأصول، دار الثقافة، ط 1 ـ 1981 ص 388.

يفسرها علم البيان، إلى صورته التركيبية، كما ينظمها علم المعاني، ثم الارتقاء بها إلى خصائصها الجمالية في المستوى الإفرادي والتركيبي كما تقتضيها المحسنات اللفظية والمعنوية... لترتقي بالإعجاز إلى نظرة توليدية، يمتد فيها المعنى من ذات المتكلم إلى المخاطب بدون بداية ولا نهاية»،[1] ولكن البلاغ القرآني تتمظهر فيه كل الوظائف ـ في آن معا ـ كما يوضحها المخطط التالي:



إن هذا التصور يوضح أن الكلام وظيفة مكتسبة ـ بحكم أن التواصل مفهوم مكتسب وصامد ـ[2] وهي وظيفة تستلزم الوظيفة التعبيرية كما الوظيفة التأثيرية، اللتان تستلزمان بدورهما الوظيفة المرجعية، التي يلعب فيها السياق (الذي تتم فيه عملية التلفظ) دورا حاسما في تحديد المعنى الكلي للملفوظ الأمر الذي يستلزم الوظيفة الحفاظية وبطبيعة الحال الوظيفة اللغوية... وغيرها من الوظائف، وكل هذه الوظائف متضمنة في الوظيفة الجمالية، التي تعنى باكتشاف ما يقوله البلاغ، ثم كيف يقول، ومن ثمة فهي ـ أي الوظيفة الجمالية ـ مكاشفة عقلية صريحة في مادة البلاغ عن صناعة متفردة متأصلة، فيها من الخصوصيات النوعية ما يجعل منها قرآنية تواصلية؛ لأنّ البلاغ وحي يوصًف قيما نظمت بشكل هرمي، قاعدته الجمال

(1) محمد صغير بناني: البلاغة العربية وأصولها النظرية ـ دراسة تحليلية للمبادئ اللسانية والبلاغية والعقيدية التي قامت عليها منذ نشأتها إلى بداية القرن السابع الهجري ـ ص ص 524 ـ 525.

(2) محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي: اللغة ـ سلسلة دفاتر فلسفية ـ رقم 5 ص 7 .

والثبات والتمام والكمال من جهة، كما نسجت في سلسلة حلقات محكمة تتداخل وتتصاعد لبناتها في بناء مرصوص، وفي حركية متواشجة لترتد إلى الأساس، من جهة أخرى، وبذلك تكون قد أقامت منظومتها على مفهوم الامتلاء الروحي الذي يبدو في مطلق البلاغ ومنتهى روعته، وبالجملة فإن الوظائف جميعها يتوكأ بعضها على بعض، إذ كلما حضر أحدها حضرت بقية الوظائف، وكلّما تشكلت لتكون بلاغا تشكل التواصل معها ونجح، وهُو بهذا يحقق وجودا دائما ومتجددا، الأمر الذي يجعل منه المعطى الرئيسي الذي تشترك فيه كل الوظائف، بعناصرها، وخصائصها النوعية، ومستوياتها التي «تنقل القارئ من السياق اللغوي الإنساني إلى سياق الوحي».(1)

مظاهر التمام والكمال والجمال في البلاغ القرآني:

1. التمام والكمال:

أ- المفهوم:

أرسل الله الرسل بالرسالات، كي يعين ابن آدم المستخلف في الأرض على أداء أشرف ما كلّف به، فلا تتشوه فطرته أو تتعطل، بل عمل على حفظها، بتوجيهها لمعرفته وإخلاص العبادة له وأداء أمانته في الأرض، وفق منهاج رباني متكامل لا يتناقض والنفس الإنسانية، التي ألهمت من ربها الفجور كما التقوى، وعرفهما لها، فبيّن لها ما تأتي، وما تتقي على امتداد مشوارها إلى الدار الآخرة. ومما لا شك فيه أن هذا التكامل في منهاج الله وشرعته أساسه ائتلاف جميع عناصر التواصل؛ أي المبلِّغ بكل خصوصياته ووظائفه، والبلاغ بمختلف خصائصه ومعاييره المجردة التي تصنع فرادته، والمبلَّغ بضوابطه وأنواعه، وما ينطوي تحت هذه المرتكزات من آليات ومراتب ومقاصد يجتمع بعضها إلى بعض، على نحو يبرز إعجازا فنيا يرام من ورائه مقصدا عاما تندرج تحته مقاصد كثيرة، وتنصهر في مفهوم واحد هُو مفهوم الوظيفة الجمالية؛* ذلك أنّ

---

(1) محمد صغير بناني: البلاغة العربية وأصولها النظرية ـ دراسة تحليلية للمبادئ اللسانية والبلاغية والعقيدية التي قامت عليها منذ نشأتها إلى بداية القرن السابع الهجري ـ ص 395.

(*) آثرنا هذا المصطلح دون سواه من المصطلحات من باب الحفاظ على قداسة القرآن الكريم، فمما لا شك فيه أن القرآن بلاغ إلهي معجز يختلف عن الخطابات البشرية كلها، فلا هويدخل ضمن الشعر ولا ضمن النثر، وإنما هوقرآن، كما يذهب إلى ذلك طه حسين، « إذ لا يمكن أن يسمى بغير هذا الاسم، إنه ليس شعرا، وهذا واضح، فهولم يتقيد بقيود الشعر، وليس نثرا؛ لأنه مقيد بقيود خاصة به، لا توجد في غيره، وهي هذه القيود التي يتصل بعضها بأواخر الآيات وبعضها بتلك النغمة الموسيقية الخاصة، فهوليس شعرا ولا نثرا، ولكنه ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ فلسنا نستطيع ان نقول إنه نثر كما نص هوعلى أنه ليس شعرا » من حديث الشعر والنثر، طه حسين، دار المعارف ـ مصر ـ ط 10، 1969 ص 25 لذلك سعينا

منشأ هذه الوظيفة في خطاب كالقرآن هُو التمام والكمال، الذي نجده في ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ المائدة ـ الآية 3، كون التمام اليق بالمحسوسات والكمال اليق بالأشياء المعقولة،[1] لذلك كان كمال الشريعة بإرسال الرسل، ودعوتهم الخلق إلى توحيد الحق، بالإبلاغ وتبيين أحكام الدين وفرائضه. وكان تمامها بالهداية والتوفيق إلى أقوم طريق، من غير نقص ولا زيادة، فلم يترك البلاغ حلالا أو حراما إلا بينه للناس، وأصلح جميع شؤون معاشهم وعلاقاتهم، وأوضح «أصولها وقواعدها وآدابها، ابتداء من علاقات الإنسان بربه، إلى علاقة الإنسان بنفسه، إلى علاقة الإنسان بأسرته، إلى علاقة الإنسان بمجتمعه، إلى علاقة الإنسان بالإنسان»،[2] الشيء الذي جعل الاتصال يتسم بالكفاءة العالية التي «هي ثمرة إحاطة الخالق بالأبعاد الاجتماعية والسيكولوجية للموقف الاتصالي، وقدرته المعجزة على إدارة مفاتيح الاتصال».[3] وعليه فإن شريعة الله سواء اختصت بالشعائر والعبادات، أو بالحلال والحرام، أو بالتصور والاعتقاد أو غيرها من التنظيمات والأحكام التفصيلية والضوابط والتوجيهات والمبادئ الكلية...فإنها تمثل كلا متكاملا لا يتجزأ.

من المعروف أنّ الكمال هُو ما يكمل به النوع في ذاته أو في صفاته، والأول؛ أعني ما يكمل به النوع في ذاته، وهُو الأول لتقدمه على النوع، والثاني أعني ما يكمل به النوع في صفاته، وهُو ما يتبع النوع من العوارض، وهُو الكمال الثاني لتأخره عن النوع،[4] والكمال عند كثير من النقاد والدارسين والمبدعين سر

إلى إبراز ما تحمله لفظة جمالية من معان ومعايير متصلة بالوظيفة حتى تتضح الدوافع التي جعلتنا نرجح مصطلح الوظيفة الجمالية على مصطلح الوظيفة الشعرية التي جاء بها ياكبسون عندما تحدث عن نظرية الاتصال ووظائفها الست، غير أن هذا الترجيح لا يعني أن مصطلح الجمالية صار حكرا على القرآن وحده أوأنه يغني عن الوظائف الأخرى بل سيظل قاصرا إذا نظرنا إليه من زاوية عظمة القرآن الكريم أما إذا نظرنا إليه من زاوية المناسبة والمفاضلة فهوأليق.

(1) ينظر التوحيدي: إحياء علوم الدين ج 3 ص 136 .

(2) إحسان إحسان عسكر عسكر: وظائف التبليغ القرآني ص 51 .

(3) إحسان عسكر: وظائف التبليغ القرآني ص 209.

(4) ينظر الجرجاني (أبوالحسن علي بن محمد بن علي الحسيني): التعريفات ، وضع حواشيه وفهارسه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط 2 ـ 2003 ص 187.

الجمال ومظهر الجلّال والحسن، أو هُو مادتهما أو إكسيرهما أو ماهيتهما،[1] كما يحمل الكمال مفهوم النُبوة التي تُبشّر بالمبادئ والمثل،[2] لهذا قال بعضهم: كمال الشيء هُو حصول ما فيه الغرض منه.[3]

ب- الأنواع:

وإذا كان ابن الدباغ يرى أنّه «سرٌ في وجود الجمال»،[4] ويعرّفه بقوله: «الكمال معناه حضور جميع الصفات المحمودة للشيء».[5] فإنه يقسّمه إلى قسمين: ظاهر وباطن. فأما الكمال الظاهر ففيه يكون «اجتماع محاسن صفات الأجسام اللائقة بها، وهُو يختلف باختلاف الذوات، فكمال كل شيء بحسب ما يليق به»،[6] وهذا يدل على أنّ الكمال درجات توحي بأنّ لكل إنسان نصيب من الكمال، وبخاصة وأنه خلق ﴿فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾التين ـ الآية 4، فمتى ما وصل إلى درجة ما، ارتقى إلى أخرى، إلى أن يصير في الدرجة التي هُو أهل لها، ويكون هذا بمقدار تحقيقه لوظيفته التي خُلق لأجلّها، وهي: العبوديّة والاستخلاف وعمارة الأرض.

وأما الكمال الباطن فـ «هُو اجتماع الصفات الفاضلة في الإنسان، على اعتدالها وتطبّعه بها»،[7] أو هُو ما يعرف بجمال الروح، وتأديب النفس، وتهذيب الأخلاق، وتزكية النفوس، وامتلاك الصفات الفاضلة والسجايا الحميدة التي تسمو بجوهر الإنسان وتصقله.

ج- صور من التمام والكمال في البلاغ القرآني:

يعكس الثابت في القرآن الكريم صورة من صور الكمال والتمام المفضية إلى الجمال بنوعيه الحسي والروحي وبالعكس، لكون «الثابت هُو الكمال المستوفي شروط بنيته الجمالية»؛[8] أو هُو الجمال المستوفي شروط الكمال والتمام، على اعتبار أن الجمال هُو مجموع السمات والخصائص التي يحملها هذا البلاغ القرآني، ويتفرد بها نسجه عن غيره من التعابير، بحيث يكون قادرا على إثارة انفعالات المتلقين وعواطفهم، على تباينهم، وقادرا على تقييم سلوكهم وتقويم أفعالهم، فيحقق لديهم أريحية ولذة، وهذه السمات تتحدد

(1) ينظر عبد القادر فيدوح: الجمالية في الفكر العربي ـ دراسة ـ ص 93 .

(2) وضحى يونس: القضايا النقدية في النثر الصوفي حتى القرن السابع الهجري ـ دراسة ـ منشورات إتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ، 2006 ص 91 .

(3) الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن الكريم مادة (كمل).

(4) ابن الدباغ: مشارق أنوار القلوب، ص 39.

(5) ابن الدباغ: مشارق أنوار القلوب، ص 39.

(6) ابن الدباغ: مشارق أنوار القلوب، ص 41.

(7) ابن الدباغ: مشارق أنوار القلوب، ص 41.

(8) منير الحافظ: المعيار الجمالي في فن اللامعقول ـ دراسة ـ ص 37 .

في مدى نجاعة البلاغ في الإقناع، بما لا يخالف فطرته السليمة بحقائق تؤكّد صحة ما جاء به، كما تتحدد في صياغته نظما بديعا بمختلف المكونات، مثل الألفاظ والتراكيب، والصور والرموز والإيحاءات، وكذا الأصوات والإيقاعات، ذلك أنّ حسن استخدام هذه القيم الجمالية يجعله أكثر إبلاغا وقدرة على تمثل القيم البيانية، دون غيره من الخطابات البشرية، حيث «تهدف الفعالية التواصلية في حال نجاحها إلى ضمان اعتراف متبادل ـ تساوق ـ بين المتحدثين حول صحة ما يعربون عنه من صلاحية الإدعاءات المتضمنة في أقوالهم، وخصوصا مدى حقيقتها ومطابقتها مع الواقع أو مع معايير مقبولة عموما، وأخيرا حول واقعية النوايا المتبادلة»،[1] فالذي يتمعن في القرآن يلمس ثابتا بنيويا على مستوى الآيات التي تدور على قضية واحدة، وإن وجدت في مواطن متفرقة من المصحف، وتهدف إلى غاية واحدة،[2] ذات منهاج رباني ثابت، متكامل، متناسق أفضى إلى ثابت إعجازي من حيث جودة المعنى المحكم، واللفظ البليغ، والوصف، والنظم، وخلوه من الاضطراب والاختلاف والتعارض... وقد أفصح الله عن هذا الإعجاز عندما قال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ النساء ـ الآية 82.

ويمثل الكمال من جهة أخرى، جملة القيم الجمالية العليا، الساكنة بإيهاب في محتوى الوجود المتكامل، ضمن المشروطية الكونية التي تشكل "الوحدة الصرفة"،[3] ذلك أنّ «قارئ القرآن أو سامعه ـ ما دام فيه حتى يفرغ منه ـ لا يرى غير صورة واحدة من الكمال، وإن اختلفت أجزاؤها في جهات التركيب، ومواضع التأليف، وألوان التصوير، وأغراض الكلام، فلا يجد فيه خللا ولا تفاوتا، مهما تعددت وجوه تصرفه، من قصص وعظات، وأخبار وجدل، وحكم وأحكام، وإعذار وإنذار، ووعد ووعيد... إلى غير ذلك من مختلف الأغراض، فكلها على درجة واحدة من الكمال والجلال».[4] وبهذا يكشف البلاغ عن كفاءة تواصلية جلّيلة من جانب صاحب البلاغ (الله ـ عزّ وجلّ ـ)، ثم من جانب متلقيه ومبلّغه الأول (الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ) الذي يمثل منتهى الكمال الإنساني لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ الأحزاب ـ الآية 21؛ ففي فعله وأخلاقه وسلوكه النموذج المثالي للإنسان الكامل، والمسلم يحاول قدر طاقته أن يقترب من هذا المثال القدوة، وأن يُحصِّل شيئًا من الكمال، ويتم هذا بالتأسي به، لتتولى النسبية بعد ذلك زمام التحكم في مقدار هذه الكفاءة

---

(1) Habermas. J: Significations de la pragmatique universelle (1987) in LGSS p 331

(2) ينظر محمد مفتاح: دينامية النص ـ تنظير وإنجاز ـ المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ـ المغرب ط 2، 1990 ص 192 .

(3) ينظر منير الحافظ: المعيار الجمالي في فن اللامعقول ـ دراسة ـ ص 37 .

(4) صلاح الدين عبد التواب: الصورة الأدبية في القرآن الكريم ص ص 212 ـ 213 .

المقيدة، التي تختص بكل الناس على اختلاف مراتبهم وتباين مستوياتهم، وبالتالي فهذه الكفاءات هي نتاج الكمال المطلق لله وحده الذي أحاط بكل شيء علما.

وبالموازاة نجد التمام تابعا للكمال من جهة العمل الذي تتوضح أطره من خلال قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة ـ الآية 124؛ أي قام بكلمات من الأوامر والتكاليف الربانية وأداهن وفاء وقضاء. والتمام نفسه نجده في قوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ الأنعام ـ الآية 115، لقد تمت كلمة الله سبحانه، صدقا فيما قال وقرر، وعدلا فيما شرع وحكم، فلم يبق بعد ذلك قول لقائل في عقيدة أو تصور أو أصل أو مبدأ أو قيمة أو ميزان أو شريعة أو حكم أو عادة أو تقليد، إذن هُو حكم الله الذي لا معقب لحكمه.[1]

2. الجمال:

أ- المفهوم:

ولا تبتعد الجمالية كثيرا عن هذا المفهوم الذي اكتسى به الكمال، فالجمال عند السهروردي مقترن بالكمال، إذ يقول: «جمال كل شيء هُو حصول كماله اللائق به»،[2] ذلك أن الفن في كل مرحلة من مراحله يكون في درجة من الجمال، وهُو إذا بلغ الذروة من كمال الفن، بلغ القمة من تمام الجمال.[3] والجمال لغة حسن ووسامة وملاحة ... أو هُو ما يثير فينا إحساسا بالانتظام والتناغم والكمال... وهُو إحساس داخلي يتولد فينا عند رؤية أثر تتلاقى فيه عناصر متعددة، ومتنوعة، ومختلفة باختلاف الأذواق.[4] ولعلّ أفضل ما وصلنا من تعاريف تعريف ابن الدباغ الذي أعطاه حقه من الدراسة عندما فصل فيه وجعل الجمال والكمال مخصوصين بالله ـ عز وجلّ ـ فكماله وجماله المطلقين لا يشبهان كمال أو جمال أي شيء من مخلوقاته؛ لأنهما قائمان بذاته لا بمعانٍ وصفاتٍ يستمدّها من غيره، فهما موجودان في الله الواجب الوجود بشكل سرمدي ومطلق؛ لأنه خالق الجمال والكمال وكل شيء، وموجودان في الوجود وفي كل موجود بما في ذلك الإنسان والقرآن. وقد تضمن الجمال مفهوما إدراكيا عند جان كوهن، حين لم يعتبره معطى موضوعيا مستقلا عن الذات المدركة، ولكنه معطى كامن في الشعور، أو في قدرته على إيقاظ الشعور

(1) ينظر سيد قطب: في ظلال القرآن م3 ج 8 ص 1195.

(2) السهروردي: اللمحات، تحق/ إميل معلوف، دار النهار 1969 ص 131 .

(3) جبور عبد النور: المعجم الأدبي ص 86.

(4) جبور عبد النور: المعجم الأدبي ص 85.

بالجمال، ذلك أنّه لا قيمة عنده لأي شكل إلا في الإحساس به،[1] وبخاصة وأنّ علم الجمال في الأساس يبحث في الإبداع، وكذا في المبادئ التي يقوم عليها الفن والجمال، ويدرس طبيعة الشعور بالجمال، وهذا باقتفاء أفكار الناس ومشاعرهم ومواقفهم حينما يرون شيئًا جميلاً أو يسمعونه، وهُو ما يسمح باستقصاء كيفية تأثير الإبداع الفني في أمزجة الناس ومعتقداتهم وقيَمِهم؛ أي يحاول فَهْم علاقة الإبداع الفني بأحاسيس الناس. الأمر الذي نحا ببعض الدارسين إلى تعريف الجمال بأنه ذلك الشيء الذي يتسم بالتناسق والانسجام والتوافق والنظام، بحيث ينم عن معنى ويكون له مغزى،[2] ومن ثمة فإن الجمال في الإبداع عامة كامن في ذاته.

ب- **الأنواع:**

يكتسي الجمال عند الأصفهاني بعدا تكامليا شموليا، خاصة عندما عمد إلى ضبط المفهوم وتحديد أنواعه؛ إذ الجمال من منظوره يعني الحسن الكثير، وذلك ضربان أحدهما جمال يخص الإنسان في نفسه أو بدنه أو فعله. والثاني ما يتوصل منه إلى غيره، وعلى هذا الوجه ما روي عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «إن الله جميل يحب الجمال»،[3] ويدخل فيه بطريق العموم الجمال من كل شيء، تنبيها أنّه منه تفيض الخيرات الكثيرة، فيحب من يختص لذلك. ولعل هذا المفهوم هُو الذي حذا بعدد من الفلاسفة إلى القول: إن الجمال هُو انعكاس ظل الخالق على المخلوقات، وبالتالي فهُو يجيء على صيغة فعيل وفعال، جميل وجمال، للدلالة على الكثرة والمبالغة. ويقال للكلام الذي لم يبين: مجمل.

ومثلما قسم ابن الدباغ الكمال إلى ظاهر وباطن، فقد قسم الجمال إلى مطلق ومقيد، يقول: «وأما المطلق، فهُو الذي يستحقه الحق تعالى، وينفرد به دون خلقه، فلا يشاركه فيه مخلوق، وهذا هُو الجمال الإلهي جلّ عن تمثيل وتكييف وتشبيه أو وصف حقيقة»،[4] وأما الجمال المقيد، فينقسم إلى قسمين: كلي وجزئي. فأما الأول؛ أي الجمال المقيد الكلي فهُو عبارة عن نور قدسي فائض من جمال الحضرة الإلهية، سرى في سائر الموجودات، علواً وسفلاً، باطناً وظاهراً، ولا يدركه على الحقيقة إلا من كانت ذاته كلية.[5] وأما الثاني؛ أي الجمال المقيد الجزئي، فنور علوي يسنح للنفس الإنسانية عند إدراك الصور الجميلة بأن تبتهج به،

---

(1) جان كوهن: بنية اللغة الشعرية ص 19.

(2) عبد المنعم تليمة: مداخل إلى علم الجمال، منشورات عين المقالات ـ الدار البيضاء ـ ط2،1987 ص23.

(3) مسلم: صحيح مسلم، ج 1 ص 93 كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر.

(4) ابن الدباغ: مشارق أنوار القلوب، ص42.

(5) المصدر نفسه ص 43.

فتسعد بذلك الابتهاج لقبول إشراق نور من عالم الأنوار المقدسة،[1] فانعكاس هذا النور العلوي داخل النفس الإنسانية، وإشراقه عليها، يعمل على تحريك الجمال الكلي القدسي، بحسب المشيئة الإلهية ورحمته.

ج- صور من الجمال في البلاغ القرآني:

وقد تفرد القرآن الكريم في ضبط الجمالية من خلال لفظتي: الجميل والجمال، ومن خلال القرآن الكريم كله، الذي يمثل نصا جماليا، فأظهر أن الجميل وصف لأمر معنوي معقول كقوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ المزمل - الآية 10 ، وأن الجمال سعادة نفسية شعورية كقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ النحل - الآية 6، ومن هنا حدد العلماء الجمال، وقالوا: إنه يكون في الصورة وتركيب الخلقة، ويكون في الأخلاق الباطنة، ويكون في الأفعال؛ فأما جمال الخلقة فهُو أمر يدركه البصير، ويلقيه إلى القلب متلائما فتتعلق به النفس، من غير معرفة بوجه ذلك ولا نسبته لأحد من البشر، أما جمال الأخلاق فكونها على الصفات المحمودة من العلم، والحكمة، والعدل، والعفة، وكظم الغيظ، وإرادة الخير لكل واحد، وأما جمال الأفعال فهُو وجودها ملائمة لمصالح الخلق، وقاضية لجلب المنافع فيهم، وصرف الشر عنهم،[2] وقد قال ابن عباس - رضي الله عنهما - حجب الذات بالصفات، وحجب الصفات بالأفعال، فما ظنك بجمال حُجِبَ بأوصاف الكمال وستر بنعوت العظمة والجلال؟![3]

ومن هنا حق لنا أن نتساءل: أيهما متضمن في الآخر؟ هل الجمال متضمن في الكمال والتمام أم أن الكمال والتمام متضمنان في الجمال؟ ولماذا تتعدد الجماليات في خطاب كالقرآن الكريم ؟ وهل هناك كمال واحد أم هناك كمالات أيضا مثلما هناك جماليات ؟

إنّ الجمالية في القرآن كلّية، تتولد عنها جماليات فرعية كثيرة، تعود إلى المستويات التالية: المستوى الصوتي، والمستوى المعجمي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي، أي إلى حروفه وألفاظه ونظمه ومعانيه وقضاياه. ثم إنّ كل هذه الجماليات الفرعية المشكلة للبلاغ يجتمع بعضها إلى بعض، على نحو يبرز كماله الثابت، والموثوق منه، الذي يعمل على إبلاغ بلاغ الله للناس كافة، ومنه إلى طاعته وعبادته والإخلاص له وحده، بالخصوص وأنه خلومن النقائص والعيوب، ولا يتعارض مع فطرة الإنسان وسنن الكون، مما يعني أنه جاء بكمالات جزئية يصدق بعضها بعضا، إن على مستوى القضايا الغزيرة والموضوعات ذات الهدف الواحد، أو على مستوى مظاهر تعبيره، أو على مستوى الإقناع والتأثير واللذة، «ومن ثمة يكون الكمال هنا في ثباته مع صفات الجمال بمثابة القيمة الجوهرية لمعنى كمالات الوجود التي تعكس صفات ذات الحق، ومن

---

(1) المصدر نفسه ص44.

(2) القرطبي (أبوعبد الله): الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي - م 5 ج 14 ص 427.

(3) ابن قيم الجوزية: الفوائد، تحق/ محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي - بيروت - ط9، 2003 ص260 .

هنا، أيضا، تكون العلاقة بين صفتي الجمال والكمال هي علاقة انصهار جامعة لكل مظاهر الألوهية، والكونية والإنسانية في ارتباط كلي بانعكاس الصفات».(1)

وعلى هذا الأساس فإن جمالية القرآن هي جمالية الكمال والثبات والتمام؛ لأن غاية القرآن أن يدل على كمال الله المطلق وكمال الإنسان النسبي، الذي أكثر ما يتجلى في عبادة الله عبادة تامة كاملة، تدل على ثباته على دين الحق؛ أي أن الكمال هُو محور لقيمه الجمالية وجوهر لها،(2) وهذا يدل على أن الكمال والتمام مرتبطان بالجمال.

وإن كان كل كامل تام وجميل، فليس كل جميل كامل وتام بالضرورة، ولكن يظل كل من الكمال والتمام والجمال متعالق بعضها بعضا تعالقا نسبيا، فإن وجد الكمال وجد الجمال، وإن عدِم الكمال عدِم الجمال، فالكمال مُظهر للجمال ومستدعٍ لوجوده، ولذلك كانت النفس تحب الكمال؛ لأن الجمال لا يوجد إلا مقارناً له،(3) وإن وجد التمام، الذي هُو انتهاء البلاغ في كماله الكلي وجماله المطلق إلى حد لا يحتاج إلى شيء خارج عنه، وجد الجمال. ولعلنا ندرك علاقة الجمال بالكمال بشيء من الدقة حينما نتساءل عن الدور الذي ينبغي أن يؤديه البلاغ القرآني بكمالاته وجمالياته ليحقق الكمال الإنساني وجمالياته؟

ولنتخذ لنا مثلا على ذلك يقول تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ التوبة ـ الآية 112، فهذه الآية فيها جملة من الكلمات الدالة على المقاصد التي من أجلها خلق العباد، وبها يتجمّلون فيتكاملون، ويظهر فيها التواصل بشكل جيد، وخاصة وأنه محدد للمنطلق الذي ينتهي بالعباد الممتثلين لأوامر الله إلى الجنة، حيث مدح الله المؤمنين بما أوتوا من صفات جميلة وخلال جلّيلة، اجتمعت في أقوالهم وأفعالهم، فجعلت منهم عبادا لله، وكفى بهذه العبودية شرفا لهم تزيّنهم وتجمّلهم، فهؤلاء هم الراجعون عن الحالة المذمومة في معصية الله إلى الحالة المحمودة في طاعة الله، وفي قصدِ رضوانه، إن رضوا بقضائه، وحمدوا الله على كل حال، وصاموا، وهاجروا، وجاهدوا في سبيله، وجالوا بأفكارهم وقلوبهم في توحيد ربهم وتعظيم ملكوته وما خلق من العبر والآيات الدالة على عظمته وقدرته ووحدانيته، ودعوا إلى الإيمان وترك الكفر، فكانوا بهذه الخصال أهلا للبشارة بالفوز بالنعيم المقيم، إذا «يُعرف الله سبحانه بالجمال الذي لا يماثله فيه شيء، ويُعبد بالجمال الذي يحبه من الأقوال والأعمال والأخلاق. فيحبّ من عبده أن يجمِّل لسانه بالصدق، وقلبه بالإخلاص والمحبة والإنابة والتوكل، وجوارحه بالطاعة، وبدنه بإظهار نعمه

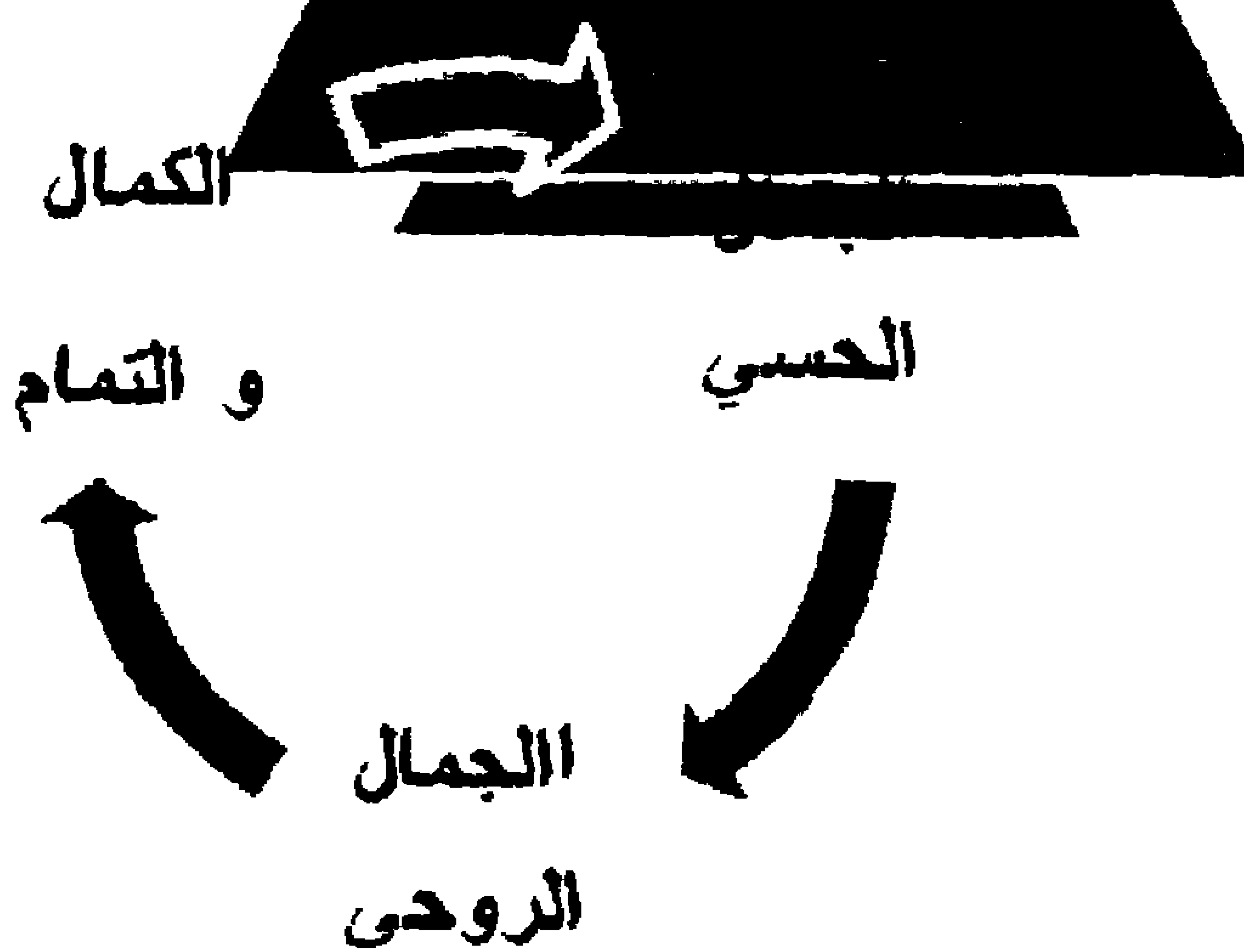
(1) عبد القادر فيدوح: الجمالية في الفكر العربي ـ دراسة ـ ص 93.

(2) ينظر سعد الدين الكليب: البنية الجمالية في الفكر العربي الإسلامي ص 82 .

(3) ابن الدباغ: مشارق أنوار القلوب ص 45.

عليه في لباسه وتطهيره له من الأنجاس والأحداث والأوساخ... فيعرفه بصفات الجمال، ويتعرف إليه بالأفعال والأقوال والأخلاق الجميلة، فيعرفه بالجمال الذي هو وصفه، ويعبده بالجمال الذي هو شرعه ودينه»[1] فالجمالية هنا هي تحقيق هذه الأهداف التي سعى القرآن إلى توصيلها تامة كاملة.

ومن هذا المنطلق فإن هذه البنية الجمالية تنهض من الكمال والتمام وتتأسس عليهما؛ إذ لا يمكن ضبط مفهومها وتحديدها من دون تحديدهما، وتحديد انعكاساتهما الجمالية. فالجمال ليس مجرد عنصر من عناصر الكمال والتمام، وإنما هو جوهر فيهما، وبالتالي فهو جوهر في البلاغ، منه خلق، وفيه نشأ، وإليه يعود، وبه تتحدد قيمته التأثيرية من حيث المستوى الحسي والمعنوي والروحي، بحيث يصحُّ القول: إنّ الكمال والتمام اللذان هما جوهر البلاغ، الذي وصفه الله تعالى فقال عنه: (دينًا قيّمًا) الأنعام ـ الآية 161، أي ثابتا مقوما لأمور معاش العباد وم... يقودانا بالضرورة إلى الجمال الحسي الذي يفضي إلى الجمال الروحي، أو نستطيع القول ... الروحي يؤدي إلى الكمال والتمام في وجود الجمال الحسي، أو أن الجمال الحس... روحي، ومن ثمة إلى الكمال والتمام. وهو ما يوضحه المخ...



(1) ابن قيم الجوزية: الفوائد ص 265.

تخضع الجمالية إذا لشبكة معقدة من العلاقات، يتداخل فيها الذاتي والموضوعي، والمادي والمعنوي، والحسي والمجرد، بل وتتداخل فيها الوظائف كلها وتتعالق.

وانطلاقا من هذه الوظائف التي يؤديها البلاغ تتأسس خصائصه، فتجعل منه شيئا جميلا وصادقا في وسط المبلغين، وما يتعلق بشؤون حياتهم كلها. لذلك صار من الضروري أن يلازم كل من الجمال والكمال والتمام التواصل؛ لكون الجمال ضد القبح، والكمال والتمام ضد النقص، والنفس تميل إلى الأولى وتنفر من الثانية، بل حق لنا أن نقول: إنّ الجمال والكمال والتمام خصائص ليست جزءا من التواصل بل هي التواصل عينه؛ لأن الأشياء لا تؤدي دورها إلا بطريق واحد فقط الذي هُو الجمال الذي لا يظهر إلا بحضور الكمال والتمام.

الخاتمة

بعد أن منّ الله تبارك وتعالى علينا بإنهاء هذا البحث بصورة نرجو أن تكون مقبولة عنده ونافعة لأهل الذكر، يحسن بنا أن نجمل في تركيز شديد موضوعه والنتائج التي انتهى إليها والآثار المتوقعة لتلك النتائج، فنقول وبالله التوفيق:

يمثل هذا البحث محاولة مخلصة نحو تأصيل مفهوم التواصل في البلاغ القرآني، والبحث عن استراتيجيته، لتؤكد لنا:

- **أولا** : أنّ الله كلم عباده الذين اصطفاهم وفق ثلاثة أنواع من الوحي؛ وحي بإرسال جبريل إليهم ـ عليهم السلام ـ وحي بالإلهام والقذف في القلوب، ووحي آخر بالإعلام في اليقظة والمنام.
- **ثانيا:** أن بلاغه بما فيه من أوامر ونواه كان مقيدا بالإرسال، وكان الامتثال لما ورد قراءة وسماعا مقيدا بالتلقي من الرسول لا من الله مباشرة، وبتعبير أكثر دقة أن القرآن كلام الله تلقته البشرية من رسول اصطفاه الله، وهُو مبلغ عنه، وهُو بدوره تلقاه من وسيط خاص من غير جنس البشر جبريل ـ عليه السلام ـ لثقل الأمانة التي حمله إياها رب العالمين. وهُو ما منح البلاغ قدسية مستمدة من القدوس الله ـ جلّ جلّاله ـ وقد فاضت على روح القدس جبريل ـ عليه السلام ـ فعمت الرسول الكريم، وشملته. ومن ثمة إلى شريعته فجنته. وكلها عرفت بالحضرة القدسية.
- وتأسيسا عليه جسد التواصل حركة تابع ومتبوع؛ أي أنّه عبارة عن حلقات في شكل تراتبي حركي، تبدأ الحلقة الأولى بالعلاقة الاتصالية بين الله ورسوله من خلال وسيط الوحي، لتتوالى الاتصالات بين الرسول وعشيرته الأقربين، ثم الصفوة من الصحابة، ثم تابعيهم، لتمتد لتشمل الناس جميعا، وفق قرائن سياقية يقوم عليها، ومن خلالها تتضح العلاقة بين المبلِّغ والمبلَّغ ومدى قوتها، ومدى نجاح عمليتي الإيصال والاتصال ليس على مستوى البلاغ القرآني فحسب، حيث يمتد التواصل ليعنى بخطاب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي هُو امتداد لخطاب الله، كما أن مجموع الخطابات المتعلقة بالتشريع، والمعرفة، والأخلاق، والفرد والمجتمع بما فيها تلك التي تهتم بمختلف الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والفلسفية والتاريخية... التي تهم شؤون الناس أفرادا وجماعات وتهتم بها، وهي نتاج صادر منهم، هي امتداد لخطاب الله وخطاب الرسول.
- **ثالثا:** أنّ محاولة استخلاص مفهوم للتواصل كانت مشروطة بتتبع جملة من المفاهيم والمصطلحات التي تقترب منه، فتبين أن التواصل يقوم على حضور مجموعة من الوظائف أهمها: التبادل، والتبليغ، والإخبار، والتأثير، والإقناع، والإنباء، والدعوة، والمناظرة، والحجاج، والحوار، والإيصال، والاتصال... ولهذا لم يحصر التواصل في واحدة من هذه الوظائف وإنما في حضورها كلها وتفاعلها

بعضها مع بعض فهما وإفهاما، ليتسع التفاعل فيشمل القول والعمل، واتضح أن هذه الألفاظ التي تدل كل منها على صورة من صور التواصل في البلاغ القرآني بشكل مباشر غير مترادفة، مع أن الواحدة منها قد تنوب عن الأخرى، في حال أردنا تقريب المعنى من دون أن تتخلى عن دلالتها الحقيقية. فهي إذا متقاربة المعاني غير متّحدتها.

- رابعا: أن البلاغ حقق وجوده وأنجز جماليته بمراعاته لأهم عناصر العملية التواصلية؛ المبلِّغ والبلاغ والمبلَّغ. فهذه العناصر التي تمثل استراتيجيات نصية، دلّت على أنّ القرآن هُو نتاج لذات متحدثة وحيدة، الله الأحد، ومع أننا نجد بعض الحوارات التي جرت بين الأنبياء، وأقوامهم، فإن هذا لا يعني إشراك الطرف الآخر في إنتاج، أو صناعة البلاغ القرآني، فهُو ليس من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، وإنما هُو بلاغ الله الذي يقتضي تواصلا بين طرفين، أو أكثر، يبدأ بإيصال رسالة تتسم بجمالية تحيط بمجموع الخصائص النوعية التعبيرية، والوصفية، والبلاغية، والذوقية، والفنية، وهي خصائص ظاهرة، ومضمرة، لا تخرج عن نطاق الحق والصدق؛ لأنهما أعلى مستوى يحقق للبلاغ جماليته، ذلك أنّ النفس السوية تنفر من الكذب، والزيف، وما جرى مجراهما، إذ بالحق والصدق يحصل التقبل والإدراك ويتم الفهم.

فقد مثّل حسن العرض، وأريحية الأثر، واللغة ضمن إطارها الشفوي، والكتابي، وصحة المعنى... ـ بوصفها استراتيجيات نصية جمالية محضة ـ الشروط الدائمة لخطاب يتوخى احترامها كمقاييس تتساوى من حيث قيمتها، وجودتها، فتقذف بطريقة انسيابية متتالية إلى المبلَّغ، فتثير فيه شعورا وتفكيرا خاصين وفقا لطبيعته فيتوحد البلاغ مع المبلَّغ ويكون دالا عليه، ويتوحد بذلك البلاغ مع المبلِّغ، فيتوحد جميع المبلَّغين. ولن يكون هذا إلا بعبادة الله التي لأجلّها خلق الإنس والجن. فبصبغة التوحيد يتحد العباد، ويتوحدون، فيجتمعون على كتاب الله الذي يحتوي كل العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق والآداب. وهُو بموجب مضمونه هذا يشكل أسلوبا تواصليا، جماليا، متكاملا، ومتميزا.

إنّ القرآن ـ إذا ـ شيء واحد غير قابل للتفاوت أو التعدد. فالجودة واحدة، والحسن واحد، والقيمة واحدة، والهدف واحد وإن تراوحت دلالات الآيات بين الظهور والخفاء، أو تعدد المبلَّغين، وتنوعت قراءاتهم، وأذواقهم، وأحوالهم، وطاقاتهم واختلفت.

ولئن شغلت اللغة مركزا أسا في العملية التواصلية، فقد كانت هي أيضا واحدة، باعتبارها تشكل خيط الوصل الذي يسعى لإقامة علاقة بين المبلِّغ والمبلَّغ، فيحدث التواصل اللساني، ويتحقق،

ويباشر الإنسان الممتثل انطلاقا منه الفعل المنوط به، لذلك لابد للمخاطَبين من تحصيل هذه المرجعية اللغوية وضعا واستعمالا، أوضاعا وأساليب.

- **خامسا:** أنّ القول: إنّ التواصل مقتصر على عدد محدود من المبلَّغين، يعد قولا مضللا ومجانبا للصواب، في حال إذا ما نظرنا إلى القرآن الكريم بوصفه بلاغا صادرا من حكيم عليم خبير بعباده، ولأنه كذلك فهُو قادر على إيصال بلاغه إلى خلقه كافة، حيث جاء به بصورة مبينة، محكمة، مفصلة، ذات عناصر متشاكلة، خلقت جوا علائقيا مترابطا متشابكا، فاتضحت ملامحها لدى مبلَّغين يتمتعون بخصوصيات دقيقة كثيرة ومتباينة، حيث جمعتهم الفطرة، وفرقتهم الاستعدادات والاستجابات لحظة تلقيهم الخطاب، ولحظة سماعه، أو قراءته، ولحظة فهمه، والعمل بمقتضاه؛ لذلك لم يعرف التواصل في البلاغ القرآني الثبات، والاستقرار لاقترانه بذوات إنسانية متباينة علما، وإدراكا واستيعابا، وامتثالا، زمانا ومكانا.

كما اتسم التلقي بألفة متميزة في تجاوبها مع مضمون البلاغ، مما يعني أنّ التمازج في الإمكانات، والكفاءات له مردوده في التواصل بين جميع الأطراف من جهة، وأنّ التواصل في بلاغ كالقرآن الكريم هُو غاية رئيسة قائمة بذاتها، فرض سيادته، وبسط نفوذه على العقول والقلوب من جهة أخرى؛ لذلك كان البلاغ القرآني انعكاسا لحكيم قدير أحكم آياته ثم فصّلها، لينذر به الجاحدين، وذكرى للمؤمنين، ويبقى بموجبه الخطاب البشري رهين زمان ومكان معينين، وأفراد ذوي طبيعة متجانسة.

- **سادسا:** أنّ صاحب البلاغ ينظم استراتيجيته الإبلاغية، ويحكم ضبطها حتى يقدمها واضحة للمبلَّغين، وذلك باستعمال سلسلة من المعايير المتوالية التي من شأنها أن تعطي البلاغ قيمته، وجدواه، كانتقائه لآليات متنوعة تتطلب أساليب مخصوصة، وإجراءات أخرى لها منزلة في الحسن تفوق كل طريقة، من حيث سلامة نظمه وضبطه، وسلامة أسلوبه المتفرد، وبديع تركيبه الغريب، وصحة معانيه الراقية، وفصاحة ألفاظه، وكل كلامه مع وحدته، وتكامله، واكتماله المعجز بما لا يناقض فطرة المبلَّغين. إن هذه الأدوات وغيرها تعمل على تأسيس مبلِّغ واع نموذجي يتغيا الارتقاء إلى مستوى البلاغ نفسا وعقلا، عملا وسلوكا في السر والعلن؛ لذلك فقد استثمرت كل هذه الخصائص استثمارا فريدا بالنظر إلى مقام التواصل، ومقاصد البلاغ.

ولا معنى لإجراء واحد أو أداة واحدة في غياب باقي الإجراءات والأدوات. فلا المرتكزات وحدها قادرة على منح البلاغ القرآني وجوده دون حضور الآليات. ولا الآليات بمفردها قادرة على تبيان

جدوى البلاغ، وجمالياته بمعزل عن المراتب والمقاصد. ولا أي أداة أخرى كافية لإقامة عملية التواصل كما تجري بالفعل، فهي متصلة لا يمكن الفصل بينها إلا منهجيا، وتحليلا.

ولئن أمر الله عز وجلّ رسوله بتبليغ جميع ما أنزل إليه تبليغا دقيقا كاملا غير منقوص وشدّد عليه بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ سورة المائدة الآية 67، فإن هذا يدل على أن بعض الآيات ليس بأولى من بعضها الآخر، كذلك شأن هذه الإجراءات والأدوات فإغفال إحداها يعني إغفالها جميعا لكون الرسالة «في حكم شيء واحد لدخولها تحت خطاب واحد»،[1] ونحن هنا لا ندعي الإلمام بها كلها، وإنما حاولنا جهدنا الوقوف على أبرزها كما بدا لنا: فاتضح أنها تمثل ملتقى تقاطع فيما بينها من حيث الحضور، والدور الفاعل الذي تقوم به.

- سابعا: لقد عمل القرآن من خلال تجديد التواصل في كل مرة على محوالحدود التي تفصل بين الأزمنة الثلاثة، فوحد الماضي، والحاضر، والمستقبل، فأصبح كل واحد منها متصلا بالآخر وممتدا إليه بل ذائبا فيه. ومرد هذا أنه بلاغ متجدد يحمل الجديد، والحقائق، والبدائل، والماضي، والحاضر، والمستقبل، فهُو ـ والحال هذه ـ تواصل يتسم بالديمومة والخلود.

كما عمل القرآن على تخليص المكان من قيوده، وأطلقه من أسر الحدود إلى الفضاء الرحب، فعم كلامه ـ تبارك وتعالى ـ جميع العباد والبلاد والأزمان، وربط العبادات بها.

ومن هنا أصبحت عملية التواصل تخضع لشروط واعتبارات هي سليلة الوظيفة الجمالية، وتحددها هذه المبادئ، والشروط، وغيرها من الإجراءات، والأدوات بما تتوافر عليه من ضوابط، وخصوصيات تجعلها شيئا واحدا، إذ لا يمكن للتواصل أن يتم إلا ضمن إطار التفاعل الكلي بينها كلها.

- ثامنا: أن من الخطأ عدّ التواصل في القرآن الكريم مجرد صناعة في الوظيفة الجمالية، وحصره فيها فقط تحت بند التعبير، والإبداع، والفن، والذوق، والوصف، والأسلوب... وغيرها من المعايير التي تبعث على التلذذ بالكلام. فمثل هذه الخصائص لم يؤت بها لإبراز الوظيفة الجمالية لذاتها بقدر ما أوتي بها لإبراز قيمتها، وأهدافها، وفاعليتها مع غيرها من الوظائف التي تمنحها فضلا، ومزية كبيرين من دون تمام، لأنها ستظل كالوظائف الأخرى قاصرة عن الإيفاء بالمطلوب. فما ورد في القرآن يتجاوز بكثير ما حاول الإنسان أن يصل إليه.

---

(1) النسفي (عبد الله بن أحمد): مدارك التنزيل وحقائق التأويل ـ تفسير النسفي ـ تحق / أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب ـ مصر ط 2، 1372 هـ ج 1 ص 292 .

- تاسعا: أن للتواصل دورا كبيرا في ترميم التصدعات، والشروخ التي تتلوإهمال التواصل الناشئ عن الاختلاف بين الناس بسبب سوء الإيصال، والاتصال، أو بسبب فشل التواصل الناتج عن جهل المبلِّغ بالمبلَّغ. وبتعبير آخر إنّ انحراف الممارسة التواصلية عن مسارها الصحيح هي سبب رئيس في تعارض الناس واختلافهم ومن ثمة تفرقهم.

إن التواصل الصحيح وحده الذي يسمح بتمثل الناس لما ورد في البلاغ القرآني وتصحيح علاقاتهم، وهُو لا يكون صحيحا إلا إذا كانت صوره متماثلة، ولو بشكل تقريبي. ولا يكون ناجحا إلا بقدر مشاركة المبلَّغين كافة؛ أي دون استثناء أحدٍ. وهذا ما نلمسه في البلاغ الرباني، ولولاه لضل البشر، وما اهتدوا سبيلا؛ لأنه يمثل أرقى درجات التواصل بين كل الأطراف، حيث إنه في كل مرة يرسي منظورا حضاريا جديدا يقوم على أطراف التواصل، وعماده مادته بتفاعلها مع كل المستويات وانفتاحها عليها جميعا.

ومع هذا كله صار التواصل قاب قوسين أو أدنى من الانفلات من قبضة الإنسان بحكم ابتعاده عن كتاب الله، وفقدان قابليته لتنظيم حياته، وإعطائها معنى امتثالا لما جاء في البلاغ. وقد قال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ سورة آل عمران الآية 103، كما قال عنه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «إنّ هذا القرآن هُو حبل الله المتين وهُو النور المبين وهُو الشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه».

ترى.. أ بعد هذا كله... يتجاهل الإنسان التواصل، ويغيّبه مفهوما، وممارسة في الفكر الإنساني. وهُو يعلم أنّه في موقفه منه تتحدد إحدى أهم معالم هويته!. إنّه على أساس أهميته وقيمته عنده يجري تصنيف الأمم حضاريا، فإما متحضرة وإما متخلفة. والحق أن الموقف من التواصل يأخذ أهمية كبيرة في تاريخ الحضارات ويعظم. إنّه يشكل المعادلة الخطيرة التي تواجه كثيرا من الأمم في مسار تقدمها وحضارتها، فهُو يجعلها ـ إن وظف بالطريقة المثالية والمشروعة ـ أمما دينامية مرنة تتسم بقدرة فذة على الحركة، والانتشار خارج الإطارين الزماني والمكاني. لكن هل يمكن أن نتصور ما كان يمكن أن يكون عليه حالنا لولا التواصل، بل لولا وجود تواصل رباني متكامل من خلال البلاغ الرباني الكامل، والتام.

رب أنعمت فزد واكس هذا العمل ثوب الإخلاص، وجمّله بحلة القبول، وبارك فيه، وقدر له الأسباب التي توصله إلى من أحببت فقصدت، وإلى من نويت فأهديت. والحمد لله أولا وآخرا.

المصادروالمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أ ـ الكتب:

- ابن أبي الإصبع (زكي الدين المصري):

1. بديع القرآن ـ تحق/ حفني محمد شرف ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر ط 2، 1972 .
2. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، تحق/ حفني محمد شرف، المجلس العلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط 2، 1964.

- ابن الدباغ (أبوزيد عبد الرحمن بن محمد):

3. مشارق أنوار القلوب ومفتاح أسرار الغيوب، دار صادر ـ بيروت ـ 1959.

- ابن تيمية (تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني):

4. كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير، تحق/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، مكتبة ابن تيمية ـ بيروت ـ ط2، 1982 .

- ابن جني (أبوالفتح عثمان):

5. الخصائص، تحق/ محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية ـ مصر 1952.

- ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي بن محمد) :

6. زاد المسير في علم التفسير، تحق/ محمد السيد الجليند، المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ط 3، 1404 ابن حجة الحموي (تقي الدين أبو بكر علي):
7. خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح/ عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ـ ط 1، 1987.

- ابن حزم (علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي):

8. الإحكام في أصول الأحكام، مطبعة الإمام ـ القاهرة ـ (د. ت).

- ابن خلدون (عبد الرحمن):

9. المقدمة، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ط2، 1979.

- ابن رشيق (أبوعلي الحسن):

10. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحق وتفصيل وتعليق/ محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان ط 5ـ 1981 .

- ابن طباطبا (محمد بن أحمد العلوي):

11. عيار الشعر، تحق/ طه الحاجري ـ محمد زغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة ـ مصر ـ 1956 .

- ابن عاشور(محمد الطاهر):

12. مقاصد الشريعة الإسلامية ـ الشركة التونسية للتوزيع ـ تونس، ط 3، 1988 .

ابن فارس (أبوالحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي):

13. الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها، تحق/ السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة ـ (د. ت)

- ابن قتيبة (أبومحمد عبد الله بن مسلم):

14. تأويل مشكل القرآن، شرح وتحق/ السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية ـ مصر ـ ط 1، 1954 .

- ابن قيم (الجوزية):

15. بدائع الفوائد، تحق/ صلاح الدين محمود السعيد، دار البيان العربي، دار الوعي ـ الجزائر 2006.

- ابن كثير(الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر أبوالفداء الدمشقي):

16. تفسير القرآن العظيم، تحق/ أحمد يوسف الدقاق، دار الفكر ـ بيروت ـ ط 1، 1401 هـ .

- ابن هشام (أبومحمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري البصري):

17. السيرة النبوية، تحق/ طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل ـ بيروت ـ (د.ت).

- أبوزيد (نصر حامد):

18. مفهوم النص ـ دراسة في علوم القرآن ـ المركز الثقافي العربي، بيروت ـ لبنان، الدار البيضاء ـ المغرب ط2، 1994

- أبوالسعود (محمد بن محمد العمادي):

19. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ـ تفسير أبي السعود ـ تحق/ أحمد يوسف الدقاق، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ط 2، 1974 .

- أبوعبيدة (معمر بن المثنى التميمي):

20. مجاز القرآن، عارضه بأصوله وعلّق عليه/ محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة ـ مصر ـ ط 2، 1981 .

- أدونيس (علي أحمد سعيد):

21. زمن الشعر، دار العودة ـ بيروت ـ لبنان ط1، 1972 .

22. الشعرية العربية، دار الآداب ـ بيروت ـ لبنان ط1، 1985.

- أرمينكو(فرانسواز):

23. المقاربة التداولية، تر/ سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع ـ الدار البيضاء ـ المغرب ط 1، 1987.

- الأشقر (عمر سليمان):

24. الرسل والرسالات، قصر الكتاب ـ البليدة ـ الجزائر 1989.

- الألوسي (محمد أبوالفضل):

25. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحق/ محمد ديب البغا، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط 3 1404 .

- إيسر (فولفجانج):

26. فعل القراءة ـ نظرية في الاستجابة الجمالية ـ تر/عبد الوهاب علوب المجلس الأعلى للثقافة 2000 .

- إيفانكوس (خوسيه ماريا بوتويلو):

27. نظرية اللغة الأدبية ـ سلسلة الدّراسات النقدية (2) ـ تر/ حامد أبوأحمد، مكتبة غريب ـ الفجالة ـ القاهرة، ط 1، 1988.

- إيكو(امبرتو):

28. القارئ في الحكاية ـ التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية ـ تر/ أنطوان أبوزيد ـ المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، بيروت ـ لبنان ط1، 1996.

- الباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيب):

29. إعجاز القرآن، تحق/ السيد أحمد صقر، دار المعارف ـ القاهرة ـ ط5، 1977 .

- البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل):

30. صحيح البخاري، دار ابن كثير ـ دمشق ـ بيروت ط 1، 2002 .

- بركة (عبد الغني محمد سعد):

31. أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجا، دار غريب ـ القاهرة ـ ط 1، 1983 .

- البغوي (الحسين بن مسعود الفراء أبومحمد):

32. معالم التنزيل ـ تفسير البغوي ـ تحق/ خالد العك، مروان سوار ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط 2، 1987 .

- بلعيد (صالح):

33. في قضايا فقه اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية ـ الجزائر ـ 1995 .

- بلمليح (إدريس):

34. القراءة التفاعلية ـ دراسات لنصوص شعرية حديثة ـ دار توبقال للنشر ـ الدار البيضاء ـ المغرب ط 1، 2000 .

35. المختارات الشعرية وأجهزة تلقيها عند العرب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ـ المغرب ـ ط 1، 1955.

- بناني (عز العرب لحكيم):

36. الظاهرتية وفلسفة اللغة ـ تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية ـ أفريقيا الشرق ـ الدار البيضاء ـ المغرب، بيروت ـ لبنان، 2003.

- بن نبي (مالك):

37. الظاهرة القرآنية، تر/ عبد الصبور شاهين، تقديم/ محمد عبد الله دراز ومحمود محمد شاكر، دار الفكر ـ دمشق ـ 1981 .

- بوبو(مسعود):

38. في فقه اللغة العربية، منشورات جامعة دمشق، ط 2، 2002.

- تحريشي (محمد):

39. أدوات النص ـ دراسة ـ اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ 2000.

- تليمة (عبد المنعم):

40. مداخل إلى علم الجمال، منشورات عين المقالات ـ الدار البيضاء ـ المغرب ـ ط 2، 1987 .

- التوحيدي (أبوحيان):

41. كتاب الإمتاع والمؤانسة، صححه وشرح غريبه/ أحمد أمين وأحمد الزين ، المكتبة العصرية ـ بيروت ـ 1953 .

- تودوروف (تزفيتان):

42. نظرية المنهج الشكلي ـ نصوص الشكلانيين الروس ـ تر/ إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين ـ المغرب ـ مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، ط 1، 1982 .

- الجابري (محمد عابد):

43. العقل الأخلاقي العربي ـ دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية ـ سلسلة نقد العقل العربي 4، مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ـ لبنان ط2، 2006 .

- الجاحظ (أبوعثمان عمرو بن بحر):

44. البيان والتبيين، تحق/ عبد السلام هارون، دار الجيل ـ بيروت ـ 1948 .

45. الحيوان، تحق وشرح/ عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ط 3، 1969.

46. رسائل الجاحظ، تحق/ عبد السلام محمد هارون ـ دار الجيل ـ بيروت 1991 .

- الجرجاني (عبد القاهر):

47. أسرار البلاغة في علم البيان، تحق/ محمد رشيد رضا، دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ط 2 (د.ت)

48. دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق/ محمود محمد شاكر ـ دار المدني ـ جدة، مطبعة المدني القاهرة ط 3، 1992

49. الرسالة الشافية ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ـ للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ـ حققها وعلق عليها/ محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ـ دار المعارف ـ مصر ـ ط2، 1968 .

- الجرجاني (أبوالحسن علي بن محمد بن علي الحسيني):

50. التعريفات، وضع حواشيه وفهارسه/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط 2، 2003.

- الجزائري(أبو بكر جابر):

51. منهاج المسلم، دار الكتب السلفية ـ القاهرة ـ 1406 هـ

- الجوزو(محمد علي):

52. مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ط 1، 1980.

- الحافظ (منير):

53. المعيار الجمالي في فن اللامعقول ـ دراسة ـ دار القرقد، دمشق، ط1، 2003 .

- حسين (طه):

54. من حديث الشعر والنثر، دار المعارف ـ مصر ـ ط 10، 1969.

- حمادي (إدريس):

55. الخطاب الشرعي وطرق استثماره ـ المركز الثقافي العربي ـ بيروت ـ الدار البيضاء، ط 1، 1994.

- حسان (تمام):

56. الأصول، دار الثقافة ـ مصر ـ ط 1، 1981.

- الخطابي (أبوسليمان حمد بن محمد بن إبراهيم):

57. بيان إعجاز القرآن ـ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ـ حققها وعلق عليها/ محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ـ دار المعارف ـ مصر ـ ط2، 1968 .

- خطابي (محمد):

58. لسانيات النص ـ مدخل إلى انسجام الخطاب ـ المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ـ المغرب ـ ط 1، 1991 .

- دايك (فان):

59. النص والسياق ـ استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ـ تر/ عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء ـ المغرب ، بيروت ـ لبنان 2000.

- دارز (محمد عبد الله):

60. مدخل إلى القرآن الكريم، تر/ عبد العظيم علي، دار القلم ـ الكويت ـ ط 2، 1394 هـ

- دوسوسور (فردينان):

61. دروس في الألسنية العامة، تر/ صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة، الدار العربية للكتاب ـ ليبيا ، تونس 1985 .

- الرازي (فخر الدين عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين):

62. مفاتيح الغيب ـ التفسير الكبير ـ دار الكتب العلمية، بيروت 1983.

- الرافعي (مصطفى صادق):

63. تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان 1974 .

- الرماني (أبوالحسن علي بن عيسى):

64. النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ـ حققها وعلق عليها/ محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ـ دار المعارف ـ مصر ـ ط2، 1968.

- رمضان (يحي):

65. القراءة في الخطاب الأصولي ـ الاستراتيجية والإجراء ـ جدارا للكتاب العالمي ـ عالم الكتب الحديث ـ الأردن ط 1، 2007.

- الرويلي (ميجان) ـ البازعي (سعد):

66. دليل الناقد الأدبي ـ إضاءة لأكثر من خمسين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا ـ المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب/ بيروت لبنان ط 2، 2000 .

- ريفاتير (ميكائيل):

67. معايير تحليل الأسلوب ، تر/ حميد الحمداني ـ دار سال ـ المغرب ، ط 1، 1993 .

- ريتشاردز (آ.أي):

68. مبادئ النقد الأدبي ـ دراسة أدبية ـ تر/ إبراهيم الشهابي ـ منشورات وزارة الثقافة ـ سورية 2002 .

- الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله):

69. البرهان في علوم القرآن، تحق/ محمد أبوالفضل إبراهيم ـ دار إحياء الكتب العربية ـ ط1، 1957 .

- الزمخشري (أبوالقاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي):

70. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـ دار الفكر ـ بيروت (د.ت).

- الزيدي (توفيق):

71. مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ـ المغرب ـ ط2، 1987.

- ساندريس (فيلي):

72. نحو نظرية أسلوبية لسانية، تر/ خالد محمود جمعة ـ دار الفكر ـ دمشق ط1، 2003.

- سبيلا (محمد) ـ بنعبد العالي (عبد السلام):

73. اللغة ـ سلسلة دفاتر فلسفية ـ رقم 5، دار توبقال للنشر ـ الدار البيضاء ـ ط 1، 1994 ـ ط 2، 1998 .

- السخاوي (أبوالحسن علم الدين علي بن محمد):

74. جمال القراء وكمال الإقراء، تحق/ عبد الكريم الزبيدي، دار البلاغة ـ بيروت ـ ط 1، 1993 .

- السكاكي (أبويعقوب يوسف):

75. مفتاح العلوم، تحق/ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط1، 1983 .

76. مفتاح العلوم، تحق/ محمد كامل الأسيوطي، مطبعة التقدم ـ مصر ـ 1348 هـ .

- سلام (محمد زغلول):

77. النقد العربي الحديث ـ أصوله، وقضاياه ومناهجه، مطبعة المعرفة ـ القاهرة ـ 1964.

- سلوم (تامر):

78. نظرية اللغة والجمال في النقد العربي ـ دار الحوار ـ سورية ط 1، 1983 .

- سمير (حميد):

79. النص وتفاعل المتلقي في الخطاب الأدبي عند المعري ـ دراسة ـ اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ 2005.

- السهروردي (شهاب الدين):

80. اللمحات، تحق/ أمين معلوف، دار النهار ـ بيروت ـ 1969 .

- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر):

81. الإتقان في علوم القرآن، ضبط وتصحيح وتخريج الأيات/ محمد سالم هاشم ـ دار الكتب العلمية ـ طبعة جديدة كاملة ـ بيروت ـ ط 1، 2004 .

82. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة (د.ت).

- الشاطبي (أبوإسحاق إبراهيم بن موسى):

83. الموافقات في أصول الشريعة، تحق/ عبد الله دراز ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

- شرف (عبد العزيز):

84. الأدب الإسلامي ـ المفهوم والقضية ـ دار الجيل، بيروت، ط 1، 1992.

- الشعراوي (محمد متولي):

85. معجزة القرآن الكريم، دار الخياط للطباعة والنشر والتوزيع ـ دمشق ـ ط1، 2005.

- الشنقيطي (سيد محمد ساداتي):

86. وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، دار عالم الكتب ـ الرياض ـ ط 3، 1990.

- الشوكاني (محمد بن علي بن محمد):

87. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحق/ علي محمد عمر ـ دار الفكر ـ بيروت، ط1 (د.ت).

- الصابوني (محمد علي):

88. صفوة التفاسير، دار القلم العربي ـ حلب ـ دار النمير ـ دمشق ـ ط1، 1994.

- العبدالله (مي):

89. نظريات الاتصال، دارالنهضة العربية ـ بيروت ـ ط1، 2006.

- عبد البديع (لطفي):

90. فلسفة المجاز بين البلاغة العربية والفكر الحديث ـ الشركة المصرية العالمية للنشر ـ لونجمان ط 1، 1997 .

- عبد التواب (صلاح الدين):

91. الصورة الأدبية في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر ـ لونجمان ـ ط 1، 1995 .

- عبد الرحمن (طه):

92. تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ـ المغرب، بيروت ـ لبنان ط2، 2005 .

93. اللسان والميزان ـ أو التكوثر العقلي ـ المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ـ بيروت، ط1، 1998.

- عبد المعطي محمد (علي):

94. جماليات الفن ـ المناهج والمذاهب والنظريات ـ دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية، 1994.

- عبد المنعم مجاهد (مجاهد):

95. تاريخ علم الجمال، دار ابن زيدون للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ ط 1، 1988.

- عبده (محمد):

96. تفسير المنار ـ تفسير القرآن الكريم ـ مطبعة المنار ـ القاهرة ـ ط1، 1346 هـ .

- عتر (نور الدين):

97. علوم القرآن الكريم، مطبعة الصبّاح ـ دمشق ـ طبعة مزيدة ومنقحة، 1996 .

- عسكر (إحسان):

98. وظائف التبليغ القرآني ـ دار الاتحاد العربي ـ مصر ـ ط 1، 1992.

- العسكري (أبو هلال):

99. كتاب الصناعتين، تحق/ علي محمد البجاوي ومحمد أبوالفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة، (د.ت).

- عصفور (جابر):

100. مفهوم الشعر ـ دراسة في التراث النقدي ـ دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ط3، 1983 .

- العمري (محمد):

101. البلاغة العربية ـ أصولها وامتداداها ـ أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب ـ بيروت ـ لبنان، 1999 .

- عياشي (منذر):

102. مقالات في الأسلوبية ـ دراسة ـ منشورات اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ ط 1، 1990 .

- الغزالي (أبوحامد):

103. إحياء علوم الدين ـ دار الكتاب العربي ـ (د ت)

- غيرو(بيار):

104. السيمياء، تر/ أنطوان أبي زيد، منشورات عويدات، بيروت ـ باريس، ط 1، 1984.

- الفاسي(علال):

105. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ط 5، 1993 .

- الفراهي (عبد الحميد):

106. مفردات القرآن ـ نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية، تحق/ محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ط 1، 2002.

- فياض (محمد جابر):

107. الأمثال في الحديث النبوي الشريف، مكتبة المؤيد ـ للمعهد العالمي للفكر الإسلامي ـ ط 1، 1993 .

- فيدوح (عبد القادر):

108. الجمالية في الفكر العربي ـ دراسة ـ منشورات اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ سوريا 1999

- فيري (جان مارك):

109. فلسفة التواصل، تر/ عمر مهيبل منشورات الاختلاف ـ الجزائر ـ المركز الثقافي العربي ـ بيروت، الدار البيضاء، الدار العربية للعلوم ـ بيروت ـ لبنان ـ ط1، 2006.

- قاسم (عدنان حسين):

110. الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، مؤسسة علوم القرآن ـ عجمان ـ الإمارات العربية المتحدة، دار ابن كثير ـ دمشق، بيروت ط 1، 1992.

- القاضي عبد الجبار (أبوالحسن الأسد آبادي):

111. المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحق/ أمين الخولي ـ دار الكتب ـ الجمهورية العربية المتحدة ـ ط 1، 1960.

- القرضاوي (يوسف):

112. الخصائص العامة للإسلام، شركة الشهاب ـ الجزائر ـ 1977 .

- القرطبي (أبوعبد الله محمد بن أحمد الأنصاري):

113. الجامع لأحكام القرآن ـ تفسير القرطبي ـ راجعة وضبطه وعلق عليه/ محمد إبراهيم الحفناوي، خرج أحاديثه/ محمود حامد عثمان، دار الحديث ـ القاهرة 2002 .

114. الجامع لأحكام القرآن ـ تفسير القرطبي ـ تحق/ أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب ـ مصر ط 2، 1372 هـ

- القرطاجني (أبوالحسن حازم):

115. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق/ محمد الحبيب بن الخوجة ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ط 2، 1981.

- القضماني (رضوان):

116. مدخل إلى اللسانيات، منشورات جامعة البعث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ حمص ـ سورية، (د. ت) .

- قطب (سيد):

117. في ظلال القرآن، دار الشروق ـ القاهرة ـ بيروت ـ طبعة جديدة مشروعة (السادسة والعشرون) 1997 .

- القيسي (ابن أبي طالب أبومحمد مكي بن حموش):

118. العمدة في غريب القرآن، تحق/ يوسف عبد الرحمن المرعشلي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت، 1984

- الكدية (جيلالي):

119. تأويل النص الأدبي ـ نظريات ومناقشات ضمن مْن قضايا التلقي والتأويل' سلسلة ندوات ومناظرات رقم 36، 1995 منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس ـ الرباط ـ المغرب، مطبعة النجاح الجديدة ـ الدار البيضاء ط 1، 1994 .

- الكليب (سعد الدين):

120. البنية الجمالية في الفكر العربي الإسلامي ـ منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق، 1997.

- كوهن (جان):

121. بنية اللغة الشعرية، تر/ محمد الولي ومحمد العمري، المعرفة الأدبية ـ دار توبقال للنشر ـ الدار البيضاء ـ المغرب ط1، 1986.

- لوقا (نظمي):

122. الحقيقة عند فلاسفة المسلمين ـ مكتبة غريب ـ مصر 1982 .

- مانفرد (فرانك):

123. حدود التواصل ـ الإجماع والتنازع بين هابرماس وليوتار ـ تر/ عز العرب لحكيم بناني، أفريقيا الشرق ـ المغرب ـ 2003 .

- مجموعة من المؤلفين (عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي):

124. معرفة الآخر ـ مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة ـ المركز الثقافي العربي ـ بيروت ـ الدار البيضاء، ط1، 1990 .

- المرتجي (أنور):

125. سيميائية النص الأدبي، أفريقيا الشرق ـ الدار البيضاء ـ المغرب 1987.

- المسدي (عبد السلام):

126. الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب ـ ط 2، 1982 .

127. قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون ـ الشركة التونسية للتوزيع ـ 1984 .

- مسلم (بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري):

128. صحيح مسلم، دار إسلام ـ الرياض ـ دار الفيحاء ـ دمشق ـ ط 2، 2000 .

- مصدق (حسن):

129. النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ـ المغرب، بيروت ـ لبنان، ط1، 2005 .

- مفتاح (محمد):

130. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ـ المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ـ المغرب ـ ط 3، 1992.

131. مجهول البيان، دار توبقال للنشر ـ الدار البيضاء ـ المغرب ـ ط 1، 1990 .

132. في سيمياء الشعر القديم، دار الثقافة ـ الدار البيضاء ـ المغرب، ط 1 ـ 1982.

133. النص ـ من القراءة إلى التنظير ـ شركة النشر والتوزيع ـ المدارس ـ الدار البيضاء، ط1، 2000 .

- المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي):

134. إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع، تصحيح وشرح/ محمود محمد شاكر ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ 1941.

- الليجي (عاطف):

135. من روائع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ط4، 2004 .

- المناوي (محمد عبد الرءوف):

136. التوقيف على مهمة التعاريف، تحق/ محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر ـ بيروت/ دار الفكر ـ دمشق ط 1، 1410 .

- مهييل (عمر):

137. إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، منشورات الاختلاف ـ الجزائر ـ المركز الثقافي العربي ـ المغرب ـ لبنان، الدار العربية للعلوم ـ بيروت ـ لبنان، ط1، 2005 .

- ناصف (مصطفى):

138. اللغة والتفسير والتواصل، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ـ 1995.

- النحوي (عدنان علي رضا):

139. الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام ـ دار النحوي ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية ط 1، 1999 .

- النسفي (عبد الله بن أحمد):

140. مدارك التنزيل وحقائق التأويل ـ تفسير النسفي ـ تحق/ أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب ـ مصر ط 2، 1372 هـ .

- النووي (محي الدين يحي بن شرف):

141. منهل الواردين، شرح رياض الصالحين، ضبط ووضع/ صبحي الصالح، دار العلم للملايين ـ بيروت، ط 1، 1970 .

- الهيل (عبد الرحيم محمد):

142. فلسفة الجمال في البلاغة العربية ـ الدار العربية للنشر والتوزيع ـ مدينة نصر ـ مصر، ط 1، 2004.

- هوكز (ترنس):

143. البنيوية وعلم الإشارة، تر/ محمد الماشطة، دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ـ 1986 .

- وضحى (يونس):

144. القضايا النقدية في النثر الصوفي حتى القرن السابع الهجري ـ دراسة ـ إتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ 2006 .

- وولف (فرجينيا):

145. القارئ العادي ـ مقالات في النقد الأدبي، تر/ عقيلة رمضان، مراجعة/ سهير القلماوي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ مصر ـ 1971 .

- ياكبسون (رومان):

146. قضايا الشعرية، تر/ محمد الولي ومازن حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ـ المغرب ـ ط1، 1988.

- يعقوب (ناصر):

147. اللغة الشعرية وتجلّياتها في الرواية العربية ـ 1970/ 2000 ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، 2004.

ب ـ الدواوين:

148. ديوان أبي تمام، تحق/ محمد عبده عزام، دار المعارف ـ مصر ـ ط5.

149. ديوان أبي العتاهية، قدم له وضبطه وشرحه/ صلاح الدين الهواري، دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ـ ط 1، 2004

150. ديوان أبي نواس، دار صادر ـ بيروت ـ ط 1 ـ 2001 .

151. ديوان الأعشى، دار بيروت ـ بيروت 1983.

152. ديوان امرئ القيس، تحق/ أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف ـ مصر ـ ط 4 .

153. ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تصحيح وشرح/ محمد عزت نصر الله منشورات دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ د.ت.

154. ديوان الحماسة، أبوتمام حبيب بن أوس الطائي، تحق/عبد المنعم أحمد صالح ـ منشورات وزارة الثقافة والإعلام ـ العراق 1980.

155. ديوان كعب بن زهير، شرح وتقديم/ محمد يوسف نجم، دار صادر ـ بيروت ـ ط2، 2002 .

ج ـ المعاجم:

- ابن فارس (أبوالحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي):

156. مقاييس اللغة، تحق/ عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى الحلبي ـ القاهرة ـ 1366 هـ

- ابن منظور (أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم):

157. لسان العرب، تحق/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، دار صادر ـ بيروت ـ ط 1، 1955 ـ 1992.

- الأصفهاني (الراغب):

158. مفردات ألفاظ القرآن، تحق/ صفوان عدنان داوودي، دار القلم ـ دمشق، الدار الشامية ـ بيروت ط 2، 1997.

- جبور (عبد النور):

159. المعجم الأدبي، دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط 1، 1979.

- الجوهري (أبونصر إسماعيل بن حماد):

160. الصحاح ـ تاج اللغة وصحاح العربية ـ تحق/ أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي ـ القاهرة ـ 1956.

- صليبا (جميل):

161. المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ دار الكتاب المصري ـ القاهرة ـ 1978.

مجمع اللغة العربية:

162. معجم ألفاظ القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للنشر والتأليف ـ مصر ـ ط2، 1970 .

163. نخبة من العلماء والباحثين:

164. قاموس القرآن الكريم - المدخل - مؤسسة الكويت للتقدم العلمي - الكويت - ط 1، 1992.

د ـ الرسائل الجامعية:

- بناني (محمد الصغير):

165. البلاغة العربية وأصولها النظرية - دراسة تحليلية للمبادئ اللسانية والبلاغية والعقيدية التي قامت عليها منذ نشأتها إلى بداية القرن السابع الهجري - دكتوراه دولة، إشراف عبد الله الركيبي - جامعة الجزائر - قسم اللغة العربية وآدابها، جوان 1993 .

166. البلاغة والعمران عند ابن خلدون - دراسة تحليلية للمبادئ اللسانية والبلاغية والعقيدية التي تحدد العلاقة بين اللغة والمجتمع، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1996.

- بن سديرة (عيسى):

167. الخصائص التركيبية والأسلوبية في المكي والمدني من القرآن الكريم - دكتوراه دولة - جامعة الجزائر 2003.

د ـ المقالات:

أعراب (حبيب):

168. الحجاج والاستدلال الحجاجي - عناصر استقصاء نظري - عالم الفكر - الكويت - العدد الأول - سبتمبر 2001

- أبوديب (كمال):

169. السيميائية أحدث العلوم الإنسانية، مجلّة العربي، العدد 334 سبتمبر 1986.

- إيسر (فولفجانج):

170. آفاق نقد استجابة القارئ، تر/ أحمد بوحسن، مراجعة/ محمد مفتاح، الثقافة الأجنبية - دار الشؤون الثقافية العامة، العدد الأول، السنة الرابعة عشر، 1994.

- بناني (سعيد):

171. ترميز الفضاء في القرآن الكريم، تر/ عبد الحق ميسط، مراجعة أبو بكر العزاوي - المشكاة، وجدة - المغرب - العدد 25 السنة 1997.

- بوقرة (نعمان):

172. نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية - قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية - مجلّة اللغة والأدب، قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة الجزائر - العدد السابع عشر، جانفي 2006 .

- جاسم (أحمد الحسين):

173. مفهوم الصورة في النقد الأدبي، البيان، العدد 232 يونيو 1997.

- حمداوي (جميل):

174. مفهـوم التواصـل - النمـاذج والمنظـورات - ديـوان العـرب العـدد 31 ديـسمبر 2006 - المغـرب - http://www.diwanalarab.com/

175. التواصـل اللفظـي وغـير اللفظـي - النـدوة العربيـة - المغـرب - www.arabicnadwah;com/articles/tawasul-hamadaoui.htm

- درويش (أحمد):

176. الأسلوب والأسلوبية - مدخل في المصطلح وحقول البحـث ومناهجـه - فـصول، المجلّـد الخـامس، العـدد الأول أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر 1984.

- شنان (قويدر):

177. التداولية في الفكر الأنجلوسكسوني - المنشأ الفلسفي والمآل اللساني، مجلّة اللغة والأدب، العدد السابع عشر، جانفي 2006.

- العزاوي (أبو بكر):

178. البنية الحجاجية للخطاب القرآني - سورة الأعلى نموذجا - المشكاة، المغرب - العدد التاسع عشر السنة الخامسة، 1994.

- عيد (محمد رجاء):

179. التصور الجمالي في النقد العربي - المنهل - العدد 530 المجلّد 57 فبراير - مارس، 1996.

- قاسم(سيزا):

180. القارئ والنص - من السيميوطيقا إلى الهيرمينوطيقا - عالم الفكر، المجلّد الثالث والعشرون العددان الثالث والرابـع - يناير/ مارس - أبريل/ يونيوالكويت 1995.

- للملاخ (نور الدين):

181. مفاهيم في التواصل - تاريخ النشر02/ 02/ 2005 http://www.aljamaa.com/ar/index.asp

- المنادي (أحمد):

182. التلقي والتواصل الأدبي - قراءة في نموذج تراثي - عالم الفكر، العدد الأول، المجلّد الرابع والثلاثون، يوليو - سبتمبر 2005.

- مهيبل (عمر):

183. الخطاب الفلسفي للحداثة يورغن هابرماس - مجلّة اللغة والأدب - جامعة الجزائر - قسم اللغـة العربيـة وآدابهـا - العدد العاشر ديسمبر 1996.

- ولد محمد الأمين (محمد سالم):

184. مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، عالم الفكر، العدد الثاني، يناير/ مارس، 2000.




9789957555412



دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
مجمع العساف التجاري - الطابق الأول

تلفاكس : 5353402 6 962+
خلـوي : 95667143 7 962+

ص.ب : 520946 عمان 11152 الأردن
E-mail: darghidaa@gmail.com